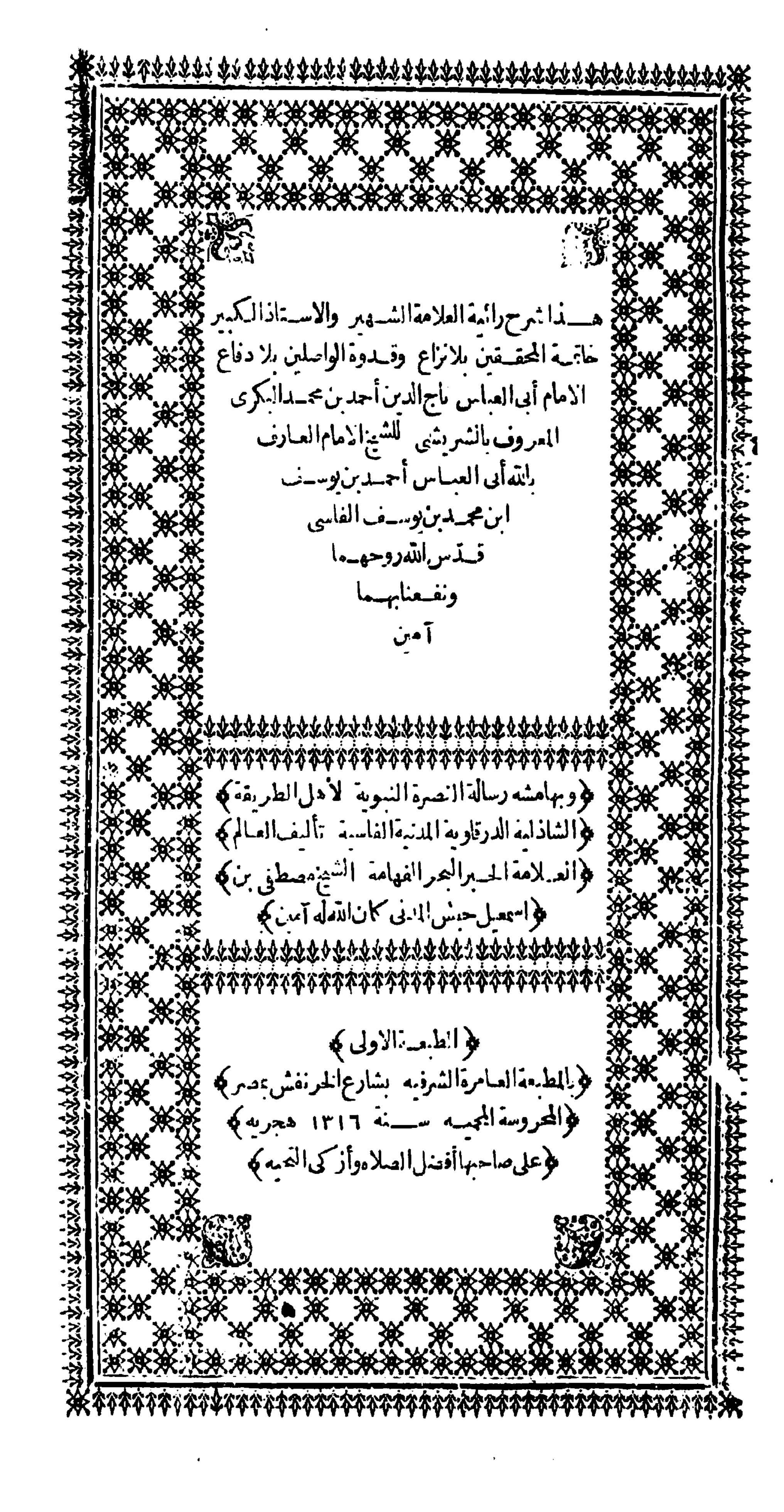


هـذا شرح رائية العلامة الشهير والاستاذ الكبير
خاتمة المحققين بلا نزاع وقدوة الواصلين بلا دفاع
الامام أبي العباس تاج الدين أحمد بن محمد البكري
المعروف بالشريشي للشيخ الامام العارف
بالله أبي العباس أحمد بن يوسف
ابن محمد بن يوسف الفاسي
قدس الله روحهما
ونفعنا بهما
آمين

﴿وبهامشه رسالة النصرة النبوية لأهل الطريقة﴾
﴿الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسية تأليف العالم﴾
﴿العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ مصطفى بن﴾
﴿اسمعيل حبش المدني كان الله له آمين﴾

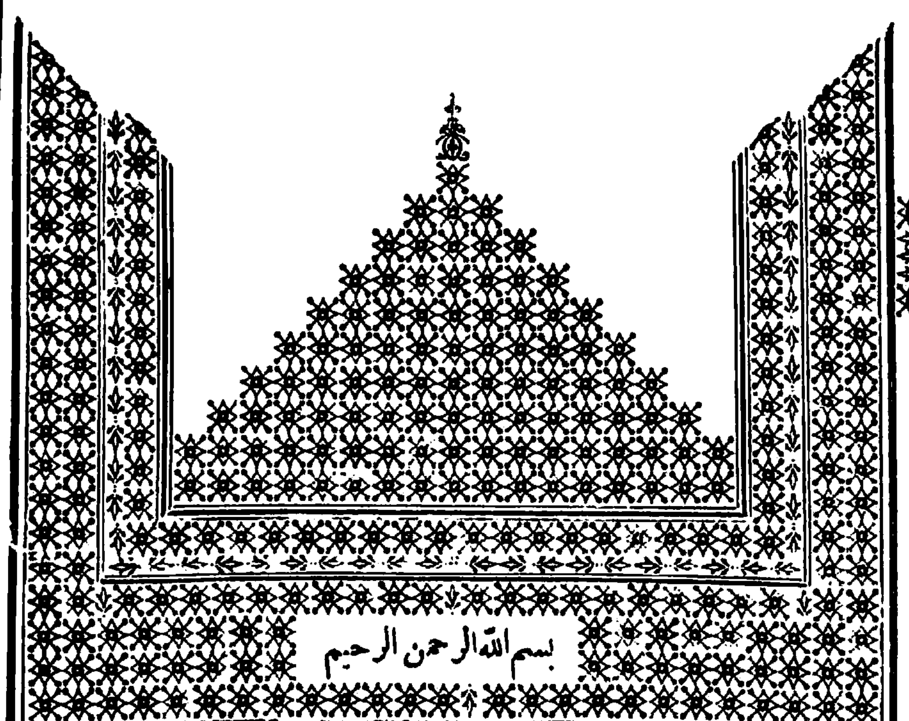
﴿الطبعة الاولى﴾
﴿بالمطبعة العامرة الشرفيه بشارع الخرنفش بمصر﴾
﴿المحروسة المحميه سنة ١٣١٦ هجريه﴾
﴿على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه﴾



هذا شرح رائية العلامة الشهير والاستاذ الكبير
خاتمة المحققين بلا نزاع وقدوة الواصلين بلا دفاع
الامام أبى العباس تاج الدين أحمد بن محمد البكرى
المعروف بالشريشى للشيخ الامام العارف
بالله أبى العباس أحمد بن يوسف
ابن محمد بن يوسف الفاسى
قدس الله روحهما
ونفعنا بهما
آمين

﴿وبهامشه رسالة النصرة النبوية لأهل الطريقة﴾
﴿الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسية تأليف العالم﴾
﴿العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ مصطفى بن﴾
﴿اسمعيل حبش المدنى كان الله له آمين﴾

﴿الطبعة الاولى﴾
﴿بالمطبعة العامرة الشرفيه بشارع الخرنفش بمصر﴾
﴿المحروسة المحميه سنة ١٣١٦ هجريه﴾
﴿على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد المعترف بذنبه الراجى عفو ربه أحمد بن يوسف بن محمد بن يوسف الفاسى أصلح الله حاله وقلبه وغفر ذنبه وستر عيبه وجمع شمله بالأحبه أعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه تسليما الى يوم الدين الحمد لله الكبير المتعال الواحد الصمد العزيز ذى الجلال المرتدى رداء العظمة والكبرياء والكمال بارئ النسم ومبدئ الحكم وفالق الاصباح وملهم الارواح بما شاء من نفائس الاحكام ومبدئ أمة شريفة فاقت سائر الأنام وجعل فيها ومنها علماء وحكماء وصيرهم معالم الهدى ومصابيح الاقتداء فلا يزال فيها أئمة أعلام ومورثون واحدا عن واحد الى وقت معلوم وقته الملك العلام بهم تقوم الحجة وتتضح المحجة حاملين اعباء الخلق حائزين قصب السبق وقدم الصدق متضلعين بالحقيقة متمسكين بعروة الدين وشعار الاسلام وصلى الله على النور الاول الذى منه امتدت الانوار والسر الاكمل الذى منه انشقت الاسرار المنبأ وآدم بين الماء والطين المرسل أولا وباطنا رحمة للعالمين والمبعوث آخرا وظاهرا بشيرا ونذيرا للاحمر والاسود والجن والانس أجمعين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صاحب الكلمة الجامعة والرسالة المحيطة والوسيلة والدرجة الرفيعة والحوض المورود واللواء المعقود والمقام المحمود لبنة التمام ومن له الفتح والختام الحائز للمقامات العلية بالتمام وعلى آله وأصحابه أولى النهى والاحكام أعلام الائمة ومصابيح الظلام ومن تبعهم باحسان وتابع تابعهم ما دامت الليالى والأيام ﴿وبعد﴾ فلما كانت القصيدة المسماة بأنوار السرائر وسائر الانوار للشيخ الامام الحبر الهمام العالم العلامة البحر الفهامة المشارك المتفنن الزاهد العامل العارف الكامل المحقق المدقق الواصل أبى العباس تاج الدين أحمد بن محمد البكرى المعروف بالشرنبى أفرغ الله عليه شآبيب الرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان من أجل ما نظم فى تدريج السلوك الى حضرة ملك الملوك لكونها مع صغر حجمها غزير علمها ذات عبارات رائقة وعذوبة فى نظمها ومعان فائقة وحلاوة وقد صحبتها حسبما أبين بعض ذلك فى محله قد احتوت على جملة من آداب الطريق ومهماته وتدريج سلوكه وذكر أحواله ومقاماته وكان فقراء العصر ومن قبلهم يتعاطونها ويعتنون بها ويحضهم شيوخهم عليها ولم يكن لجامع ذلك شرح يرفع عن وجوه أسرارها حجب الامتناع وينشر فى أيدى أخدانها حلل الانتفاع رأيت

ان

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى شرح صدور أوليائه لذكره بالجهر والاسرار وجمعهم من قبائل شتى وأجناس متباينة الاخلاق والاطوار فألف بينهم بما شغلهم به من المحافظة على الاوراد والاذكار فى آناء الليل وأطراف النهار فملأ قلوبهم اسلاما وتسليما ويقينا وعرفانا فالخلوات به أنسهم والجلوات معه بستانهم ونزهتهم والمذاكرة فيه بغيتهم ورغبتهم فيها يتنافسون وفى رياض فنونها يتبخترون لما يبدو لهم من نوار أنوار أسرار مقام الايمان فبذكر الله تجوهر منهم القلوب والاسرار وبالمذاكرة فيه تتقوى هممهم على السير اليه وتحلو لهم مشقة السفر وشظف العيش وتلمع لهم بوارق أنوار الاذكار فتنشط منهم القوى والابدان فلو رأيتهم فى ميدانها يجولون وفى فهم معانيها يتزاحمون ويتفننون وفى حبها يتفاوتون ما بين من يدب اليها دبيب النمل وبين من هو ماش نحوها حاف بلا نعل وبين من ذللت عزم زاملته وآخر بركت همة راحلته وبين من هو حائر فى تلك المفاوز والقفار بلا دليل خبير بالسفر حيران وبين من هو عابد وناسك وعالم محرر للاشباه والنظائر فتنه فى الهداية ورد المحتار والمسالك وبين من يشكو من الهوى والغرام وبين من تأوه من نار الجوى هائم

ان أضع عليها شرحا يكمل به الانتفاع لا آلو جهدا فى تحقيقه وايضاحه وجهد الفعل يستحسن ويشكر وامساك المكثر ذنب لا يكاد يغفر والحامل لى مع ذلك عليه أيضا ان بعض الاخوان لم يزل يلح علينا ويتردد بالمسئلة الينا فى وضع شرح عليها والله ينفعنا واياه بما جرى على أيدينا بسببه وكنت أمتنع لقلة فهمى وعلمى وقصر باعى ووقوفى مع شاهدى ورسمى ثم ظهر لى ان الاجابة أوجب والى الاصابة أقرب لانقراض العلم وذهاب أهله وظهور الجهل وكثرة الدعاوى الكاذبة ونسبة الطريق لغير مستحقه واتيان البيت من ظهره وقصده على غير وجهه فتعين جواب السائل على قدر الاستطاعة والقائل راجين فى ذلك لما ينقل من معادنه أو يفتح الله به من كريم خزائنه طالبين من ذوى العلم اصلاح ما يظهر من اختلاله وسائلين من فضلهم نظره بالشفقة والانصاف واصلاح خلله بالتأويل والتصحيح والاسعاف فان من صنف فقد استهدف ومن أظهر علمه فقد ولى الناس حكمه ومن ستر مسلما ستره الله ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتتبع العيوب والله سبحانه أسأل أن ينفع به من قصده ويوفق للعمل به أو ببعضه من اعتمده وان يجعله خالصا لوجهه الكريم ويجعله حجة لنا لا حجة علينا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿مقدمة﴾ فى التعريف بالناظم رضى الله عنه حسبما رأيت فى اثمد العينين وغيره هو أحمد بن محمد بن أحمد ابن خلف القرشى التميمى البكرى الصديقى سلوى الاصل حديثا بشريشى ولد بسلا سنة احدى وثمانين وخمسمائة ونشأ بمراكش واستوطن الفيوم من مصر حرسها الله وبها توفى فى ربيع الاول سنة احدى وأربعين وستمائة وقيل منتصف شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وستمائة ولقبه هنالك تاج الدين وكنيته أبو العباس كان رضى الله عنه وافر الحظ من علم اللسان نحويا وأديبا شاعرا محسنا محققا لعلم الكلام بارعا فى أصول الفقه متقدما فى التصوف واليه انقطع وعليه عول وفيه صنف ونظم فى مقاصده وتدريج سلوكه قصيدته هذه التى سماها أنوار السرائر وسائر الانوار وأخذها الناس عنه وطارت كل مطار للاجادة فى نظمها وضبطها وأحكام ما اشتملت عليه من هذا الفن قال صاحب اثمد العينين ان هذه القصيدة حجة عند أهل هذه الطريقة ولم يزل المشايخ رضى الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها ثم نقل عن الشيخ أبى عبد الله محمد الدميرى رضى الله عنه انه كان كثيرا ما يحرض عليها أصحابه وجميع تلامذته شديد العناية بها وملازم الخير للمداوم عليها قال وكان هو يديم الكلام عليها ويشرح بعض مقاماتها وأخذ الناظم رضى الله عنه عن جماعة بمراكش فى طلب العلم وأخذ بفاس عن الامام الاصولى العامل الزاهد أبى عبد الله محمد بن على بن عبد الكريم الفندلاوى المعروف بالكتانى والشيخ الامام العالم العلامة النحوى أبى ذر مصعب ابن الامام النحوى أبى عبد الله محمد بن مسعود بن أبى وهب الخشنى الاشبيلى ثم الفاسى من ذرية أبى ثعلبة الخشنى الصحابى رضى الله عنه والشيخ أبى العباس بن أبى القاسم بن القفال ووصل الى الاندلس فاخذ عن بعض أهلها ثم شرق وحج وروى ببغداد عن الامام العالم أبى صالح نصر ابن الامام العالم أبى عبد الله عبد الرزاق ابن قطب المحققين وحجة الله على العارفين محيى الملة أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح الشريف الحسنى المعروف بالجيلانى والشيخ المحدث التاريخى أبى الحسن محمد بن أحمد بن عمران القطيعى والشيخ أبى محمد قبص بن فيروز ابن عبد الله الحنبلى وأخذ علم الكلام عن الشيخ الامام الكبير تقى الدين بن أبى العز مظفر بن عبد الله بن على بن الحسن الازدى الشافعى المعروف بالمقترح وأخذ أصول الفقه بالاسكندرية عن الامام عالم الاعلام شمس الدين أبى الحسن على بن اسمعيل بن على بن حسن بن عطية الابيارى المالكى وأخذ التصوف ذوقا واشراقا ببغداد عن شيخ شيوخ وقته وقدوة أهل عصره ترجمان الطريقة سلطان أهل الحقيقة شهاب الدين أبى حفص ويكنى أيضا أبا عبد الله عمر بن

ولهان مجد فى العروج الى مقام الاحسان فبينما هم فى لجة بحرها متغرقون اذ لاحت لهم أذواق أنوار أذواقهم المحترقون فتحققوا بعلم اليقين وعينه وحقه فى مقام الرسوخ والتمكين وأشكره ان نشر على هام هممهم فى السير اليه منشور الولاية بما سبق لهم من محض الفضل والعناية والتوفيق لذكره فى البداية والنهاية وحملهم على سفينة السلامة والنجاة بما ألهمهم من المتابعة لحبيبه ونبيه المنزل عليه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى فانشرح لها الصدر والجنان وأشهد أن لا اله الا الله الواجب الوجود القديم الحى الباقى القادر المالك الحق المعبود المريد لما شاء السميع البصير المتكلم الاول الآخر الباطن الظاهر بصفاته وأسمائه الحسان كان ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله تعالى باذنه وسراجا منيرا بالذكر والتذكير والجواد بنص القرآن وأيده بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات والحجج الواضحات وخوارق العادات فدعا الخلق الى التوحيد وأخمد نار الشرك والكفر وأباد كل جبار هماز متكبر عنيد وكسر الصلبان والاوثان فاظهر الاسلام وأيد الشرائع والاحكام وبلغ ما أرسل به من ربه لكافة الأنام ورقى على المعراج الى قاب قوسين أو أدنى ورأى ربه بعينى رأسه والجنان صلى الله

عليه وعلى آله وأصحابه أهل الذكر والمذاكرة والفهم فى العلم والايقان ورضى الله تعالى عن التابعين وتابعى التابعين وعن الائمة المجتهدين فى الدين سيما أئمتنا السادة الصوفية أهل الحقائق والدقائق والكشف والفتوحات والترقيات فى الاذكار بالسر والاعلان (اما بعد) فيقول العبد العاجز الضعيف الفقير الى مولاه القوى القادر الغنى عبد ربه مصطفى بن اسمعيل حبش المدنى بلدا والحنفى مذهبا والشاذلى طريقة والفاسى سندا ومشربا انه قدم علينا سؤال من بعض البلاد الاجنبية سوى مكة المشرفة والمدينة المنورة النبوية يتضمن الانكار على أهل الذكر وخصوصا فى المساجد بالجهر والاعلان وما يفعلونه فى وقت الحلقة من الاهتزاز والتواجد والاحوال والوجدان وتحريم الاقتداء فى الصلاة بكل من اخذ الطريقة الشاذلية ولو كان من العلماء الاعيان وعدم الاجتماع عليهم فى مجالس ذكرهم ومذاكرتهم ووعظهم وانشادهم لقصائد العارفين بالله تعالى ذوى الشان وسب المشايخ ومن أخذ عنهم وان استاذنا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد بن محمد الفاسى المغربى نزيل مكة المشرفة ليست طريقته متصلة بطريقة العارف بالله تعالى المحقق الكبير الولى سيدى الشيخ ابى الحسن الشاذلى قدسنا الله باسراره وأفاض علينا من بركاته وأنواره آمين وغير ذلك من الخرافات التى لا يتكلم بها الا أهل الجهل

محمد بن عبد الله القرشى التميمى البكرى الصديقى ثم الشافعى المعروف بالسهروردى صاحب عوارف المعارف التى هى أصل هذه القصيدة والله أعلم وأخذ الطبع عن أبى بيان وروى عنه الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن ابراهيم القيسى السلوى نزيل تونس لقيه بالفيوم من مصر وحدث الشيخ أبو يعقوب يوسف التادلى رضى الله عنه صاحب التشوف عن ولد الناظم رضى الله عنهما فى موضعين منه * ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول والله المستعان وعليه التكلان لما أمعنت النظر فى هذه القصيدة وجدته قد بنى الطريق فيها على ثلاثة أركان وهى التوبة والزهد ودوام العمل لله ظاهرا وباطنا وأما الشيخ فهو شرط فى ايقاع ذلك على ما ينبغى ووصول المقصد فى أسرع زمان وعلى أكمل وجه كما هو شيخ الركب فى الحس لا شطر لتعقل الماهية بدونه وسيأتى الكلام على الشيخ أنه يكون شرط وجوب وشرط كمال وجعل أيضا للتوبة مقدمات وهى الزاجر والانتباه واليقظة ومتممات وهى المجاهدة والمحاسبة والمراقبة وأما الورع فهو عنده مصحح للتوبة بمقدماتها ومتمماتها على ما سيأتى وقد أخذ هذا المعنى كله من عوارف المعارف الا ان صاحب عوارف المعارف لم يذكر الورع لانه أخذ المجاهدة عامة فدخل فيها ما ذكر الناظم أول الورع وغيره والمراقبة والرعاية والناظم ذكر فيها ما يلقى المريد فى أول أمره ثم درجه للمحاسبة ثم درجه فى المراقبة ثم ذكر بأن ذلك فى الورع اما أخذه لما بنى عليه الطريق من العوارف فقال فيها التوبة أصل كل مقام وقوام كل مفتاح ومفتاح كل حال وهى أول المقامات وهى بمثابة الارض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام وانى بمبلغ علمى وقدر وسعى وجهدى اعتبرت المقامات والاحوال وثمراتها رأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان أربعة ثم رأيتها فى افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الاربع التى جعلها الله باجراء سنته معدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الاربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالنور والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأت وتأكدت فأحد الثلاث بعد الايمان التوبة النصوح والثانى الزهد فى الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا من الاعمال القلبية والقالبية من غير فتور وقصور ثم يستعان على اتمام هذه الاربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهى قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والاعتزال عن الناس واتفق المشايخ والعلماء الزاهدون على ان هذه الاربعة بها تستقر المقامات وتستقيم الاحوال وبها صار الابدال ابدالا انتهى بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وتبين بالبيان الواضح ان سائر المقامات تندرج فى صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها ثم شرع فى بيان ذلك كما سننقل كلامه وأجمعه شيأ بعد شئ ان شاء الله تعالى وأما ما جعل للتوبة من المقامات والمهمات فسيأتى ان شاء الله تعالى * ولنقدم أمام الشروع فى المقصود التنبيه على شيئين * الاول ان الناظم رضى الله عنه لم يذكر فى أول قصيدته البسملة أو الحمدلة وقد وردت أحاديث فى الحث على بدء الاشياء المهمة بالحمد أو البسملة أو ذكر الله مطلقا على حسب ما ورد فى خبر رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو اقطع بل أجذم وهذا لفظ أبى داود ولفظ النسائى وابن حبان كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع ورواه النسائى عن الزهرى مرسلا بلفظ كل كلام لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر قال والمرسل أولى بالصواب ووقع فى الاربعين للحافظ الرهاوى بلفظ لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع وله أيضا لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة على محمد فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة قال ابن حجر هذا الحديث أخرجه أبو عوانة فى صحيحه وصححه ابن حبان أيضا وفى اسناده مقال وعلى تقدير صحته فالرواية المشهورة فيه بلفظ بحمد الله وما عدا ذلك من الالفاظ وردت فى طرق الحديث باسانيد واهية اه على

ان ابن الصلاح وغيره قد حكم على هذا الحديث بالحسن ولعل الناظم رضى الله عنه لشدة تعطشه الى ذكر ما بين من المسالك ومحبته سرعة الائتمان للامر الوارد بذلك شرع فى مقصوده من أول وهلة مكتفيا بحمد الله فى نفسه اذ ذاك كان بحكم وقته أى لكونه مأخوذا عن نفسه مقتطعا عن دائرة حسه ناطقا الا بلسانه مسطرا الا ببنانه ومن كان كذلك فلا تسلط لشئ من تلك الاحاديث عليه ولا حق لها ثابت لديه لان التكليف مشروط بقدرة واكتساب والحكم لا يتوجه ما لم توجد الشروط والاسباب على ان ظاهر ما ورد من الاحاديث ليس فيه ما يقتضى انه لا بد من كتب الحمد المبتدا به على صفة ما أريد الشروع فيه من نظم أو نثر أو سجع بل الظاهر ان حمده باللسان يكتفى به وكتبه على غير صفة المقصود كذلك كأن يكتب لفظ الحمد له ثم يشرع فى نظم أو سجع والظن بالناظم كذلك فعل * الثانى انى لما رأيت هذه القصيدة متعقدة النظم غاية وتراكيبها معقدة النهاية ورأيت مع ذلك ان أكثر متعاطيها أرباب قلوب ومعانى لا اعتناء لهم ولا استعداد لتحقيق المبانى حتى كثر فى ضبطها بسبب ذلك التخلط ارتكبت فيها طريقا عدلا بين الافراط والتفريط فضبطت بعض ألفاظها وأعربت حل تراكيبها وقيدت غالب أبياتها تقديرا ارددت فيه شواردها الى معاطفها وعقالاتها ليكون ذلك تميمة لها من عمى التحريف ورقية من لسع عقرب التصحيف والافادة لذلك فى كتب التصوف عسف وبرهنت على تعيين مقصوده بوتمات من تشابهاتها كى لا يتسلط عليها أهل التشديق فيحملونها ما لا تطيق واعانة لمن طلب التحقيق والله ولى التسديد والتوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولما كانت التوبة مبدأ طريق السالكين ورأس منال الفائزين وأول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين وجب تقديمها ولما كان أيضا لا بد فى ابتدائها من وجود زاجر بدأ به فقال رضى الله عنه

﴿اذا ما بدا من باطن حالة الزجر * فما هو الا البر من منبع البر﴾

اذا ظرف مستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وما بعده زائدة على القاعدة وبدا أى ظهر وفى نسخة بدت بالتأنيث ولا كلام على هذه النسخة لان فاعله مؤنث وما فى الاصل صحيح أيضا كما سنبينه ان شاء الله تعالى لانه وان كان فاعله مؤنثا فليس بضمير ولا حقيقى التأنيث والتاء انما تلزم فيهما وعلى تقدير لز ومها مطلقا فالمضاف قد يكتسب التذكير من المضاف اليه كقوله

رؤية الفكر ما يؤول اليه الـ * أمر معين على اجتناب التوانى

ولما لم يكن كلامه مع شخص معين قال من باطن بالتنكير أى أى باطن من البواطن ومن فى كلامه يحتمل انها بمعنى فى على حد قوله تعالى من يوم الجمعة وهو الموافق للفظ العوارف ويحتمل انها على بابها من ابتداء الغاية ويكون انتهاؤها ظهور تلك الحالة على ظاهر العبد لان ظهور ذلك الزاجر لباطن العبد ما لم يظهر على ظاهره أثره من الانزجار والانفكاك لا عبرة به وحالة الزجر فاعل بدا ولم يؤنث فعله مع انه مؤنث لانه مجازى التأنيث لا يجب تأنيث الفعل معه على ان مثل هذا التركيب لا يجب تأنيث الفعل فيه ولو كان الفاعل حقيقى التأنيث للفصل بينه وبين الفعل على أنه لو لم يكن بينهما فصل ما وجب التأنيث أيضا فى مثل هذا لاضافة الفاعل المؤنث لمذكر فيكتسب منه التذكير على حد قول الشاعر

انارة العقل مكسوف بطوع هوى * وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

وقال الآخر

رؤية الفكر ما يؤول اليه الـ * أمر معين على اجتناب التوانى

والزجر لغة المنع والنهى وعند القوم سيأتى وقوله فما هو الضمير عائد على الزجر وذكره لان خبره مذكر وهو البر الخ والمبتدأ اذا كان ضميرا وكان بين معاده وخبره مخالفة بالتذكير والتأنيث يجوز تذكيره وتأنيثه والبر الاول بكسر الباء بمعنى الصلة والخير وتسارع الاحسان والثانى

والضلالات الراتعين فى أودية العوائد والشهوات الغافلين عن ذكر فاطر الارضين والسموات من شملهم قوله جل وعلا أفرأيت من اتخذ الهه هواه فلما رأت السؤال عرفت ان المقصود منه اغراء الناس واشاعة البدعة والالباس على أهل الذكر السادة الامجاد الاكياس وما حملهم على ذلك الا الحقد والحسد والبغض لاهل الانتساب الى الفرد الصمد المستقيمين على الاوراد والاذكار بالسر والاجهار فى العشى والابكار سيما فى ظلام الليل ووقت الاسحار والنصح والنصيحة مع عدم الفضيحة لله تعالى اللطيف الخبير الغفار والمتمسكين بسنة الشفيع المشفع الداعى الى الله تعالى والى سبيل جنته دار الفوز والقرار والمحذر عن كل فعل قبيح يوجب الدخول فى النار الزاهدين فى كل ما سوى الله والمقبلين بقلوبهم على الله من طريق السنة بذكر لا اله الا الله التاركين للعوائد النفسانية والموطنين نفوسهم على المشقة وشظف العيش والصبر على المحن والبلايا رضاء للحضرة القدسية اختارهم لمعرفته فكساوجوههم حلل الانوار وملأ قلوبهم بمحبته فاشغلهم بذكره بالسر والاجهار شرفهم اذ عرفهم طريق معرفته وجعل حظهم حظا موفورا رفعوا اليه قصة الشكوى من الهجران فكتب لهم بالأمان منشورا أيقظهم من بين النائمين وجعل بينهم وبين الغافلين حجابا مستورا نصبوا فى خدمته الاقدام وستروا

بفتحها من أسمائه تعالى وتقدس ومعناه فيه المحسن الذى منه كل مبرة واحسان الموصل ذلك
الى خلقه بلطف ورحمة من غير استشراف الى جزاء وعوض منهم وفيه مناسبة للمقام والمنح العطايا
جمع منحة وبين قوله البر والبر التجنيس المحرف مثل البرد والبرد من قولهم جبة البرد جنة
البرد وسمى محرفا لانحراف احدى الهيئتين على الاخرى يقول والله أعلم اذا بدا أو ظهر للعبد
من باطنه على ظاهره أو فى باطنه الذى هو خزانة من خزائن الملكوت حال النهى عن المخالفة
والزجر عن المنهيات فإنه والاخير وعطية من مواهب الله وعطاياه لديه لانه ليس له فى ذلك
كسب ولا تعمل وانما هى عناية من الحق تعالى وتقدس سبقت له ومعونة من الله لحقته ورحمة
من الله غمرته فيعلم انه عبد منظور اليه متدارك حيث فتش طابع قلبه وجعل فيه واعظ قائم وزاجر
مؤيد وفى الخبر اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه وسيجيء ان
الاحوال مواهب وأصل البيت فى العوارف اثر ماقدمنا من غير فصل أولها بعد الايمان التوبة
وهى فى مبدئها تفتقر الى أحوال فاذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال ولابد فى ابتدائها من
وجود زاجر ووجدان الزاجر حال لانه موهبة من الله تعالى على ما تقرر ان الاحوال مواهب
وحال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها قال رجل لبشر الحافى مالى أراك مهموما قال لانى ضال
ومطلوب ضللت الطريق والمقصد وأنا مطلوب به ولو تبينت كيف الطريق الى المقصد لطلبت
ولكن سنة الغفلة أدركتنى وليس منها خلاص الا ان أزجر فأنزجر قال الاصمعى رأيت اعرابيا
بالبصرة يشتكى عينه وهى يسيل منها الماء فقلت ألا تمسح عينك فقال لا لأن الطبيب زجرنى ولا
خير فيمن لا ينزجر فالزاجر فى الباطن حال يهبها الله تعالى ولابد من وجودها للتائب انتهى * ولنذكر
كلام صاحب العوارف فى الحال والمقام واختلفت اشارة المشايخ فى ذلك ووجود الاشتباه لمكان
تشابههما فى نفسهما وتداخلهما فتراءى للبعض الشئ حالا وتراءى للبعض مقاما وكلا الرأيين
صحيح لوجود تداخلهما ولابد من ذكر ضابط يفرق بينهما على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعران
بالفرق فالحال سمى حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير
مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبات صفات النفس ثم
تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهده الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس
الى ان تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة فتنقهر النفس وتنضبط وتملكها
المحاسبة وتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ويصير فى مقام المحاسبة بعد ان كان له حال
المحاسبة ثم ينازل حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال ثم يحول
حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد الى ان ينقشع ضباب السهو والغفلة
ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة
قراره الا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد بنازل
حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار
ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما وتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ثم فى مقام المشاهدة أحوال
وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص الى البقاء والترقى من
عين اليقين الى حق اليقين وحق اليقين نازل يخرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة
ثم قال * ولما كان الأصل فى الأحوال هذه الحالة وهى أشرف الأحوال وهى محض موهبة
لا تكتسب سميت كل المواهب والنوازل بالعبد أحوالا لانها غير مقدورة للعبد بكسبه فأطلق
القول وتداولت ألسنة الشيوخ ان المقامات مكاسب والأحوال مواهب وعلى الترتيب الذى
درجناه كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالأحوال
مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن فى المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفى
الأحوال بطن الكسب وظهرت الموهبة فالأحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها

وجوههم باستار الظلام فجعلهم
بين الانام شموسا وبدورا وفقهم
لخطابه ولذذهم بعتابه وسقاهم
بكاس اقترابه شرابا طهورا
وأدناهم من الجناب وفتح لهم
الباب ورفع لهم حجابا مستورا
اجتماعهم على محاسبة نفوسهم
عن تضييع الاوقات وحفظ
قلوبهم من التعلق بالشهوات
والعوائد النفسانية وأسباب
الغفلات ناصفوا نفوسهم نكالا
لها عند تفويتهم للفرائض
والسنن المؤكدات بسهر الليل
وصوم النهار أو ببذل بعض المال
أو اطعام اخوانهم من المتجردين
الصادقين المتعففين عما فى
أيدى الناس والمحافظين على
الاوقات يحبون للناس ما يحبون
لانفسهم ويرفعون أكف التضرع
والابتهال الى الكريم المتعال
فى صلاح قلوبهم وقلوب كل من
جالسهم أو قاربهم أو مازجهم على
كل حال قيل دخل لص على
السيدة رابعة العدوية ليلا فنظر
فى البيت عينا وشمالا فلم يجد شيئا
الا ابريق فلما هم بالخروج قالت له
يا هذا ان كنت من الشطار فلا
تخرج بلا شئ فقال انى لم أجد شيأ
فقالت له يا مسكين توضأ بهذا
الابريق وادخل الى هذا المخدع
وصل ركعتين فانك لا تخرج الا
بشئ ففعل ما أمرته به فلما قام
يصلى رفعت السيدة رابعة طرفها
الى السماء وقالت سيدى
ومولاى هذا قد أتى الى ولم يجد
عندى شيأ وقد أوقفته ببابك فلا
تحرمه من فضلك وثوابك فلما
فرغ من صلاة الركعتين لذت له
العبادة فما برح يصلى الى آخر

وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سلوني عن طرق السموات فاني أعرف بها من طرق الارض اشارة الى المقامات والاحوال فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا فهو في طرق السموات ومنازل البركات وهذه الاحوال لا يتحقق بها الاذو قلب سماوي قال بعضهم الحال دوالذكر الخفي وهذه اشارة الى شئ ماذكرناه وسمعت المشايخ بالعراق يقولون الحال ما من الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون هذا ما من العبد فاذا لاح للمريد شئ من المواهب والمواجيد قالوا هذا ما من الله وسموه حالا اشارة منهم الى ان الحال موهبة وقال بعض مشايخ خراسان الاحوال مواريث الاعمال وقال بعضهم الاحوال كالبرق فان بقي فحديث النفس وهذا لايكاد يستقيم على الاطلاق وانما يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم تستلها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء وذهب بعضهم الى أن الأحوال لا تكون الا اذا دامت اما اذا لم تدم فهي اللوائح والطوالع والبواده وهي مقامات الاحوال وليست باحوال ثم قال فعلى ماذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا تعرف الا مقاما فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام قال أبو عثمان الحيري منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته أشار الى أن الرضا يكون منه حال ومقام ثم يصير مقاما وفي المحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتوب بطروق حال التوبة بالانزجار أولا قال بعضهم الزجر هجان في القلب لا يسكنه الا الانتباه من الغفلة فيرده الى اليقظة فاذا تيقظ أبصر الصواب من الخطأ وقال بعضهم الزجر عناء في القلب يبصر به خطأ قصده والزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فبنازل التائب حال الزجر وهي موهبة من الله تعالى تقوده الى التوبة ولا يزال بالعبد تظهر وهوى النفس يمحو آثار حال التوبة والزجر ثم يعاوده الحال حتى تستقر التوبة وتصير مقاما وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد منازله حالة تريه لذة ترك الاشتغال بالدنيا وتقبح له الاقبال عليها ثم تمحو آثار حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتدارك المعونة من الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقاما ولا يزال ينازله هكذا حال التوكل ويقرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على الرضا ويصير ذلك مقاما اه محل الحاجة منه فالزجر ووقوع نطفة التوفيق في رحم القلب ثم بعده علقة الانتباه ثم بعد ذلك مضغة اليقظة ثم بعد ذلك عظام قرع باب التوبة ثم كسى تلك العظام بلحم المجاهدة والمحاسبة والمراقبة ثم ينشأ خلقا آخر بنفخ روح التحقيق في مقامات الانزال وغير ذلك الى الاستقرار في حضرة ذي الجلال والاكرام ثم أشار الى المقدمة الثانية مكتفيا عنها بذكر علاماتها فقال رضي الله عنه

﴿ومن حكم حال الانتباه اذا بدا * شهودك حال النفس في غاية الفقر﴾

﴿فتستغفر الرحمن من كل زلة * وتسأله عفوا يرى البشر في النشر﴾

﴿وان ذكرت دنيا اعتبرت وان جرى * لأخرى الذكر كنت منشرح الصدر﴾

﴿وان ذكر الجبار جل جلاله * نشرت على العلماء ألوية الفخر﴾

الانتباه خروج العبد من رقدة الغفلة ويقال شاهده اذا عاينه والمراد هنا المعاينة القلبية والنفس قال الشيخ أبو العباس أحمد بن البناء رضي الله عنه هو لفظ مشترك يطلق على نحو الاثماني معنى قاله بعض الفضلاء اه وظاهره ان المراد هنا هو هذا المتنبه بكثائفه ولطائفه والفقر الخلو من الشئ ضد الغناء والاستغفار طلب الستر على الذنب والصون عن عذاب التخجيل والفضيحة وهو عذاب روحاني والعفو محو السيئات والتجاوز عن الخطيئات حتى يسقط العقاب عنه والمؤاخذة وهو عذاب جسماني والزلة الخطيئة والرحمن من أسمائه تعالى وتقدس مختص

الاميل فلما كان وقت السحر دخلت عليه السيدة رابعة العدوية فوجدته ساجدا وهو يقول في عتابه لنفسه

اذا ما قال لي ربي
أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي
وبالعصيان تأتيني
فما قولي له لما
يعاتبني ويقصيني

فقالت له حبيبي كيف كانت ليلتك فقال بخير وقفت بين يدي مولاي بذلي وفقري بجبر كسري وقبل عذري وغفر لي الذنوب وبلغني المطلوب ثم خرج هائما على وجهه فرفعت السيدة رابعة طرفها الى السماء وقالت سيدي ومولاي هذا وقف ببابك ساعة فقبلته وأنا منذ عرفتك بين يديك أترى قبلتني فنوديت في سرها يارابعة من أجلك قبلناه وبسببك قربناه اه وقد رأينا من أهل هذه الطائفة ولله الحمد كثيرا مثل هذه الحكاية التي وقعت من بركات السيدة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها فقد تاب الله تعالى على ناس كثيرين من العصاة والمذنبين بمجرد قربهم منهم أو حضورهم معهم ورجعوا من حالة الغفلة الى الذكر واليقظة ومن الجهل الى العلم والمعرفة ومن الانكار والانتقاد الى التسليم والاعتقاد وانتشرت هذه الطائفة المباركة انتشار الشمس على الارض بالطول والعرض وحصل منهم النفع العميم فكم من شارد عن الله تعالى ردوه وكم من غافل ذكروه وكم من بعيد مطرود قربوه وأدنوه وكم

به سبحانه وتعالى جرى مجرى العلم قريب من اسم الله تعالى وان كان الرحمن مشتقا من الرحمة قطعا قال الامام أبو حامد رضى الله عنه فالرحمن هو العطوف على العباد بالايجاد أولا والهداية بالايمان وأسباب السعادة ثانيا والاسعاد فى الآخرة ثالثا والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا وفى التعبير به هنا مناسبة لاتخفى وفى جمعه بين الاستغفار وطلب العفو واسم الرحمن اشارة الى ماذكره المفسرون فى قوله تعالى واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا من أن فى الأول طلب سقوط العقاب والمؤاخذة وهو جسمانى ثم فى الثانى طلب الستر والخلاص من الفضيحة والتخجيل وهو روحانى ثم فى الثالث طلب الثواب الجسمانى وهو نعيم الجنة ولذاتها وطيباتها ثم فى الرابع طلب الثواب الروحانى وغايته النظر الى وجه الله الكريم وتجلى نور جلاله وعلى كبريائه والبشر بكسر الباء وسكون الشين المعجمة الطلاقة فى الوجه والنشر له معان وهو هنا الحياة الثانية وبين قوله البشر والنشر جناس مركب من نوعين من التجنيس فان اختلفت هيئة احدى الكلمتين فقط نحو كلام من كلام بالفتح والكسر يسمى جناسا محرفا لانحراف احدى الهيئتين عن الأخرى واختلاف حرف منها فقط نحو دامس وطامس مع تقارب مخرج الحرفين يسمى جناسا مضارعا والبشر والنشر بينهما اختلاف فى الهيئة وفى الحرف مع تقارب المخرج واعتبرت من الاعتبار أو من العبور والمجاوزة وفى بعض النسخ اعتزلت أى تحيت بدنك وقلبك على حسب مرتبتك ومنشرح أى منفتح وواسع والصدر أعلى مقدم كل شئ والجبار من أسمائه تعالى ومعناه فيه الذى تنفذ مشيئته على طريق الاجبار فى كل أحد ولا تنفذ فيه مشيئة أحد الذى لا يخرج أحد من قبضته وتقصر الأيدى دون مضرته قاله الامام أبو حامد رضى الله عنه فهو على هذا من الاجبار الذى هو انفاذ الحكم قهرا على العباد قال بعض الشيوخ وتفسيره من الاجبار أولى لانه جاء فى نسق أسماء الجلال والعزة والملك فلزم ان يكون على وضعها ومعناه فيه أنه سبحانه يرد من فساد دنيوى أو أخروى الى صلاح وارشاد فعلى هذا يكون مشتقا من الجبر الذى هو الاصلاح والتلافى وكلاهما لائق بالمحل والله أعلم فان من ذكر ان سيده تنفذ ارادته فى الاشياء جبرا ولا ينفذ فيه مراد أحد لحقه زهو وعزة كما قيل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه

وكذا من ذكر ورأى من سيده وسمع ان سيده له اعتناء بشأنه وتلاف لامره أدركه أيضا نحو ذلك لامحالة ولكن لما كان الكلام مع من انتبه من سنة الغفلة فوجد اظفار الخذلان فيه منشبرات وشمل توفيقه فى غاية الشتات صح لنا ان نقول ان معنى الثانى هو أنسب بالمحل والله أعلم وجل جلاله أى عظمت عظمته حتى فاقت كل عظمة ونشرت أى مددت وبسطت والعلياء ما ارتفع من الارض والالوية الاعلام والفخر التمدح بالخصال وماذكر فى هذا الشطر كناية عن اظهار الفرح بمولاه والمبالغة فى الاشهار والتمدح بما به أولاه يقول والله أعلم ومن حكم حال الانتباه من رقدة الغفلة وآثاره ونتائجه اذا بدا وظهر لزومه مطالعة الطوارق شهودك ووجدانك حال نفسك فى غاية الفقر ونهاية الخلو عن اعمال الخيرات ومن الثواب المرتب عليها من رب الارض والسموات لكونك لم تكن الامسترسلا فى اتباع الشهوات وارتكاب المحظورات وغير معرج على فعل شئ من الطاعات والقربات ويحتمل ان يكون هذا العبد على وضع المقربين وممن أهل للقرب من أول مرة فلا ستشعاره عظيم أمر ربه وفواته نصيبه منه يرى نفسه فى غاية الذل والافتقار الى العزيز الغفار وهذا وصف شريف وحال منيف لان أحب أوصاف العبد الى الله افتقاره اليه وأشرف أحواله ما يرده عليه ويقبل به عليه وقد قال الشيخ تاج الدين رضى الله عنه فى حكمه معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا وفيها أيضا ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار ومن حكم حال الانتباه أيضا استغفارك الرحمن من كل زلة وخطيئة وسؤالك منه عفوا يريك

من فقير واسوه وأغنوه وكم من جائع أطعموه واشبعوه وكم من ظمآن اسقوه وارووه وكم من خامل ذكره أشهروه وأظهروه وماذاك الا من تمكنهم من العلم بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر لان انتشار طريقهم من كثرة أنوارهم وكثرة أنوارهم من شدة حرصهم على متابعة الحبيب الأعظم والرسول الهاشمى المقدم صلى الله عليه وسلم فكم من سنة أحيوها وكم من بدعة أبطلوها وكم من نار فتنة أخمدوها وأطفؤها فكم من مشكلة بينوها وأوضحوها فكم لهم من دعوات خرقت السبع الطباق وانتشرت بركاتهم فلأت الآفاق وانى واصفهم وهم يقينا فوق ما وصفتهم وناطق بما كتبته وغالب ظنى انى ما أنصفتهم شعر

وما على اذا ما قلت معتقدى
دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن
أقامهم حجة لله برهانا
ان الذى قلت بعض من مناقبهم
ما زدت الا لعلى زدت نقصانا

واعلم ان الاعتراض على المنسوبين الى الله تعالى وأكابر علماء الدين العلماء العاملين والأولياء العارفين لا يصدر الا عن ضعف العقل وقلة الحياء فالحياء ثمرة الايمان وثمرة الايمان نور العقل ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وأما المنكر عليهم والمكذب لهم فهو مطرود عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك الا بعدا وانما كان المعترف للأولياء والعلماء بتخصيص الله تعالى لهم

السرور والفرح في الحياة الثانية يوم يقوم الناس لرب العالمين بخلاصك من ألم العذاب وسقوط العقاب وعلى الاحتمال الثاني فيما قبله يكون لاستشعاره على ما هو عليه مولاه من الجلال والهيبة والكبرياء والعظمة يستعظم معصيته ويخاف سطوته فيستغفره سبحانه وتعالى من كل مخالفة صدرت منه ويلجأ الى الله ويفر منها اليه ويسأله عفوا يمحو سحاب الغفلة ويكشف سحاب الفترة يريه ذلك العفو البشرى في القيامة حيث تحقق الحقائق وتتميز الطرائق ومن حكم حال الانتباه أيضا انك اذا ذكرت عندك الدنيا اعتبرت فيها بأن تنظر الى سماجتها وقبح باطنها وكيف هي تتقلب بأهلها وكون مآلها للفناء ووجودها مشوب بالعناء ومباديها مقرونة بالبلاء فيوجب لك ذلك تجاوزها حيث يظهر لك بطلانها والزهادة فيها والتجافي عن غرورها وزهرتها وعلى ان اعتبرت من العبور والمجاوزة يكون المعنى لانك كاشفه في حاله ولوعته وغصته اذا ذكرت عنده الدنيا أو ذكرها تجاوزها بهمته ولم يقف معها لكونه قد استولى عليه سكر ما هو فيه وغلب عليه وارد التنبيه من الحق وصار لا يرى غير حالته الراهنة حالا ولا يقدر لنفسه عنها انتقالا قد سكنت نفسه وضعفت دواعيها عن الميل الى زخارفها العاجلة وأما على نسخة اعتزلت فهو قريب من هذا المعنى ومن حكم حال الانتباه أيضا انك ان جرى لديك ذكر الاخرى لك كنت مسرور القلب منشرح الصدر لذلك الذكر لانك لما حصل لك بسبب ذلك الانتباه من النور الكاشف عن حقائق الأمور ترى الآخرة قد تقربت وصولها اذ كل آت قريب قطعا كالموجود في الحال وقد ادخر مولاك في جنته لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم والنظر الى وجهه الكريم وهي دائمة غير منقضية ولا منقطعة فينشرح صدرك ويبتهج قلبك بما أعد مولاك لعباده فيها وتستبشر بها حيث كانت أقرب اليك مما ترحل اليها لحق بذلك عندك حقها ومن حكم حال الانتباه أيضا انك مهما ذكرت جبار السموات والارض طربت وفرحت واستغرقك الفرح بمولاك وأظهرت التمدح به والافتخار بانه أولاك تحدثا بنعمته واشهارا لمنته حيث اهلك لخدمته والايواء لجنابه والوقوف ببابه وكانت لك منه عناية سابقة ومعونة لاحقة حتى أخرجك من سجن الغفلة وأظهر عليك ألطافه الخفية كنت عدما فصرت وجودا وكنت نائما في الغفلة فصرت منتبها باليقظة وكنت في ظلمة الطبع فصرت في نور العقل وذلك كله من منة الله عليك ولطفه بك ولو شاء لخلاك وما كنت فيه وأنت أهل لذلك ومستحق له كما فعل سبحانه ذلك بأمم لا تحصى وأظهر فيهم عدله وقسطه فالفخر المذكور هنا ليس المقصود به ما يعتمده أصحاب النفوس المتكبرة والمتجبرة من ان من ساد منهم لا يدعه تكبره وتجبره من ان يفاخر ويباهي بذلك من لم يسدوا انما المقصود هنا التحدث بنعم الله واشهار أمرها واشادة ذكرها كما حقق ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه في رسائله الكبرى وانما قدرنا من مع كل علامة لان هذه الاشياء هي مجموع علامات الانتباه لا بعضها كما ذكره في العوارف فقال ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه قال بعضهم من لزم مطالعة الطوارق انتبه وقال أبو يزيد علامة الانتباه خمسة اذا ذكر نفسه افتقر واذا ذكر ذنبه استغفر واذا ذكر الدنيا اعتبر واذا ذكر الآخرة استبشر واذا ذكر المولى افتخر اه فأنت ترى كيف جعل طلب المغفرة من الله على الذنب أمرا قائما بنفسه ولذلك جعلناه نحن كذلك وانما عطفه الناظم رضي الله عنه بالفاء دون سائر اخواته اشارة الى سرعة حصوله عقب شهود النفس في غاية الفقر وملازمته له والفاء تدل على الاتصال ولا كذلك الاخوان فانهما ليس بينهما مثل ما بين هذين ومن وجد فيه بعض هذه الاشياء ففيه من الانتباه بقدر ذلك ثم أشار الى المقدمة الثالثة وانتقاله منها الى مقام التوبة فقال رضي الله عنه

وعنايته بهم واصطفائه لهم قليلا من الناس لغلبة الجهل بطريقهم واستيلاء الغفلة وكراهة غالب الناس ان يكون لاحد شرف بمنزلة أو اختصاص حسدا من عند أنفسهم وقد نطق الكتاب العزيز بذلك في حق قوم سيدنا نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فقال عز من قائل وما آمن معه الا قليل وقال تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وغير ذلك من الآيات وهذا كله من داء الحسد الممرض للقلب والجسد ولذا قال بعض الأكابر وأستغفر الله مستعيذا به من حسد يسد باب الانصاف ويرد جميل الاوصاف ألا وان الحسد حسك من تعلق به هلك وكفى للحاسد ذما آخر سورة الفلق في اضطرامه بالقلق لله در الحسد ما أعدله بدا بصاحبه فقتله اذ لا يسود سيد بغير ودود يمدح وحسود يقدح ولو أراد الله سبحانه وتعالى اطلاع هذا الحسود على ما عليه القوم من الاشتغال بذكر الملك الودود ودخل زواياهم ومجالس ذكرهم ومذاكرتهم ورأى شدة خشوعهم فيها على متابعة السنة السنية ومجانبة البدع والاهواء النفسانية وشدة اجتهادهم على الوقوف على معاني أسرار الاسلام ومعاني أسرار الايمان ومعاني أسرار الاحسان وأسرار الطهارة والفرائض والنوافل وجميع المشروعات الواجبة على كل انسان لانهم بها يتعبدون واليها يدعون وعليها يحثون على الفلاح ينادون كيف لا وهي الباب الموصل لحضرة المشاهد والاقتراب ومعرفة

الكريم الوهاب لسارع لابوابهم وتمسك باذيالهم وزاحمهم على ما هم عليه من التوفيق لسلوك الطريق والمواظبة على الحضرتين في الصباح والمساء والجهر بذكر الجلالة واتخاذ العكاز والسبحة ولبس الخرقة والدربالة

والمرافقة لهم والموافقة معهم على كل حالة من أحوالهم السنيه وشمائلهم النفيسة الزكيه المقتبسة من الكتاب العزيز والسنة
المحمديه عملا بقول من أباد العداوعن افكهم أعرض وصد القائل صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا
ما ليس منه فهو رد ولله در القائل

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الأمور المحدثات البدائع

ولما عاينت السؤال المسطور وما تضمنه من الافتراء والحسد والزور أخذتني الغيرة على أهل الله ورأيت خدمتهم والنصرة لهم من فرائض الله الواجبة على أهل محبة الله والمنسوبين لاولياء الله واستعنت بالواحد الأحد ولم اعول فى نصرتى لهم الاعلى الفرد الصمد وتوسلت على الله عز وجل بصاحب الجاه العظيم فى اليوم المهول الشديد والعذاب الاليم حين يقول كل نبى ورسول لا أسألك الا نفسى فيقوم صلى الله عليه وسلم المقام المحمود ويقول أنا لها ولكل كرب عظيم فيفتح باب الشفاعة لمن بعده وذلك المقام المحمود الذى يحمده الأولون والآخرون من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار واستمدت من شمس نور وجوده أقمار شرائع الانبياء والمرسلين ونجوم علوم الاولياء العارفين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين وسائر طوائف عباد الله المؤمنين فالكل من فائض بحر علومه ومعارفه وأسراره مستمدون ولله در الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

لحصل لى والحمد لله من سر الاستعانة والاستمداد وخلوص النية والقصد والمراد لنصرة السادة الصوفية الامجاد غريق
جيوش نصوص الأئمة الاعلام وفتاوى أكابر علماء الاسلام ممن عليه المعول فى القضايا والاحكام والمرجع لحل المشكلات

﴿ومن بعده الحال الذى هو يقظة * ورود برد الكسر فى غاية الجبر﴾
﴿تشاهد انحاء النحاة فتنتحى * على ثقة ما ليس بالمسلك الوعر﴾
﴿فيبدو مقام التوب وهو ممهد * فدونك فاقرع بابه قرع مضطر﴾

ضمير بعده راجع للانتباه والحال الذى هو يقظة مبتدأ خبره فى المجرور قبله وفى بعض النسخ الحال التى هى يقظة ولا فرق لان الحال يذكر ويؤنث وورود أى وارد فصيغة المصدر بمعنى اسم الفاعل وهو اما بدل من قوله الحال الخ أو عطف بيان له أو خبر مبتدا تقديره هو ويرد مضارع رد وفى بعض النسخ يرد بدو ولا فرق وفى غاية الجبر أى غاية الاصلاح والتلافى وفى بعض النسخ عارية بدل قوله فى غاية وغاية ما ظهر لنا ان أل فى الكسر جنسية وعارية أى مكشوفة بادية فيكون معناه برد كسور العبد عارية الجبر أى ظاهرته والله سبحانه أعلم على ان هذا النظم فى نسخه اختلاف كثير منه ما يخل بالمعنى والوزن أو باحدهما ومنه ما لا يخل بهما وذلك لكون متعاطيها كما قدمنا أهل مراقبة للبواطن غير واقفين مع الرسوم والظواهر وغالب هذه الطريقة الشريفة عوام فلا تجدهم يضبطون كتبهم بالرواية ونحو ذلك ولا سيما أهل المغرب هذا دأبهم ليس لهم اعتناء بالرواية وقوله تشاهد هى هنا قلبية وانحاء أى مقاصد والنحاة بالحاء المهملة أى القاصدين وفتنتحى أى فتقصد وفى بعض النسخ النجاة بالجيم وفى بعضها فتجتنى بالجيم أيضا وعليها فيكون الانحاء بمعنى المسالك أى تشاهد مسالك النجاة فتجتنى وتقتطف منها ما ليس فيه صعوبة ونسخة النجاة بالجيم هى الموافقة للعوارف وعلى ثقة أى على بصيرة والمسلك الطريق باعتبار المرور فيه والوعر أى الصعب وفيبدو فاؤه للنتيجة عن مجموع المقدمات الثلاثة ويبدو أى يظهر والممهد الموطأ المبسوط المسهل والواو من قوله وهو ممهد واو الحال والتوب التوبة بمعنى الرجوع وهى الرجوع الى الله ودونك تستعمل فى الحث والاغراء وهى اسم فعل ومعناها هنا خذ ومفعولها مقدر والكاف للخطاب والقرع دق الباب وضربه ونحو ذلك والضمير فى بابه الظاهر والاولى انه عائد على التوبة ويحتمل ان يعود على الله سبحانه وان لم يتقدم ذكره قريبا لدلالة المعنى عليه وذكر الاضطرار يقتضيه كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب فان الضمير للشمس فى أحد التأويلين وان لم يتقدم ذكرها لكونها تفهم من السياق وذكر العشى يقتضيها والمعنى فالمضطر المحتاج والملجأ واعلم ان أول بلوغ رائد التوفيق الى القلب هو الزاجر فاذا وجده أهلا للنزول وأخذ جنود نوره حط رحاله به وظهرت ثمرات ذلك على قالب ذلك القلب من التجافى عن دار الغرور والانابة لدار الخلود وطلب العفو عما سلف ونحو ذلك فهو الانتباه فاذا أقام به وباشره ودخل الى سويدائه بحيث اكتحلت عيناه من اثمده فزاح عنهما ما كان بهما من غشاء ظلمة النفس واتباع الهوى فصارت تبصر حقائق الاشياء وتدرك تفاوت ما بينها فهو اليقظة فاذا أحطت فهما بما ذكرنا وبان لك مناسبة ترتيب الناظم لما انتحلنا ورأيت بسبب ذلك حسن موقع قوله تشاهد انحاء النحاة البيت مما قبله (فيقول) والله أعلم وينزل بالعبد بعد حال الانتباه من رقدة الغفلة حال اليقظة وهو وارد من الحق يهجم على قلبه فيرد ما كان فيه مكسورا بصدمة المخالفة فى غاية الجبر والتلافى لاتقان ربطه بملزم الانقياد والموافقة تشاهد وترى بسبب هذا الوارد مقاصد القاصدين أى طرق المتوجهين فتقصد منها على بصيرة ومعرفة منك بما قصدته طريقا ومسلكا سهلا للمرور فيه ليس فيه وعر ولا صعوبة وليس كل الناس متفقين فى هذا فكل أحد وما يليق باستعداده وقابليته وما يلائم غريزته فينشأ عن الاتصاف بما قدمناه ذكره من المقدمات الثلاث على ما ينبغى بدو مقام التوبة حال كونه موطأ ممهدا ممكنا فدونك حصنه أى حصن مقام التوبة فاقرع بابه ودق فيه قرع مضطر صادق الرغبة فى دخوله صاحب لجأ وافتقار وذلة وانكسار كانك

وتوضيح طريق الهداية وكشف دقائق كنوز العلوم والمطولات ممن رفعهم الله تبارك وتعالى لحفظهم قواعد الشريعة المحمدية ونصبهم لخدمة الملة الحنيفيه وخفض بهم أهل الجحود والانكار من

أهل المذاهب الاربعة الائمة المجتهدين ومن جعلهم الله تبارك وتعالى قدوة لكافة المسلمين وعزيت كل فتوى لصاحبها وكل نص لقائله وذكرت اسم الكتاب الذي وجدت النص فيه تقريبا لمن أحب ان يراجعه حتى يتبين له الخطأ من الصواب وبوفقه الله تبارك وتعالى لحب أهل الله المشتغلين بالاذكار في الجهر والاسرار فانهم القوم الذين لا يشقى جليسهم فكيف بمحبهم وخادمهم وأنيسهم ولله در القائل

لي سادة من عزهم
أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي
في حبهم عز وجاه

وقال آخر

أنا لا أعرف الأأنتم
فاجبروني بعطائكم
كل شخص له عز يرتجي
وعزي ليس الأأنتم

هذا وأقول لذوي التحقيق المتخلقين بمحاسن الاخلاق والسالكين طريق المحبة والتصديق من أهل العلم وأهل الرافعين هممهم عن مواقع النقص والزلل اعتذارا لهم واعترافا بفضلهم اني أعترف ان ليس لي في هذا التصنيف سوى الجمع والتأليف فلملتقط الناظر الحكمة ولو من غير حكيم وبغتنم العلم ولو من غير عليم وانما أنا متطفل وبجمع كلامهم متكفل من تأليفهم استقى ومن تصانيفهم انتقى فلا أرى لنفسي من مناصب المصنفين استحقاقا ولا أن لي بأدنى مراتب المؤلفين لحاقا فمن عثر على خطأ فاعلم اني لم أتعمده فلا يعتقده فالكريم يصلح واللئيم يفضح ولولا ذهاب العلم وانقراض أدلة الاعلام ما خاض مثلي في هذه البحور العظام ولا جعل قلما بين السبابة

غريق في بحر أو حال في تيه قفر لا ترى لغايتك الا مولاك ولا ترجو لنجاتك أحدا سواه ليس لك حول ولا قوة ولا شئ من الأسباب تستند اليه أو تعتمد عليه قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه قال بعض العارفين في قوله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي يقف بين يدي مولاه برفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيأ فيقول هب لي مولاي بلا شئ فتكون بضاعته عند مولاه الافلاس وبصير حاله مع كل الاعمال الاياس فهذا هو المضطر وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اذا أردت الدعاء فقدم اساءتك بين يديك وقل يارب بلا شئ تجد الاجابة طوع يدك فاذا قرعت بابه على هذا الوصف تفتح لك الأبواب ولا يكون بينك وبين الله حجاب ويقبل معذرتك ويقيل عثرتك ويجهل طلبتك ويصير الرجوع الى الله تعالى وعدم التعريج على المخالفة وطنك ومستقرك قال ذو النون المصري رضي الله عنه حقيقة التوبة ان تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله في كتابه بقوله حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا وأصل هذه الأبيات قوله في العوارف قال بعضهم الانتباه أوائل دلالات الخير اذا انتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه الى التيقظ فاذا تيقظ ألزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب واذا طلب عرف انه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الى بابه توبته ثم يعطي بانتباهه حالة التيقظ قال فارس أوفى الأحوال التيقظ والاعتبار وتمل التيقظ تبيان حظ المسالك بعد مشاهدة سبيل النجاة وقيل اذا صحت اليقظة كان صاحبها في أوائل طريق التوبة وقيل اليقظة حركة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على طلب التوبة فاذا تم تيقظه نقل بذلك الى مقام التوبة فهذه أحوال ثلاثة تتقدم التوبة واعلم ان ما تقدم من أول النظم الى هنا جار في حق كل مسلم واتخاذ الشيخ خاص بمن أراد الانخراط في سلك عقد هذه الطائفة الشريفة أعني أنه قدم ما يعم وأتى بعده بما يخص والا فيكون الشيخ لا يتخذ الا بعد تحصيل مقام التوبة ليس بضربة لازب اذ كل وكيف يتفق له ثم انه لما كان الانسان يتوب أولا توبة جلية اعتقادية فقط ثم يأخذ في تتميم ذلك تفصيلا وكان الأخذ في ذلك بالتفصيل نداعون عليه مثل الاستناد لشيخ رباني لان التائب في أول أمره يكون متدرعا بصولة العزم راكما طمة الندم والحزم فيغفل عنه اللعين اذ ذاك لمعرفته بخدع الحرب ثم تنكسر صولته وتخمد شوكته ويرى انه قد حصل له رعب لديه ويأمن من كرته عليه فعند ذلك يجمع مردته ويحمل عليه حملة واحدة فان وجده مستندا لشيخ رباني عالم صمد انى داخلا تحت نظره فلا مطمع له فيه بل يرجع من حيث ألم ويحجم من حيث أقدم والا أخذه على غرة واستوثق منه وقليل ان يخلص من يده ذكر الناظم أولا مقام التوبة ذكرا اجماليا هنا في قوله فسيدوم مقام التوب البيت ثم ذكر الشيخ بقوله ومن بعده الشيخ لكن لما قال في وصفه انه يلقي مراد الحق في السر والجهر تسلف منه الى ان ذكر بعده من قوله فقم الى تمام خمسة أبيات اذ له نوع تعلق بذلك ثم رجع الى تكميل ما يتعلق بذكر الشيخ فذكر علامته وما يسئل عنه وكيفية التأدب معه ثم أخذ في بيان الأخذ في التوبة على سبيل التفصيل فذكر متماتها من المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والورع الخادم في ذلك هذا ما فتح الله في وجه ترتيب كلامه ثم قال رضي الله عنه

﴿ومن بعده الشيخ الذي هو قدوة * يلقي مراد الحق في السر والجهر﴾

الضمير في قوله ومن بعده يعود لمقام التوبة والشيخ مبتدأ خبره في المجرور قبله والقدوة مثلث القاف من يصح الاقتداء به ويلقي مراد الحق أي يبين ذلك ويوضحه وهو نعت ثان للشيخ وفي بعض النسخ يلقي مضارع التقي من الالقاء وواوه للحال وبعدها مبتدأ مقدر وهو يلقي الخ لان الجملة

والابهام لان كتاب المرء عنوان عقله وميزان علمه اذ منه تعرف صفاته فعقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم بها يستدل على قدر معرفتهم ومقدار افهامهم ولست أجهل ان هذا الامر قد سبق اليه غيرى من قبلى لكن أردت أن أجمع هذا لنفسى واخوانى ومن كان مثلى ولهذا قال الشيخ أبو الحسن ابن فارس رحمه الله تعالى لو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب فى التعلم أدب غزير ولضلت أفهام ثاقبة ولكلت ألسنة لسنة ولمجت الاسماع كل مردد ولفظت القلوب كل مرجع اه ولقد اعتذر من ألف ممن هو أحق منى بالتصنيف والجمع والتأليف من أكابر العلماء وأعيان السادات الصوفية النبلاء عما لا يخلو منه الانسان من الخطأ والنسيان ومع ذلك لم يخل أحد منهم عن متعنت بغير الحق منتقد وعن منصف بالحق معتقد ولله در القائل

لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا
فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

واسأل الله تعالى بحبيبه ومصطفاه ان يسترنا ويجعلنا ممن قربه واجتباه وملأ قلبه بحب مولاه وشغل لسانه بذكر لا اله الا الله مع الاستقامة والعافية الى لقاء الله آمين وربما آتى فى هذه الرسالة باستطرادات ينشط لها القارئ والسامع وينتفع بها ان شاء الله الكاتب والجامع وأتوسع فى بعض الاحيان فى الكلام بذكر حكاية أو شعر يناسب المقام لعل ذلك يبعث ناظرها وسامعها على التعلم الازدياد من التفهم والنشاط فى السير والسلوك الى حضرة ملك الملوك فيرقى الى مقام أهل توحيد الشهود والعيان ويكون جامعا بين الدليل والبرهان فيكون ظاهره شريعة وباطنه حقيقة أو ظاهره نفسه

الحالية المصدرة بالمضارع المثبت اذا دخلت عليها الواو ينوى منها مبتدأ أو يجعل ذلك المضارع خبرا عنه وفى بعضها يلاقى مضارع لاقى وغاية ما ظهر لنا فيه الاشارة الى نفوذ بصره واصابة رأيه وكمال بصيرته وتنور سريرته حتى لا يوقف المريد الا فيما أهله الله تعالى له ولا يريد منه الا ما أراده منه فيلاقى مراده من المريد مراد الله أى يوافقه بل هو هو لأنه بالله فيما يأمره به وينهاه عنه ويحتمل ان يكون أشار به لما للشيخ من الاشراف على بواطن المريدين والتحكم فيها فانه يحول بينه وبين حاله اذا سطا عليه ويسلبه له اذا تخلى عنه حتى كأنه فى الصورة يلاقى عنه القدر والحق من أسمائه تعالى وتقدس ومعناه فيه سبحانه الثابت الوجود لذاته الذى لا يقبل الزوال والعدم ولا التغير لا ازلا ولا أبدا وقيل هو المحق للكائنات أى المثبت لذواتها وصفاتها ولولاه لبطلت وبقيت على العدم أبد الآباد وقيل هو مظهر الحق بقوله الصدق وحكمه العدل قال الامام أبو حامد رضى الله عنه وأهل التصوف لما كان الغالب عليهم رؤية فناء أنفسهم من حيث ذاتهم كان الجارى على ألسنتهم من أسماء الله عز وجل فى أكثر الأحوال اسم الحق لانهم يلحظون الذات الحقيقية دون ما هو هالك فى نفسه اه وفى بعض النسخ الله بدل الحق قال الشيخ أبو عبد الله محمد المكى رضى الله عنه هو اسم الله علم على الذات الواجب الوجود وهو اسم مختص به تعالى فلا يسمى به غيره شرعا ولا يقع خارجا حفظا الأحديته وتنبيها للعقول السليمة على عدم المشاركة فى ذاته فكما لا مشاركة له فى اسمه وضعا وعلما فكذا لا مشاركة له فى المسمى وجودا وعينا ثم قال واختلف هل هو اسم للذات من حيث هو أو اسم للذات من حيث الصفات وعلى هذا اختلفوا هل هو مشتق أم لا فبالنظر الأول يكون غير مشتق وعليه جمهور العلماء من أهل علم الكلام والحديث والتصوف وبالنظر الثانى يكون مشتقا ثم اذا كان مشتقا فهو لمعنى مستلزم لسائر الصفات الالهية فلذلك كان الاحسن فى اشتقاقه انه من اله بمعنى تحير فهو فعال بمعنى مفعول أى المتحير فيه وذلك لان أبصار أولى الألباب تحيرت وتفرقت عند ظهور شمس جلاله واندكت جبال العقول عند تجلى نور جلاله وذلك يستلزم التميز عن سائر الممكنات بذاته والتعزز من ان ينال شئ من حقيقة أفعاله فضلا عن صفاته وذاته وبالجملة فهذا الاشتقاق يشعر بالاتصاف بصفات الجلال وصفات الاكرام التى لا يمكن المشاركة فيها وذلك صفة الألوهية أو مستلزم لها أو يكون مشتقا من اله بمعنى عبد ففعال أيضا بمعنى مفعول أى معبود لانه جل وعلا متصف بجميع الصفات التى بها ايجاد الاشياء وحفظها وكل ما كان كذلك فهو منقاد له ومبذل وكل ما كان كذلك فهو معبود وهذان الوجهان أحسن ما ذكر فى الاشتقاق وسائر وجوه الاشتقاق المذكورة فى الكتب المبسوطة ترجع الى أحدهما بالتأمل اه وفى قوله فى السر والجهر من أنواع البديع المطابقة ويسمى أيضا الطباق والتضاد وهو ان يجمع بين معنيين بينهما نوع من أنواع التقابل حقيقيا كان أو اعتباريا كالليل والنهار والموت والحياة والنوم واليقظة والسر والجهر (يقول) والله أعلم والشيخ الذى هو أهل للاقتداء به هو بكونه متبعا السنة متمكنا فى العلم ذا قوة فى المعرفة محصلا للسلوك والجذب معا ولا يكتفى بأحدهما عن الآخر على ان الذى تقدمت جذبته على سلوكه أعلى عند الاكثر وعليه صاحب العوارف وقد تكلم فى ذلك بما لا مزيد عليه فطالعه ان شئت وقال الشيخ أبو عثمان سعيد الدين سعيد الفرغانى رحمه الله الذى تقدمت جذبته على سلوكه أعلى مقاما من الذى تقدم سلوكه على جذبته مع انهما فى جواز الاقتداء بهما وبلوغهما رتبة التمكين فى التلوين وتحققهما بالكمال والخلافة ونحو ذلك سواء لكن الاول أمكن وأعلى لكونه عبوره على المقامات والتحقق بها على بصيرة وبينة من ربه وأما السالك الذى تحقق بالمقامات أكثرها ولم تداركه عناية الجذبة لبقية كانت فيه باقية من أحكام

خلق وباطنه حق ويتضلع من شراب القوم فحينئذ لا يبالى بالعذل واللوم ويجود بالارواح ويتمتع بشرب الراح كما أشار بعضهم لهذا المعنى بقوله من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح يشريه ولو تعوض أرواحا وجاد بها * فى كل طرفة عين لا يساويه اذ لا شك ان طريق القوم مبنية على تكميل العقائد وتحصيل المعارف والفوائد وتطهير النفوس والتحلى بالاخلاق الكريمة الموصلة الى حضرة الملك القدوس كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والاخلاص والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والادب والمحبة والذكر والمراقبة والمشاهدة والمشهد العظيم فلهم بذلك الحظ الوافر من الوراثة النبوية من العلم والعمل والحصن الحصين من الوقوع فى المخالفات ورؤية الاغيار والعلل ولله در القائل

قد رفضوا الآثام والعيوبا
وطهروا الابدان والقلوبا
وبلغوا حقيقة الايمان *
وانتهجوا مناهج الاحسان
واستشعروا اشيا سوى الابدان
يدعونه بالعالم الروحانى
وعلموا ان لهم تمكينا
يرقى بهم مرقى المكاشفينا

على ان القلوب مجبولة على حب التصوف وأهله فى القديم والحديث والقرب منهم والتبرك بهم بالخدمة لهم والمحبة والسير الحثيث وانما وقع الانكار على أهله والمنتسبين اليه من وجهين اما غيرة عليه ان يدخل فيهم من ليس منهم وهذا معذور بلا شك ولا ريب واما حسدا لاهله والمنتسبين اليه وهذا هالك متعرض لمحاربة المولى وموجب لسخط الله عليه ولهذا قال امامنا سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى قدس سره التسليم لطريقنا هذه ولاية واعتقاد أهلها عناية فالتسليم أسلم والله سبحانه وتعالى بحقيقة أوليائه أعلم ثم انى رتبت هذه الرسالة على مقدمتين عظيمتين مشتملتين على

نفسه واحكام خليقته فهو غير مؤهل للمشيخة والمراد به والاقتداء به لانه بعد عبد نفسه فان المكاتب عبد ما بقى عليه أقل من درهم والعبد لا يصلح لتصريف اذا لم يكن عبدا محضا للمصرف و واهب للتصرف واما المجذوب الذى ما تفرغ من الاشتغال بحاله فى مجذوبيته الى الرجوع عن عالم الحق الذى هو عالم القدرة وارتفاع الوسائط وخرق حجب الاسباب الى عالم الخلق الذى هو عالم الحكمة وتحقيق الوسائط والاسباب والى الاشتغال بالسلوك والتحقق بالمقامات بواسطة شيخ مرشد أو بلا واسطة فهو أيضا غير مؤهل للمشيخة والاقتداء به لاشتغاله بحاله عن حال غيره وعدم تحققه بالمقامات اه واعلم ان سلوك الطريق وخصوصا لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد على الوصف المتقدم لان الطريق عويص وأدنى زوال يقع عن المحجة يؤدى الى مواضع فى غاية البعد عن المقصود قال الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله عنه ولا بد ان يحكم لمن يأمره وينهاه وينصره فان الطريق عويص قليل خطاره كثير قطاعه وقد يظن السالك انه على جادته وهو ولى ظهره لموضع توجهه منه وانه اذا خرج منه أغلة فقد خرج وانقطع وانصرف سيره على أشبه تلك الاغلة فانه طريق دقيق ونفس متصرفه فى البدن وهو الراحلة وعادة مألوفة وشيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله اه قال أبو عمرو الزجاج رضى الله عنه لو ان رجلا كشف له عن الغيب ولا يكون له استاذ لا يجيء منه شئ وقال ابراهيم بن شيبان رضى الله عنه من ليس له استاذ فهو بطال وقال أبو على الثقفى رضى الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو مؤدب أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح العلامات وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه من لم يأخذ الادب من المتأدبين أفسد من يتبعه وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه كل من لا يكون له فى هذه الطريق شيخ لا يفرح به بل ولو كان وافر العقل منقاد النفس واقتصر على ما يلقى اليه شيخ التعليم فقط فلا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المربى لأن النفس أبدا كثيفة الحجاب عظيمة الاشراك فلا بد من بقاء شئ من الرعونات فيها ولا يزول عنها ذلك بالكلية الا بالانقياد للغير والدخول تحت الحكم والقهر حسبما ذكره الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضى الله عنه وكذا لو كان سبقت له من الله عناية وأخذه الله اليه وجذبه الى حضرته لا يؤهل للمشيخة ولو بلغ ما بلغ وقال الشيخ أبو الفضل أحمد تاج الدين بن عطاء الله رضى الله عنه فى لطائفه وكل من لم يكن له استاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف له عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له دعى لا نسب له فان يكن له نور فالغالب عليه غلبة الحال عليه والغالب عليه وقوفه مع ما يرد من الله اليه لم ترضه سياسة التأديب والتهذيب ولم يقده زمام التربية والتدريب وقال الشيخ أبو عثمان سعيد الفرغانى رحمه الله المجذوب المتدارك الراجع من عالم الحق الى عالم الخلق لا يكمل ولا يصلح للاقتداء به ان لم يكن له مراد مرشد يهديه الى دقائق المقامات وان كان على بينة من ربه و بصيرة فى سلوكه فان المقامات الاسلامية والايمانية دقائق لا تدرك من حيث الخلقة والاطلاع عليها متوقف على اطلاع من اطلع عليها بنظر خليقته فلا يكتفى بالبينة الحقية التى للمجذوب فان كان محتاجا الى المرشد فكلام الشيوخ فى الحض على اتخاذ الشيخ الربانى والتحذير من ضد ذلك كثير كما هو مسطر فى كتبهم وقد قال فى العوارف المقصود الكلى هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد الخير روى عن أبى يزيد انه قال من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيرى عن شيخه أبى على الدقاق انه قال الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز انها تثمر كالاشجار التى فى الاودية والجبال ولكن لا يكون

مسئلتين مهمتين أولاهما فى الحض على الاخلاص فى النية التى براعاتها بلوغ الرجاء والامنية وثانيتهما فى فضل العلم والتعليم وفوائد التصنيف لمبتدع من يريد بهذه الرسالة الترتيب والتصنيف وعشرة أبواب وبهايتم الكتاب لتحصل لجامعها ومن طالعها بركة أسرار علوم العشرة الاصحاب انه كريم رحيم محسن وهاب ﴿الباب الاول﴾ فى اثبات نسبة شيخنا واستاذنا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد بن محمد الفاسى نزيل مكة المشرفة الى طريق القطب الولى سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى قدس سره ونفعنا الله تعالى به آمين وبيان صحة سند القوم فى تلقينهم العهود والاوراد والاذكار من السنة المحمدية عالية القدر والمنار ﴿الباب الثانى﴾ فى نبذة من عقائد القوم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا الله بهم آمين ليعلم الناظر فى هذه الرسالة ان القوم ماخرجوا عن عقائد أهل السنة والجماعة ﴿الباب الثالث﴾ فى بيان ان السادة الصوفية أسسوا طريقهم على الكتاب المجيد والسنة السنية بالدلائل الواضحة والحجة القوية ﴿الباب الرابع﴾ فى الرد على من أبدى العذل واللوم وأنكر شيأمما اصطلح عليه القوم ﴿الباب الخامس﴾ فى بيان فتاوى علماء الشريعة المحمدية من المذاهب الاربعة من المتقدمين والمتأخرين على جواز الذكر الجهرى فى المساجد وغيرها وان سب المشايخ اهانة للدين والاهانة للدين كفر شرعا وعقلا بلا خلاف ﴿الباب السادس﴾ فى فضل الذكر والذاكرين وما يحصل به لهم من ثواب رب العالمين ونتيجة الذكر وما يحصل به للمداوم عليه من الترقى الى مقام الجمع والتمكين وكيفية الحضرة وآدابها القبلية والبعدية والحالية مما هو واجب على الفقراء المنسوبين الى الشاذلية ﴿الباب السابع﴾

لفا كهتها طعم فاكهة البساتين والغرس اذا نقل من موضع الى موضع آخر يكون أحسن وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم فى الكلب المعلم وحل ما قتله بخلاف غير المعلم سمعت كثيرا من المشايخ يقول من لم يرمفلحا لا يفلح وقد وقعت مشاجرة ومناظرة فى آخر المائة الثامنة بين فقراء الاندلس حتى تنادوا بالنعال وذلك هل يكتفى بمشاهدة الرسوم ومطالعة الكتب فى طريق الصوفية أهل التوحيد الذوقى والمعرفة الحقيقية الوجدانية أم لابد من الشيخ فكتبوا للبلاد فأجاب فيه كل واحد على قدر نظره كالشيخ أبى عبد الله محمد بن عباد رضى الله عنه وجوابه فى رسائله الصغرى وكالشيخ أبى بكر محمد بن خلدون رحمه الله وقد افرد لهذه المسئلة تأليفا سماه شفاء السائل وهو ممتنع غاية وقد ذكر حاصل ذلك الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه فقال ضبط النفس باصل يرجع اليه فى العلم والعمل لازم لمنع التعسف والتشعب فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقق اتباعه للسنة وتمكنه من المعرفة ليرجع اليها فيما يرد أو يراد مع التقاط الفوائد الراجعة لأصله من خارج اذ الحكمة ضالة المؤمن وهو كالنحلة ترعى كل طيب ثم لا تبيت فى غير بيتها والا لم ينتفع بعسلها وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخرين فى الاكتفاء بالكتب عن المشايخ ثم كتبوا للبلاد فكل أجاب على حسب فتحه وجملة الاجوبة دائرة على ثلاثة أولها النظر للمشايخ فشيخ التعليم يكفى عنه الكتب للبيب حاذق يعرف موارد العلم وشيخ التربية تكفى عنه الصحبة لدين عاقل ناصح وشيخ الترقية يكفى عنه اللقاء والتبرك وأخذ كل ذلك من وجه واحد ثم الثانى النظر لحال الطالب فالبليد لابد له من شيخ يربيه واللبيب يكفى الكتب فى ترقيه لكنه لا يسلم من رعونة نفسه وان وصل لابتلاء العبد برؤية نفسه والثالث النظر للمجاهدة فالتقوى لا تحتاج الى شيخ لبيانها وعمومها والاستقامة تحتاج للشيخ فى تمييز الاصلح منها وقد يكتفى دونه اللبيب بالكتب ومجاهدة الكشف والترقية لابد فيها من شيخ يرجع اليه فى فتوحها كرجوعه عليه السلام للعرض على ورقة بن نوفل لعلمه بأخبار النبوة ومبادى ظهورها حين فاجاه الحق وهذه الطريقة قريبة من الاولى والسنة معهما والله أعلم ويقرب من قول الناظم ومن بعده الشيخ قول الامام ابى حامد رضى الله عنه فاذا قدم هذه الشروط الاربعة يعنى التجريد من المال والجاه والتقليد والمعصية كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طريقه فمن سلك البوادى المهلكة بنفسه من غير خبير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر وقوله يلقى مراد الحق فى السر والجهر يعنى يبين ويوضح مراد الله للمريد فى ظاهره وباطنه اما فى ظاهره فيسلوك به طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تستقيم اقواله وأفعاله وتصح له متابعته وتقع فى كل شئ معه موافقته قال بعضهم استحيوا الله بسرائركم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم بظواهركم وأما فى باطنه فيسلوك به طريق التزكية فيؤدبه ويهديه ويعرفه بآفات نفسه وتبدل اخلاقها ونعوتها وتحكم اساس التقوى ويباعدها عما تهوى فتزكو نفسه وتنجلى مرآة قلبه فينعكس فيها أنوار العظمة الالهية وتنجذب احداق بصيرته الى مطالعة الكمالات الازلية وتنجلى فيها الاشياء على هيئتها وماهيتها فتتبين له الدنيا بقبحها وتظهر له الآخرة بحسنها فيزهد فى الفانى لما عاين من الباقى وينكشف له عوار هذه الدار ويزول عنه كامن الاغترار ويظهر له بواطن الاسرار ويصير مؤمنا حقا وعبدا صدقا واصل هذا الشطر قوله فى العوارف ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس

محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويحببون عباد الله الى الله ويمشون فى الارض بالنصيحة وهذا الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة الى الله لان الشيخ يحبب الله الى عباده حقيقة ويحبب عباد الله الى الله ورتبة المشيخة من اعلى الرتب فى طريق الصوفية ونيابة النبوة فى الدعاء الى الله فاما وجه كون الشيخ يحبب عباد الله الى الله لان الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه احبه الله قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ووجه كونه يحبب الله تعالى الى عباده لانه يسلك بالمريد طريق التزكية واذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكس فيها أنوار العظمة الالهية ولاح فيها جمال التوحيد وانجذبت احداق البصيرة الى مطالعة جلال القدم ورؤية الكمال الازلى فاحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وفلاحها الظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب اذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها فينكشف للبصير حقيقة الدارين وحاصل المنزلتين فيحب العبد الباقى ويزهد فى الفانى فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية والشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدى به الضالين ثم قال فضل المشايخ وقار الله تعالى وبه يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همه ولذته فى ذكرى فاذا جعلت همه ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه لا يسهو اذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين اذا أردت باهل الارض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم اه ويحتمل أن يكون أراد بالسر والجهر انه لما دخل الطريق المحق والمبطل وادعى المشيخة كثير ممن هو عنها بمعزل وعزل المدعون بردة زور من نعوت أهل الكمال وأوهموا انتهاء على نيرى القرب والوصال واستهدوا بذلك ضعفت العقول من النساء والرجال فتجد الواحد منهم برصد بكلامه الخلوات ويعمر من المساجد الأركان والزوايات وان رأى أحدا أمسك عن الكلام ويأمر متبعه أن لا يطلع على ما لقنه به احدا من الأنام أشار الى ذلك بقوله يلقى مراد الحق فى السر والجهر أى سرا وعلانية وفى الخلاء والملاء ولا يرد هذا بما جاء من تخصيص المشايخ بعض من فيه أهلية وقابلية بامر لا يذكر لغيره لان ذلك يكون فى ثانى حال لخاص فى خاص على وجه مخصوص والكلام فى مقامنا هذا مع مريد الدخول فى الطريق فلا ينبغى ان يوصف له الا بالاوصاف العامة المأمونة الغائلة والله أعلم ولما ذكر الشيخ أشار الى ما يفعل المريد اذا وجده فقال رضى الله عنه

﴿ فقه واجتنب ما ذمه العلم واجتلب ٭ لما خصه بالمدح فهو جنى الدر ﴾

جانبه باعده واجتلبه ساقه وذمه عابه ويقال مدحه اذا أحسن الثناء عليه والجنى قال الهروى ما يجتنى من التمر والرطب والعسل وغير ذلك فيسمى على ما ذكره الهروى والمفسر ون جنى قبل ان يقطف وبعده وقال الزبير وكل ما جنيته فهو جنى حتى القطن والكتان وكلاهما صحيح المعنى والدر جمع درة وهو اللؤلؤة العظيمة وفى بعض النسخ الدبر بالباء الموحدة بعد الدال المهملة مفتوحة وهو جماعة النحل والزنابير قاله فى القاموس والمراد به هنا على هذه النسخة ويدل العلم الشرع وهو يطلق مصدرا لشرع بمعنى استفتح ويطلق اسما بمعنى الشارع والمراد به الحق تعالى وتقدس اذ هو الشارع حقيقة قال تعالى شرع لكم من الدين والرسول صلى الله عليه وسلم

فى آداب المريد فى نفسه وبيان صدقه وكذبه ليدخل على شيخه على اساس قوى ﴿الباب الثامن﴾ فى بيان آداب المريد مع شيخه وعلمه على عدم تغير قلب شيخه عليه ﴿الباب التاسع﴾ فى بيان آداب المريد مع اخوانه وبيان فضل الصحبة والاخوة فى الله تعالى ﴿الباب العاشر﴾ فى فضل الطريقة الشاذلية بالخصوص وانها باقية الى آخر الزمان وان القطب لا يكون الا منهم على الدوام كما ذكره العارفون بالله تعالى الملك العلام ﴿وسميتها النصرة النبويه لاهل الطريقة الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسيه﴾ وأرجو الله الرحمن الرحيم بجاه صاحب الجاه العظيم ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم وان يكسوها حلة القبول بحرمة طه الرسول وينفعنى بها واخوانى وأولادى وكل من طالعها فى يوم تذهل فيه العقول ويكون الخطب فيه شديدا مهولا ولا تنحل شدة هوله الا بشفاعة سيدنا ومولانا أبى الزهراء البتول صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكمل الفحول ﴿المقدمة الاولى﴾ اعلم وفقنى الله تبارك وتعالى واياك لما يحبه ويرضاه واعاننى واياك على ما فيه رضاه انه لا يخفى ان المقصود من تعلم العلم وتعليمه عبادة الله تعالى به لتوقفها عليه ولذلك كان الاشتغال بالعلم أفضل الاعمال ثم انه لا يقبل الا باخلاص النية لوجه الله تعالى قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفى الحديث الشريف الصحيح المتفق عليه انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه قال العلماء الكرام دلت الآية الكريمة على ان صورة العبادة الظاهرة من الاشتغال بالعلم وغيره لا عبرة بها الا مع اخلاص النية لوجه الله تعالى

اذهو المبلغ ويطلق ويرادبه القواعد الدينية والاحكام السمعية وكلاهما هنا صالحة الا الاولى ﴿ويقول﴾ والله أعلم فتم أيها المريد باذلا مجهودك فى مرضاة ربك واجتنب ماذمه العلم والشرع من الاقوال والافعال والاحوال والاعتقادات واجتناب ما خصه وافرده بالمدح والثناء عليه والحث والترغيب فيه وقف فى كل شئ على حدود العلم من غير تأويل فهو جنى الدر أو الدبر ومعناهما متقارب هنا اذ المقصود تعظيم شأن ما مدحه العلم وتفخيم أمره غايته وتحليه نهاية تربية لعزم المريد وتشويقا له اليه وكانه قصد بقوله فهو جنى الدر أو الدبر أن يقول فهو فى غاية الرفعة والشرف لا يحصل بذى مسكة من عقل التكاسل عن الأخذ فيه فلم يجد فى نفوس البشر بحسب الجبلة أعظم وأشهى وألذ مرغوبا من جنى الدر أو الدبر فلذلك عبر به عن هذا الغرض ويلزم منه بحسب المقابلة ان ماذمه العلم فى غاية ما يكون من الخساسة لانه على قدر ما يكون من العلو فى أحد المتقابلين يكون فى الآخر من الدناءة ولذلك قيل ان السوقة أرذل الناس منزلة أعنى من حيث الدنيا لمقابلتهم بالملك الذى هو أعظم الناس منزلة فى قول الشاعر

يا جار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك

فقد بالغ رضى الله عنه فى الترهيب والترغيب وهو الامر فى الطرفين ثم ما ذكر جار على كل من النسختين وتنفرد نسخة جنى الدر فانه لما كان جنى الدر أحب شئ وأشرفه وأرغبه عند الغرائز النفسانية وممدوح العلم أطيب شئ وأعذبه عند القوى القلبية الروحانية أسنده اليه بجامع ما بينهما من المرغوبية والمحبوبية وتنفرد نسخة الدبر فانه لما كان جنى الدبر فيه شفاء للاشباح ومخصوص العلم بالمدح فيه شفاء للقلوب والارواح حمله عليه بجامع ما بينهما من الشفائية والمعنى فى الجميع آيل لما قدمناه من قصد التعظيم والتفخيم للغرض المذكور ثم اذا أحكم المريد هذه الجملة واجتنب ماذمه العلم وأتقن ما مدحه وأتى به على وجهه حينئذ يتأهب لسلب الارادة والتحكيم للشيخ فى نفسه كما يذكره فى البيت الذى بعده قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فاول قدم المريد فى هذه الطريقة ينبغى أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل فان الشيوخ قالوا انما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول كذلك سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فيجب البداية بتصحيح الاعتقاد صافيا عن الظنون والشبه خاليا عن الضلالة والبدع صادرا عن البراهين والحجج قال ثم يجب على المريد ان يتأدب بشيخ فان من لا يكون له استاذ لا يفلح أبدا هذا ابو يزيد يقول من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان سمعت أبا على الدقاق يقول الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولكن لا تثمر كذلك المريد اذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد هواه لا يجد نفاذا ثم اذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب ان يتوب الى الله عز وجل من كل زلة ويدع جميع الزلات سرها وجهرها صغرها وكبرها ويجتهد فى ارضاء الخصوم أولا ومن لا يرضى خصومه لا يفتح له من هذا الطريق بشئ وعلى هذا النحو جروا ثم بعد هذا يعمل فى صرف العلائق والشواغل فان بناء هذه الطريق على فراغ القلب وكان الشبلى رحمه الله يقول للحصرى رحمه الله فى ابتداء أمره ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة الثانية التى تأتى شئ غير الله فحرام عليك ان تأتينى واذا أردت الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال فان ذلك الذى يميل به عن الحق فلم يوجد مريد دخل فى هذا الامر ومعه علاقة من الدنيا الا جرته تلك العلاقة عن قريب الى ما منه خرج فاذا خرج من المال فالواجب عليه الخروج من الجاه فان ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة ومالم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجئ منه شئ بل أضر الاشياء له ملاحظة الناس له بعين الاثبات والتبرك به لافلاس الناس عن هذا الحديث وهو بعد لم يصح عقده بينه وبين الله تعالى فخروجه من الجاه واجب عليه لان ذلك سم قاتل

ودل الحديث الشريف على ان الاعمال معتبرة بالنية فمن نوى بها خيرا كانت له خيرا ومن نوى بها شرا كانت عليه شرا ومن أراد بها مباحا كانت طاعة وان كانت صورتها صورة عبادة فالصورة الواحدة تكون عبادة تارة ومعصية أخرى وفضولا تارة أخرى مثل السجدة تكون عبادة اذا كانت لله تعالى وكفرا اذا كانت لصنم ومعصية دون الكفر اذا كانت لتعظيم سلطان من غير اعتقاد ربوبية فيه والاشتغال بالعلم يكون أفضل الاعمال اذا نوى امتثال أمر الله تعالى فى تعاطيه فى العمل به ويكون معصية اذا قصد به التكبر على الاخوان واجتلاب المال من وجه حرام كالرشوة وقبض الاعطية من الاموال المغصوبة وشبه ذلك ويكون فضولا اذا نوى به الفضول كاجتلاب المباح المستغنى عنه اذا علم هذا فاهم شئ على العاقل وخصوصا متعاطى العلم تصحيح نيته أولا وتنميتها ثانيا اما تصحيحها فبأن يصرفها عن الاغراض الفاسدة الى المقاصد الحسنة فينوى بفعل المأمور به وترك المنهى عنه امتثال أمر الله تعالى وبفعل المباح أو تركه الاستعانة على الطاعة ليكون جميع حركاته وسكناته طاعة واما تنميتها فبأن ينظر فيما عزم عليه من فعل أو ترك فان وجده يحتمل وجوها من الخير نواها كلها حكى فى المدخل عن بعض الشيوخ انه كان مع صاحب له فى حائط فدق شخص الباب فقام اليه الصاحب فلحقه الشيخ وسأله بأى نية قمت فقال لافتح الباب قال لا غير قال هو ذلك فعاب عليه الشيخ فقال أنا قمت ونويت كذا وكذا وعدد له ما قام له من النيات فاذا هى خمس وعشرون قال ولا يستبعد بلوغ عدد النيات الى هذا العدد وأكثر منه فقد ذكر فى قضاء حاجة الانسان الذى هو أهون الامور من الضروريات نيفا وسبعين خصلة فاذا نواها الانسان حين خروجه

فاذا خرج من ماله وجاهه فيجب ان يصحح عقده بينه وبين الله تعالى ان لا يخالف شيخه فى كل ما يشير به عليه فان الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر لان ابتداء حاله دليل على جميع عمره اه وقد تكلم الشيخ أبو العباس رضى الله عنه فى تدريج المريد وما يعامل به فى كل وقت على حسب ما يليق به بكلام حسن ينبغي ان يثبت فقال بعد كلام فلما غلب الخبط على النفوس والتخليط على القلوب ظهر متأخروا الصوفية بالاصطلاح بالترتيب وترتيب المشيخة على ما هو معلوم من شأنهم مستندين لما ذكرناه من قوله تعالى واتبع سبيل من أناب الى ولانه عليه السلام كان يربى أصحابه فيعطى كلا ما يليق به اذ قد أوصى واحدا بقوله لا تغضب وقال لغيره قل ربى الله ثم استقم وقال للآخر لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وخص قوما بأذكار وعلوم كمعاذ بحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق وحذيفة رضى الله عنه بالسر وتفقد عليا وفاطمة رضى الله عنهما لصلاتهما من الليل وعائشة رضى الله عنها تعترض بين يديه اعتراض الجنازة وقال لعبد الله بن عمرو صم وأفطر واقرعلى سرد الصوم حمزة بن عمرو الأسلمى الى غير ذلك من وجوه التربية فانهم ثم جروا فى ذلك على مقتضى العلم والحقيقة فلم يدخلوا على المريد فى مقام التقوى الذى هو فعل الواجبات وترك المحرمات سوى أخذ العهد قصدا للتوثق فى التزام خصال التقوى مستندين لحديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه الذى قال عليه السلام بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيأ الحديث ثم قال ولم يدخلوا عليه فى مقام الاستقامة وهو حمل النفس على اخلاق القرآن والسنة من غير تعريفه بالاصلح له من غير زيادة ولا نقص لاتساع هذا الباب وجهل الانسان باللائق به وقيامه مع شهوته تفريطا أو افراطا مع ما يساعد ذلك من توسيع الرخص وتضييق الورع الذى قد يليق به وقد لا ويحمله عليه عدم علمه بحاله لا ستر سله مع حاله كقوله عليه السلام لابى بكر لما ذكر اسراره بصلاة الليل ارفع قليلا ولعمر لما ذكر اعلانه اخفض قليلا فاخرجهما عن مرادهما وما تقتضيه طباعهما الى مراد الله ورسوله لهما تبريا من الهوى وان كانوا برآء منه فافهم والزموه فى مجاهدة الكشف بما يوصل اليها من الجوع والسهر والصمت والخلوة واضداد ذلك واضداد بعضه الى غير ذلك من مختلفات الامور التى لا تحصى ويجرى النظر فيها بحسب جريانها والزموه اظهار ما عنده ليصل لما عندهم فيه فكان بين أيديهم كالميت بين يدى الغاسل كما هو معلوم فى شرط المريد مع الشيخ ولكنهم لم يلزموه هذا حتى رأوا فيه أهلية الجمع والكمال اه ويحتمل انه لما كان المريد على قسمين أحدهما مريد حقيقى وهو من كملت أهليته للارادة فصمم عزمه من أول مرة على الالتزام بصحبة الشيخ والتحكيم له فى نفسه وعمل على معانقة الاهوال وتحمل الاثقال ومفارقة الاشكال ومعالجة الاخلاق وممارسة المشاق وتحمل المصاعب وركوب المتاعب وعلى هذا تكلم القوم وله وضع الناظم رضى الله عنه القصيدة والثانى مريد مجازى وهو الذى ليس قصده الا الدخول مع القوم والتزيي بزيهم والانتظام فى سلك عقدهم والتكثير لسوادهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وانما يؤمر بلزوم حدود الشرع ومخالطة الطائفة حتى تشمله بركتهم وينظر الى أحوالهم وسيرهم فيجب أن يسلك مسلكهم ويؤهل لما أهلوا له ذكر الناظم فى هذا البيت مريد التبرك وهو المجازى واذا تأهل للارادة وسمت نفسه اليها فسنذكره فى البيت الذى بعده قال فى العوارف واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة الارادة وخرقة التبرك والاصل الذى قصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقى وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم ثم قال بعد أن ذكر خرقة الارادة وهو ما استقل حمله على البيتين بعده فان خرقة التبرك يطلبها من مقصوده التبرك بزى القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه

للخلاء يحصل له نيف وسبعون حسنة فاذا منعه مانع من فعلها فقد ربح تلك الحسنات بنيته واذا فعلها حصل له نيف وسبعمائة حسنة لحديث الصحيحين وان لم يعملها كتبت له حسنة واحدة فان عملها كتبت له عشر حسنات وقد ورد فى مسند أبى يعلى الموصلى مرفوعا يقول الله سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذلك منه ولا هو فى صحفنا فيقول انه نواه ومن الدقائق ما فى التحبير للقشيرى ان بعضهم رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى ورفع درجاتى فقيل له بماذا فقال ههنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل لا بالفعل وحكى عن فضلاء الصوفية أنه كان مريضا فدخل عليه بعض اخوانه يعودونه فقال انوا بنا جا انوا بنا رباطا وعدد لهم أنواعا من البر فقالوا كيف وأنت على هذه الحالة فقال ان عشنا وفينا وان متنا حصل لنا أجر النية وقد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضى الله عنه ان يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعنى عثمان خير من عمله يعنى الكافر وقال أبو داود مدار الدين على أربعة أحاديث وقد نظمها طاهر بن معوذ رحمه الله تعالى فقال

عمدة الدين عندنا كلمات
أربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما
ليس يعنيك واعملن بنيه

والحاصل ان النية عمل من أعمال القلوب لانه محلها وذرة من أعمال القلوب تعدل مثاقيل من أعمال الجوارح نسأله سبحانه وتعالى صلاح النيات ودوام السير الى فاطر الارضين والسموات والى معرفة معانى الاسماء والصفات وحسن الاستقامة

الى حين الوفاة آمين ﴿المقدمة الثانية﴾ فى فوائد التصنيف وفضل العلم والتعلم والتأليف جاء فى صحيح مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وفى الجامع الصغير من علم آية من كتاب الله أو بابا من العلم انمى الله أجره الى يوم القيامة ونسبه لابن عساكر عن أبى سعيد الخدرى قال العلماء فى بيان كون العلم لا ينقطع بالموت انه اذا علم العالم شخصا فعلم المتعلم بعد موته بما علمه يكتب له أجر تسببه وهكذا فى كل من عمل به الى يوم القيامة واذا علم المتعلم آخر حصل للشيخ أجران لانه تسبب لتلميذه وتلميذ تلميذه فى حصول الأجر لهما فاذا علم التلميذ الثانى ثالثا حصل للشيخ الاول أربعة أجور زيادة على ما مر لانه تسبب لتلميذه الاول فى الاجرين ولكل من الثانى والثالث فى أجر فاذا علم الثالث رابعا حصل للشيخ الاول ثمانية فاذا علم الرابع خامسا فللاول ستة عشر وفى السادس اثنان وثلاثون وفى السابع أربعة وستون وفى الثامن ثمانية وعشرون ومائة وفى التاسع ستة وخمسون ومائتان وفى العاشر اثنا عشر وخمسمائة فاذا ضممت ما فى العاشر الى ما قبله كان ثلاثة وعشرين وألف حسبما تقرر فى الجمع على مثل بيوت الشطرنج والحسنة بعشر أمثالها فيكون ذلك ثلاثين ومائتين وعشرة آلاف وهكذا يتضاعف له الاجر فى كل مرتبة الى منتهى السلسلة قال بعضهم هذا فى نفس تعليم مسئلة واحدة لمتعلم واحد فاذا تعدد التعليم والمتعلمون فى كل طبقة تضاعفت الاجور بقدر ذلك وتضاعفت بحسب تعدد العمل بذلك لحديث من علم علما فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل نسبه فى الجامع لابن ماجه عن معاذ بن أنس

التام

الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم فسوف يرقيه ذلك الى الأهلية لخرقة الارادة وعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة الا من الصادق الراغب وعلى كلا الاحتمالين البيت منتزع من قول أبى يعقوب السوسى رضى الله عنه حيث سئل عن التوبة فقال التوبة من كل شئ ذمه العلم الى ما مدحه العلم قال فى العوارف وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام وهذا العلم يكون على الظاهر والباطن لتطهير الظاهر والباطن وأخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها ثم قال رضى الله عنه

﴿وان تسم نحو الفقر نفسك فاطرح * هواها وجانبه مجانبة الشر﴾
﴿وضعها بحجر الشيخ طفلا فالها * خروج بلا فطم عن الحجر والحجر﴾

تسم ترتفع والفقر يطلق على طريق القوم وهو أنسب بالاحتمال الثانى فى البيت قبله ويطلق على التصوف وهو المراد والله أعلم على الاحتمال الأول على انهم اختلفوا هل الفقر والتصوف شئ واحد أو متغايران وعلى تغايرهما هل الفقر أعلى أو التصوف والذى عليه صوفية الشام انه لا فرق بين التصوف والفقر قالوا لان الله تعالى قال للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله وهذا وصف الصوفية والله سماهم فقراء والذى عليه صاحب العوارف وجماعة ان التصوف أعلى والصوفى اسمى لان التصوف عندهم اسم جامع لمعانى الفقر والزهد مع مزيد واضافات لا يكون العبد بدونها صوفيا وان كان زاهدا فقيرا فالفقر يطلق عموما على من افتقر من المال وخصوصا على من افتقر بكليته الى الله فى جميع الاحوال والتصوف يطلق على الفقر مع زيادة أوصاف فالفقير يؤثر الفقر فى فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنى متطلع الى ما تحقق من العوض عند الله فكلما لاحظ العوض الباقى أمسك عن الحاصل الفانى وعانق الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال فى طريق الصوفى لانه تطلع الى الاعواض وترك الاشياء لاجلها والصوفى يترك الاشياء لا للاعواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضا تركه الحظ العاجل واعتاقه الفقر اختيار امنه وذلك علة فى حال الصوفى لانه قائم فى الاشياء بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة فى صورة فقر ولا فى صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه والذى عليه جماعة ان الفقر أعلى قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه اختلاف النسب يكون لاختلاف الحقائق وقد يكون لاختلاف المراتب فى الحقيقة الواحدة فقيل ان التصوف والفقر والملامة والتقريب من الاول وقيل من الثانى وهو الصحيح على ان الصوفى هو العامل فى تصفية وقته عما سوى الحق فاذا سقط ما سوى الحق من يده فهو الفقير والملامتى منهما هو الذى لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا كاصحاب الحرف والاسباب ونحوهم من أهل الطريق والمقرب من كملت احواله فكان بربه لربه ليس له عن سوى الحق اخبار ولا مع غير الله قرار وقوله فاطرح أى انبذ وباعد هوى نفسك أى ما تميل اليه ونفسك فاعل تسم وضعها الضمير راجع للنفس والطفل من لم يجاوز أربع سنين واعرابه هنا تمييز أو حال والحجر بالفتح يطلق على ما بين يديك من ثوبك وعلى التحجير والمنع والمراد هنا حجر الشيخ والمعنيان معا من باب اطلاق المشترك على معنييه ولكن هو فى مقدم القميص اعتبارا لاجل المبالغة فى الانقياد والملازمة لا حقيقى واكد هذه المبالغة بقوله طفلا أى كما يوضع الطفل والدليل على ما ذكرنا من اطلاق الحجر على معنيين قوله * فما لها خروج بلا فطم عن الحجر والحجر * فانما يحسن ذلك بعد تقديم الحجرين معا يظهر بالتأمل والذوق ثم قوله عن الحجر والحجر يقرأ أحدهما بفتح الحاء وهو الذى يراد به مقدم القميص والآخر يراد به التحجير يجوز فى حائه ثلاث حركات فان قرئ بالفتح كان فى الكلام التجنيس

التام كالعين والعين أي عين الشمس والعين الباصرة أو عين الماء وعين الذهب والفضة وان قرئ بالكسر أو الضم كان في الكلام التجنيس المحرف لانحراف احدى الهيئتين عن الأخرى والفطم الصبر عن الرضاع ﴿يقول﴾ والله أعلم وان تسم نفسك نحو الفقر ذوقا وتحققا فانتبه هواها وما تميل اليه وتختاره من سائر العادات والمألوفات ووجوه الطاعات وأنواع القربات وجانبه وباعده مجانبة الشر لانه أجمع لقلبك وأقرب لتأدبك وأثبت في خروجك من نفسك وأنقى لعللك وعدم علمك بما هو اللائق بك والصالح لحالك فربما ضرك ما انتفع به غيرك كما دل على ذلك اختلاف أحوال الصحابة رضي الله عنهم ووصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ومعاملته معهم حسبما تقدم وضعها أي نفسك بحجر الشيخ وتحت تحجيره كالطفل يربيك بعلمه المستمد من الله وينظر ببصيرته الناقدة المميزة في باطنك وقابليتك وما هو المقرب لسبيل وصولك الى ربك من الصلاة والصيام والذكر والتلاوة والتجرد والتسبب مثلا والانقطاع والخلوة والاختلاط بالأصحاب أو لمعين منهم ومن الخروج من جميع مالك والزهد فيه ومن ترك البعض وانفاق البعض ونحو ذلك ويسوس نفسك ويسلك بك صدق المعاملة حتى تطمئن وتطمأنينتها تنتزع منها البرودة واليبوسة التي استصحبتها من أصل خلقتها وبها استعصى على الطاعة والانقياد للعبودية وتصير جزء الشيخ في هذه الولادة المعنوية كما ان الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية فانفسك خروج عن حجر الشيخ بحيث لا تفارقه الا باذنه ومن تحجيره ونظره قبل ان تبلغ أوان الفطام وتفطم بالفعل وهو يعلم وقت ذلك قال الشيخ أبو عثمان سعيد الفرغاني رحمه الله كما ان اليتيم الصغير وان بلغ كان في حجر من جهة الشرع حتى يؤنس منه التحلي برشد في حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وتصرفاته الموافقة للعقل والشرع كذلك السالك السائر وان بلغ رتبة الفتح يتحجل متبدلم يؤذن له بالاطلاق في التصرفات عموما حتى يؤنس منه رشد التمكين في أحواله وتلوناته والثبات على السر وقوة كتمان الأسرار وقال الشيخ محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه ومن شروطه يعني المريد أن لا تكون له ارادة ومتى كانت للمريد ارادة فهو صاحب هوى وهو مع نفسه لا مع شيخه فينبغي للمريد أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي غاسله لا تدبير له في نفسه ولا يدفع عن نفسه ما يريد به استاذه فيبقى المريد مع الشيخ على ما يريده الشيخ وكان الاولى أن لا يسمى مريدا اذ لا ارادة له مع شيخه وانما سمي مريدا بالابتداء لانه طلب الكمال الذي خلق له وهو التشبه بالاله بحسب الطاقة يعني التخلق بالاخلاق الالهية وهذا المطلوب طريقه اليه مجهول عنده ولجهله به اضطر الى عالم بالله يعرفه اياه ولهذا يلزمه التسليم والانقياد وترك الاعتراض فلا يزال في بحر الابتلاء حتى يفتح له والشيخ اذا علم ان المريد قد انتقل وكملت تربيته وحان أوان فطامه وجب عليه أن يقطع عنه الامداد من جهته ويتركه مع ربه وان شاء أقعده ولا حكم عليه للشيخ بعد ذلك ولكن يلزم المريد ان ساوى شيخه أو جاراه التأدب معه واحترامه للسابقية ولا يقعد للارشاد الا باذنه ما لم يأمره ربه فان أمره فما للشيخ عليه في هذا مأخذ وقال الامام أبو حامد رضي الله عنه فمعتصم المريد بعد تقدم الشروط المذكورة شيخه يعني بالشروط التجرد عن التقليد والمعصية والمال والجاه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض اليه أمره بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقى في متابعته شيأ ولا يذر ويعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب وأصل البيتين قوله في العوارف واعلم ان للمريدين مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام وقد سبق شرح الولادة المعنوية فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ الا باذنه قال الله تعالى تأديبا للامة انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا

انتهاهي الى غاية لا يعلمها الا الواهب ذلك سبحانه وتعالى فالحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده انتهى من نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير ولهذا أشار الامام البوصيري رضي الله تعالى عنه في قصيدته الدالية التي مدح فيها الامام القطب سيدنا أبا الحسن الشاذلي وخليفته سيدي أبا العباس المرسي رضي الله تعالى عنهما ونفعنا الله تعالى بهما قال في مطلعها

كتب المشيب بأبيض في أسود
بغضاء ما بيني وبين الخرد

الى أن قال

والمرء في ميزانه أتباعه
فاقدر اذا قدر النبي محمد

صلى الله عليه وسلم ورأيت في رسالة شيخ مشايخنا العالم العلامة خاتمة المحققين الشيخ يوسف الغزي ثم المدني رحمه الله تعالى في حديث اذا مات ابن آدم ما نصه وأنا أقول كما قال البدر بن جماعة اذا تأملت وجدت الثلاثة مجتمعة في معلم العلم للناس أما الثانية فظاهر وأما الصدقة فالتعليم وأما الولد الصالح فمن علمه فان المعلم فوق الاب لكونه سببا في سعادة الدارين فيكون سببا في تمام وجوده المفيد وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أفضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم والتعلم سبب في التعليم وهكذا فهو صدقة جارية ومثله التأليف وأخرج الطبراني عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله تعالى عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر فقلت له يا رسول الله اني جئت أطلب العلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب وأخرج الترمذي عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ان الله وملائكته وأهل

كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم وأى أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة الابعد علمه بانه آن له أوان الفطام وانه يقدر ان يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه ان يفتح لهباب الفهم من الله تعالى فاذا بلغ المريد انزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد آن الفطام ومتى فارق قبل أوان الفطام يناله من الاعلال في الطريق بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال الفطيم لغير أوانه في الولادة الطبيعية وهذا التزم بخدمة المشايخ للمريد الحقيقي والمريد الحقيقي بلبس خرقة الارادة ثم قال وسر الخرقة ان الطالب الصادق اذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين وله في تلك الهيئة من الملبوس هوى واختيار كامن في نفسه ليرى بعين الزهادة فاشد ما على هذا لبس الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من الملبوس في قصر الكم والذيل وطوله وخشونته ونعومته على حسبانها وهواها فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن الى تلك الهيئة ثوبا يكسر بذلك على نفسه هواها وغرضها وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أوهيئة في الملبوس تشرف النفس تلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس من عادتها وهواها فتصرف الشيخ في الملبوس كتصرفه في المطعوم وكتصرفه في صوم المريد وافطاره وتصرفه في أمر دينه الى ما يرى له من المصلحة من دوام الذكر والتنفل بالصلاة ودوام التلاوة أودوام الخدمة وكتصرفه فيه برده الى الكسب أو الفتوح أوغير ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع الاستعدادات فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له ولتنوع الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك ومن يدعى بالموعظة لاتصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الابرار ومن هو على وضع المقربين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التخشن أوفي التنعم فيخلع المريد من عادته ويخرجه من مضيق نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له ويداوى بالخرقة المخصوصة داء هواه ويتوخى بذلك تقريبه الى رضا مولاه فالمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الارادة في يده أمره وحدة ارادته كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه واذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتألف القلوب وتشاح الارواح وظهور سر السابقة فيهما باجتماعهما لله في الله انتهى ولما كان حال المريد كما وصفنا وانه لابد له من سلب الارادة مع شيخه أشار الى ان من لايكون كذلك لايحصل له شئ من الطريق فقال رضى الله عنه

﴿ومن لم يكن سلب الارادة وصفه * فلا يطمعن في شم رائحة الفقر﴾

من اسم شرط مبتدأ وخبره جملة الشرط وقيل جملة الجزاء وقيل المجموع وسلب الارادة أى الاختيار خبر يكن ووصفه اسمها هذا هو الاولى لانه المحدث عنه هذا والاتصاف بسلب الارادة لاسلب الارادة من غير اعتبار الاتصاف بها وقوله فلا يطمعن الى آخر البيت جواب الشرط وهو هنا كناية عن غاية نهاية قطع الاياس من الفقر مع عدم الاتصاف بسلب الارادة والا فلا شم ولا رائحة حسين وعبر كغيره بالشم دون غيره لانه أضعف الادراكات حسا ومعنى قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه بعد كلام في الخواطر والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة المجلوة

السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير اه ﴿تنبيه وايقاظ﴾ ولا يحملك يا أخى على عدم حضور مجلس العلم كونك لاتفهم فيه شيأ فقد قال في تحفة الفضلاء قال السمرقندى رحمه الله تعالى من جلس عند العالم ولم يفهم مما يقول شيأ فله سبع كرامات أولها ينال فضل المتعلمين الثانية يحبس عن الذنوب مادام جليسه الثالثة اذا خرج من بيته طالبا للعلم نزلت عليه الرحمة الرابعة اذا نزلت عليهم الرحمة حصل له منها نصيب الخامسة مادام يسمع تكتب له طاعة السادسة اذا سمع ولم يفهم وضاق قلبه بحرمانه درر العلم فيصير غمه وحزنه لله تعالى فيحصل له بذلك انكسار القلب لحديث أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى السابعة يرى اعزاز الناس للعالم واذلال الناس للفاسق فيرد قلبه عن الفسق ويميل طبعه الى العلم ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم بمجالسة العلماء وأما فضل التأليف فقد قال بعض العلماء المتقدمين يكون التعليم بالمشافهة ويكون بالتأليف والتدوين فكل من فهم مسئلة من التأليف فمؤلفه معلمه اياها ومن هنا يظهر ان التعليم بالتأليف له ثواب أكثر منه بالمشافهة لان في التأليف مافيها وزيادة مايحصل بالكتاب لبقائه وانقطاعها ثم قال وقد يكون التعليم بالكتاب أولى من التعليم بالخطاب لكون المؤلف قلمه أفصح من لسانه ومطالعة كتابه أيسر من خطابه لشدة خلقه و بعده كانه حسا ومعنى أو تقدم زمانه ولله در القائل في مطالعة الكتب ومراجعتها

لنا جلساء لانمل حديثهم * ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى * وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

ولا فتنة تخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقي معهم لسانا ولا يدا فان قلت احياء فلست بكاذب * وان قلت أمواتا فلست مفندا

ثم اعلم يا أخي ان ما تقدم من فضل العلم المراد به العلم النافع وهو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه والعلم بمواطن الآخرة حتى لا ينكر التجليات الواقعة فيها ولا يقول للحق تعالى اذا تجلى له نعوذ بالله منك كما ورد لان العاقل لا ينبغي له ان يأخذ أو يتقول لا يكثر من العلوم الا ما ينتقل معه الى البرزخ دون ما يفارقه عند انتقاله الى عالم الآخرة وليس المنتقل معه الا علمان فقط العلم بالله تعالى والعلم بمواطن الآخرة كما ذكره الشيخ الاكبر قدس الله تعالى سره الاطهر قال في التنوير في اسقاط التدبير لشيخ مشايخنا سيدى أحمد ابن عطاء الله السكندرى رضى الله تعالى عنه في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله برزقه اعلم ان العلم حيث تكرر ذكره في الكتاب العزيز أو في السنة انما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدنى علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء ورثة الانبياء وقوله هنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد به العلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك يتعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب اه اذا علمت هذا فنقول وبالله التوفيق * اعلم انه قد وقع الاجماع من الصوفية على ان التصوف هو

تقدح هذه الخواطر من خزائن الغيب فتؤثر في القلب فتبلا لا فيه التأثير فمنها ما يقع في سمع القلب فيكون فهما ومنها ما يقع في بصر القلب فيكون نظرا وهو المشاهدة ومنها ما يقع في لسان القلب فيكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علما وهو الفكر وهو الفعل المكتسب بنتائج العقل الغريزى وهذا أقلها لبثا وأيسرها عناء وما وقع في باطن القلب وحسه فخرق شغافه ووصل سويداءه فهو المباشرة وكان وجدا وهذا الحال من مقام المشاهدة ومن هذا قوله عليه السلام أسألك ايمانا يباشر قلبى والوصف ذكر الشئ بحليته ونعته وقد يستعمل الوصف في معنى الصفة وهو المراد هنا ﴿يقول﴾ والله أعلم ومن لم يكن من الطالبين لهذا الشأن والمريدين لسلوك طريق القوم متصفا ومتحليا بسلب الارادة والاختيار مع شيخه والاستسلام لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه واسلام نفسه اليه بحيث لا يتصرف في نفسه وجميع أموره الا بمراجعته وأمره فهو في غاية نهاية البعد عن أن يحصل له شئ من هذه الطريق أو يشم لها رائحة قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فشرط المريد أن لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف شيخه في نفس سرا أو جهرا فسيرى غبه من غير ما يحسبه سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يستشيرونه منهم أشد مما يكابدونه بالجهد وأكثر لان هذا يلحق بالجناية ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فان بدا منه شئ من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم ان ينفقوا من قوة أحوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم اه واعلم ان المريد اذا لم يحصر نفسه بذلك لا يستعد باطنه لقبول امداد الشيخ وسريانها فيه حتى يودعه نفائس الاحوال المرقية له الى ترك الاختيار مع الكبير المتعال المؤدى ذلك الى نيل مراتب القرب ومنازل الوصال اذ اصل كل خير ومبدؤه هو ان يعرف العبد قدره ولا يتعدى طوره ويكون عند نفسه عبدا كما هو كذلك حقيقة فيترك التدبير والاختيار مع مولاه ولا يعرج على أحد سواه ولما كان العبد أولا لا يعرف مولاه معرفة توجب له الاقدام والاحجام على مراده لغلبة أحكام الطبع والجهل عليه حتى صار عاملا بحكم طبعه واقتضاء نفسه وهواه ومراده أحيل عند ما عقل وأحس واراد السير من طبعه الى ربه بحكم شرعه على الشيخ العارف بالله وترك الاختيار معه ليكون عند ما يريده منه الذى هو في الحقيقة مراد الله منه وتفقد حفظ حرمته وسلب الاختيار معه تكون معاملته للحق بعد حسب سنة الله الجارية ثم ان الشيخ لا يزال يجاذبه ويرقيه بحاله ومقاله الى أن يسلب الاختيار مع مولاه ويصير عبدا محضا لسيده وربه قال في العوارف المريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح في باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال الى باطن المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا الا لمريد حصر نفسه مع الشيخ فانسلخ من ارادة نفسه ويفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالتألف الالهى يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيخ اه هذا الكلام هو أصل هذا البيت والله أعلم واعلم ان ما ذكرنا من سلب الاختيار مع الشيخ وعدم التصرف الا باذنه لا يجرى في الواجبات ولا في الضروريات لان الشيخ معزول عن النظر فيها والمريد ممنوع من الاختيار فيها للزومها له على كل حال فانتبه له

جهل واشتراطه ضلال لوجوه ثلاثة أحدها انه مخالف للسنة فى التصديق وما كانت الصحابة رضى الله عنهم يستشيرونه عليه السلام الا فى الامور المهمة المتجددة اللازمة بكل حال الثانى انه اما ان يكون مع العزم على المخالفة ان أمر بخلاف المراد من ذلك شرعا وهذا كذب ظاهر لان الاستئذان انما وضع للعمل على ما يشار به لا المخالفة ان خالف واما ان يكون على العزم على الموافقة ولو خالف الشرع فى مراده وهذا كفر ان اعتقد اباحة محرم به أو اجازته ونوع مجمع عليه وعصيان ان لم يعتقد اباحته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق واما ان يكون مع العزم على الرجوع للحق فيما يأمر به وترك ما يوافق الباطل منه وهذا لا فائدة فيه عند فعله على التمام وان كان ظاهره التأدب والاحترام والتبجيل والاعظام الثالث انه ربما يتضمن ترك واجب متعين أو مندوب محقق كصلاة الجماعة وفضيلة أول الوقت ونحو ذلك ذكر هذه الجملة الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه باسط من هذا فى تأليفه فيما دخل فى هذه الطائفة من الدخيل وبيان الطريق الواضح السبيل ثم قال رضى الله عنه

﴿ وهذا وان كان العزيز وجوده * ولكنه فى العزم خل من العسر ﴾

الاشارة بهذا الى الاتصاف بسلب الارادة وقوله وان كان العزيز وجوده يحتمل ان يكون اسم كان ضميرا عائدا للمدلول الاشارة قبله والعزيز خبره ووجوده مرفوع بالعزيز لانه صفة ويحتمل ان يكون وجوده هو اسم كان والعزيز خبرها وعلى كل حال ففى تعريف الجزء نوع من الحصر فكأنه قصر عزة الوجود على الاتصاف بسلب الارادة أى وان كان الاعز من وجوده وضميرا لكنه عائد الى مدلول الاشارة أيضا فى العزم اما ان يكون فى معنى عند أو حذف من الكلام مضاف أى ولكنه عند العزم أو فى حال العزم خال أى فارغ وهو خبر لكن ومن العسر متعلق به وفى بعض النسخ الحزم بالحاء والزاى وهو بعيد فى هذا المقام والله أعلم ﴿ يقول ﴾ والله أعلم والاتصاف بسلب الارادة وان كان عزيز الوجود ولكنه عند ركوب مطية العزم وادخال النفس فى ذلك بالرغم لا غرابة فيه ولا عسر بل بعوده مبذول الوجود سهل الارتكاب وهى النفس ما حجابها تحمل بل فيما فى باطن المريد الصادق من اللوعة التى تهون كل روعة حتى صار كما قدمنا كالمسوع الحريص على من يرقيه ويداويه اذا صادف شيخا انبعث من باطنه صدق المحبة والانقياد والاستسلام لرأيه واستمرأ بذلك مرارة ما يأمر به وأوجده حلاوة فيه فالمحبة روح الاشياء والسبب المقتضى للاستهلاك والاستغراق وبالاحبة وسارعت اليه بسرك ولم يتعذر عليك لافراغ القوى فيه كما قيل على قدر أهل العزم تأتى العزائم ولعزة المريد الحقيق وسمو رتبته قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضى الله عنه لا أدرى أى المصيبتين أعظم فقد الشيخ المحقق أو المريد الصادق وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن عقبة الحضرمى رضى الله عنه لو طفتم من أقصى بلاد المغرب فى طلب مريد مستقيم الارادة ظاهرا وباطنا بكل وجه ما وجدتموه فكيف العارف الكامل * ولما أنهى الكلام على ما يلزم المريد من سلب الاختيار رجع الى تكميل ما يتعلق بالشيخ وابتدأ بذكر علاماته ليكون المريد على بصيرة فيمن يسلب الاختيار معه وهى ثلاث أحدها الجمع بين علمى الظاهر والباطن أعنى ما يتوقف عليه السفر والسير منهما وهو التبحر فى علم الباطن الى غير غايته واتقان ما لا بد له منه فى خاصة نفسه ويحتاج اليه المريد فى حال سفره وسيره من الظاهر ثانيها الاذن الصريح ثالثها عدم الميل الى الهوى وأفادها بالتعبير عن اضدادها فى الاولين وصرح بالثالث فقال رضى الله عنه

﴿ وللشيخ آيات اذا لم تكن له * فما هو الا فى ليال الهوى يسرى ﴾

﴿ اذا لم يكن علم لديه بظاهر * ولا باطن فاضرب به لجج البحر ﴾

أجل العلوم كلها وتبعهم فى ذلك أكابر أهل السنة وأجلهم فلهذا كان هو الباعث لنا فى النصرة والذب على من أنكر شيأ من أحوال القوم وأبدى لهم العذل والجفاء واللوم لا سيما اخواننا أهل الطريقة الفاسية المدنية الدرقاوية التى هى فرع من فروع السادة الشاذلية الذين لم يزل التصوف مطلبهم ومن صفاء زلاله وردهم ومشربهم لزم علينا ان نتكلم فى بيان فضل علم التصوف وأهله لان موضوع هذه الرسالة فى هذا العلم الشريف وقد جرت عادة أهل العلم ان يذكروا مبادى كل علم امام المقصود للانتفاع بها قبل الشروع فى ذلك الفن وقد نظمها بعضهم فقال

فاول الابواب فى المبادى
وتلك عشرة على مرادى
الحد والموضوع ثم الواضع
والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصور المسائل الفضيله
ونسبة فائدة جليله

(فحد علم التصوف) هو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى وقيل هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك وقيل هو الجد فى السلوك الى ملك الملوك وقيل هو الاكباب على العمل والاعراض عن العلل وقال امام الطائفة الجنيد قدس سره هو ان يميتك الحق عنك ويحييك به وقال سهل ابن عبد الله قدس سره الصوفى من صفا من الكدر وامتلا بالفكر وانقطع الى الله تعالى عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر وقال امامنا سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى قدس سره التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لاحكام الربوبية وقال شيخ مشايخنا مولانا العربى الدرقاوى قدس سره التصوف فيما نرى والله أعلم حفظ شرائع الدين وسلب الارادة لله رب العالمين وحسن الخلق مع المسلمين وسئل سمنون عن التصوف فقال

آيات

ان لا تملك شيأ ولا يملكك شئ وسئل رويم عن التصوف فقال استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد وسئل الجنيد عن التصوف
فقال هو ان تكون مع الله تعالى بلا علاقة وسئل عمرو بن عثمان المكى عن ٢٣ التصوف فقال ان يكون العبد فى كل وقت

بما هو أولى به فى الوقت وقال الامام معروف الكرخى قدس سره التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق وقال محمد بن على القصاب التصوف أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام ولهذا قال بعضهم التصوف كله أخلاق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى التصوف وسئل بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول فى الشريعة حكى عن ذى النون المصرى قال رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدين قالت الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فأنشأت

قوم همومهم بالله قد علقت * فما لهم همم تسمو الى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم * يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف * من المطاعم واللذات والولد
ولا لباس ثياب فائق انق * ولا لروح سرور حل فى بلد
الا مسارعة فى اثر منزلة * قد قارب الخطو فيها باعد الابد
فهم رهائن غدران وأودية * وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد

قال شيخ مشايخنا سيدى الشيخ أحمد زروق رضى الله تعالى عنه قد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الالفين ترجع كلها

آيات مبتدأ خبره فى المجرور قبله واذا ظرف مستقبل وفاعل تكن ضمير عائد للآيات ولا خبر لها لانها تامة أى اذا لم توجد له تلك العلامات وفاء فما هو الخ البيت جواب الشرط وضميره هو للشيخ لكن لا بالمعنى المتقدم لان المراد بالشيخ فى قوله وللشيخ الخ مستحق المشيخة والمراد بالضمير فى قوله فما هو الى آخره المتصدر لذلك من غير استيفاء الشروط ففى الكلام من معانى البديع الاستخدام وهو ان يراد بالظاهر معنى غير ذلك المعنى كقول الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه ولو كانوا غضابا

فالمراد بالسماء المطر وبضمير رعيناه العائد اليه النبات واستعار الليالى للهوى لظلمته كما يستعار النهار للعلم لضوئه واذا ظرف مستقبل واسم يكن هو وقوله علم وان كان نكرة لحصول الفائدة ولديه ظرف معمول لكون مقدر لانه خبر يكن وبظاهر ولا باطن معمول لقوله علم ويحتمل ان يكون مضارع كان التامة وعلم فاعله وبظاهر متعلق به أى اذا لم يوجد عنده علم بكذا وقد يقال ان الباء زائدة وظاهر الى آخره صفة لعلم أى اذا لم يكن عنده علم ظاهر ولا باطن فاضرب به أى انبذه واللجج جمع لجة أى وسط البحر وهذا البيت أعنى اذا لم يكن الى تمام ستة أبيات بدل تفصيل فى المعنى من قوله وللشيخ آيات البيت والعلم الظاهر قال الامام أبو حامد رضى الله عنه فى كتاب عجائب القلب من الاحياء هو ما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات وفسر الباطن بانه علم ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وفسره فى كتاب العلم بانه علم المكاشفة بما حاصله يرجع الى كشوف الحق والخلق وقال الشيخ أبو عبد الله البلالى رحمه الله هو النظر فى تصفية الباطن رياضة وتهذيبا اه والحاصل ان كلام القوم فيه يرجع الى علم الطريقة عند البعض والى علم الحقيقة عند البعض وقد رسم هذه العلوم الثلاثة أبو عثمان سعيد الفرغانى رحمه الله فرسم علم الشريعة بانه علم بكيفية تعديل الهيئات البدنية الجسمانية بطريقة ازالة أحكام الانحرافات فى القول والعمل والحركات والسكنات وترك العادات ورسم علم الطريقة بانه علم بكيفية الرجوع الى الله وطريقه وعلم الآفات الطارئة على سائر هذا الطريق ودسائس النفس وشهواتها الخفية وشوبها الخفى من كل ما يبعد ومن الحسنات المعنى بما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وبازالة الانحراف عن الاخلاق وتبديل مذمومها بمحمودها وبتحقيق المقامات والتوبة والزهد والمراقبة والتفويض والتسليم والثقة والتوكل والرضا ونحو ذلك قال وهذا هو علم الطريقة الذى يقال انه علم بالله وباسمائه وصفاته وكمالاته ﴿يقول﴾ والله أعلم وللشيخ الذى يطلبه المريد لطريق الله عز وجل والسير اليه بالقلب علامات يستدل بها على استحقاقه المشيخة والتربية اذا لم تحصل له تلك العلامات بأجمعها بحيث يكون متصفا ومتحققا بها فما هو يسرى فى ادعائه التربية بما له أو حاله يحملونه للتربية الا فى ليالى الهوى لانه لما لم يكن مستحقا لها ولا مؤهلا فيها بان يجتمع فيه شروطها ما حمله عليها الا حب الاستتباع وقبول الخلق عليه اذا لم يكن عنده علم ظاهر أى علم الشريعة ولا باطن أى علم الطريقة والحقيقة فانبذه واخرجه من دائرة سفينة المشيخة والقه فى لجج بحر النفاق بايهامه واظهاره خلاف ما هو به قال صاحب العوارف ومن شرائط أهل الولاية أن يكون عالما بالاوامر الشرعية وعاملا بها وواقفا على آداب الطريقة وسالكا فيها وكاملا فى عرفان الحقيقة وواصلا اليها ومخلصا بجميع ذلك حتى يتم له السلوك ويشرف به علم الوصال فالله الله أيها الطالب الحذر من صحبة الاشرار فانهم قطاع الطريق واعتصم بحبل القرآن والاحاديث النبوية وقال الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله عنه لا يقتدى فى طريقتنا هذه بظاهر ولا باطن وانما يقتدى بمن جمع بينهما مع الزهد الظاهر والايثار والورع والعلم بالمنازلات والاحوال والمقامات والخواطر وقال أيضا لا يكون الشيخ الا

لصدق التوجه الى الله تعالى وانما هى وجوه فيه والله تعالى أعلم ثم قال يعنى سيدى أحمد زروق والاختلاف فى الحقيقة الواحدة ان كثر دل على بعد ادراك جملتها ثم هو ان رجع لاصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه وجملة الاقوال واقعة على تفاصيل واعتبار كل واحد له على حسب ما ناله علما وعملا وحالا وذوقا وغير ذلك ثم قال وقاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق وبما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرطه ولا يرضى لعباده الكفر فلزم تحقيق الايمان وان تشكروا يرضه لكم فلزم العمل بالاسلام فلا تصوف الا بفقه اذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة الا منه ولا فقه الا بتصوف اذ لا عمل الا بصدق توجه ولا هما الا بايمان اذ لا يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع لتلازمهما فى الحكم كتلازم الارواح للاجساد اذ لا وجود لها الا فيها كما لا وجود لها الا بها ومنه قول الامام مالك رضى الله تعالى عنه من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق (قلت) تزندق الاول لانه قائل بالجبر الموجب لنفى الحكمة والاحكام وتفسق الثانى لخلوه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله تعالى وعن الاخلاص المشروط فى الاعمال وتحقق الثالث لقيامه بالحقيقة فى عين تمسكه بالحق فاعرف اذ لا وجود لها الا فيها كما لا كمال له الا به انتهى كلام سيدى زروق وهو فى غاية التحقيق والنفاسة رضى الله تعالى عنه ونفعنا الله تعالى بعلومه وبركاته آمين ﴿وأما موضوعه﴾ فقال سيدى الشيخ أحمد بن عجيبة فى شرحه على الحكم هو الذات العلية لانه يبحث عنها باعتبار معرفتها اما بالبرهان أو بالشهود والعيان فالاول للطالبين والثانى للواصلين وقيل موضوعه

ذو علم بالظاهر والباطن قال الجنيد من لا يكتب الحديث ويحفظ القرآن لا يقتدى به فى هذا الامر فيجب على المريد ان لا يقتدى الا بالعالم المتجرد عن الدنيا العامل بما يعلم ويترك نفسه بين يديه ملقاة ويحكمه ولا يتحيل الطالب لهذا الامر انه يبلغه بذاته أو ينظر فى كتب الصوفية والحكماء ويعمل ويجتهد ويصلى لا والله ما الامر هين قال الشيخ محيى الدين الحاتمى رضى الله عنه فصفة الاستاذ ان يكون عارفا بالخواطر النفسانية والشيطانية والملكية والربانية عارفا بالاصل الذى تنبعث منه هذه الخواطر عارفا بحركاتها الظاهرة عارفا بما فيها من العلل والامراض الصارفة عن صحة الوصول الى عين الحقيقة عارفا بالادوية وأعيانها عارفا بالازمنة التى تحمل المريد على استعمالها عارفا بالامزجة عارفا بالعوائق والعلائق الخارجة مثل الوالدين والاولاد والاهل والسلطان عارفا بسبب اساءتهم ويجذبه المريد صاحب الملة من أيديهم هذا كله اذا كان المريد له رغبة فى طريق الله تعالى وان لم تكن له رغبة فلا ينفعه اه واعلم ان ما شرط الناظم وجوده فى الشيخ من العلم الظاهر والباطن هو ما يتوقف السفر والسير الى الله بالقلب عليه فاما العلم الباطن فالمطلوب فيه التبحر التام اذ المقصود بالذات فى الشيخ المصطلح عليه عند القوم هو هذا العلم لان المريد انما يطلب الشيخ يسلكه ويعلمه علم الطريقة والحقيقة فيكون عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه ومتعلقاتها وأحكامها وتفاصيلها وفوائدها وحكمها وأسرارها وعلم تام بآفات الطريق ومكايد النفس والشيطان وطرق المواجيد وتحقيق المقامات قد حصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان بحيث اذا استخبر عن آفات الطريق وعلاماته أو عن حقيقة المقاصد يخبر بجلية الأمر على ما هو عليه وحصلت له مع ذلك قوة وتمكن من رفع الموانع وقطع العوائق الظاهرة والباطنة وبصيرة نافذة ينظر بها فى قابليات المريدين والمسترشدين واستعداداتهم ليحمل كل أحد على شاكلة قابليته واستعداده ويعين له طريقا فيما يفضى منها الى ربه وأما العلم الظاهر فالمطلوب منه فى هذا الشيخ ان يكون عنده ما يحتاج اليه فى خاصة نفسه ويحتاج اليه المريد فى حال سفره وسيره بقلبه الى ربه وهو القدر الذى لا بد منه من أحكام الطهارة والصلاة ونحو ذلك وعلى هذا يحمل كلام الناظم اذ كثير من العلوم الظاهرة لا دخل لها فى السير والسلوك الى حضرة ملك الملوك كالدماء والحدود والطلاق والعتاق والالزم الحط عن رتبة كثير من فحول الطريق واعلام الوجود والتحقيق فقد كان كثير منهم غير متضلع بعلوم الشريعة وكثير منهم ليس عنده الا ما يخصه الذى لا بد منه وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه أيضا يؤخذ علم كل شئ من أربابه فلا يعتمد صوفى فى الفقه الا بعد ان يعرف قيامه عليه ولا فقيه فى التصوف الا ان يعرف تحققه له ولا محدث فيهما الا ان يعلم قيامه بهما فلزم طلب الفقه من قبل الفقهاء لمريد التصوف وانما يرجع لأهل الطريقة فيما يختص بصلاح باطنه من ذلك ومن غيره ولذلك كان الشيخ أبو عبد الله محمد المرجانى رضى الله عنه يأمر أصحابه بالرجوع الى الفقهاء فى مسائل الفقه وان كان عارفا بها فافهم اه وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الساحلى رحمه الله الثالث يعنى من الشروط التى لا بد منها فى الشيخ ان يكون عنده من الكتاب والسنة ما يقيم به ما لا بد منه من الرسوم الشرعية وما يبنى عليه وظائف سلوكه واذا انضاف الى ما يفتح الله به عليه من الحكم فى باطنه فانه يكون له فى ذلك نور يمشى به فى الناس ويهديه الى فهم خطاب الكتاب والسنة الى آخر كلامه فى هذا المعنى قال الشيخ عفيف الدين أبو محمد عبد الله اليافعى رضى الله عنه على قول الشيخ ابى عبد الله محمد ابن خفيف رضى الله عنه اقتدوا بخمسة من أصحابنا الخ تخصيصه الاقتداء بالجامعين بين علم الظاهر وهو علم الشريعة وعلم الباطن وهو علم الحقيقة يحتمل أمره بذلك ثلاثة أوجه أحدها

الندب

الندب لا الوجوب اذ لا خلاف بينهم ان جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم سواء حصل السلوك قبل الجذبة أو بعدها وسواء عرفوا جميع علوم الشرع المفروضة والمندوبة أولم يعرفوا سوى فرض العين الذى لا بد لكل مكلف منه والوجه الثالث ان يكون قال ذلك اختيارا منه لقول من قال بوجوب الاقتداء والاخذ بقول الاعلم من المجتهدين لا بقول من قال بالتخيير بينهما والله أعلم اه وفى العوارف ماهو أوسع من هذا قال فيها وقال أبو يزيد البسطامى صحبت أبا على السندى فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمنى التوحيد والحقائق صرفا اه وأبو على السندى هذا هو أستاذ أبى يزيد حسبما صرح به فى الرسالة ومن المعلوم ان الشيخ أبا عبد الله محمد بن عباد رضى الله عنه لم يفتح له الا على يد رجل أمى على ان الشيوخ كما قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه ثلاثة شيخ تعليم وشروطه ثلاثة تحصيل عقد الباب المتكلم فيها والقدرة على الالقاء بلا تقصير والانصاف فى الرد والقبول وشيخ تربية وشروطه ثلاثة علم المعاملة ظاهرا و باطنا والبصيرة النافذة والتجربة الحاصلة وشيخ ترقية وشروطه ثلاثة البصيرة النافذة والنور التام والهمة العالية فبالبصيرة يميز وبالنور يمد وبالهمة يرفع كما أن الذى قبله بالعلم يربى وبالبصيرة يرفع وبالتجربة يحقق كما ان الذى قبله بالتحصيل يفيد وبالعبارة يوصل وبالانصاف يحقق اه والى شيخ الهمة والترقية يشير ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عبادا من نظر اليهم نظرة لا يشقى بعدها أبدا وكذا قول أنس رضى الله عنه ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه صلى الله عليه وسلم حتى وجدنا النقص فى قلوبنا قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه فأفاد ان رؤية شخصه الكريم كان نافعا لهم فى قلوبهم فكذلك من له نسبة بطريق الوراثة العلمية ومن ثم كان النظر الى وجه العالم عبادة اه ومنه أيضا قول الشيخ أبى محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ونفعنا به لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ولا من يؤثرك على نفسه فانه قل ما يدوم واصحب من اذا ذكر ذكر الله فالله يغنى به اذا شهد وينوب عنه اذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفتاح الغيوب وكذا ما وقع له مع أستاذه الشيخ أبى يزيد عبد الرحمن المدنى رضى الله عنه حسبما فى بعض لطائف المنن قال الشيخ أبو الحسن عن شيخه أبى محمد عبد السلام سلك الشيخ أبو محمد بن عبد السلام وهو ابن سبع سنين وظهر له من الكشف أمثال الجبال ثم خرج الى السياحة وأقام بها ست عشرة سنة فدخل عليه يوما شيخ فى مغارة فقال له من أنت قال أنا شيخك مذ كنت ابن سبع سنين وكلما يصلك من المنازلات فهى منى وهى كذا وكذا فحدثه بجميع ما جرى له من الاحوال وكان سكناه بالمدينة على ساكنها السلام وكان يجىء اليه ويعلمه ويفيده فقلت له ياسيدى كان يأتيك طيا أو سفرا فقال لى ساعة يأتينى ويروح فقلت ياسيدى وكنت أنت تروح اليه قال نعم وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كل شيخ لم تصل اليك الفوائد منه من وراء حجاب فليس بشيخ وقال أيضا رضى الله عنه والله انى لاوصل الرجل الى الله من نفس واحد وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه ما بينى و بين الرجل الا ان أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وهذا ليس على اطلاقه وانما هو كما قال فى العوارف ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله مواهب الله تعالى الخاصة فيقع فى قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه بنظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى يكسبون بنظرهم أحوالا سنية ويهبون آثارا مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى ان الله سبحانه وتعالى كما جعل فى بعض الافاعى من الخاصة انه اذا نظر اليها الانسان يهلكها بنظره قادر بان يجعل فى نظر بعض خواص عباده انه اذا نظر الى طالب صادق يكسبه حالا

النفوس والقلوب والارواح لانه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها قال وهو قريب من الاول لان من عرف نفسه عرف ربه اه ثم قال وفى اختصار شرح خطبة الالفية كما ذكر موضوع النحو ما نصه وموضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ولذا يقال موضوع علم الطب بدن الانسان لانه يبحث فى علم الطب عما يعرض له من صحة ومرض (وأما واضعه) فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحى والالهام وأول من تكلم فيه واظهره سيدنا على كرم الله تعالى وجهه وأخذه عنه الحسن البصرى وأمه اسمها خيرة مولاة لام سلمة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبوه مولى زيد بن ثابت توفى الحسن سنة عشر ومائة وأخذه عن الحسن حبيب العجمى وهو حبيب بن محمد العجمى وأخذه عن حبيب أبو سليمان داود الطائى توفى سنة ستين ومائة وأخذه عن داود أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى رضى الله عنه وأخذه عن معروف الكرخى أبو الحسن سرى بن مغلس السقطى وتوفى سنة احدى وخمسين ومائتين وأخذه عن سرى امام هذه الطائفة ومظهر أعلام الحقيقة أبو القاسم جنيد بن محمد الخراز أصله من نهاوند ومنشؤه العراق وتفقه على أبى ثور صاحب الشافعى فكان يفتى على مذهب أبى ثور ثم صحب خاله السرى وابن الحارث المحاسبى وغيرهما وكلامه وحقائقه مدونة فى الكتب توفى رضى الله تعالى عنه سنة سبع بتقديم السين وتسعين ومائتين وقبره ببغداد مشهور يزار ثم انتشر التصوف فى أصحابه وهلم جرا ولا ينقطع التصوف حتى ينقطع الدين (وأما اسمه) فهو علم التصوف قال فى الدر الثمين وفى تسمية التصوف تصوفا أقوال قال الشيخ زروق رضى الله عنه فى قواعده وقد كثرت الاقوال فى اشتقاق التصوف

وحياة وقد كان يطوف بمسجد الخيف بنى فقيل له فى ذلك قال ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص أكسبوه سعادة فأنا أطلب ذلك اه وقال الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله رضى الله عنه فى لطائفه انما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار مما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه وقال فيها أيضا ليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذى سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك الذى رفع بينك وبين الله الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذى نهض بك حاله شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى مازال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولازال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك فى نور الحضرة وقال ها أنت وربك هنالك محل الولاية من الله ومواطن الامداد من الله وبساط التلقى من الله اه ولما كان أمر الشاذلية على هذا الحال الموصوف قال الشيخ أبو عبد الله الفروخى رحمه الله واعلم ان تربية الشاذلية انما هى بالهمة والملاحظة فقد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عن أستاذه انه أخذ عن تلميذ له ثم سأل أستاذه فقال يا سيدى وظف علىّ وظائف وأورادا قال فغضب الشيخ وقال أرسول أنا فأوجب الفرائض معلومة والمعاصى مشهورة فكن للفرائض حافظا وللمعاصى رافضا واحفظ قلبك من ارادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وايثار الشهوات واقنع من ذلك بما قسم الله لك اذا أخرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكرا واذا أخرج لك مخرج السخط فكن عليه صابرا وحب الله قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لانواع الكرامات وحصون ذلك كله أربعة صدق الورع وحسن النية واخلاص العمل ومحبة العلم ولا يتم لك هذا الا بصحبة أخ ناصح أو شيخ صالح ثم قال بعد ان ذكر كلام ابن الساحلى وغيره فى شروط الشيخ نحو ما تقدم وما يأتى لكنه باسط وأوعب وكيف يدرج المريد ويعامل قال اما ماذكره من الشروط فى المشيخة فصحيح ذلك كله فيمن يريد الجلوس على السجادة والتربية بدخول الخلوة والسلوك بطريق الاسماء وغير ذلك وقد تقدم ان طريق الشاذلية انما هى بالهمة اه وقد قال الشيخ أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه ارتفعت التربية بالاصطلاح فى سنة أربع وعشرين يعنى وثمانمائة من جميع الارض ولم يبق الا الافادة بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه عقب هذا الكلام ثم بعد كلامه هذا تتبعت الطرق التى بايدى الناس اصطلاحية فلم أجد مع أحد منهم حقيقة ولا طريقة ولا رسم الا مجرد النسبة يعرف ذلك من تأمله معتنيا انتهى وحكمة ذلك ان النفوس لما كانت قبل هذا قريبة من الحق محجوبة عنه بالاصطلاحات فلما بعدت عنه بغلبة الفساد على النفوس وحجبت بالظلمات لم يفد فيها ذلك لاحتياجها لتمام النور فانتقل الامر الى الهمم والاحوال كما كان فى الصدر الاول حيث كانت ظلمة الجاهلية غالبة ولم يفدها الا ظهور نور النبوة المذهب لكل ضلال وظلمة دون اصطلاح ولا غيره والامر جار بالوراثة على نسبته فافهم قال رضى الله عنه

﴿وان كان الا انه غير جامع * لوصفيهما جما على أكمل الامر﴾

وان ذلك بالحقيقة خمس أولها من الصوفة لانه مع الله تعالى كالصوفة المطروحة لا تدبير لها مع الله الثانى انه من الصفة اذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الاوصاف المذمومة الرابع انه من الصفاء وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستى رحمه الله

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا
جهلا وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صفا فصوفى حتى سمى الصوفى

الخامس انه منقول من الصفة لان صاحبه تابع لاهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وهذا هو الاصل الذى يرجع اليه كل قول وفيه والله أعلم قال سيدى الشيخ عبد الرحمن ابن هاشم الفاسى الحسنى رحمه الله تعالى ونفعنا الله تعالى بعلومه آمين وما نقل جميعه عن سيدى أحمد زروق رضى الله عنه هو موجود فى شرح الحكم لابن عباد وفيه ثم قال فى الدر الثمين اثر ما تقدم متصلا به وقيل سمى بذلك لانه يصفى القلوب وهو كما قال أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه تجريد القلب لله واحتقار ماسواه قال وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ورأيت فى شرح نظم لبعض شيوخنا وهو سيدى ابن زكوان والشرح لسيدى الامام الهجورى رضى الله تعالى عنهما عند قوله

علم به تصفية البواطن
من كدرات النفس فى المواطن

ما نصه التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس أى عيوبها وصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وطلب العلى وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والانفة والطمع والبخل وتعظيم الاغنياء ﴿فاقرب

﴿وأقرب أحوال العليل الى الردى * اذا لم يكن منها الطبيب على خبر﴾

كان تامة وفاعلها ضمير ما قبلها أى وان وجد عنده العلم الظاهر والباطن وضميرانه للمتكلم عليه وغير جامع خبرانه ولوصفيهما أى لهما فالاضافة بيانية وهو متعلق بجامع وجمعا مفعول مطلق وعلى أكمل الامر صفة لجمعا أى جمعا معتبرا وقوله وأقرب يحتمل انه جواب الشرط بناء على ان كلا من لفظى العليل والطبيب استعارة تحقيقية للمريد والمراد وعلاقتها السياق اذ الكلام فيما يتعلق بهما على هذا فاذا من قوله اذا لم يكن منها الطبيب الخ للمفاجأة بمعنى اذ على حد قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة واذا حققنا المناط قلنا انه علة للجواب لا نفس الجواب وهو سائغ ومنه قول الشاعر

فان يكونوا برآء من جنايته * فان من نصر الجانى هو الجانى

والأصل فان يزعموا انهم برآء من جنايته فقد كذبوا لان من نصر الجانى هو الجانى والاصل أيضا فى كلام الناظم فليس بأهل للمشيخة لان أقرب أحوال العليل الخ ويحتمل الاستعارة ويكون لا محالة أقام علة الجواب مقامه والاصل الاقرب بمقلده القاصر صدور أمور على رأيه الهلاك لان الشيخ بمثابة الطبيب والمريد بمثابة العليل وأقرب أحوال العليل الخ وحذف بدر العلة لوضوحه والشيخ فى منزلة الطبيب مما جرى مجرى الامثال بين أهل هذا الطريق وعلى هذا يحتمل الذى قبله فاذا على بابها من الاستقبال ويقع فى بعض النسخ كما فى الاصل اذا لم يكن منها أى من أحوال العليل وفى بعضها اذا لم يكن منه أى من العليل والردى الهلاك والطبيب الحاذق بالطب والخبر بكسرها ويفتحها العلم بالشئ ﴿يقول﴾ والله أعلم وان كان عند المتصدر للتربية العلم الظاهر والباطن الا أنه غير جامع لهما جمعا تاما معتبرا ليس له تبحر فى الباطن ولا اتقان ما لا بد منه من الظاهر فليس بشيخ لان أقرب أحوال المريد القاصر أمره عليه المتبع لما يشير به عليه الى الردى والانقطاع اذا لم يكن منه الشيخ على علم وتجربة وبصيرة فى أحواله لان الشيخ فى الامراض القلبية بمنزلة الطبيب فى الامراض البدنية فكما ان الطبيب اذا لم يكن عالما بالمرض من حرارته وبرودته ودرجته وغير ذلك حتى يعالجه بضده ولم يكن له علم أيضا بالازمنة والامكنة والسن والصناعة وأعيان الاعشاب والعقاقير وكيفية تركيبها واقدار الذى يعمل منها ساق العليل الى الهلاك وهو لا يدرى كذلك الشيخ اذا لم يكن عارفا بما يليق بقابلية المريد واستعداده ووضعه على سبيل التجربة والبصيرة النافذة والتحقيق لم يكن له علم بذلك تام حتى يعامل كلا بما يليق به ويضع كل شئ فى محله على قدر وجهه أفسد أكثر مما يصلح قال الامام أبو حامد رضى الله عنه وكما ان معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج العليل ما لم يعرف ان العلة من حرارة أو برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها أهى خفيفة أم قوية فاذا عرف التفت معه الى أحوال البدن وصناعة المريد وسنه وسائر أحواله فعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغى ان لا يهجم بالرياضة والتكاليف فى فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم وقال الشيخ محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه ومتى لم يكن الطبيب عارفا بأعيان الاعشاب والعقاقير عارفا بتركيب الادوية فانه مهلك للمريض فان العلم من غير معرفة العين لا يفيد فلا بد من عين اليقين الا ترى لو كان للعشاب غرض فى اهلاك المريض فاذا وصف الطبيب الدواء من جهة كونه عالما به ولا يعرف شخص الدواء وقلد العشاب فى ذلك فأعطاه العشاب ما فيه هلاك العليل وهو يقول هذا مطلوبك فيسقيه

والاستهانة بالفقراء لان علم التصوف يطلع على العيب والعلاج وكيفيته فبعلم التصوف يتوصل الى قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بذلك الى تخلية القلب عن غير الله وتحليته بذكره سبحانه وتعالى ولذا قال امامنا وسيدنا العارف بالله تعالى والدال به عليه الغوث سيدى أبو الحسن الشاذلى قدس سره من لم يتغلغل من علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لم يشعر وحاصل معنى التصوف كما قال المحققون التصوف كله خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف ولذلك مدح الله عز وجل نبيه وحبيبه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ﴿وأما استمداده﴾ فقال سيدى الشيخ أحمد بن عجيبة أيضا فى شرحه على الحكم انه مستمد من الكتاب والسنة والهامات الصالحين وفتوحات العارفين وقد أدخلوا فيه شيأ من علم الفقه لمس الحاجة اليه فى علم التصوف حرزها الغزالى رضى الله تعالى عنه فى الاحياء فى أربعة كتب كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهلكات وكتاب المنجيات وهى فيه كمال لا شرط الا ما لا بد منه فى باب العادات والله تعالى أعلم ﴿وأما حكم الشارع فيه﴾ فقال الغزالى رضى الله تعالى عنه انه فرض عين اذ لا يخلو أحد من عيب الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومما يؤيد ذلك قول الامام الشاذلى رضى الله تعالى عنه المتقدم آنفا فى اسم التصوف من لم يتغلغل من علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وحيث كان فرض عين يجب السفر الى من يأخذه عنه اذا عرف بالتربية واشتهر الدواء على يديه وان خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد كالهلالى والسنوسى وغيرهما قال الشيخ السنوسى صاحب العقائد رضى الله عنه النفس اذا غلبت كالعدو اذا لجا يجب مجاهدتهما والاستعانة

عليهما وان خالف الوالدين كما فى العدو واذبرز ولله در القائل فى هذا المعنى أخاطر فى محبتكم بروحى * واركب بحركم اماواما
واسلك كل فج فى هواكم * واشرب كاسكم لو كان سما ولا أصغى الى ماقد نهانى * ولى أذن عن العذال صما
أخاطر بالخواطر فى هواكم
واترك فى رضاكم أباواما
وقال فى الدر الثمين بعدما نقل منه آنفا مما يتعلق بوجه تسمية هذا العلم مانصه ثم قال يعنى سيدى الامام المنجورى والله أعلم فى شرح قول سيدى بن زكوان
وذاك واجب على المكلف
تحصيله يكون بالمعرف
يعنى ان علم التصوف فرض عين على كل مكلف وذلك ان الانسان لاينفك من دواعى الشر والرياء والحسد فيجب ان يتعلم مايتخلص به عن ذلك قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه وكيف لايجب عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث ولاينفك بشر عنها وعن بقية ماسنذكره من مقدمات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما وتتبع هذه الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولايمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها فان من لايعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة الشئ بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثرها ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لايعنى ثم نقلت من الشرح مايتبين به معنى قول الناظم تحصيله يكون بالمعرف فذكر ان المراد بالمعرف هو الشيخ اذ هو الذى يعرف للمريد عيوب نفسه وخبايا حظوظها وسيأتى نقل ذلك ان شاء الله تعالى عند مايتعلق بالكلام على الشيخ بحول الله وقوته وهو الموفق سبحانه (واماتصوّرمسائله) فقال سيدى الشيخ أحمد بن عجيبة رضى الله تعالى عنه فى شرحه أيضا هى القضايا

الطبيب للمريض فيهلك فاثمه فى عنق الطبيب والعشاب فان الطبيب كان الواجب عليه أن لايداوى الا بما يعرف عينه وشخصه فكذلك الشيخ اذا لم يكن صاحب ذوق وأخذ الطريقة من الكتب لامن أفواه الرجال وقعد يربى المريدين طلبا للرتبة والرياسة فانه مهلك لمن يتبعه لانه لايعرف موردا الطالب ولامصدره فلا بدان يكون عند الشيخ دين الانبياء وتدبير الاطباء وسياسة الملوك وحينئذ يقال له أستاذ وقد ذكر فى العوارف انه ينبغى للشيخ ان يتفرس فى المريد ويعامله على حسب صلاحيته واستعداده فقال ثم ينبغى للشيخ أن يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة مايتأتى منه ومن صلاحيته واستعداده فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض وأحوال القوالب وطريق الابرار ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين من المريدين لمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الابرار والمقربين من مبادى ونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص ومايصلح له والعجب ان الصحراوى يعرف الارضين والغروس ويعلم كل غرس وأرضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعرف قطنها ومايتأتى منه والغزل ودقته وغلظه ولايعلم الشيخ حال المريد ومايصلح له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يأمره بالانفاق ومنهم من أمره بالامساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كأصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس ومايصلح لكل أحد فامافى رتبة الدعوة كان يعمم الدعوة لانه مبعوث لاثبات الحجة وايضاح المحجة يدعو على الاطلاق ولايخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره ثم أشار الى العلامة الثانية وهى الاذن الخاص فى الدعاء الى الله والارشاد الخاص فقال رضى الله عنه

﴿ومن لم يكن الا الوجود اقامه * وأظهره منشور ألوية النصر﴾
﴿فأقبل أرباب الارادة نحوه * بصدق يخلى الهش فى جلد الصخر﴾

قال الشيخ أبو اسحق بن دهاق رضى الله عنه اسم الوجود يطلق على العالم كله أى جميع أجزائه وعلى رب العالم سبحانه اه والمراد هنا مايليق بالمحل من الاول وهو الناس ومن اسم شرط مبتدا ويكن فعل الشرط والوجود فاعل اقامه ومنشور ألوية النصر فاعل أظهره ان قرئ بالرفع وان قرئ بالنصب كان حالا وفاعل أظهره ضمير يعود على الوجود وقوله فأقبل أرباب الارادة عطف على أظهره والفاء تؤذن بسرعة اقبالهم نحوه عند انكباب الخلق عليه وذلك لحسن نيتهم وعزتهم لكونهم مبتدئين واقفين مع الحسن لم ينفذوا بعد الى محل التحقيق وبصدق متعلق باقبل والارادة قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه هو نهوض الهمة لطلب القرب من الله وفى العوارف قال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة والصدق هنا بمعنى النية وحقيقتها التفات القلب الى مايراه موافق الغرض امافى الحال واما فى المآل وبمعنى العزم والتصميم ويخلى بالخاء المعجمة والهش هنا الاثر وفى بعض النسخ يحل مضارع احل والمس بدل الهش والمعنى واحد لان يحل من قولهم أحللت بالمكان وفى جلد الصخر متعلق بيخلى وفى بعض النسخ جامد بدل جلد والصخر هو الحجر العظيم الصلب يكون من اضافة الشئ الى نفسه والجلد هو الصلب أى صلب الصخر والمعنى هنا واحد وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره فهو كذلك أى غير مقبول كالذى قال له قال الله تعالى واللائى لم يحضن أى فكذلك أى فعدتهن ثلاثة أشهر كالتى قبلهن وهن اليائسات من المحيض ان ارتبن (يقول) والله أعلم ومن لم يكن له اذن خاص من ربه ولا من شيخه الذى

هو في الحقيقة اذن من الله سبحانه اما العدم وجود الانتفاع به من أجل كونه عقيما وان كان كاملا في نفسه واما العدم تمكنه من حاله حتى يأمن النقص بمباشرة الخلق ويكون بحيث لو ان ملوك الارض وقفوا في خدمته ما شغله عن الله طرفة عين ولا لحظة ولا استطال ولو دخل الحضرة وقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار وما أثبته في التربية الا الناس بقبولهم عليه وصدق رغبتهم فيه لما رأوا له من حسن المعاملة وأظهره أولئك الناس منشورا اعلام التربية والامانة للمريدين في سلوك طريقهم بما نشروا من صيته وعلوا من ذكره وقدموه على نفوسهم وفوضوا اليه أمورهم فأقبل بسبب ذلك أهل نهوض الهمة لطلب القرب من الله بحسن نية وعزم وتصميم جازم قوي ليس فيه ميل ولا ضعف ولا تردد لفرط تعطشهم الى من يوصلهم الى ربهم فهو أي هذا الشيخ المتصدر للمشيخة بسبب اثبات الخلق له فيها كذلك أي غير مقبول لتعرضه بخروجه للخلق بنفسه وظهوره لهم من غير اذن من ربه لما لم يكن أهلا له ولا جعل مستحقه فكلامه وان كان حقا فهو محجوب بالهوى ومعلول بظهور نفسه فيه فربما ضر أو زاد في الضرر كالمجذوم يريد ان يداوي مثله فلا يزيده الا قربا منه الاجذاما وسنة الله مع أنبيائه وأوليائه أن لا يخرجوا للخلق الا باذنه فيكونون في خروجهم بالله واما ما اذا فالفساد اليه أسرع ولا يحصل به منتفع وأصل البيتين قوله في العوارف أدم الآداب أن لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة الاستتباع فاذا رأى ان الله بعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الارادة يحذر ان يكون ذلك ابتلاء واختبارا من الله تعالى والنفس مجبولة على محبة قبول الخلق والشهرة وفي الخمول السلامة فاذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الحق اياه انه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم كلام الناصح المشفق كالوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وقال فيها أيضا ومن جملة المقاصد بالسفر ايثار الخمول وترك حظ القبول بصدق الصادق قيم على حسن الحال ويرزق من الخلق حسن الاستقبال وقلما يكون صادق متمسك بعروة الاخلاص وقام بأمر الا ويرزق قبول الخلق حتى سمعت بعض المشايخ يحكي عن بعضهم انه قال أريد اقبال الخلق علي لا لاني أبلغ نفسي حظها من الهوى فاني لا أبالي أقبلوا أم أدبروا ولكن لكون قبول الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلي المريد بذلك لا يأمن من نفسه ان تدخل عليه بطريق الركون الى الخلق وربما فتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول في الاسباب المحمودة وتريه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله ببذل الموجود واستجلاء قبول الخلق وربما أوقعه باعامه بجراه الى التصنع والتعمل ويتسع الخرق على الراقع وسمعت ان بعض الصالحين قال لمريد له أنت الآن وصلت الى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذه مزلة عظيمة للاقدام فبالله تعالى يدرك الصادق اذا ابتلي بشيء من ذلك بزعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة الى السفر فيفارق المعارف والموضع الذي فتح عليه هذا الباب ويتجرد لله تعالى بالخروج الى السفر وهذا من أحسن المقاصد في الاسفار للصادقين ثم قال اذا من الله تعالى على الصادق باحكام أمور بدايته وقلبه في الاسفار ومنعه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقش في قلبه فوائد النظر الى حال المتقين وتعطر باطنه باستنشاق عرف المقربين وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته ولبس أحوال النفس واسفر السفر عن دقائق أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط من باطنه نظر الخلق وصار يغلب ولا يغلب كما قال الله تعالى اخبارا عن موسى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين فعند ذلك يرده الحق الى مقامه وبعده يجزيل

التي يبعث المريد عنها ككون الاخلاص شرطا في العمل والزهد ركنا في طريق السير واسقاط الجاه شرطا في تحقيق ذروة كمال الاخلاص والاعراض عن الكونين شرطا في كمال الشهود الى غير ذلك من مسائله قال الشيخ عبد الرحمن الفاسي الحسني رضي الله تعالى عنه قوله هنا ككون الاخلاص شرطا في العمل نقل نحوه في الدر الثمين من شرح الامام المنجوري أيضا على قول الناظم

به وصول العبد للاخلاص
روح العبادة بالاختصاص

ونص المنقول الاخلاص افراد الله بالطاعة بالمقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق واكتساب محمدة عند الناس ومحبة مدح الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به الى الله تعالى ولا شك ان العبد انما يصل الى هذا باطلاعه على عيوب النفس وآفات العمل وكيفية العلاج حتى يتحرز من الرياء الخفي وقصد الهوى النفسي ثم قال وأشار بقوله روح العبادة بالاختصاص أي بسبب اختصاص العلم بالله سبحانه الى قول الشيخ ابن عطاء الله الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها قال سيدي أبو عبد الله محمد بن عباد اخلاص كل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها وجود أهلية القبول لها وبدون ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك اشباحا بلا أرواح وصورا بلا معنى قلت والى هذا أشار في النفحات نقلا عن سيدي أبي المواهب التونسي رضي الله تعالى عنه وعنا به بما نصه وكان يقول يعني سيدي أبا المواهب عبادة المريد مع محبته للدنيا شغل قلب وتعب جوارح فهي وان كثرت فهي قليلة عند الله تعالى وانما هي كثيرة

انعامه ويجعله اماما للمتقين به يقتدى وعلما للمؤمنين به يهتدى اه ومن هذا قول الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى لطائفه اعلم ان مبنى أمر الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاقتداء بشهوده قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه وتعالى أليس الله بكاف عبده وقال عز من قائل ألم يعلم بان الله يرى وقال جل جلاله أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد فبنى أمرهم فى بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا فى اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شئ اليه وظهور الولى ليس بارادة نفسه لكن بارادة الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد الله سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم فى ذلك بتأييده وأورثات مزيده لقوله عليه السلام يا ابن عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه وقد حذر الائمة رضى الله عنهم فى غير ما كتاب المريد من الوقوف مع قبول الخلق والاصغاء اليهم والرجوع لهدايتهم قبل التمكين والرسوخ فى اليقين لما يخشى عليه فى ذلك من العلل القادحة فى حاله وتوحيده ويكفى فى ذلك ما للامام أبى حامد رضى الله عنه فى كتابى رياضة النفس والغرور من الاحياء فانه أوضح فيهما السبيل وأشفى الغليل فراجعه ان شئت وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى قول أبى عثمان الحيرى رضى الله عنه من لم تصلح ارادته بدأ لا يزيده مرور الايام الا ادبارا قال فمن أراد أن تصلح ارادته فليوصل أمره على العلم برفض الجهل على رفض الريب بالاقبال على الآخرة ويلازم الخلوة ودوام الذكر فهنالك تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء فى الوجه ويقبل الناس عليه من الرجال والنساء الحواضر والبوادى ويسارعون الى اكرامه والاقبال عليه والسلام والتعظيم فان قبل ذلك منهم قبل التمكين والتحقيق سقط من عين الله ورد الى ما خرج عنه فتراه يمدح هذا ويحتال على هذا ويعرض عن هذا أو يغضب على هذا فقد ظهرت عورة نفسه بادباره عن ربه ورفض محاب الله بمحاب نفسه فاحذر واهذا الداء العظيم فقد هلك خلق كثير واعتصموا بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وأما ما ذكرنا من الاذن من الله ومن الشيخ فسره تقدم فى كلام لطائف المنن وكذا النص على الاذن من الله فيه وفى العوارف عن الشيخ محيى الدين الحاتمى رضى الله عنه ومن شروطه يعنى الشيخ أن لا يقعد فى مقام الشيوخة الا أن يقعده أستاذه أو يقعده ربه بما يلقى اليه فى سره على الامر المعهود له مع ربه فى الاخذ عنه اه وقد صرح الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الساحلى رحمه الله فى مواضع من كتابه بغية السالك بانه لابد من الاذن من الشيخ فقال فى مواضع فى اثناء كلام ويتخلص من نفسه على يد وارث آخر حتى صار على بينة من ربه وأهله الله لهداية غيره وخصصه بالقوة المقتضية ذلك وحصل له الاذن الصحيح الصريح ذلك من قوته ومتى قصر عن هذه الاوصاف فهو معلول وفى موضع آخر بعد كلام فى تدريج المريد الى أن يكمل قال عند ذلك تملكه القدوة زمام نفسه وأمنه على حفظ سره وأعلمه أنه على بينة من ربه فان كان ممن أهله الله لهداية غيره أذن له فى ذلك والا قصر نظره على نفسه اه ففى هذا اشارة الى ما ذكرنا من المقام مع كماله فى نفسه وقد قال فى العوارف فمن الآباء من

فى وهم صاحبها وهى صور بلا أرواح انما هى أشباح خالية ولهذا ترى كثيرا من أرباب الدنيا يصومون كثيرا ويصلون كثيرا ويحجون كثيرا وليس لهم نور الزهاد ولا حلاوة العباد ونقل الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى فى فتح البارى على صحيح البخارى لما فسر قوله صلى الله عليه وسلم فى آخر الصحيح كلمتان الى قوله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم عن ابن بطال ونصه قال ابن بطال رحمه الله تعالى هذه الفضائل الواردة فى فضل الذكر انما هى لاهل الشرف فى الدين والكمال كالطهارة عن الحرام والمعاصى العظام فلا تظن ان من أدمن الذكر وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته انه يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازلهم بكلام أجراه الله على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح اه ثم قال سيدى الشيخ ابن عجيبة رحمه الله فى شرحه على الحكم ﴿وأما فضيلته﴾ فقد تقدم ان موضوعه الذات العلية وهى أفضل على الاطلاق فالعلم الذى يتعلق بها أفضل على الاطلاق اذ هو دال باوله على خشية الله وباوسطه على مكالمته وبآخره على معرفته والانقطاع اليه ولذلك قال الجنيد لو نعلم ان تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه اه وقال الشيخ الصقلى رحمه الله تعالى فى كتابه المسمى بنور القلوب فى العلم الموهوب وكل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لا يدرك والبحر الذى لا ينزف وقال آخر اذا رأيت من فتح له فى التصديق بهذا العلم فبشره واذا رأيت من فتح له بالفهم فيه فاغتبطه واذا رأيت من فتح له فى النطق فيه فعظمه واذا رأيت منتقدا عليه ففر منه واهجره وما من علم الا وقد

تنقل

يقع الاستغناء عنه فى وقت مّا الاعلم التصوف فلا يستغنى امرؤ عنه فى وقت من الأوقات (قلت) وسيأتى مزيد بيان لفضيلة هذا العلم فى غير هذا المحل ان شاء الله تعالى ﴿وأما نسبته من العلوم﴾ فقال سيدى الشيخ ابن عجيبة رضى الله تعالى عنه هو كلى لها وشرط فيها اذ لا علم ولا عمل الا بصدق التوجه الى الله تعالى فالاخلاص شرط فى الجميع هذا باعتبار الصحة الشرعية وباعتبار الجزاء والثواب وأما باعتبار الوجود الخارجى فالعلوم توجد فى الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة أو ساقطة ولذلك قال الامام السيوطى رضى الله تعالى عنه نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو يعنى هو كمال فيها ومحسن لها وقال الشيخ زروق رضى الله تعالى عنه نسبة التصوف من الدين كنسبة الروح من الجسد لانه مقام الاحسان الذى فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل بقوله ان تعبد الله كانك تراه الحديث اذ لا معنى له سوى ذلك اذ مداره على مراقبة بعد مشاهدة أو مشاهدة بعد مراقبة والا لم يصح له وجود ولم يظهر موجود فافهم اه ولعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع الى البقاء ثم قال فى الشرح أيضا ﴿وأما فائدته﴾ فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب قال واعلم ان هذا العلم الذى ذكرنا ليس هو علم اللقلقة باللسان وانما هو اذواق ووجدان ولا يؤخذ من الاوراق وانما يؤخذ من أهل الاذواق ليس ينال بالقيل والقال وانما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال والله ما أفلح من أفلح الا بصحبة من أفلح وبالله التوفيق وهذا أوان الشروع فى بيان الابواب المتقدم ذكرها والله سبحانه هو المسؤل ان يرشدنا بفضله الى سلوك أحسن المسالك ويقينا ويحفظنا مما لا يرضاه منا ويلطف بنا لطفا خفيا يبعدنا عن ساحة المهالك وهو

تنقل الذرات فى صلبه ومنهم من لم تودع فى صلبه فينقطع نسله هذا فى المشايخ من يكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والاحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من يقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وقال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه فكما ان فى أرباب الأصلاب من يكون عقيما فى الولادة مع توفر قواه كذلك من أرباب الحقائق من يوجد عقيما مع علومقامه فتمسك عن تنتفع به ودع ما وراء ذلك اه وما ذكره أبو عبد الله الساحلى من أنه لابد من الاذن الصريح من الشيخ هو الذى يقوى فى النفس لان الشيخ اذا أذن للمريد فقد ارتفع الوهم والايهام لكمال معرفته بالله وثقته عن الله فاذنه اذن الله حقيقة وأما انه يستقل ذلك عما يجده من الخطاب فى باطنه وغير ذلك فلا أراه لان المريد قد يكون له هوى كامن فى ارادة ذلك وقد لا يشعر به فتنطبع حقيقته فى قلبه وترتسم فى خياله وتحدثه نفسه بذلك فيظن ان ذلك من قبل الحق تعالى وان الحق خاطبه فيه لذلك فيفتتن ويفتن فليحذر المريد من هذا اذ ليس ذلك المقام ينبغى لكل أحد وانما هو لقوم صدقوا فى التقوى وكمل زهدهم فيما سوى المولى وتحققوا بالعبودية وقاموا بحقوق الربوبية ولم يبق للهوى عليهم سلطان فصفت منهم الاسرار وعمرتهم الانوار فاذا وجدوا شيأ فى بواطنهم من هذا القبيل أو غيره فروا الى الله منه حتى تبرأ ساحتهم من الهوى والهوى فى بواطنهم ان ذلك حق بحيث لا يمكنهم تكذيبه ولا يصح منهم رده ولا يصحب هوى وتنبلج له صدورهم وتنشرح به قلوبهم ويسرى فى عوالمهم سرايته يفهمون بها حقيقته واعلم أن الوجود وان كان يطلق على اسم الحق وعلى الخلق كما تقدم لكن يتعين حمله هنا فى البيت على الثانى ولا يصح حمله على الاول لان هذا التركيب الذى هو ومن لم يكن ان استقريته وجدته تارة لا يذكر فيه استثناء وتارة يذكر فيه الاستثناء التام فالاول لتصوير المسئلة ليس الا كقوله ومن لم يكن سلب الارادة الى آخر البيت ومن لم يكن يدرى العروض البيت والثانى اذا كان الجزاء فيه صفة ثبوتية كما هنا على هذا المعنى بحسب الفهم القويم والطبع المستقيم الا كتفاء والقناعة بأدنى مسكة من الشئ ومن لم يكن يحسن الا الصفة فصلاته صحيحة وذلك يؤدى فى هذا المقام الى سوء أدب وخشونة عبارة لا يجوز اطلاق مثلها فى مثله بل يتضاءل اللسان ويستنكف عن ان يتشيع لها لان الخارج منها ان اقامة غير الله أتم من اقامة الله وهو فاسد مع كون الناظم أيضا أتى به فى سياق هذه الابيات التى نص فيها على من لا توجد فيه شروط المشيخة وكذا فى العوارف ذكر هذه المسئلة أولا كما قدمنا ثم أعقبها بما يأتى فى قوله وآيانه ان لا يميل الى هوى ثم على قوله وان كان الا انه غير جامع ثم ما يأتى على قوله وان كان ذا جمع وما يقال أيضا ان الوجود هم الناس ولكنه مقبول لكونه حيث نصر الله به المريدين على أهوائهم وشياطينهم يحتمل ان يكون كلمه بعض رجال الغيب وان لم يكلمه شيخه ولا اذن له لوفاته قبل ذلك فلا معول عليه لانه يفتح للمدعين بابا الى دعوتهم ويضرب للمبطلين طريقا الى هوسهم والخطأ فى ألف محق بعد الاتباع أخف من الخطأ فى مبطل واحد بالاتباع وقد قدمنا عن أئمة هذا الشأن انه لابد من التمكين ثم الاذن من الله أو الشيخ الذى اذنه باذن الله ليكون فى الاشياء بالله لا بنفسه حتى يكون معانا مؤيدا منصورا والخلق ليس لهم فى هذا مدخل لا بنفى ولا باثبات وانتفاعهم لا يدل على شئ لان ذلك من صدقهم كما قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه المريد ينتفع بصدقه وان كان الشيخ مخالفا لما يتبعه فى مخالفته فيضل أعظم من ضلاله اه وقوله يحتمل أن يكون قد كلمه بعض رجال الغيب أمر محتمل والمطلوب أن يكون المريد فى الشيخ على بصيرة ويقين وان كان مبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن عند موجبه وان ظهر معارض لكن فى باب الاقتداء لابد من

اليقين لانه بقدر قوة يقينه فيه ورؤيته كمال أهليته يجمع بقلبه عليه وينتفع به وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه مبنى الطريق على التسليم والتصديق ومبنى الاقتداء على البحث والتحقيق وهما متنافيان في القصد ولابد منهما للمريد الاقتداء فالكن التسليم عقده والتصديق أصله وحسن الظن أساسه والتحقيق عمدته فان وجد محلا للاقتداء اتبع وان لم يجد محلا سلم وتبرك وان قام له عارض من الاقتداء تبرأ منه فارا الى الله طالبا منه دونه ليحصل على سلامة الصدر وحسن الظن ﴿فائدة﴾ كثيرا ما يقع في هذه الاعصار تشييع الاموات والاستناد اليهم وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه التمسك بالاموات من قلة الاعتقاد في الاحياء وذلك من نقص الهمة اللهم الا أن يكون ذلك على سبيل التعرض لنفحات الرحمة في الزيارة لطلب الزيادة فمدد الميت أقوى من مدد الحي لانه في بساط الحق ولان المتعلق به عري عن الاغراض والعوارض من الاستئناس ونحوه كما قال شيخنا أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه وكرامة الله لاوليائه لا تنقطع بموتهم بل ربما زادت كما هو معلوم في كثير منهم اه وكثيرا ما يقول مولاي الوالد رضي الله عنه اذا ذكرت تشييع الميت بين يديه لا تجد المستند اليه ان حصل له شئ من هذا الطريق الا صاحب حال غير راجع لحسه ناقص تهذيب وتدريب ويوضح ذلك بما يغني عن ذكره ما كتب في ذلك فقال رضي الله عنه بعد كلام ومن ثم لا يصح تشييخ الميت مع وجود الحي وان كان أفضل فغلبة نورانية الذاكر لا تخمد الاعقابلة ظلمانية الاجساد الصقلية فمشاهدة الشيخ الحي تعتدل حقيقته وتهمد نورانيته لما في ذلك من الاستئناس بالحس والرجوع الى الجنس لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته مع ما في ذلك من التأديب والتهذيب والتدريب المفقود من الميت فالمستند اليه وان تنور ووجد له أثر الا تجده الا ناقص تهذيب أو يكاد والله أعلم ومن الآيات ما يشهد لذلك ويشير لمن يفهم ألا له الخلق والامر عالم الغيب والشهادة اياك نعبد واياك نستعين وغيرها من الآي فاعتبرها وقف عليها وبالله التوفيق ثم أشار الى العلامة الثالثة وهي عدم الميل الى الهوى فقال رضي الله عنه

﴿وآيته أن لا يميل الى هوى * فدنياه في طي وأخراه في نشر﴾

انما قال وآيته كذا مع ان المناسب ان يقول وأن لا يميل الى هوى عطفا على العلامتين قبله لتنزيل هذه العلامة لتأكد اشتراطها منزلة شئ قائم بنفسه خارج عما قبله كما يقال جاء الرجال وزيد مثلا وقوله ودنياه فرعه على عدم اتباع الهوى لان حب الدنيا ينشأ عنه الميل للهوى ونفي المسبب يستلزم نفي السبب من حيث هو سبب وفي قوله فدنياه في طي وأخراه في نشر من أنواع البديع المطابقة ويسمى بالطباق والتضاد وهو الجمع بين معنيين يكون بينهما نوع من أنواع المقابلة والمنافاة حقيقة أو اعتبارا ولو في صورة ما كالضحك والبكاء والطي والنشر هذا ان اعتبرت الطي والنشر على الانفراد وان اعتبرت مجموع الكلام ففيه المقابلة لانه قابل الدنيا والطي بالآخرة والنشر في الآخرة يقابل الدنيا والنشر يقابل الطي وهذه حقيقة المقابلة يقول والله أعلم وعلامة الشيخ المتأهل للتربية أيضا مع ما قدمنا عدم الميل والانحراف الى الهوى في دعائه الخلق الى الله وتربيته لهم من طلب الاستجلاب وصرف الوجوه اليه ومحبته وغير ذلك فيكون اذذاك بساط دنياه من جاه ومال وهي أعظم أركانها مطويا بالادبار عنها وزرابي أخراه منشورة مبسوطة لمن يريد سلوك طريق الكمال لاتصافه بما يبلغ اليها قولا وفعلا وحالا كل شئ منه يدل على الله سبحانه قد أقبل على الله تعالى فنقطع علائق الدارين لا يريد منهما سواه تعالى وكمال معرفته بحقارة الوجود بالاضافة الى جلال الله وكبريائه وعظمته فلا يدعو عباد الله الى الله الا بالله وبالله قال الشيخ أبو

حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وآله وأصحابه الاكارم ﴿الباب الاول﴾ في ثبوت نسبة شيخنا وأستاذنا مربي المريدين بالهمة والحال وموصلهم الى مقامات الرجال العارف بالله تعالى والدال به عليه سيدي الشيخ محمد بن محمد الفاسي المغربي الشاذلي نزيل مكة المشرفة الى طريقة الامام العارف بالله تعالى الهمام الكامل الولي سيدنا وبركتنا ووسيلتنا الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره ونفعنا الله ببركاته آمين وذكر شيوخ سلسلة هذه الطائفة الشاذلية التي لا يخفى فضلها الا على من طمس الله بصيرته وأظلم سريرته وفضل النسبة وشرفها وبيان سند القوم في تلقينهم العهود والاوراد والاذكار من السنة المحمدية عالية القدر والمنار اعلم يا أخي جعلني الله واياك من أهل حبه وأتحفني واياك بوجود قربه وأذاقني واياك من شراب أهل وده وامنني واياك بدوام وصله من اعراضه وصده ووصلني واياك بعباده الذين خصهم بمراسلاته وجبر كسر قلوبهم لما علموا انه لا تدركه الابصار بانوار تجلياته آمين قال القطب الرباني العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في النفحات القدسية اعلم رحمك الله تعالى ان كل مريد لم يعرف آباءه وأجداده في سلسلة الطريق فهو عاجز وربما انتسب الى غير أبيه فيدخل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من انتسب الى غير أبيه وقالوا من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ثم انه لا يصح الانتساب الى القوم الا بصحة الاقتداء بهم في أخلاقهم وذلك أقرب من النسب الصلبي كما قال سيدي عمر بن الفارض

أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه في نظمه للحكم

ان التواخي فضله لاينكر * ولو خلا من شرطه لايشكر
مقاله وحاله سيان * مادعوا الا الى الرحمن
والشرط فيه ان تواخي العارفا * على الحظوظ وللحظوظ صارفا
أنواره دائمة السرايه * يفيد قد حفت بك الرعايه
فهذه فائدة التواخي * فلا يكن منك بها تراخي
وقاصدا لفاقد هذا الشرطا * بصحبة يفقدها قد خطا
لكونه رأى منها محاسنه * فنفسه ذات اعتذار دائمه

وقال الشيخ أبو عبد الله الساحلي الاول يعني من الامور التي تشترط في الشيخ أن يكون مخلصا من هواه قد ملك زمام نفسه بالطهارة حتى صارت نورا يهتدي بها وتجلى الحقائق فيها حين خرجت عن طور الاهواء الجسمانية حتى انه اذا تكلم تكلم بالله واذا صمت صمت بالله واذا نظر نظر بالله واذا تحرك تحرك بالله واذا سكن سكن بالله اه وأصل البيت قوله في العوارف فالقول كالبذر يقع في الارض فاذا كان فاسدا مفسودا لا يرجع وفاسد الكلمة يدخل الهوى فيها فالشيخ ينقي بذر الكلام من عشوب الهوى ويسلمه الى الله تعالى ويسأل الله تعالى المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريد أمين الالهام كما ان جبريل أمين الوحي فكما لا يخون جبريل في الوحي كذلك الشيخ لا يخون في الالهام وكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس في القلب شيآن احدهما استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وما هذا من شأن الشيوخ والثاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين والشيخ فيما يجري على لسانه وافد النفس تشغله مطالعة نعم الحق في ذلك وأخذ الحظ من فوائده ظهور النفس بالاستحلاء والعجب ثم قال وكل مريد أو مسترشد ساقه الله اليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر الالتجاء اليه ان يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المريد الا وقلبه ناظر الى الله تعالى ومستعين به في الهداية للصواب من القول سمعت شيخنا أبا النجيب السهروردي يوصي بعض أصحابه ويقول له لا تكلم أحدا من الفقراء الا في أصفى أوقاتك وهذه وصية نافعة لان الكلمة تقع في سمع المريد الصادق كالحبة تقع في الأرض وقد ذكرنا ان الحبة المفسودة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحورا من العلم فعند الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغي ان يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من القلب وكما ان اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند العبد فيكون ناظرا الى الله تعالى مصغيا اليه ملقيا ما يرد عليه مؤديا للامانة فيه اه وربما أخذ من قول الناظم عيل بلفظ المضارع المقتضي للتكرار والدوام ان المخل في المشيخة كون اتباع الهوى شأنه وديدنه وهو كذلك لان وقوع الزلة والزلات والهفوة والهفوات لا يقدح والعصمة غير موجودة في حقه * ولما فرغ من علامات الشيخ التي يجب ان يتصف بها أشار الى التحذير من الاغترار والغلط فيمن خلا من العلامات المتقدمة وبظهر باطعام الطعام ليس الا وينتشر صيته بذلك فقال رضي الله عنه

﴿وان كان ذا جمع لأكل طعامه * مريد فلا تصحبه يوما من الدهر﴾

قوله مريده ومنادى بحرف النداء وفي بعض النسخ بنصب مريد منونا وذلك يجري على انه لم يقصد مريدا معينا وفي بعضها البيت طعامه بدل لا كل طعامه وفي بعضها وان كان ذا بيت لا كل

رضي الله تعالى عنه نسب أقرب في شرع الهوى * بيننا من نسب من أبوى وذلك لان الروح الصق بالشخص من الجسم بل هي حقيقة الشخص فابو الروح مقدم على أبي الجسم فالاعتناء به لا عكسه قلت وقد ذكر شارح ديوان سيدي عمر مانصه والمعنى النسب الكائن بيننا من جهة المحبة هو أقرب من النسب الكائن من أبي وأمي لكن أقربيته بشرع الهوى لا بغيره قال ويحكى سبط الشيخ رضي الله عنه انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم يا عمر انت منا انت منا وكرر ذلك ثلاث مرات فاشار الى مقاله بقوله نسب أقرب في شرع الهوى الى آخر البيت ثم اني وجدت في شرح العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله تعالى عنه مانصه ماقاله عن نسب الهوى يعني ان نسب التقوى وكمال العبودية هو النسب الحقيقي يوم القيامة قال تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة اليوم ارفع نسبي واضع انسابكم فاين المتقون اه قال العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الرحمن بن هاشم الشريف الحسني رضي الله عنه والى نحو هذا أشار الامام العارف بالله تعالى الشيخ سيدي مصطفى بن كمال الدين الصديقي نسبا رضي الله عنه في شرحه الكبير على الصلاة المشيشية الذي سماه الروضات العرشيه في الكلام على الصلوات المشيشيه وانا اذكر ذلك بتمامه لحسنه من أوله الى ختامه قال رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به آمين اثناء كلامه على قول سيدي ابن مشيش رضي الله عنا به اللهم الحقني بنسبه مانصه واعلم أن النسب على قسمين جسماني و روحاني

طعامه وفى بعضها وان كان ذا جمع وبيت طعامه مريد والمقصود تحذير المريد من الاغترار بالظاهر بالاطعام فقط مخة اكان أو مبطلا لان مرتبة الهداية وراء ذلك ولكن بعض النسخ أوضح دلالة على المقصود من البعض وقد تقدم التنبيه على ان متن هذه القصيدة تلاعبت فيه الايدى كثيرا والمريد اسط لحام نهضت همته فى طلب القرب من الله وقال أبو عثمان رضى الله عنه المريد الذى مات قلبه عن كل شئ دون الله فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه بشدة تشوقه الى ربه وقال الواسطى رضى الله عنه أول مقام المريد ارادة الحق باسقاط ارادته ويوما أى وقتا من الاوقات والدهر الزمان الطويل والامد المحدود والمراد هنا زمان المريد ﴿يقول﴾ والله أعلم وان كان هذا الظاهر بالمشيخة ذا جمع أى لم يكن عنده الا أنه صاحب جمع لا كل طعامه فلا تصحبه يا مريد فى طريق الله والوصول الى حضرته وقتا من دهرك لانه ليس مطلوبك الذى يوصلك لمرادك ومرغوبك بل ربما وقف بهمتك وأفسد عليك مقصودك وكدر عليك مشربك ثم ان هذا الظاهر باطعام الطعام اما أن يكون ذلك منه شبكة لاقبال الخلق عليه وتربية للرياسة فهذا فاتن مفتون لا يعبأ به ولا يلتفت اليه واما أن يكون ذلك منه لايصال الخير لعباد الله واراحتهم من هم اللقمة وتفريغ خواطرهم لعبادة الله فهذا مشكور وثوابه موفور وأجره مدخور ولكنه لا يصلح بالمريد ولا هو بغيته لكونه ليس مطلوبه قوت الاشباح وانما مطلوبه قوت الارواح قال الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله تعالى عنه والذى منزلته برتبة رتبة خادم وهو يظن انه فى رتبة شيخ أو يظن فيه المشيخة هو الذى يظهر باطعام الخبز والايثار ويأخذ من هذا ويعطى لهذا ولا يعرف المقامات ولا المنازلات ولا يرى غيره الا اذا كان على ترك الطريقة وأكثر مشايخ بلادنا اذا اعتبرتهم تجدهم فى هذه الرتبة أعنى المؤثرين منهم وقليل ماهم اه وقد أشار فى العوارف الى كل من القسمين الظاهرين باطعام الطعام فقال فى الاولى بعض ماقدمنا عند قوله وان كان الا انه غير جامع وكم مغرور وقانع باليسير من ٧ اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطمأنينة قلبه واسترسل فى الممازحة والمخالطة وجعل نفسه مناخا للطالبين بلقمة تؤكل عنده ورفق يؤخذ منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المقربين فافتتن وفتن وبقى فى خطة القصور ووقع فى دائرة الفتور وقال فى الثانى الخادم يدخل فى الخدمة راغبا فى الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدر لايصال الراحة خاطر المقبلين على الله عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعل لله بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله والخادم واقف مع نيته فالخادم يفعل الشئ لله والشيخ يفعل الشئ بالله فالشيخ فى مقام المقربين والخادم فى مقام الابرار فيختار الخادم البذل والايثار والارتفاق من الاعمار للاخيار وظيفته ونيته تهديه لخدمة عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله واعماله وقد يقيم من لا يعرف الخادم مقام الشيخ وربما جهل الخادم أيضا حال نفسه فيحسب نفسه شيخا لقلة العلم واندراس علوم القوم فى هذا الزمان وقناعة كثير من الفقراء من المشايخ باللقمة دون العلم والحال فكل من كان أكثر طعاما هو عندهم أحق بالمشيخة ولا يعلمون انه خادم ليس بشيخ والخادم فى مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى ثم قال فالخادم يحرص على حيازة الفضل ويتوصل بالكسب تارة وبالاسترفاق أخرى وباستجلاب الوقف الى نفسه تارة لعلمه انه قيم بذلك صالح لايصاله الى الموقوف عليهم ولا يبالى أن يدخل فى كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ لنفوذ البصيرة وقوة العلم ان الانفاق كذا يحتاج الى علم تام ومعاناة تخليص النية عن شوائب النفس والشهوية الخفية ولو حصلت نيته مارغب فى ذلك لوجود مراده فيه وحالة ترك المراد واقامة مراد الحق ثم اشتغل بذكر المتخادم والمستخدم المشبهين بالخادم فانظر

الاول هو النازل والثانى هو العالى الدانى وهو الذى قرب سلمان الفارسى وصهيبا الرومى وبلالا الحبشى وابعد ابا لهب وغيره ولم ينفعهما النسب الجسمانى والى هذا أشار العارف الربانى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه بقوله

نسب أقرب فى شرع الهوى
بيننا من نسب من ابوى

ثم قال يعنى سيدى مصطفى البكرى رضى الله تعالى فان نسب الارواح أدنى وهو بيت الفتوح اذهى الصق الجسم بنا وعليها استقام أمر هذا البنا وقد قلت فى الالفية

واعلم فان النسب الروحانى
أقرب عندهم من الجسمانى

اذ روحنا الصق من جسم بنا
وهى التى قام عليها ذا البنا

والروح مقدم على
الجسم اذ مقامه علا

لانه يصلح منا القالبا
فلا ترى بعد ثبات قلبا

ساع على عمارة البواطن
مؤد الحقوق للمواطن

والجسم ربى الجسما
فلم يكن جمع اسما ورسما

وأجمعوا ان الذى لا يقتدى
فى السر والجهر به لا يهتدى

وكل من لم يسلكن بالجد
ولم يدع كان أبى وجدى

فلا يجى منه بذا الطريق
شئ ولا يرى سنا البريق

فقول المؤلف رضى الله عنه اللهم ألحقنى بنسبه اى النسب الباطنى الذى هو نسب الحب والاتباع وهو الذى به الانتفاع والارتفاع ونسب التقوى الذى به السالك يقوى وفى الحديث يقول الله عز وجل يوم القيامة اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى أين المتقون وعنه صلى الله عليه وسلم لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاسود على أبيض الا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله أذهب عنكم غبية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس رجلان مؤمن تقى وفاجر شقى قال فى المختار الغيب والغيبة أيضا والغاب بمعنى ويكون

ذلك

ذلك فيه وأصل البيت هو هذا الكلام المنقول من العوارف واعلم أن كلام الناظم وغيره انما نسب لمن خلا من شروط المشيخة وحصل له الصيت باطعام الطعام فقط فحذروا منه المريدين لئلا يشتبه عليهم أمره ويغلطوا فيه وأما من كان أهلا للمشيخة محصلا لشروطها وقصده جمع الخلق جمعهم على الله والحيلولة بينهم وبين ما سوى الله قد أخذه الله اليه واقتطعه عن دائرة حسه وعزله عن صفات نفسه وكاشفه بصريح المراد في خفي الخطاب فعلم أن الحق يريد منه البذل والايثار والانفاق والاطعام فدخل في ذلك بغيبة صفات نفسه من قام فيه بربه لربه فليس مما أشاروا اليه في ورد ولا صدر اذ كلامهم انما هو عنت النظر فيه اغا هو فيمن خلا من الشروط الداخل في ذلك بنفسه وهذا له في كل مدخل بيان وبرهان واذن من الله تعالى وقد كان شيخ وقته أبو محمد عبد الله بن محمد القرواني رضي الله عنه يقول طريقنا طريق الفائدة والمائدة والحكمة الزائدة وقد عقد لكل واحدة من هذه الكلمات بابا في ارجوزته فانظرها فيه ومن الاشارة الى ما قررناه ما ذكره في العوارف لما تكلم على السالك وانه لا يقدم ولا يؤهل للمشيخة الا من جمع بينهما وان المجذوب المتدارك بالسلوك هو الاعلى والاكمل فقال ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه دواء بالله ينطق وبالله يسلك كما ورد لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا في ينطق وبي يبصر الحديث فالشيخ يعطي بالله ويمنع بالله بلا رغبة له في اعطاء ومنع بنفسه لنفسه بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الاشياء بمراد الله لا بمراد نفسه فان علم ان الله يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها المراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله اه ولما استوعب الكلام على الشيخ أعني فيما يجب فيه من الشروط أشار الى أن ذلك فيه غنية للمريدين عن التفتيش على ما بينه له فقال رضي الله عنه

﴿ وأما بيان الشيخ عنه لنا * وتعيينه يغني عن البحث والسبر ﴾

قوله عنه هو جواب أما وحذف منه الفاء للضرورة الوزن وفاعل عنه ضمير يعود الى ما ذكر في الابيات قبله والبحث التفتيش والسبر الذهاب ﴿ يقول ﴾ والله أعلم وأما بيان الشيخ الذي يسلك طريق الله على يديه وشرحه على ما هو عليه فقد عنه انا معشر الفقراء وأوضحه ما تقدم ذكره وذلك التعيين لكماله يعني المريد ويكفيه عن البحث عنه والسبر الى من يسأل عنه ولما ذكر علامات الشيخ المغنية للمريد عن ان يسأل عنه غيره ورأى ان من الناس من لا يستقل بنظره وان وجد الدليل لان المقول منها الصحيح والعامل سيما والامر باطن ولا بصيرة للمريد ينظر بها من حيث الباطن فقد يسمعه يتكلم في المنازلات والاحوال ولا يدري هل ذلك من بساط عقله وفهمه أو من بساط نوره وذوقه ذكر علامات من يسأل عنه وشرط فيه ان يكون لصاحبه بصيرة صافية صقيلة وقال ان من ليس كذلك ربما دل على ناقص يحسبه كاملا أو نفر عن كامل يظنه ناقصا فقال رضي الله عنه

﴿ ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة * خلي من الاهواء ليس بمغتر ﴾

لا نافية والفعل بعدها مؤكد بنون التأكيد الخفيفة وضمير عنه للشيخ وسوى ذي بصيرة استثناء وبيان لمستكمل شروط المسؤلية والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر العين قاله غير واحد وفي العوارف هي قلب الروح ومنها تنبعث اشعة الهداية والعقل لسان الروح والمراد بالبصيرة السالمة النافذة المؤيدة بالنور اذ لا يخيل على القاصرة ولا المطموسة الغرور واعتقاد نقيض الحق وقوله خلي من الاهواء ليس بمغتر في قوة كلمة مفردة صفة لبصيرة مع أي صاحب بصيرة صافية خال صاحبها عن كل ما يدنس صقالها وذكرها لانهما اشئ يطلب هنا من صاحب

أراد بقوله المقتفي بنسبه أي اجعلني مضافا اليه وملحقا به كالتحاق بنيه بنسبه لا كون محبوبا لديه محبة الكل لجزئه والاصل لفرعه فيتكمل ظاهري بانتسابي لظاهريته ويتكمل باطني بتحقيق بحسبه المشير لباطنيته فان نسبه أشرف الانساب وحسبه أشرف الاحساب فمن جمع الله له بين نسب جسمانيته وحسب روحانيته فهو الكامل النسبة الذي لم يقتصر بمجرد الانتساب لابيه فان شرف الانساب وان كان نعمة فالوقوف معه والاغترار به نقمة وقلت في هذا المعنى لمن تنبي وكان معنى

اذا انتسب اشراف فخر جدودهم
وقد قنعوا بذلك النسب الادنى
فخذ نسب التقوى لتقوى باخذه
على نيل ما ترجوه في المنزل الاسنى
ولا تفتخر يوما الجدود أتت به
ولكن لهم كن تابعا تدرك الاسنى
فمن ينتسب نحو الجدود ذوي الولا
ويذكر ما نالوه في الحضرة الحسنى
ويرضى بافعال تخالف فعلهم
وحالهم هذا هو الجاهل المعنى
فخل الدعاوى بالجدود وغيرهم
من العلم والتقوى وما شاكل المعنى
وجد كما جدوا بصدق وهمة
امل الى أحوالهم ساعة تدنى
فليس الفتى من يدعي ذا بنفسه
ولكن من يدعى له الحب قد أفنى
فسلمان منا وهو من فارس وقد
تفوق على الآبا التوفيقها الاسنى
ولم ينتفع به أبو لهب كما
قد انتفع الاصحاب بالمعنى أدنى
نعم ان للانساب فضل مزية
ولكن من يفتخر بها قد ينل حزنا
واني لارجو بانتساب لسيدي *
أبي بكر الصديق سابقنا الدنا
شفاعته لي انني أنا مذنب * كثير الخطايا قارعا نادما سنا
وان كنت قد عقبت في كل حالة * فلم يرض يدعوني حماه له اسنا
عساه بان يرضى انتسابي لجاهه * واني به يرضى الورى عنا
وصل على مجلى الصدى علم الهدى * وسلم عليه ما المتيم قد اثنى

البصيرة مع دلالتهما على البصيرة النافذة الكاملة ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تسأل أيها المريد عن الشيخ المؤهل للاقتداء الكامل الشروط الا من كان صاحب بصيرة نابتة نافذة فاصفها من واضح النور الكاشف لها عن حقائق النور حتى تحكم على الكامل بكماله بحسبه وعلى الناقص بنقصانه بقدره كما قيل ذو البصيرة الصافية لا تخفى عليه خافية فلا يثبتها السالك بمجرد ولا لمجذوب أبتر لمعرفته بعد كمالها وتأهلها ونقد وجود من يحبثها ولا يتعصب لاحد بالشهوة ولا يميل اليه لغرض مع خلوه عن التأهل للمشيخة لان ما أيد الله به بصيرته النور المضاد للهوى لا يدعه يتخلف عن موجب ما جلى له وكشف له عن حقيقة الامور وحكمت به البصيرة قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه النور نكتة تقع في سر العبد من معنى اسم أو صفة يسرى معناها في كليته حتى يبصر الحق والباطل ابصارا لا يمكنه التخلف عن موجبه اه ولا يغتر أيضا و يعتقد الكمال في ناقص أو النقص في كامل لكمال بصيرته ووضوح نوره قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه فاذا أكمل النور حكمت البصيرة بحقائق الامور فاتبع القلب الصواب وترك الباطل واذا فقد النور حكمت البصيرة بغير الصواب أو به على غير وجهه فاتبعها القلب على حسب ما حكمت به فقوى الهوى وتعين الغرر اه هذا معنى كلام الناظم وأما كونه صاحب بصيرة يميز بها و يتعصب بالشهوة والميل للحظ و يخون من يأمنه ولا ينهمك بشئ لا يصلح وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه البصيرة كالبصر أدنى شئ يقع فيها يعطل النظر فالخطرة من الشر تشوش النظر وتكدر الفكر والارادة له تذهب بالخير رأسا والعمل به يذهب عن صاحبه بسهم من الاسلام فيما هو فيه و يأتي بضده الخ وكذا كونه يكون صاحب بصيرة و يعتقد الشئ على غير وجهه و يضعه في غير محله و يغتر بحسن المعاملة أو بالاستهلاك في الحقيقة لا يصلح أيضا لانه مخالف لما اقتضت حقيقة البصيرة السالمة الكاملة بل الذي تقتضيه حقيقة البصيرة المؤيدة أنه لا يدل الا على المؤهل للمشيخة وكان ثم من هو أعلى منه فمن حق النصيحة ولما أيد الله به بصيرته من النور لا يدل الا على ذلك لا على نفسه وقد قال الشيخ أبو عبد الله البلالي رحمه الله و يرشد الى ما هو أسلك منه ما أمكنه بل قال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه و يجب على الشيخ اذا رأى شيخا آخر فوقه ان ينصح نفسه و يلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر هو وتلامذته فانه صلاح في حقه وحق أصحابه ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصف ولا ناصح لنفسه ولا صاحب همة بل هو ساقط الهمة ضعيفها بل ربما هو محب في الرياسة والتقدم وهذا في طريق الله نقص ألا ترى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كيف قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني والياس وعيسى تحت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهكذا ينبغي لشيوخ هذه الطريقة ثم أشار الى علة اشتراط الصفاء في البصيرة و بيان وجهه الذي هو قولنا أولا قال لانه من ليس كذلك الخ لان العلة في قوة النطق والقول فقال رضي الله عنه

﴿فمن صدئت مرآة ناظر فهمه • أرته بوجه الشمس من كلف البدر﴾

الصدأ هو ضد الصفاء واضافة مرآة الى ناظر بيانية أي مرآته التي هي ناظر فهمه لان المرآة ناظر القلب وعبر عن القلب بالفهم من باب تسمية المحل باسم الحال لان القلب قابل المفهومات وقوله أرته فاعله المرآة الصدئة والجملة جواب الشرط الذي هو فمن صدئت و بوجه الشمس مفعول ثان لأرته والشمس استعارة تحقيقية لمن جمع شروط المشيخة بحيث جمع بين السلوك والجذب وسلم من العقم والبدر هو القمر وهي هنا استعارة تحقيقية أيضا لمن فقد بعد ما تقدم من الاوصاف وقرينة الاستعارتين المقام والباء في بوجه وعائية أي أرته من كلف البدر في وجه الشمس والكلف السواد ﴿يقول﴾ والله أعلم فمن صدئت بصيرته التي هي ناظر قلبه وأظلمت

وأهل وأصحاب كرام وعترة • مدى الدهر ما دامت كؤوس الرضا منشى ثم قال أثناء ما يتعلق بقول سيدي ابن مشيش رضي الله عنه وحققني بحسبه ومعنى قوله حققني بحسبه أي اجعلني متحققا بصفاته الحميدة وارثا حاله بتلك المآثر الشريفة المجيدة فاحظني بالقرب من جنابه واسقني من خالص شرابه وذكرن وارثا حاله المحمدي وحارثا كماله الاحمدي فافوز بنيل ذلك وأحوز أشرف المسالك وقال الامام الجزولي رضي الله عنه في معنى شرح كلام سيدي ابن مشيش رضي الله عنه اللهم الحقني بنسبه وحققني بحسبه ان اللحوق بالنسب هو الاتصال الجسماني والتحقق بالحسب هو الاتصاف الحالي وذلك يقتضي شرف الملحق بشرف الملحق به وكمال المحقق بكمال المتحقق به وهذا الطلب يقتضي القرب حسا ومعنى وطلب الشيخ ذلك رضي الله عنه ليكون قريبا منه صلى الله عليه وسلم حسا ومعنى قرب اتصال دون انفصال ومن صح له ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها انتهى ما نقلناه من الروضات العرشية في الكلام على الصلوات المشيشية لسيدي الشيخ مصطفى البكري رضي الله عنه قال في مختصر هذا الشرح الذي سماه كروم عروش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني لما أراد الكلام على قول الشيخ رضي الله عنه اللهم الحقني بنسبه ما نصه أي أوصل نسبي بنسبه ثم قال والمعنى اللهم اجعلني ممن ألحقته بنسبه الظاهر لحوقا تاما فان أهل النسبة الظاهرة على مراتب في نسبتهم لجدهم الاعلى فمن أولاده من هو بمنزلة السمع منه ومنهم من هو بمنزلة البصر ومنهم باتباع من له نسبة العضدين وأكثر ومنهم من تصح له النسبة التامة الظاهرة جسمانية ومنهم من يجمع له بين الظاهرية والباطنية

فيكون وارثا جده الاعلى وحارثا جدته الاغلى وهذا الالتحاق التام الاكمل الاشمل هو الذى سأله المؤلف الاجل لانه رضى الله تعالى عنه جمع له بين فضل النسب الظاهرى الطينى والنسب الباطنى الدينى فسأل كمال التحاقه بهما فان قلت فعلى هذا التقدير كيف تفهم قول البشير النذير صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس قلت هذا بيان لبعض وجوه القربة والاقتباس والا فهما من أكمل من صحت لهما النسبة التامة الظاهرية والباطنية بدون التباس وقد جاء فى الخبر العلم والشرف اخوان فليس لشريف غير عالم ان يفتخر على عالم لان هذا احاز النسب الظاهر والثانى الباطن الباهر وحق العالم وان بلغ علمه الغاية أن يراعى حقوق المودة فى القربى ولا يغتر بالروايه والدرايه فان رعاية مودة أهل البيت محتمة لازمة على كل نفس نفيسة للمعالى مرتقية مرتقبة حازمة فانه من هذا البيت الزاكى الطاهر نبع هذا الخير الطام الظاهر ولقد حكى سيدى الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى قدس الله سره فى فتوحاته فى الباب الثانى والخمسمائة فقال مانصه ومن خيانتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسألك فيه من المودة فى قرابته وأهل بيته فانه وأهل بيته على السواء فى مودتنا فيهم فمن كره أهل بيته فقد كرهه فانه صلى الله عليه وسلم واحد من أهل البيت ولا يتبعض حب أهل البيت فان الحب ماتعلق الا بالاهل لا بواحد بعينه فاجعل بالك واعرف قدر أهل البيت فمن خان أهل البيت فقد خان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خان ماسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنته ولقد أخبرنى الثقة عندى بمكة قال كنت أكره ماتفعله الشرفاء بمكة فى الناس

باتباع الهوى وارتكاب الشهوات انعكست الاشياء فى حقه ورآها على غير ماهى عليه وظهر له الكمال المشروط المحصل للسلوك والجذب المتمكن من حاله بحيث يصرفها ولا تصرفه مستدئا وناقصا لكونه مارآه مستهلكا فى الحقيقة ظاهرعليه سناها كحال أرباب الجذب الذين مارجعوا بعد الى عالم الخلق وتحقيق الوسائط والاسباب وهو لغش بصيرته يظن ان ذلك هو الكمال أوكان عربا لعبد أالبصيرة واقفا مع الرسوم والظواهر لا يرى الا من يكون مستغرق الاوقات فى الاوراد والجد والاجتهاد كحال العباد والزهاد وأرباب السلوك الذين ماخرجوا عن وهم المكابدة الى روح الحال وما درى الذى نفر عنه قد حصل له السلوك مع الجذب وصار فى الاشياء بالله وجعله الحق برزخا بين بحرين بحر التشريع وبحر التحقيق لا يبغى هذا على هذا يضع كل شئ فى محله وينزل كل أحد منزلته يعطى كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه لا يقف مع شئ ولا يتقيد بشئ لان ذلك الشئ غير محجوب به ومعروفه وقد صير الورد واحدا المولاه وكان بحكم ما يستعمله فى عموم الاوقات بحكم مراده وهواد فطرقاته كلها صالحات وتصرفاته وآثاره حسنات وأفكاره وأذكاره مشاهدات فهو حاضر فى تصرفاته متيقظ فى تقلباته قال الشيخ أبوطالب رضى الله عنه بعد كلام فى ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد فن العمال من كان يجعل الورد من أجزاء القرآن ومنهم من كان يجعله فى اعداد الركوع وفوق هؤلاء من العلماء كانوا يجعلون الاوراد من أوقات الليل والنهار فان قطع الوقت بآية أو ركعة أو فكرة أو شهادة فذلك ورده وأما العارفون فانهم لم يؤقتوا الاوراد ولم يقسموا الاوقات بل جعلوا الورد واحدا لمولاهم وجعلوا حاجتهم من الدنيا ضرورتهم وصبروا وامتساوا بانسيدهم وتصريفهم لمصالحهم بدخل عليهم فوضعوا أرقابهم فى ربقة العبوديه ووصفوا أقدامهم فى مصاف الخدمة فكانوا فى كل وقت بحكم ما يستعملون وبوصف ما يطالبون ذلك وردهم وتلك علاماتهم عن حسن اختيار الله عز وجل لهم وجميل توليه اياهم لا يكلهم الى نفوسهم ولا يوليهم بعضهم وهو يتولى الصالحين مشاهدتهم ذكرهم وقرب الحبيب حسبهم ليس يشهدون فضيلة فى غير محبوبهم ولا يشهدون قربة بغير معروفهم به يتقربون اليه واليه يسعون به وعليه يتوكلون له ومنه يخافون عنه واياه يحبون منه لو أسقطوا الاعمال كلها غير ما يتعلق بالتوحيد ثبوته مانقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا أوراد المريدين كلهم ما أثر فى قلوبهم وأحوالهم بالاوراد فيعرفون النقصان والمزيد منها ولا يجتمع همومهم بسبب ويقوى يقينهم بطلب فيتشتت بفقد سبب ويضعف يقينهم لعمرى طلب هذه المعانى هى أحوال المريدين وجملة بعدهم فى شيئين ضيقهم بالخلائق فهربوا منه واتساعهم بالخلق فاستراحوا اليهم ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو وقفت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه فاما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات بجامعها لهم وأقامهم القائم لهم بشهادتهم له فلهم بكل شئ مزيد ومن كل شئ توحيد فكل خطابهم يردهم اليه وكل منظور يدلهم عليه وكل نظر وحركة طريق لهم اليه فتوحيدهم فى مزيد ويقينهم فى تجديد بغير تغيير ولا تصديد ولا ايقاف وتجديد ولو طلب أحدهم التشتت بالاسباب فيرده بها رب الارباب لانه مراد بالاجتماع وانما استروح بالشتات لاستجماع ماهو فى تلبية آت تيقنا منه بحبيبه وتمكنا عند محبوبه اذا علم انه طالبه فطارح نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ولم يكله الى نفسه وهواه مقامات لا هلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح الا لهم ولا تليق الا بهم ولا يؤمن بها الا هم لا يقاس عليها ولا يدع مكانها ولا تنتظر فتترك لها الاوراد ولا تتوقع فيقصر لاجلها فى الاجتهاد والمريدون بها مسلوكون طريقها ومواجهون بعلمها ومحمولون اليها مطالبون بها مزيدون زادها وهى محبوسة عليهم

مقصورة لهم وهم لها سابقون الى آخر كلامه ويحتمل ان تكون الباء فى قوله بوجه الشمس زائدة على حد قولهم قرأت بسورة البقرة ومن كلف البدر متعلق بأرته وهو على حذف مضاف أى أرته وجه الشمس من صاحب كلف البدر فيكون فى الكلام من البديع النوع المسمى بالتجريد وهو ان ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى قوة الصفة فى المنتزع منه حتى صار بحيث ينتزع منه آخر مثله فى الصفة كقوله مثلا لى من زيد صديق حميم أى بلغ من الصداقة حدا صح معه ان يستخلص منه آخر مثله فيها أى الصداقة وبيانه فى النظم ان وجه الشمس كناية عن الكامل المستحق للمشيخة الجامع بين الجذب والسلوك وصاحب كلف البدر كناية عن المجذوب الصرف أو السالك الصرف وصدىء البصيرة قد يغتر بما يرى على المجذوب من سنى الأحوال وعلى السالك من مراقبة الاعمال والاقوال ويظنه فى غاية الكمال فيبالغ فى الدلالة عليه ويكثر الاشارة اليه فقد بلغ صاحب كلف البدر الذى هو المجذوب المجرد أو السالك المجرد من الكمال فى عين صدىء البصيرة الذى بالغ فى الدلالة عليه كل مبلغ حتى صار عنده كأنه معدن للحائزين شروط الكمال منه يستخرجون وهذا يؤدى الى ضرر عظيم وفساد جسيم فلذلك ساق الناظم هذا الكلام على الاسلوب التجريدى المقتضى للمبالغة المذكورة زعم صدىء البصيرة تحذيرا وتحريضا على التثبت فيمن يسئل عن الشيخ وهذا البيت على هذا الاحتمال هو معنى قولنا قبل ربما دل على ناقص بحسبه كاملا ثم قال رضى الله عنه

﴿ومن لم يكن يدرى العروض فربما * يرى القبض فى التطويل من أظهر الكسر﴾

من اسم شرط مبتدأ ويدرى أى يعرف والعروض بفتح العين يطلق على الجزء الاخير من صدر البيت ويطلق على الفن بأجمعه وهو المراد هنا والقبض عند أهل العروض عبارة عن حذف الخامس الساكن من الجزء كالياء من مفاعيلن وقوله فى التطويل أى فى البحر الطويل والطويل هو أحد أبحر الشعر الخمسة عشر وهو من الدائرة مركب من فعولن مفاعيلن أربع مرات لجزء عروضه وهو مفاعلن الرابع وليس له الا عروض واحد مقبوضة أى محذوفة الخامس الساكن وهو الياء فمن لم يكن عالما بالفن ربما وجدها كذلك فيرى ان ذلك عيب وكسر والعارف بالفن البصير به عالم بانها لا تستكمل الا كذلك ما لم يدخل فى البيت تصريع ونحوه وهذا كله من باب التمثيل الذى يقصد به ابراز المعانى العقلية فى الصور الحسية قصدا لكمال البيان والمقصود ان صادئ البصيرة ربما نفر عن الكامل بحسبه ناقصا وذلك لان الكامل لما كان مردودا بالحق الى الخلق ونازلا من سماء الحقائق الى أرض الحظوظ وراجعا من عالم الامر الى عالم الخلق والحكمة محفوفا بالتأييد والتمكين والرسوخ فى اليقين يتعاطى فى الصورة ما يتعاطاه العوام ويسمع أنواع الكلام ويجالس أصناف الانام يخاف ان خوفته لا لعدم استيلاء سلطان الحقيقة عليه ولكن لكمال معرفته وشهود مشيئة ربه التى لا تتوقف على شئ ويتوقف عليها كل شئ فلا يلتبس أمره الا على ذى بصيرة صائمة قد قيل لابى يزيد رضى الله عنه ما أعظم آيات العارف فقال ان تراه يأكل كما تأكل ويشاربك ويمازحك ويبايعك ويشاربك وقلبه فى ملكوت القدس هذا أعظم الآيات والى هذا وما ذكرنا فى البيت قبله وما هو من نحو هذا البساط يشير ما قاله الجنيد رضى الله عنه من رآنى فى بدايتى قال صديق ومن رآنى فى نهايتى قال زنديق وأخرج ابن أبى شيبة بسند صحيح عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الاشعار فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فان أريد أحد على شئ من دينه دارت حماليق عينيه فى وجهه كأنه مجنون وهذا البيت معنى قولنا أولا ونفر عن كامل يظنه ناقصا وتختلف النسخ فى عجز هذا البيت

فرأيت فى المنام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى معرضة عنى فسلمت عليها وسألتها عن اعراضها فقالت انك تقع فى الشرفاء فقلت لها يا سيدتى ألا ترين الى ما يفعلون فى الناس فقالت أليس هم بنى فقلت لها من الآن تبت فأقبلت على واستيقظت فلا تعدل بأهل البيت خلقا فأهل البيت هم أهل السيادة فبغضهم من الانسان خسر حقيق وحبهم سعادة وقد نبه الهمام القطب الربانى سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه على ان احترام المتسبب اذا ثبت ادعاؤه الشرف متحتم لازم لانه مستجير بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان المستجير رعى حقه وذمامه فكيف بمن انتسب وجهلنا حقيقة نسبه فتنبه أيها الواقف واحذر من الوقوع فى أهل البيت واخش هول الموقف فان المقام خطير والناقد بصير والامر عسير فارع حرمة أهل البيت ولو كنت جاهلا وأما من جمع بين النسب والعلم فهذا قد احتوى على الخير بكلتا يديه ثم قال رحمه الله تعالى وحققنى بحسبه أى اجعلنى متحققا متصفا بحسبه والحسب فى اللغة الشرف الثابت له ولآبائه وهو الاتصاف بالصفات الحميدة قال الشاعر

ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن * له حسب كان اللئيم المذمما

والمفتخر بالانساب يقال له عظامى والمفتخر بالاخلاق الكريمة من باب الاكتساب يقال له عصامى يحكى ان الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل وكانت له اليه حاجة فقال فى نفسه لاختبرنه فلما دخل عليه قال اعصامى أنت أم عظامى أراد شريف بنفسك أم تفتخر بآبائك الذين صاروا عظاما فقال أنا عصامى وعظامى فقال الحجاج هذا أفضل الناس فقضى حاجته ومكث عنده مدة ثم فحص عن أمره فوجده أجهل الناس

فى جلها من أظهر الكسر وفى بعضها من أعظم وهى متقاربة المعنى * ولما فرغ من علامات الشيخ ومن يدل عليه وكان حفظ حرمة الربوبية وكذا الشيخ والاخوان استعمال الادب معهم كلا بما يليق به مبلغ غاية الادب ومنتهى ما ينتهى به الى المطلب ذكر فى ذلك فصلا حسنا عدّ فيه أشياء يتأكد على المريد الاتصاف بها والا كان كبنيان على غير أساس فيجب على المريد حفظه ويتأكد على كل قاصد بخير تحصيله لانه للناهض جناح ولداخل ميادين النفس أحسن سلاح وان الانسان ليبلغ بالخلق وحسن الادب الى عظيم من الدرجات وهو قليل العمل ومن حرم الادب حرم الخير كله ومن أعطى الادب فقد مكن من مفاتيح القلوب قال أبو عثمان رضى الله عنه الأدب عند الاكابر وفى مجالس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير فى الدنيا والعقبى الاترى الى قوله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وقال أبو حفص الحداد رضى الله عنه التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لازم الادب بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو الوصول وقال أيضا حسن الادب الظاهر عنوان حسن الادب الباطن وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه اذا خرج المريد عن استعمال الادب فانه يرجع من حيث جاء وقيل من حرم الادب فقد حرم جميع الخيرات وقيل من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقيل من حبسه النسب أطلقه الادب ومن قل أدبه كثر شغبه وقيل الادب سند الفقراء وزينة الاغنياء ونظم جل هذا الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن البناء التجيبى السرقسطى رحمه الله تعالى فى مباحثه فقال

والأدب الظاهر للعيان * دلالة الباطن فى الانسان
وهو أيضا للفقير سند * وللغنى زينة وسودد
وقيل من يحرم سلطان الأدب * فهو بعيد ماتدانى واقترب
وقيل من تحبسه الانساب * فانما تطلقه الآداب
فالقوم بالآداب حقا سادوا * منها استفاد القوم ما استفادوا

ثم هذه الآداب التى يلزم المريد استعمالها مع الشيخ على قسمين قسم يلزمه تحصيله قبل اللزوم بصحبته وقسم بعده فالذى يلزمه قبل التلزم بصحبة الشيخ هو ما أشار اليه بقوله ولا تقدمن وأما قوله فان رقيب البيت فانه علة لما قبله والذى يلزمه بعد التلزم بالصحبة هو ما أشار اليه بقوله ولا تعترض الى آخر ما ذكر فى ذلك ثم هذا القسم الاخير هو أيضا على قسمين قالبى وقلبى فأما القالبى نحو قوله ولا ترفن البيت ولا تنطقن البيت ولا ترفعن البيت وشبهها فانه يلزمه ما دامت القوالب مجتمعة ويسقط عنه بافتراقها وأما القلبى نحو ولا تعترض وشبهه فانه يلزمه مع الاجتماع والافتراق وفى الحياة وبعد الوفاة وقاعدة الأدب مع الشيخ ان يعظم ويجل ويتجلى على القلب تفخيم أمره ورفيع قدره حتى يستغرقه التعظيم بحيث يستخرج منه أنواع الأدب بحسب الاوقات الا انه لا يلتزم شئ بعينه فى جميع الحالات لان الدواء يعود داء باختلاف الصفات وكل ما ذكره الناظم رضى الله تعالى عنه من الادب هو اشارة الى صورة تفصيل هذه القاعدة الا انه استوعب ذلك لان أدب كل وقت هو ما يلقيه التعظيم بسالكه وعليه فلا تتضرر ان أخطأت عن اقله لان نية المؤمن أبلغ من عمله وأيضا ربما أداه التعظيم الى مخالفة أمره محافظة على قدره وقد روى البخارى فى صحيحه عن البراء رضى الله تعالى عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فأبى أهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيم فيها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضانا عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا نقر بهذا ولو نعلم

فقال له أصدقنى والاقتلتك فقال له قل ما بدا لك أجبك فقال كيف أجبتنى لما سألتك عما سألتك فقال لم أعلم أعصامى خير أو عظامى فخشيت أن أقول أحدهما فأخطئ فقلت كليهما فان ضرنى أحدهما نفعنى الآخر فقال الحجاج عند ذلك المقادير تصير الغبى خطيبا اه وقال فى المضاف والمنسوب نفس عصام يضرب مثلا فيمن يشرف بالاكتساب لا بالانساب ويسود بنفسه لا بقومه وهو الباهلى الذى يقول فيه النابغة

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما

وكان عصام هذا صاحب النعمان بن المنذر اه وقال عصام الدين رحمه الله تعالى الحمد لله الذى جعلنى عصاميا ولم يجعلنى عظاميا ومعنى قول المؤلف رضى الله عنه وحققنى بحسبه أى اجعلنى متخلقا بأخلاقه المحمدية متسما بسماته الاحمدية اه من كروم عروش التهانى فى الكلام على صلوات ابن مشيش الدانى وقال فى النفحات القدسية من الحضرة العباسية فى شرح الصلاة المشيشية للعالم العلامة والبحر الفهامة العارف بالله تعالى سيدى السيد عبد الله ابن السيد ابراهيم الميرغنى رحمه الله تعالى فى قول سيدى ابن مشيش رضى الله تعالى عنه اللهم الحقنى بنسبه صلى الله عليه وسلم وهذا النسب هو الاشرف والاكمل وبه تشرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وآل بيته لانهم معدنه وموطنه وركنه تمام الافتقار وكمال الانكسار كما أشار اليه سيد الاخيار بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وقوله عليه الصلاة والسلام انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واشرب كما يشرب العبد واجلس كما يجلس العبد وحسبك من ذلك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا ولهذا السر لما تأخرت

قريش عند سلمان رضى الله تعالى عنه قال لكنى خلقت من نطفة مذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل ميزانى فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه اياكم والفخر وانما الفخر من خلق من التراب ثم اليه يعود ثم يأكله الدود وقال على رضى الله عنه مالابن آدم والفخر أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه ولما دخل أويس القرنى رضى الله تعالى عنه المزبلة يتقوت مما يجده فيها من كسرة ونحوها نبحه كلب فقال أويس كل مما يليك وأنا آكل مما يلينى ان دخلت الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فانت خير منى فعلم بهذا ان النسب الباطنى الدينى هو التخلق بالذل والانكسار والعجز والافتقار لله العزيز الغفار فى سائر الاحوال والاطوار كما قال سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى قدس سره فى حزبه اللهم اجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والممات واعلم يا أخى أكرمنى الله تعالى واياك بمحبته وأشرق قلبى وقلبك بشمس معرفته انى ما أطلت الكلام فى هذا المبحث العظيم الا ليعلم الواقف على هذه الرسالة المباركة ان نسب المحبة نسب كريم وفضله فضل جسيم اذ الانسان بروحه لا بجسمه فالعبرة بالروح لا بالجسم كما أشار الى هذا المعنى بعضهم حيث قال

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالروح فاستكمل فضائلها
فانت بالروح لا بالجسم انسان

﴿تنبيه﴾ لما وعدنا به فى أول الباب من ذكر سند القوم فى تلقينهم الاوراد والاذكار من السنة المحمدية عالية القدر والمنار قال القطب الامام سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه النفحات القدسية فى بيان قواعد الصوفية ما نصه قال الاشياخ والسر فى التلقين ارتباط ﴿ولا

انك رسول الله مامنعناك شيأ ولكن أنت محمد بن عبد الله فقال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى بن أبى طالب امح رسول الله فقال لا والله لا أمحوك أبدا الحديث فلم يدع على كرم الله وجهه ما خامر قلبه من تعظيمه صلى الله عليه وسلم ان يغير اسمه ويمحوه وان كان أمره بذلك ويوافق هذا ما روى عنه أيضا كرم الله وجهه انه كان يتحرج من كثرة تطليق ابنه الحسن رضى الله عنه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول فى خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان وقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان أحب أمسك وان أحب ترك فسر بذلك على رضى الله عنه وقال

لهمدان أحلام ودين يزينها ۞ وبشر اذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بوابا على باب جنة ۞ لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

قال الامام أبو حامد رضى الله عنه وهذا تنبيه يدل على ان من طعن فى حنسه من أهل أو ولد بنوع حياء فلا ينبغى أن يوافق عليه وهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما أمكن فان ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن رأيه انتهى وكذلك أيضا ما فى الموطأ عن سهل بن سعد الانصارى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الاشياخ فقال للغلام أتأذن لى ان أعطى هؤلاء فقال لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحدا الحديث فخالفه الغلام لاجل الحرص على بركته صلى الله عليه وسلم وكذلك تجد المريد مثلا يبادر لتقبيل رجل الشيخ ويفهم عن الشيخ النهى له عن ذلك ويتمادى ولكن لابد من زيادة ما يفهم من قرائن الاحوال فانه قد يأمره وينهاه أمر جازم ونهيه وقد يكون ذلك هكذا من حقه فقط أو توقير المريد والناس أقسام فان فهم عنه الجزم فليمتثل فقد أمر بعض الشيوخ مريده ان يركب فرسا وحث عليه فأبى استحياء منه واعطاما له ان يحل محله فقال ما معناه لو ركب ما زل أبدا أو كحكاية الشاب الذى كان يخدم أبا يزيد وقدم عليه شقيق البلخى وأبو تراب النخشبى رضى الله عنهم فقدمت السفرة فقالا له كل معنا يا فتى فقال انى صائم فقال له أبو تراب كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ الشاب فى السرقة بعد سنة وقطعت يده والحكايات فى هذا المعنى كثيرة ثم ما ذكره الناظم رضى الله عنه منه ما يختص معناه بالشيخ فقط وهو قوله ولا تقدم من البيت فان رقيب الالتفات البيت ومنه ما يستعمل مع الشيخ ويقتبس منه مع غيره ممن هو أعلى مرتبة من المتأدب على حسب حال المتأدب معه وهو قوله ولا تعترض الى قوله وسجادة البيت وأما قوله وما دمت البيت بيان انضباط وقانون كلى تحذيرا من الاعتراض على المشايخ خصوصا وتنفيرا على المبادرة الى انكار الاشياء بغير تعين عموما وقوله ولا ترين فى الارض دونك مؤمنا البيت فان ختام الامر البيت ولا تنظرن يوما البيت ولا تك ممن يحسن الفعل عنده البيت تحذيرا من التكبر والرياء والعجب وقوله وان نظم الحق البيت سوى الشيخ البيت وفى الكشف البيت ولا تنفرد عنه البيت وفر اليه البيت بيان لما يلزمه فيه الادب مع الله بكتمه عن خلقه ومع الشيخ بعدم الانفراد والاستتار عنه به وأما قوله ومن حل من صدق الانابة البيت فهذا بيان لما يثمره التمكين من هذه المرتبة مع التنبيه على استحسان الفعل المؤدى الى العجب وهو عدم الصدق وفى الانابة بتضييع أحد طرفيها أو كليهما لانها الرجوع من الله الى الله حسبما يأتى واذا انتقش هذا على صحيفة ذهنك فلنشرح تلك الابيات وقد ابتدأها بالقسم الذى يلزم تحصيله قبل الدخول فى صحبة الشيخ وهو اعتقاد كماله أهليته وأفضليته لانه أصل فيما بعد اذ بقدر اعتقاد ذلك يكون الاحترام والاعظام اللذين هما بذر وما يطلب منه فى هذا المقام فقال رضى الله عنه

﴿ولا تقدم من قبل اعتقادك انه * مربٍ ولا أولى بها منه في العصر﴾

﴿فان رمت الالتفات لغيره * يقول لمحبوب السرايه لا تسر﴾

قد قدمنا ان معنى هذين البيتين مختص بالشيخ ولا يلزم مع غيره وأما اعرابهما ومعنى ألفاظهما فلا ناهية وتقدم الظاهر انه مضارع أقدم من الاقدام على الشئ ضد الاحجام واة أخر عنه والاعتقاد لغة افتعل من العقد أى الربط ثم نقل لتصميم القلب و والمراد هنا والمربى لغة المصلح للاشياء القائم بها واصطلاحا هو المنقل للمريد فى طريق الله شيأ بعد شئ والقائم عليه حتى يصل الى غاية أرادها الله تعالى منه والعصر مثلث العين الدهر والمراد هنا وقت الشيخ الذى أريد الدخول فى صحبته والتزم بها والمراد بالرقيب هنا المريد أى يراقب الالتفات لغير شيخه وقوله يقول فاعله ضمير عائد عليه أيضا والقول حالى ويحتمل ان يكون المراد بالرقيب الشيخ والاول أنسب بالعوارف والالتفات النظر الى وراء وهو هنا معنوى ولمحبوب السرايه أى السرايه المحبوبه من اضافة الصفة الى الموصوف ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تقدم أيها المريد على الشيخ بالدخول فى صحبته والالتزام لعهده حتى تكون متيقنا على حسب ما شهد به سرك على انه أهل للتربية والترقية والتوصيل الى حضرة الربوبية والالوهية وانه المقدم على معاصريه فى ذلك كى يجمع قلبك عليه و ينقطع تشوفك على غيره لان الشيخ المراقب لالتفاتك لغيره لتصرفه فيك واشرافه على باطنك مهما رآك مترددا فى حال ما كنت تقدت به يقطع عنك المدد الذى كان يسرى منه اليك وعلى الاحتمال الاول يكون المعنى لان مراقبتك الالتفات لغير شيخك والتردد فيه اى هل تلتفت أولا يقطع عنك ما كان يسرى لك منه حيث كنت مجموعا عليه قاصرا نظرك عليه لانك صرت غير مستعد لقبول سرايه حال الشيخ فيك فانه بقدر قوة عزيمة المريد فى الشيخ وتصميمه عليه ومحبته فيه يسرى النور من الشيخ اليه و بقدر حل عروة من ذلك يضعف السريان بل ينقطع بالكلية قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الساحلى رحمه الله الرابع يعنى من الشروط التى تلزم المريد مع الشيخ الاقتصار على قدوة واحدة وهل الانقياد للقدوة الا كالانقياد للطبيب ولا شك ان العلاج اذا اختلف والمعاناة اذا تباينت كان الخلاص من العلل متعذرا ومن استند الى قيم قدوة فهو القيم بالسياسة فى تأديبه وتهذيبه وأدرى بذلك من غيره مع ان القدوة الكامل ربما تعذر وجوده اليوم فضلا عن ان يكون منهم عدد فاذا ظفر التلميذ بواحد فليعلم انه قد ظفر بمراده فلا يبغى بدلا ومهما مال عن قدوته بظاهره أو باطنه ولو لمحة فان ذلك وبال عليه ونقصان له وان صحبته لا تصفو ولا يستعد باطنه لسرايه حال القدوة فان التلميذ كلما أيقن تفرد الشيخ المتبحر عرف فضله وقويت محبته والمحبة هى الواسطة بين القدوة والتلميذ فعلى قدر حسن ظنه به تكون محبته وعلى قدر محبته تكون سرايه حال الشيخ عنده فالمحبة علامة التعارف الجنسى الداعى الى التألف المعنوى والحسى انتهى وقال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه الثالث يعنى من الشروط اللازمة للمريد مع الشيخ حصر الأمل فى جهته لكل مهم دينا ودنيا ووسائلك الى الحضرة المحمدية علما وعملا وحالا وهى وسيلة الى الله تعالى فتمسك به كما يكن لك كله حتى يرجع الحق تعالى خاطره من اتهمهم بك وقضاء حاجته فيك وهذا معنى قولنا خاطرك أى ان تكون على بالك اهل الحق ينظر الى قلبك فيرى محلك فى الأمل منى وكذا شئ أنا اذا قصدته الطالب والله أعلم انتهى وأصل البيتين قوله فى العوارف ومن الادب ان لا يدخل صحبة الشيخ الا بعد علمه بان الشيخ قائم بادبه وتهذيبه وانه أقوم بالتأدب من غيره ومتى كان المريد يتطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفع القول فيه ولا يستعد باطنه لسرايه حال الشيخ اليه فان المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله

قلوب المريدين باشياخهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام الى الله تبارك وتعالى فى المحبة والانقياد ولذلك كان الانسان ان لم يقل لا اله الا الله امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله لا يحكم باسلامه ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ثم أفضل ما يحصل للمريد اذا دخل فى سلسلة القوم بالتلقين ان يكون اذا دهمه أمر وتشوش منه قلبه واضطرب حاوته أرواح الاولياء من شيخه الذى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حضرة الله عز وجل فيزول كربه وهمه ومن لم يدخل فى طريق القوم بالتلقين فلا تجيبه روح أحد من أهل الطريق لعدم ارتباطه بهم فحكم ذلك كسلسلة الحديد اذا حركت منها حلقة حاوبتها بقية الحلقات اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق (روى) الطبرانى والامام أحمد والبزار وغيرهم باسناد حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بجمع من أصحابه فقال هل فيكم غريب يعنى من أهل الكتاب قالوا لا يا رسول الله فامر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا اله الا الله قال شداد بن أوس فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا اله الا الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أبشروا فان الله تعالى قد غفر لكم ففى الحديث دلالة للاشياخ فى تلقينهم الذكر للمريدين جماعة وأما تلقينهم فرادى فخرج

شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطى رضى الله تعالى عنه من طرق متعددة حسن أحاديثها عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله

وقويت محبته والمحبة والتألف هي الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لان المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله انتهى ثم ان هذا الانجماع على الشيخ وقطع النظر والتشوف الى غيره هو سبب للكون كذلك مع الله وسلم اليه كما ذكرنا في باب الاختيار فمن كانت غيبته في الشيخ أقوى وانحياشه اليه أكثر وجمعه عليه أدوم كان كذلك مع ربه والله يعامل العبد على حسب ذلك وينزله حيث أنزله من نفسه كما ورد بذلك الخبر وقد كتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اعلم يا عمر ان عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر عون الله بقدر ذلك وقال ابن السماك رضي الله عنه من أعرض عن الله بكليته اعرض الله عنه جملة ومن أقبل على الله بقلبه أقبل برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق اليه ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتاما وهذا ما يتأتى من الآداب من ترك الاعتراض ونحوه وهو سبب وسلم لترك ذلك مع الحق سبحانه والعكس بالعكس فليحذر المريد من الاخلال بشيء من ذلك ثم هذا الامر بالاتصاف به وبالتعميم عليه انما هو تربية له وجمع لقلبه فلا يضره اعتقاده ذلك ان لم يكن شيخه كذلك في نفس الامر ما لم يخرجه الى نقص المشايخ كما هو حال كثير من أهل هذا العصر قال الشيخ أبو الحسن الششتري رضي الله عنه ولا ينبغي للمريد ان يعتقد استاذا اما وهو يجد في باطنه اعتقاد غيره أكثر منه ولا ينتفع بهما ويسلم له غلوه في شيخه ما لم ينتقص المشايخ أو يقع فيهم أو يخرجه الغلو الى حد فاسد حتى يخرج شيخه عن طور البشرية واعلم أن هذا الادب لا يقر قراره للعبد ولا يدوم اتصافه به ما لم يكن عن رابطة قلبية ووجدان حال يسري اليه من الشيخ وهو الذي أشرنا اليه بقولنا أولا على حسب ما شهد به سرك وكذلك أمر الشيخ للمريد بان لا يلتزم صحبة شيخ والدخول في دائرته الا ان وجد ذلك منه كما أشار اليه الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه في العلامات التي يستدل بها المريد على الشيخ الذي قصده انه ينتفع به وقال الق نفسك بين يدي من سرت نورانيته في نورانيتك وانبسطت حقائقه على عوالم ظلمتك فلم يبق منك كل ولا بعض ولا عظم ولا دم ولا شعر الا دخل منه حب واجلال وتعظيم ومهابة بادلال في خجل ووجل وزيادة لا يعبر عنها لسان الحال ولا يشير اليها بنان بحيث يكون البسط منشأ لاجلها والسخط مؤثرا في أحوالها فكلما ازداد بسطا ازدادت عظمته وكلما ظهر بالجلال تأكدت محبته فتنتج موافقة الحبيب طوعا وكرها دون توقف في الامر ولا تلكؤ في النفس ولا علة داخلة فيها ولا خارجة عنها لا من علم ولا عمل ولا من حال ولا من انس ولا من استيحاش عادي ولا طبيعي ولا معاناة ولا غيرها لكن قابل مغناطيس سره ابرة القلب فجذبها فلم يملك الصبر عنه ولا التخلف عن مراده اه وقد قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك باخلاقه وأدبك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه وقد تقدم قول الشيخ تاج الدين رضي الله عنه في لطائفه في هذا المعنى وما يتبع هذا الأدب ما ذكره الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في آداب الشيخ وانه لا ينبغي له أن لا يترك أصحابه يجالسون أصحاب غيره من الشيوخ ولا يزورون شيوخهم يعني لما في ذلك من الضرر للمريد كانحلال هذا العقد من قلوبهم أو ما ذكر مما هو أعظم من ذلك وهو انتقالهم وقدر الانتفاع للمنتقل بواحد منهم ما أنظره فيه وكذا قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه ولا تنتقل عنه ولو رأيت من هو أعلى منه فتحرم بركة الاول والثاني ولذلك كان المشايخ يمنعون أصحابهم من صحبة غيرهم بل من زيارتهم كما قال الشاعر

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به ✽ في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

دلني على أقرب الطرق الى الله عز وجل وأسهلها على العباد وأفضلها عند الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى سرا وجهرا فقال رضي الله تعالى عنه كل الناس ذاكرون وانما أريد أن تخصني بشيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا علي أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله ولو أن السموات السبع والارضين السبع وضعن في كفة ولا اله الا الله في كفة لرجحت لا اله الا الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله فقال علي كيف اذكر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غمض عينيك واسمع مني لا اله الا الله ثلاث مرات ثم قل أنت لا اله الا الله ثلاث مرات وأنا أسمع الحديث بمعناه في البعض فهذا أصل سند القوم وانما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغلق الباب في تلقينه جماعة أصحابه كما تقدم وقال هل فيكم غريب لينبه على أن طريق القوم مبنية على الستر وصفاء الوقت من حضور من ليس منهم ولا يؤمن بطريقهم فربما استهزأ بهم ففتنه الله عز وجل قال الشيخ يوسف الكوراني رضي الله عنه ثم ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقن الحسن البصري وهو لقن داود الطائي ومنه الامام الجنيد شيخ الطائفة وعنه تفرع وانتشر التصوف في أصحابه وهلم جرا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين (ومن رواية أخرى) أخذه عن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أول الاقطاب سيدنا الحسن السبط رضي الله تعالى عنه ثم عنه أبو محمد جابر ثم أخذ عنه القطب سعيد الغزويني ثم القطب فتح السعود ثم القطب سعد ثم القطب سعيد ثم القطب سيدي أحمد المرواني ثم القطب ابراهيم البصري ثم زين الدين

ثم قال اللهم الا أن يعترض أمر شرعي يمنع من وجود الاقتداء كضرر ما يحتمل في نفسك يلحق غيرك في دينه أو دنياه فذلك في التخلف وجهه هي تحقيق المناط اه وقد يكون الشيخ صاحب وقته ورابطة المريد به متأصلة وامداده اليه سارية واصلة فليحذر ان جالس غير شيخه والحالة هذه من استنقاصه فاستنقاص المشايخ ضرر عظيم وخذلان وحفظ حرمهم واجب بكل لسان وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لكونه أرفع أهل زمانه مقاما وأعلاهم مراما وأعذبهم شرابا وأوضحهم طريقا يقول لأصحابه اصحبوني ولا أمنعكم من أن تصحبوا غيري فان وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا وما قدمناه هو الجادة واما هذا فهو عزيز الوجود جدا لا يحصل لكثير من المشايخ فقد وجدناه مع قلة خير هذا الزمان فالشكر لله المنان والحاصل ان زيارة المريدين لغير شيوخهم ليس بممنوع مطلقا في كل واحد ولا مأذون فيه لكل واحد وانما هو موكول لنظر الشيخ فمن رآه لوفور عقله وكمال معرفته وذكاء فطرته انما يعود عليه بالنفع ولا يلحقه ضرر بان يفرط فيستنقص شيخه أو يفرط فيستنقص الشيخ الذي قصده أذن له في الزيارة ومن رآه على العكس من الآخر يعود عليه بالضرر بان يفرط أو يفرط منعه وعلى هذا الذي ذكرنا جرى عمل الشيوخ رضي الله عنهم ثم أشار الى القسم الثاني الذي يلزمه بعد التلزم بصحبة الشيخ وابتدأ بالقسم القلبي منه فقال رضي الله عنه

﴿ولا تعترض يوما عليه فانه • كفيل بتشتيت المريد على هجر﴾

قد تقدم ان من هنا الى قوله وسجادة الصوفي البيت يستعمل مع الشيخ ويقتبس منه مع غيره ممن هو أعلى مرتبة من المتأدب على حسب حال المتأدب معه واما اعرابه وبيان مفرداته فلا ناهية والاعتراض مقابلة القول بالرد وأطلقه هنا على ما هو أعم من ذلك ويوما أي وقتا من الأوقات وضمير فانه للاعتراض وهو أبلغ من عوده الى الشيخ مع موافقته للعوارف والكفيل الضامن والتشتيت التفريق وتشتيت المريد متعلق بكفيل وعلى هجر متعلق بتشتيت والهجر الطرد والابعاد قلبا وقالبا ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تعترض أيها المريد على شيخك في أقواله وأفعاله وأحواله وقتا من الأوقات في ظاهرك وباطنك بعد ان أعطيته قيادك فان اعتراضك عليه كفيل بالتشتيت في دينك ودنياك على هجر وطرد وابعاد يلحقك بسببه من شيخك ثم هذا الطرد تارة يكون قالبيا وقلبيا بطرد الشيخ المريد عن منزله ويغلق بابه دونه وتارة يكون قلبيا فقط وهو أضر بالمريد لكونه لا يشعر بنفسه انه مقام مقام البعد ولا ينتبه لحاله انه استوجب الطرد حتى يلجأ الى الشيخ بالتوبة والاستغفار والذل والانكسار ومن هذا السر قول الاستاذ أبي القاسم القشيري رضي الله عنه وان بقي من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين وقال رضي الله عنه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول بدء كل فرقة المخالفة يعني به من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلاقة بينهما وان جمعتهما البقعة فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة على ان الشيوخ قالوا عقوق الاستاذين لا توبة عنه اه ومن معنى الاول وهو ان يكون الطرد قلبيا وقالبيا قول الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ويجب على الشيخ اذا علم ان حرمته سقطت من قلب المريد ان يطرده عن منزله بسياسة فانه من أكبر الأعداء ويحبب اليه الاشتغال بظواهر الشريعة وطريق العبادة لمحبوبته في العموم ويغلق الباب دونه وبين من عنده من أولاده فانه لا شيء على المريد أضر من صحبة الضد وأصل البيت قوله في العوارف بعد كلام على قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو

القزويني ثم القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين أبو الحسن ثم القطب فخر الدين ثم القطب تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما ثم القطب سيدي عبد الرحمن المدني ثم القطب الكبير مولانا عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير سيدنا وبركتنا الامام أبو الحسن الشاذلي ثم خليفته سيدي أبو العباس المرسي ثم العارف الكبير سيدي أحمد بن عطاء الله ثم القطب سيدي داود بن خلي ثم العارف بالله تعالى سيدي محمد وفا ثم ولده العارف بحر الصفا سيدي علي بن وفا ثم الولي الشهير سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي ثم الولي الكبير سيدي أحمد زروق ثم سيدي القطب ابراهيم الفحام ثم القطب سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار ثم العارف الكبير سيدي عبد الرحمن المجذوب ثم الولي الشهير سيدي العارف بالله تعالى يوسف الفاسي ثم العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن الفاسي ثم القطب سيدي محمد بن عبد الله ثم القطب سيدي قاسم الاخصاصي ثم القطب سيدي أحمد بن عبد الله ثم سيدي العربي بن عبد الله ثم القطب سيدي علي الجمل العمراني الشريف الحسني ثم القطب الكبير مولاي العربي الدرقاوي ثم القطب العارف بالله تعالى سيدي الشيخ محمد حسن ظافر المدني ثم العارف بالله تعالى والدال به عليه مربي المريدين بالهمة والحال والمقال وموصلهم الى مقامات الرجال شيخنا واستاذنا مربي أرواحنا وأشباحنا سيدي القطب الشيخ محمد بن محمد الفاسي ثم المكي أخذت عنه الطريقة الشاذلية في المدينة المنورة حين قدم لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ألف ومائتين وأربعة وسبعين في الحرم الشريف النبوي في المواجهة الشريفة وبعد ان لقنني العهود والاوراد والاذكار قال رضي الله عنه الزم هذا الذكر الذي

تلقيته عنا فـتذكر صارت الاقطاب أقطابا والافراد أفرادا واجعله هجيرا قلبك آناء الليل وأطراف النهار تحصل لك به جمعة على الحق سبحانه وتعالى ثم دعا الى بدعاء خفي متوسلا برسول الله صلى الله عليه سلم في الاجابة والقبول والحمد لله من

ذلك الوقت وأنا أسبح في بحر بركاته وكراماته الحسية والمعنوية وأسأل الله الكريم بجاه حبيبه العظيم أن يثبتنا على سلوك هذه الطريقة المحمدية الشاذلية الى أن نلقى الله بأثمان شاء الله آمين فانهم القوم الذين من تمسك بطريقهم نجا وكان من أهل الولاية والصلاح والهدى كما أشار الى ذلك العارف بالله تعالى سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله تعالى عنه في البدايات الغيبية والبادرات العينية حيث قال

فشمر ولذ بالاولياء فانهم لهم من كتاب الله تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والكنز والرجا ومنهم ينال الصب ماهو طامع
بهم يهتدي للعين من ضل في عمى بهم يجذب العشاق والربع شاسع
هم القصد والمطلوب والسؤل والمنى * واسمهم للصب في الحب شائع
هم الناس فالزم ان عرفت طريقهم * ففيهم لضر العالمين منافع
فان جهلوا فانظر بحسن عقيدة * الى كل من تلقاه بالفقر صادع
وحافظ مواثيق الارادة قائما * بشرع الهوى اذ انت في الحب شارع
وداوم على شرط بذكر أحبة * وتسليك نفس للخلاف تسارع
ولا تهملن ذكر الاحبة لمحة * وداوم خلاف النفس فهي تنازع
وقم واستقم في الحب لاتخش ضيمة * فبل الفتى عما يحاول رادع

وهي كبيرة نحو ثمانية بيت وشرحها بعض الفضلاء من بشرح لطيف والحمد لله رب العالمين ﴿الباب الثاني﴾ في نبذة من عقائد القوم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا الله تعالى بهم أجمعين

الانقياد باطنا وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم بلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه السم القاتل للمريدين وقل ان يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح وأن يذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان تصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمريد ان يعلم ان كل تصرف أشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة وقال فيها أيضا بعد كلام في هذا المعنى سأل بعض أصحاب الجنيد مسئلة من الجنيد فأجابه الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لى فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب وقيل من قال لاستاذه لا لا يفلح أبدا اه ثم قال رضي الله عنه

﴿ومن يعترض والعلم عنه بمعزل * ير النقص في عين الكمال ولا يدري﴾

قد قدمنا ان هذا البيت بيان لقانون كلي تحذيرا من الاعتراض على المشايخ خصوصا وتنفيرا عن المبادرة الى انكار الاشياء بلا تعين واعراب ألفاظه وبيان مفرداته من اسم شرط مبتدأ وهي لتصوير المسئلة ويعترض فعل الشرط والعلم عنه بمعزل جملة حالية ويرى آخره جواب الشرط والنقص مفعوله وفي عين الكمال متعلق بيرى أو بالنقص والمعزل الناحية وعين الكمال أي نفس الكمال ﴿يقول﴾ والله أعلم ومن يعترض والحال ان العلم بحقيقة ما يعترض عنه في ناحية وهو في ناحية أخرى ير النقص والعيب في عين ما هو كمال في نفس الامر ومحمود العواقب وهو لا يدري لانه لما جهل حقيقة الامر وباطنه ووقف مع ظاهره ولم يتهم رأيه ويضف الجهل لنفسه والقصور لنظره يرى بمحالة ما هو كمال في نفس الامر نقصا وكان الواجب عليه ان يحسن الظن بقدوته خصوصا وبكل الاخوان ومن له في هذا الشان سابقة عموما ويسند الامر اليه في جميع ما يصدر عنه بعين الكمال وان له فيه عذرا أو حكمة خفية ولا يراجعه فيه ولا يتهمه فيه فما كل الحكم تظهر ولا أسرار الرجال تبدو للكافة وقد قال في العوارف وينبغي للمريد كلما أشكل عليه شئ من حال الشيخ أن يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى فاذا أخبره الخضر بسرها رجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ في كل شئ عذر بلسان العلم والحكمة وهذا الكلام هو أصل البيت والله أعلم وقال الشيخ أبو الحسن الششتري رضي الله تعالى عنه ولا يعترض على المشايخ فيما يصنعون فانهم لا يتصرفون الا عن اذن وبصيرة وليس هم ممن يدخلون تحت جنس العالم الأول أعني عالم الحجاب الذين لم يشرفوا الى عالم الملكوت ولم تنتقد سماء عقولهم الا بالظواهر خاصة بل معهم كائنون بائنون الحركات والسكنات والأجسام والأقوال واللسان والحروف المنطوق بها كل ذلك متجانس مع العامة وهم محجوبون عنهم من وجه آخر ثم قال فلا يعرف ماهم به عليه الا من كان منهم اه وممن أشار الى ماذكرنا من ترك الاعتراض على الاخوان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه فقال ومن شروط أهل هذه الطريقة ترك الاعتراض الا ان يكون المعترض أعلى فانه تأديب لا اعتراض وأما الادون فانه ينكر لعدم ذوقه فله ان يصمت ولا ينكر ما لا يعرف فان أنكر فقد أبطل عقد طريقه فان من أصولهم انهم أهل صدق ولا ينطقون الا بما شاهدوا فاذا سمع ما ليس في سمعه من أخيه فليعلم من فوره ان مشاهدة أخيه أعظم وانه في حالة ذوقه فلينطلف في تمنيه ان كان والأولى به أن يتوجه بهمته الى الله تعالى حتى يرزقه ما رزق صاحبه أو يتلمذ له أو يخدمه فينتفع به هذا شرط الطريق اه ثم قال رضي الله عنه

﴿ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده * يظلم الانكار في لهب الجمر﴾

من اسم شرط مبتدأ والخبر فى جملة الشرط والجواب والمجموع منهما هو الخبر ويوافق أى يلائم فعل الشرط وقوله شيخه مفعول يوافق وفى اعتقاده متعلق بيوافق وضميره للشيخ والنكير والمناكرة المقاتلة والمحاربة ولهب الجمر اشتعاله اذا خلص من الدخان وقيل لسانها وكنى به عن القطيعة والفرقة ﴿يقول﴾ والله أعلم لما كان الشيخ لا يجلس لارشاد عباد الله وهدايتهم الى ما فيه صلاحهم وتوصيلهم الى حضرة ربهم الا بعد أن يعلم أنه على بينة من ربه مؤهل لذلك ومأذون فيه فلغزارة علمه وقوة معرفته قد تصدر منه أمور بعيدة عن المألوف ظاهرها ليس بمعروف وله فى ذلك نظر صحيح واعتقاد سالم مليح فأقواله وأفعاله كلها مسددة صالحة وله فيها وجوه واضحة والمريد الموفق هو الذى تكون نيته وحسن ظنه أوسع من علمه فيوافق شيخه فيما يصدر منه من الاشياء البعيدة عن المألوف بحسن ظنه واعتقاده انه لا يفعل شيأ بغير وجه عنده معروف ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده فيما صدر منه بان لم يحسن ظنه به يظل من الانكار عليه فى لهب جمر القطيعة والفرقة وذلك لشؤم انكاره واعتراضه على شيخه وسوء ظنه به ولو اعتقد كماله وانه لا يفعل الشئ الا عن بصيرة لم يتهم فيما وقع فيه وقد قال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه ومن شرط المريد أن يعتقد فى شيخه انه على شريعة من ربه وبينة منه ولا يزن أحواله بميزانه فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة فى الظاهر وهى محمودة فى الباطن والحقيقة فيجب التسليم وكم من رجل أخذ كاس خمر بيده ورفعه وقلبه الله فى فيه عسلا والناظر يراه شارب خمر وهو ما شرب الا عسلا ومثل هذا كثير وقد رأينا من يجسد روحانيته على صورته ويتمثل فى فعل من الافعال ويراها الحاضرون على ذلك الفعل فيقولون رأينا فلانا يفعل كذا وهو عن ذلك بمعزل وهكذا كانت أحوال ابى عبد الله الموصلى المعروف بقضيب البان وقد عاينا هذا مرارا فى أشخاص اهـ وما حملنا عليه الاعتقاد فى البيت هو الذى يظهر من السياق وقد يحتمل أن يكون المراد به اعتقاد العصمة فان الشيخ وان كان كما قدمنا على بينة من ربه ليس بمعصوم ولا يعتقدها هو فى نفسه فقد تصدر منه الهفوة والهفوات والزلة والزلات ولكن لا يصر عليها ولا تتعلق أبدا همته بغير الله ولا يركن الى سواه فيتم له التصور فى جانب الحق أى الشريعة لا فى جانب الحقيقة أى ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده فى نفسه انه غير معصوم بان يفرط فيعتقد فيه العصمة كما يقع ذلك لبعض الغلاة يظل من الانكار عليه اذا صدر منه ما يخالف نظره القاصر فى لهب جمر القطيعة والطرد والابعاد قال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه ويجب على المريد أن يعتقد فى شيخه العصمة فى أحواله ثم قال وقد قال بعض السادات يعنى الجنيد لما قيل له أيزنى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا وصحب تلميذ شيخه فرآه يوما قد زنى بامرأة فلم يتغير من خدمته ولا اختل فى شئ من مرسومات شيخه ولا ظهر له نقص فى احترامه وقد عرف الشيخ انه رآه فقال له يوما يا بنى عرفت انك رأيتنى حين فسقت بتلك المرأة وكنت أنتظر مفارقتك عنى من أجل ذلك فقال التلميذ يا سيدى الانسان يتعرض لمجارى اقدار الله عليه وانى من الوقت الذى دخلت الى خدمتك ما دخلت على انك معصوم وانما خدمتك على انك عارف بطريق الله تعالى عارف بكيفية السلوك عليه الذى هو طلبى وكونك تعصى أو لا تعصى شئ بينك وبين الله عز وجل فقال له الشيخ وفقت وسددت هكذا والا فلا وبرع ذلك التلميذ بعد ذلك وجاء منه ما تقر به الاعين من حسن الحال وعلو المقام انتهى ثم قال رضى الله عنه

﴿فذو العقل لا يرضى سواه وان نأى * عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر﴾

العقل قال الحارث بن الاسد المحاسبى رضى الله عنه هو غريزة يتهيأ بها درك العلوم وقال سهل ابن عبد الله رضى الله تعالى عنه للقلب نحويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وكان

قال الامام العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى الباب الاول من الفتوحات اعلم رحمك الله تعالى ان شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد وصانوا عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف الصالح وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم ولذلك قال سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه التوحيد افراد القدم من الحدث واحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال أبو محمد الجريرى من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف قال القشيرى يريد بذلك ان من ركن الى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى اسر المهالك ومن تأمل الفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله وعرف ان القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شاو ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير ونحن نذكر للاخوان فى هذا الباب جملا من متفرقات كلامهم فى الاصول مما يحتاج اليه فى الاعتقاد على وجه الايجاز والاختصار ان شاء الله تعالى فكان أبو بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه يقول جل الواحد المعروف عن الحدود وقبل الحروف قال القشيرى رحمه الله تعالى وهذا صريح من الشبلى رحمه الله تعالى ان القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلامه وسئل رويم رضى الله عنه عن أول فرض افترضه الله على خلقه فقال المعرفة لقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا ليعرفون وكان الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول أول ما يحتاج اليه من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان احداثه

فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فان من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه وكان أبو الطيب المراغي رضي الله تعالى عنه يقول للعقل دلالة وللحكمة اشارة وللمعرفة شهادة فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد ان صفاء العبادات لا تنال الا بصفاء التوحيد وكان الجنيد يقول التوحيد افراد الموحد بتحقيق وحدانيته وكمال أحديته انه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الاضداد والانداد والاشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ليس كمثله شيء لمباينته لخلقه في سائر المراتب وهو السميع البصير وسئل الزاهر اباذي عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه وكان البوشنجي يقول التوحيد انه غير مشبه للذوات ولا منفي الصفات وكان الحلاج الحسين ابن منصور يقول الزم الكل الحدث لان القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالاداة اجتماعه فقواها تمسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي اليه ومن آواه محل أدركه أين ومن كان له جنس طالبه بكيف وهو سبحانه وتعالى لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده امام ولا يظهره قبل ولا يفنيه بعد ولا يجمعه كل ولا يوجده كان ولا يفقده ليس وصفه لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمد له تنزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا في فعله علاج قد باينهم سبحانه وتعالى بقدمه كما باينوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه وان قلت أين فقد تقدم المكان الجارية

يسمى هذا لب القلب والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين هو صقال الموضع المخصوص فيه بمنزلة الذي في سواد العين وضميره سواء عائد لما يصدر من الشيخ أو الشيخ على الاحتمالين في البيت قبله وفاعل نأى أي بعد كذلك والحق يطلق على عشر معان وباسمه تعالى تكون احد عشر والمراد منها الثابت الموجود أي شريعة وطريقته وواضح الفجر من اضافة الصفة الى الموصوف والواضح البين والفجر عمود الصبح الذي يستطير وينتشر ﴿يقول﴾ والله أعلم فذو العقل الكامل السليم من آفات غلبة أثر الهوى وحكم الطبع السقيم لا يرضى سوى شيخه صاحبا ولا يميل نفسه لغيره لما شاهد منه بسره وان بعد شيخه عن الحق في بادئ الرأي بعد الليل عن الفجر الواضح البين وعلى الاحتمال الاول يكون معناه فذو العقل لا يرضى سوى ما صدر من شيخه بالتسليم وحسن الظن وجميل الاعتقاد وان بعد ما صدر عن الشيخ في الظاهر بعد الليل عن الفجر الواضح البين لكونه لكمال غريزته ولطف قابليته واعتدال فطرته لا يقف مع ظواهر الأشياء بل يتعداها وينظر الى بواطنها او يستخرج الحق والحقيقة من ذلك ولو لم يكن الا الايمان فما وراء فهمه وان له حقيقة غير ما يظهر لبادئ الرأي ويعتقد ان للشيخ في ذلك عذرا بلسان العلم والحكمة وقد تكلم الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضي الله عنه في رسائله الكبرى على ورود هذه الأشياء المستنكرة الظاهر من الشيوخ بما لا مزيد عليه قال رضي الله عنه وسألتم في كتابكم الأخير عن المسئلة التي ذكرها صاحب المقامات رحمه الله ورضي عنه وتلك المسئلة اشارة الى حال الخضر مع موسى عليهما السلام ساقها كالدليل على ما هو بسبيله من تقريره ان ثم أمورا ينفرد بها الخواص قد جاوزت الاحوال والمقامات وفارقت النعوت والعلامات وذلك ان الخلق كما قرره في بابه وصف العبد ونعته وحقيقة التصوف راجعة اليه باجماع من أهل هذه الطريق وكل ما هو من نعت العبد مصحوب بالعلل ولذلك أنف الابدال منها كما قال وذكر هنالك ان جماع الكلام فيه يدور على قطب واحد وهو بذل المعروف وكف الاذى وأكثر ما جرى في تلك القصة خارج عن مقتضى ما قاله في حقيقة الخلق ليس منه في شيء ومن التعاسر على المتعلم والمسترشد وهو موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا وانما تبعه متعلما مسترشدا ومن التعاسر على المتعلم والسائل وهو موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا الى قوله هذا فراق بيني وبينك ومن خرق سفينة المساكين وقتل الغلام غير البالغ فانت ترى هذه المسائل كيف جاوزت مقام الخلق الذي هو حاصل أمر التصوف حتى ليست منه في شيء ولا سبيل لاحد أن يستنكرها ولا يستقبحها وان لم يظهر له وجهها فاذا تقرر هذا لم يستبعد ان ينفرد الخواص بامور جاوزت الاحوال والمقامات التي من جملتها الخلق وهو ما أراد رحمه الله أن يقرره وان لم يذكر من مسائل الخضر عليه السلام اقامة الجدار اذ ليس من هذا الباب وقد ذكر في باب الخلق في الدرجة الثانية في التخلق بمجاوزة الاخلاق وهو لخاصة الخاصة وهو ما أشار اليه ههنا ولما كان الخلق من نعت العبد ووصفه كان مجاوز الخلق ليس من نعت العبد ونفي بنعت العبد حاله ما لم ينقطع عن نفسه فاذا انقطع عن نفسه زال عنه النعت ولم يكن له اسم ولا رسم فيصير حينئذ من أهل القبضة وأهل القبضة هم خاصة الخاصة المشار اليهم بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل من قوله فاذا أحببته كنت سمعه وبصره وكذا وكذا فتجدهم تجري على أيديهم أشياء مستنكرة في ظاهر العلم وباطنها حق محض اذا ظهر وجهه اعترف بصحته وحقيقته كمسائل الخضر عليه السلام بعد تفسيرها لانهم معزولون عن نفوسهم مأخوذون عن مقتضيات رسومهم فكانت التصاريف والتصرفات

الجارية عليهم غير منسوبة اليهم وكل مالم ينسب اليهم لاسبيل لاحد أن يسأل عنه سؤال اعتراض وانتقاد فليس الا التسليم وجميل الانقياد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد نبه الخضر عليه السلام على هذا المعنى بقوله وما فعلته عن أمرى وقوله فى اقامة الجدار فأراد ربك وانما أسند الارادة الى نفسه فى مسئلة السفينة والغلام دون المسئلة الأخرى تأدبا لما فى ظاهرها من الشناعة واحمل على هذا الاسلوب الذى ذكرناه فى معنى هذه المسئلة كل ما ينسب الى الاكابر من أحوال شنيعة وجوز أن يكون ذلك من هذا القبيل التسليم من التهمة وسوء الظن بالاكابر الذى لا تقال فى ذلك عثرة عاثر كقول النبى صلى الله عليه وسلم او غيره والشك من عندى لبعض الناس أصابتك عين من عيون الله وما أشبه هذا فهذا ما ظهر لى من الكلام على هذه المسئلة التى سأتم عنها على طريقة القوم نفعنا الله بهم اه واعلم أن هذه الامور التى تصدر من المعتقدين على قسمين أحدهما أن تكون مما يحسن فيه التأويل على ما فعله المعتقد وذلك كاخذ مال من شخص لاحتمال استحقاقه وضربه لاحتمال وجوبه عليه وقتله لاحتمال تعلقه عليه والثانى أن تكون مما لا يحسن فيه التأويل كاللواط والزنا بمعينة وادمان شرب الخمر قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه فلو اتى بأمر لا يباح فلا تأويل الا عصمانه أو فسقه وما لا يباح بوجه هو اللواط والزنا بمعينة وادمان شرب الخمر ونحوه لا قتل أو أخذ مال ونحوه مما له وجه فى الاباحة عند حصول شرطه وانما التوقف عند الاحتمال باطنا ولا توقف فى الحكم الظاهر قال وذلك لا يصرفه عن مرتبته الا فى الحال لحديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن أى كامل الايمان وفيما بعد ذلك تعود حرمته بتوبته فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له اه فهذا ما يلزم فيما يصدر منه فى خاصة نفسه وأما فيما يأمر به فقال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه مجيب فان الحق والباطل فليس الا الفعل أو الترك وان خالف ذلك أمر الشيخ أو مراده أو قصده اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحيث أشكل واحتمل فحرمة الشيخ مقدمة والاتباع لازم والاعتراض حرمان وعامه ينزل قولهم من قال لاستاذه لالم يفلح أبدا يعنى انه لا ينفذ لانه ينتفى عنه الفلاح أصلا وفصلا والله أعلم وهذا كله بعد تحقق رتبة المشيخة اه وذلك ان الشيخ اذا أمر المريد بما يخالف الحق فليحتل فى حسن التخلص حتى لا يعمل بمنكر ولا يستظهر بمخالفة فيتغير قلبه عليه ثم أشار الى القسم الثالى من الادب الذى يلزمه بعد الولوج فى دائرة الشيخ والدخول فى صحبته فقال رضى الله عنه

﴿ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره * ولا تملأن عينا من النظر الشزر﴾

لا ناهية وتعرفن مؤكد بالنون الخفيفة وحضرة الشيخ مجلسه وغيره مفعول تعرفن ولا تملأن مثل ولا تعرفن وعينا مفعول ويقال شزره نظر منه فى أحد شقيه أو نظر الغضبان بمؤخر العين أو هو نظر فيه اغضاء أو النظر عن يمين وشمال وكلها مرادة هنا الا الاخير ولو قيل بتلازم الاول والثانى ما بعد وأما الاخير وهو النظر عن يمين وشمال فهو داخل فى قوله ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره لانه حث على الاقبال على الشيخ بالقلب والقالب ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تشغل ظاهرك وحواسك وباطنك ومعانيك فى حضرة الشيخ بغيره من الالتفات اليه أو تكلمه أو النظر اليه ولو قل ونحو ذلك أو اعمال الفكر فيه أو غير ذلك بل غب فيه بكليتك غيبة من لا شعور له بغيره ولا تملأن عينا من النظر فيه أى فى الشيخ نظر شزر بوجوهه الثلاثة الاول فانها كلها مذمومة هنا فاما الاول والثانى فهما يدلان على تسخط فى الباطن وذلك مخالف لما يجب ان يكون عليه المريد مع الشيخ من الشفقة عليه والرحمة والرأفة به وأما الثالث فهو المسمى بالغمز وفيه سوء أدب أيضا لما فيه من قلة الاحترام للشيخ والتعظيم له اذ لا يفعله الانسان بحضرة من يعظمه

وجوده فالمعروف آياته ووجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه عن خلقه ماتصور فى الافهام فهو بخلافه كيف يحل به مامنه بدا أو يعود اليه ماهو انشا الا تماقله العيون ولا تقابله الظنون قربه كرامته وبعده اهانته علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وكان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول التوحيد هو ان تعلم قدرة الله تعالى فى الاشياء بلا مزاج وصنعه للاشياء بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وليس فى السموات العلى والارضين السفلى مدبر غير الله وكل ماتصور فى وهمك فالله بخلاف ذلك وقال أبو بكر الواسطى يقول من قال أنا مؤمن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير الى اشراف أو اطلاع أو احاطة فمن فقده بطل دعواه فيهما قال القشيرى رحمه الله تعالى يريد بذلك ماقاله أهل السنة ان المؤمن الحقيقى من يحكم له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمته تعالى فدعواه بانه مؤمن حقا غير صحيح وكان سهل بن عبدالله التسترى رحمه الله تعالى يقول ينظر اليه المؤمنون بالابصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية وكان أبو الحسين النورى رضى الله تعالى عنه يقول شاهد الحق تعالى القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وكان محمد المحبوب خادم أبى عثمان المغربى يقول قال لى أبو عثمان يوما يا محمد لو قال لك أحد أين معبودك ايش تقول قال كنت أقول حيث لم يزل قال فان قال أين كان فى الازل ايش تقول قال كنت أقول حيث الآن يعنى انه كما كان ولا مكان فهو الآن قال فارتضى منى بذلك ونزع قميصه وأعطانيه وكان سيدى على الروذبادى رضى الله

لما فيه من سوء الادب معه فضلا عن ان يفعله معه وعن علي كرم الله وجهه انه قال من حق العالم عليك ان تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بالتحية وان تجلس امامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا تغمزن بعينك ولا تقول ان قال فلان خلافا لقوله ولا تغتابن عنده أحدا ولا تسار في مجلسه ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه اذا كسل ولا تعرض أي تشبع من طول صحبته اه وهو الذي حملنا عليه كلامه من ان قوله ولا ءلان عينامن النظر الشزر هو باعتبار الشيخ وهو الصواب لان معاني النظر الشزر راجعها باعتبار غير الشيخ قد أم بالنهي عنها قوله ولا تعرفن في حضره الشيخ غيره لانه كما فهمناه حث على الاستغراق قلبا وقالبا واشلاء على الاقبال عليه حسا ومعنى وقد وردت الاخبار في الحث على هذا الادب ترهيبا وترغيبا وتعريفا فالاول ما رواه الحافظ أبو نعيم الاصفهاني رضي الله عنه عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينما يعلمهم شيأ من أمر دينهم اذ شخصت أبصارهم عنه فقال ما أشخص أبصاركم عني ومن الثاني ما رواه أيضا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يطلع على عباده فيقول أنظروا عبادي هؤلاء يذكروني ويخشوني الغيب ولم يروني انظروا اليهم شاخصة أبصارهم الى رجل منهم يقص عليهم آياتي طوبى لهم أشهدكم أني غفرت لهم ذنوبهم ومن الثالث ما رواه أيضا عن اسامة بن شريك قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وقال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ومن شرط المريد الاطراق وعدم الالتفات وفضول النظر لانهم كانوا يكرهون فضول النظر كما كانوا يكرهون فضول الكلام حتى لو سئل أحدهم عن صفة جليسه مادرى ما صفاته فكيف به لو سئل عن صفة شيخه فان المريدين ينبغي أن يكونوا بين يدي شيخهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم للعقوبة خائفون كما قيل

كان الطير منهم فوق رؤسهم * لاخوف ظلم ولكن خوف اجلال

ثم ان هذا الادب من الجمع على الشيخ والاستغراق فيه منهم غاية لانه سلم ومرقاة للجمع على الله والغيبة فيه عما سواه والحاصل ان كل أدب تستعمله مع الشيخ فذلك من معناه أدبا مع الله واعلم ان هذا الادب وما بعده من الآداب لا يثبت العبد على استعمالها ويداوم عليها ان لم يكن ذلك عن وجدان هيبة للشيخ في قلبه واجلال وتعظيم له فان القلب اذا سكن فيه هيبة الشيخ ومحبته يظهر أثر ذلك على الجوارح من غير اختيار ولا شك ان الولي اذا أراد الله اظهاره لا بد ان يحليه بحلية الهيبة والمحبة ومن أراد الله خيرا على يديه يجد ذلك منه ليكون باعثا له على الطاعة والانقياد قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء الله رضي الله عنه في لطائفه واعلم رحمك الله ان من أراد الله تعالى به أن يكون داعيا من أوليائه فلا بد من اظهاره للعباد اذ لا تكون الدعاة الى الله الا كذلك ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوة الجلالة والبهاء اما الجلالة فليعظمه العباد فيقفوا على حدود الادب معه ويضع له في قلوب العباد هيبة ينتصر بها المعينه على القيام له بالنصرة قال الله سبحانه الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وهي من اظهار اعزاز الحق لعباده المؤمنين قال الله سبحانه وتعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهذه الهيبة التي جعلها الحق في قلوب العباد لاوليائه جرت اليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم ألم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر البسهم الحق ملابس هيبته وأظهر عليهم اجلال عظمته كلما نزلوا الى أرض العبودية رفعهم الى سماء الخصوصية فهم الملوك وان لم تخفق عليهم البنود والاعزاء وان لم تسر امامهم الجنود ولله در القائل في مالك بن أنس رضي الله عنه

تعالى عنه يقول التوحيد كله يرجع الى كلمة واحدة وهي ان كل ما صورته الاوهام والافكار فالله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك لقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكان النصراباذي يقول قدمت بغداد فسمعت الاستاذ أبا اسحق الاسفرايني يقرر في مسئلة الروح وانها مخلوقة وكان عندي انها على غير ذلك فقمت وقلت لاصحابي اشهدوا اني أسلمت على يدي أبي اسحق رضي الله تعالى عنه وجزمت بانها مخلوقة وسئل الشبلي رحمه الله تعالى عن قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى فقال الحق لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال استوى علمه بكل شيء فلا شيء أقرب اليه من شيء وسئل الاوزاعي عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال هو على العرش كما وصف نفسه واني لاراك رجلا ضالا وسئل الامام مالك ابن أنس رضي الله تعالى عنه كيف استوى فقال الكيف مجهول والاستواء غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ورأيت في نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير ما نصه قلت وقد وقفت على قول بعضهم في المعنى اذ قال وقد أجاد وهو الشيخ أبو منصور التميمي في معنى الاستواء على العرش

على عرشه رب الجلال الأنق مستوى
وتكييف معناه عن الوهم منطوى
ولم يقع التشبيه فيه لانه
هو الحامل العرش الذي هو يحتوى
الا انما عنه السؤال البدعة * وان به ايماننا واجب قوي

هكذا وجدت الابيات الثلاثة بخط قديم بالي وانما أثبتها لحسنها وشدة مناسبتها وصحة معناها قال القشيري رحمه الله تعالى ورأيت بخط الاستاذ أبي علي رضي الله عنه انه قيل لصوفي

يأبى الجواب فما يراجع هيبة * والسائلون نواكس الاذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى * فهو المطاع وليس ذا سلطان

ثم قال والكسوة الثانية التى يكسوها الحق لاوليائه اذا أظهرهم كسوة البهاء وذلك أنه يلبسهم فى قلوب عباده فينظرون اليهم بعين الشفقة والمحبة فيكون ذلك باعثا لهم الى الانقياد اليهم أفلا ترى كيف قال الله سبحانه وتعالى فى سيرة موسى عليه السلام وألقيت عليك محبة منى وقال سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فخلاهم بحلية البهاء والهيبة فيجرهم حبهم الى حب الله تعالى والحب فى الله يوجب المحبة من الله لقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى اه ثم قال رضى الله عنه

﴿ولا تنطقن يوما لديه فان دعا * اليه فلا تعدل عن الكلم النزر﴾

لا ناهية وتنطقن مؤكد بالنون الخفيفة ويوما أى دقيقة من الزمان ولديه أى عنده وبحضوره فان دعا فاعل دعا الشيخ ومعناه طلب معنى الجنوح والميل ولذلك عدى بعلى وضميراليه للكلام والنطق وفلا تعدل لا ناهية وتعدل مجزوم بها أى لا تمل ولا تخرج عن الكلام القليل وقد يكون من معنى قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون أى لا تأخذ بالكلم النزر عديلا والجملة جواب الشرط والكلم اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين مفرده بالتاء كحبة وحب والنزر القليل ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تنطقن أيها المريد امام شيخك وقتا من الاوقات بكلام ما ولو حسنا فانه سوء أدب وقلة احترام للشيخ وهيبة له فان دعا الى الكلام وطلبه منك فلا تعدل ولا تحد ولا تخرج عن الكلام القليل الى الاسهاب والتطويل والحاصل ليكن كلامك جوابا بقدر الضرورة والحاجة قال الشيخ ضياء الدين السهروردى رضى الله عنه فى آداب المريدين ولا يتكلم الا ان يسأله عن شئ فيجيبه عن سؤاله ونظم هذا المعنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد البناء التجيبى السرقسطى رحمه الله فى مباحثه فقال

وان للقوم هنا آدابا * أن يجعلوا كلامهم جوابا
فان تعاطى الشيخ منهم قولا * قالوا والا فالسكوت أولى

وبيت الناظم قد ألم بهذا كله وزيادة فى التنصيص على التحذير من أن يفعل اذ ذاك فيسترسل فى الكلام فهو مع وجازته قد أحاط بالمقصود التام وهذا شأن من يكتب من محبرة الجمع فانه يكتب طويل طويل طويل قصير قصير قصير كما قال الشيخ أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه فقوله طويل طويل طويل يعنى به والله أعلم انه لكونه فى عين الجمع وتحققه بقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا الحديث يأخذ بقسط من قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الآية وقوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر الآية فلا ينفد له كلام وقوله قصير قصير قصير يعنى به والله اعلم انه أيضا لكونه كما قدمنا يأخذ بحظ من قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم فتختصر له الحكم ويصير يدمج المعانى الكثيرة فى قليل من الكلام كما فى هذا المحل ويكون كلامه اذ ذاك جامعا يشتمل على معان لا تعد ولا تحصى من لطائف العلوم وغرائب الفهوم وهذا هو شأن آيات الكتاب الحكيم وكلام الانبياء وأكابر الاولياء كل كلمة من كلامهم مشتملة على معان لا تتناهى وقد ذكر الشيخ صدر الدين محمد بن اسحاق القونوى رضى الله تعالى عنه أن الامام الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان التميمى البستى رضى الله تعالى عنه صاحب الصحيح المسمى بالتقاسيم والانواع ذكر فى قوله صلى الله عليه وسلم لاخى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما حين مات نغره أى عصفور صغير كان يلعب به يحزن عليه يا أبا عمير

ابن الله فقال اسحقك الله اتطلب مع العين أين ولذا قال بعض المحققين لو كلفت ان أرى غيره لم أستطع فانه لا غير معه حتى أشهده معه وأنشد بعضهم مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * وأنا اليوم واصل مجموع قلت وهذا حال أهل مقام الفناء فى الحق سبحانه وتعالى المستهلكين فى عين بحر وحدة الوجود وأما أهل مقام الفناء بالحق سبحانه وتعالى فانهم يشاهدون الحق سبحانه وتعالى ويرون الخلق ويعطون كل ذى حق حقه ويوفون كل ذى قسط قسطه لأن ظاهرهم شريعة وباطنهم حقيقة والكل أهل الله تعالى ويؤيد ما قلنا ما ذكره سيدى الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله تعالى عنه فى لطائف المنن قال سمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول ان لله تعالى عبادا محق افعالهم بافعاله وأوصافهم باوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من اسراره ما تعجز عامة الاولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات فهى اذن فناآت ثلاث ان يفنيك عن افعالك بافعاله وعن أوصافك باوصافه وعن ذاتك بذاته ولذلك قال قائلهم

وقوم تاهوا فى أرض بقفر
وقوم تاهوا فى ميدان حبه
فافنوا ثم افنوا ثم افنوا
وأبقوا بالرضا من قرب ربه

فاذا أفناك عنك أبقاك به فالفناء دهليز البقاء ومنه يدخل اليه فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه ومن كان عما سوى الله تعالى فناؤه كان بالله تعالى بقاؤه ولذلك قالوا من كان فى الله تعالى تلفه كان على الله تعالى خلفه فالفناء يوجب عذرهم والبقاء يوجب نصرهم والفناء يوجب غيبتهم عن كل شئ والبقاء يحضرهم مع الله تعالى فى كل شئ فلا ينقطعون عنه فى شئ الفناء يميتهم والبقاء يحييهم ومن ذكة

جبال وجوده استمع داعي شهوده قال الله سبحانه وتعالى ويسألونك عن الجبال الآية الى قوله همسا وانشد بعض العارفين

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ٥٠ الا على أكمه لا يبصر القمرا ثم استترت عن الابصار يا أحد * فكيف يعرف من بالعزة استترا

فما احتجب الحق عن العباد الا بعظيم ظهوره ولا منع الابصار ان تشهده الا قهار به نوره فعظيم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي حقيقة القرب ان تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو منها وكلما دنا منها تزايد ريحها فاذا دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم
والامر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها
وعن تهامة هذا فعل متهم

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان وانا لا نرى أحدا من الخلق هل في الوجود أحد سوى الملك الحق وان كان لا بد فكالهباء في الهواء اذا فتشته لم تجده شيأ ومن عقائدهم نفعنا الله تعالى بهم عقيدة الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر والسر الاطهر العارف المحقق والعالم المدقق سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه المختصرة المبرئة له من سوء الاعتقاد أحببت ان أثبتها في هذه الرسالة تتميما للفائدة ولما فيها من العلوم والحكم الزائدة مانصه (اعلم) رحمك الله يا اخي انه ينبغي لكل مؤمن ان يصرح بعقيدته وينادي بها على رؤس الاشهاد فان كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله وباولى تعالى وان كانت غير ذلك بينوا له فسادها ليتوب منها وقد أشهد هود عليه السلام قومه مع كونهم مشركين بالله تعالى على نفسه بالبراءة

ما فعل النغير سبعمائة وجه من المعاني والفوائد على ان هذا غريب جدا وأكثر ما ذكر فيه الامام أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبراني المعروف بابن القاص الشافعي ستين مسئلة وزاد غيره عليها ما ينيف على العشرة وهذا الذي ذكرناه من تقليل الكلام بحضرة الشيخ مالم يفهم عن الشيخ انه أراد منه المباسطة فان أدب وتنبه اذ ذاك الا كثار من الحديث ماسكا عنان الهيبة والوقار مراعيا حال الشيخ هل قضى وطره من الاهدار وكلام الناظم صادق بهذا لأن مراده بقوله فلا تعدل عن الكلام النزر تنبيه المريد وصيانته عن ان يلتذ بالكلام اذ ذاك ويسترسل فيخرج عن المقصود والا فالقلة والكثرة بحسب المقام فقد يقتضي مقام كلمة أو كلمتين والزيادة فيه عدل عن الكلام القليل وآخر يقتضي عشر كلمات مثلا وعموم هذا البيت مخصوص بقوله بعد وان نظم الحق الابيات الخمسة فانك هناك تبدؤه بالكلام وتنطق لديه بحسب المقام وأصله في العوارف ونحن نورد كلامه مجملا تتميما للفائدة وتكثيرا للفائدة قال فيها بعد ان ذكر تأويلات في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقيل نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المريد في مجلس الشيخ ينبغي له ان يلزم السكوت ولا يقول شيأ بحضرته من كلام حسن الا اذا استأمن الشيخ ووجد من الشيخ فسحة في ذلك وشأن المريد في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل البحر ينتظر رزقا ساقه اليه فتطلعه للاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله تعالى وتطلعه الى القول برده عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شئ لنفسه وذلك جناية المريد وينبغي ان يكون تطلعه الى مهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج الى سؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يبادئه الشيخ بما يريد لان الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه الى الله تعالى ويستمطر ويستسقي لهم فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق مأخوذين الى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح عليه لان الشيخ يعلم تطلع الطالب الى قوله واعتداده بقوله ثم قال ويكون الشيخ فيما يجريه الحق سبحانه وتعالى على لسانه مستمعا كاحد المستمعين وكان الشيخ أبو السعود رضي الله عنه يكلم الاصحاب فيما يلقى اليه ويقول أنا في هذا الكلام مستمع كاحدكم فاشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال اذا كان القائل يعلم ما يقول كيف يكون مستمعا ما يعلم حتى يستمع فرجع الى منزله فرأى ليلته في المنام كان قائلا يقول له أليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في مخلاته والدر حصل معه ولكن لا يراه الا اذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل ففهم في المنام اشارة الشيخ في ذلك فاحسن آداب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما فيه المصلحة قولا وفعلا اه ثم قال رضي الله عنه

﴿ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوته * ولا تجهروا جهر الذي هو في قفر﴾

لا ناهية وترفعوا مجزوم وضميره للمريدين ويأخذ غيرهم شربة منه ممن ثبتت ولايته ووجب احترامه وخدمته وأصواتكم مفعوله ولا تجهروا مثل ولا ترفعوا وجهر الذي هو في قفر مفعول مطلق عامله تجهروا والقفر الخلاء من الارض ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا ترفعوا أيها المريدون أصواتكم فوق صوت شيخكم لان في ذلك القاء لجلباب الوقار ودلالة على خلو الباطن من هيبة الشيخ وتعظيمه ولا تجهروا له بالقول بان تغلظوا له في الخطاب وتنادوه بالاسماء والالقاب كجهر أهل القفر والجفاة من أهل البوادي والاعراب لغلظ طبعهم وقساوة قلوبهم وجهلهم بما يلزم من الآداب مع الاكابر والاخيار ولكن عظموه ووقروه وقولوا يا سيدي ويا أستاذي

ويا ولي الله وما أشبه ذلك (وروى) الحافظ أبو نعيم الاصفهاني رضي الله عنه عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فقد نهيت عن رفع الصوت ﴿وروى﴾ أيضا عن عبد العزيز بن سعيد الشامي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من غض صوته عند العلماء جاء يوم القيامة مع الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وأصل البيت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وقال القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية رضي الله عنه روي ان سببها كلام أبي بكر وعمر المتقدم في أمر الاقرع والقعقاع والصحيح انها نزلت بسبب عادة الاعراب من الجفاء وعلو الصوت ثم قال وقوله تعالى كجهر بعضكم لبعض أي كحال جهركم في جفائه وكونه مخاطبة بالاسماء والالقاب وكانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم يا محمد يا محمد قاله ابن عباس وغيره فأمرهم الله بتوقيره وان يدعوه بالنبوة والرسالة والكلام اللين فتلك حالة الموقر وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفي المساجد وفي هذه كلها آثار اه وقال في العوارف ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي كان ثابت بن قيس بن شماس في أذنيه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا تكلم جهر بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فأنزل الله الآية تأديبا له ولغيره ثم قال بعد ان ذكر رواية في سبب نزولها وانها نزلت في منازعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بحضرته قال فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآية آلى أبو بكر أن لا يتكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار فهكذا ينبغي للمريد مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام الا اذا باسطه الشيخ فرفع الصوت القاء جلباب الوقار اذا سكن القلب عقل اللسان وقد ينال باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع ان يشبع النظر الى الشيخ ثم قال ابن عطاء في قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم زجر عن الادنى لئلا يتخطى أحد الى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل في ذلك لا تخاطبوه الا مستفهمين وقال أبو بكر بن طاهر لا تبتدؤه بالخطاب ولا تجيبوه الا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم أي لا تغلظوا له في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادي بعضكم لبعض ولكن فخموه واحترموه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل يكون الخطاب للمريد مع الشيخ واذا تمكن الوقار القلب ظهر على اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس بمحبة الاولاد والازواج تمكنت أهوية النفوس والطبائع واستخرجت من اللسان عبارات غريبة هي تحت وقتها صاغها كلف النفس وهواها واذا امتلا القلب حرمة ووقارا تعلم الانسان العبارة ثم قال بعد ان ذكر ما فعل ثابت بن قيس رضي الله عنه لما نزلت الآية من تقييده نفسه وما شهد له به رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ من عيشه سعيدا وموته شهيدا ودخوله الجنة وما آل اليه أمره من نزول قوله تعالى فيه ان الذين يغضون الآية والشهادة والوصية بعد الموت واجازة أبي بكر رضي الله عنه لها قال فهذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق وليعلم ان الشيخ تذكرة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وان الذي يعتمده مع الشيخ عوض ما كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام القوم بواجب الادب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن

من الشرك بالله والاقرار له بالوحدانية لما علم عليه السلام ان العالم كله سيوقفه الله تعالى بين يديه ويسألهم في ذلك الموقف العظيم الأهوال حتى يؤدي كل شاهد شهادته وكل أمين أمانته والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار ولهذا يدبر الشيطان اذا سمع الاذان وله ضراط حتى لا يسمع أذان المؤذن فيلزمه أن يشهد له فيكون من جملة من يسعى في سعادته وهو لعنه الله عدو محض ليس له التأخير البتة واذا كان العدو لا بد له أن يشهد لك كما أشهدته به على نفسك لان المشهد الحق يعطي ذلك بحقيقته فأحرى ان يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو على دينك وأحرى ان تشهد انت في دار الدنيا على نفسك بالوحدانية والايمان فيا اخواني ويا أحبابي رضي الله عنا وعنكم أشهدكم اني أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ومن حضر من الروحانيين أو سمع اني أقول قولا جازما بقلبي ان الله تعالى اله واحد لا ثاني له منزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده بل كل موجود مفتقر اليه في وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والاقطار مرئي بالقلوب والابصار استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده كما ان العرش وما حواه به استوى وله الآخرة والاولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه لانه خلق المتمكن والمكان وانشأ الزمان وقال أنا الواحد الذي لا يؤده حفظ المخلوقات ولا ترجع اليه صفة لم يكن

الله قلوبهم للتقوى أى اختبر قلوبهم وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصا فكان اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ لتأدب القلب فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ قال أبو عثمان الأدب عند الاكابر وفى مجالس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير فى الدنيا والعقبى ألا ترى الى قوله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ثم قال بعد كلام فى قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وفى هذا تأديب للمريد فى الدخول على الشيخ والاقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره الى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته اه ثم قال رضى الله عنه

﴿ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده * فلا قبح الادون ذلك فاستقر﴾

ولا ترفعن مثل ولا تنطقن والضحك انفتاح الشفتين عن الاسنان لسبب تعجب قهقهة كان أو تبسما وهو حقيقة فى الانسان مجاز فى الماء والنوار والسماء والشيب ونحو ذلك بجامع الانفتاح والانشقاق والمراد هنا الضحك الحقيقى لا المجازى لان الخطاب للانسان بل لصنف منه وقد فسر عياض الضحك بانه حالة تغير الوجه بسرور يغلب فتنبسط له عروق القلب فيجرى فيها الدم فيسير الى سائر عروق الجسد فتثور لذلك حرارة ينبسط لها الوجه ويضيق عنها الفم وينفتح وهو التبسم فاذا زاد السرور وتمادى ولم يضبط الانسان نفسه قهقه وضمير عنده للشيخ فلا قبح لا واسمها وقبح اسمها والادون ذلك خبرها وفاستقر أى فتتبع ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا ترفع أيها المريد صوتك بالضحك عند الشيخ أى امامه وبحضرته فلا قبح مضاف لشئ من الآداب الظاهرة الاأخف من ذلك وتحته فتتبع صور سوء الأدب الظاهرة جزئية جزئية فلا تجدها الا أقل من ذلك قبحا غالبا وقد وردت أخبار وآثار فى ذم الضحك مطلقا منها ما رواه الحافظ أبو نعيم رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وفى العوارف ويصعب معرفة الاعتدال فى الضحك والضحك من خصائص الانسان وتميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك الا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه شأن من ترسخ قدمه فى العلم ولهذا قيل واياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقيل كثرة الضحك من الرعونة وروى عن عيسى انه قال ان الله يبغض الضحاك من غير عجب والماشى من غير ارب ثم قال وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله عليه القهقهة من الذنب وحكم ببطلان الوضوء فيها وقال نقيم الاثم مقام خروج الخارج اه وأما الصلاة فانها تبطل بها عنده وعند غيره كما هو معلوم وهذا مطلقا واذا انضم الى ذلك كونه بحضرة الشيخ يكثر قبحه فشأن المريد فى مجلس الشيخ ان يكون بسكينة ووقار واحترام للشيخ واعظام والضحك مخالف لذلك غاية واغا قيدنا كلامه بالآداب الظاهرة لان الاخلال بشئ من آداب الباطن كالاحتواء على مخامرة اعتراض للقلوب وتطلع لغير شيخه من أعظم الذنوب والعيوب وأفح من كل قبيح وأشنع من كل شنيع وأبضع من كل بضيع لا يرتجى نجاحا أصلا لانه تسويس لبذرة الارادة من أصلها وحل لعقدة الصحبة من عند أولها لا يزيده طول ملازمة الشيخ بالظاهر والحالة هذه الا ادبارا ولا يكسب بمرور الأيام معه على هذه الصفة الا نفارا ولا يطمع وان طال مكثه معه فى سمات لان قولهم من ثبت نبت بشروط بصحة النواة ثم قال رضى الله عنه

﴿ولا تقعدن قدامه متربعا * ولا باديا رجلا فبادر الى الستر﴾

ولا تقعدن مثل ولا ترفعن وقدامه أى امامه والتربع معلوم ولا باديا أى كاشفا ورجلا مفعوله وفاء فبادر الخ جواب شرط مقدر أى وان وقع منك ذلك غفلة فبادر وقت تيقظك الى الستر ومتربعا حال من فاعل تقعدن وباديا عطفا على متربعا ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تقعدن أيها المريد

قدام

عليها من صفة المصنوعات تعالى الله ان تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شئ معه اذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه فهو القيوم الذى لا ينام والقهار الذى لا يرام ليس كمثله شئ وهو السميع البصير خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسى وأوسعه الارض والسماء اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كما يشاء بعلمه فى خلقه الى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق وأخلق بالذى خلق أنزل الأرواح فى الأشباح أمناء وجعل هذه الاشباح المنزلة اليها الأرواح فى الأرض خلفاء وسخر لها ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فلا تتحرك ذرة الا به وعنه خلق الكل من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق فلا بد ان يخلق ما خلق فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور كيف لا يعلم شيأ هو خلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الاشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الاطلاق كما علم الجزئيات باجماع من أهل أهل النظر والاتفاق فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فعال لما يريد فهو المدبر للكائنات فى عالم الارض والسموات لم تتعلق قدرته تعالى بايجاد شئ حتى أراده كما انه لم يرده حتى علمه اذ يستحيل فى العقل ان يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده كما يستحيل ان توجد هذه الحقائق من غير حى كما يستحيل ان تقوم هذه

قدام شيخك وامامه جلوس من تربيع ولا مكشوف الرجل كشفا محالفا للحال أدب الوقت فانه سوء أدب وقلة احترام للشيخ واعظام له وان صدر ذلك منك غفلة فبادر بنفس تعظمك الى الستر والتغطية لها ومانهى عنه من جلوس التربيع هو كذلك لانها جلسة المتكبرين وشأن المريد وحاله مخالف فان وصفه اللازم له لاسيما بحضرة شيخه الذل والانكسار والتواضع والتحقق بالعبودية قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه وقد كان من هدى العلماء فى قعودهم ان يجتمع أحدهم فى جلسته وينصب ركبتيه ومنهم من يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه وكذلك كان من شمائل كل من تكلم فى هذا العلم خاصة من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زمان الحسن البصرى رضى الله عنه وهو أول من تكلم فى هذا العلم وفتق الألسنة به الى وقت أبى القاسم الجنيد قبل ان تظهر الكراسى وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء ويحتبى بيديه وفى خبر آخر كان يقعد على قدميه ويجعل يديه على ركبتيه ثم قال انما كان يجلس متربعا الجبون وأهل اللغة وأبناء الدنيا من العلماء المفتين وهى جلسة المتكبرين ومن التواضع الاجتماع فى الجلسة اه فللمريد أسوة حسنة فى النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعده من العلماء الزاهدين أهل المعرفة واليقين ثم قال رضى الله عنه

﴿ ولا باسطا سجادة بحضوره * فلا قصد الا السعى للخادم البر ﴾

﴿ وسجادة الصوفى بيت سكونه * ولا وكر الا ان يطير عن الوكر ﴾

السجادة هى الزاوية وهى تتخذ من قطن أو كتان كذا هى فى البلاد المشرقية وباسطا خبر كان محذوفة مع اسمها أى ولا تكن باسطا ويجوز عطفه على متربعا من قوله ولا تقعدن قدامه متربعا وسجادة مفعول باسطا وبحضوره متعلق بباسطا وفلا قصد لا واسمها والسعى منصوب على الاستثناء والسعى يرد بمعنى المشى والجرى والعمل والمراد هنا الأخير على أى وصف وقع من الوصفين قبله أو غيره والخادم المقترب والبر هنا بفتح الباء الصادق والصوفى هذا يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس قاله فى العوارف وأطلق هنا الصوفى على المتوسط فى السلوك الذى شأنه التصفية وتأهل للخلوة ونحوها ومداومة الذكر كما أطلق البادى على المبتدى الحديث العهد بالدخول فى الطريق الذى ما انتبهت نفسه للاحوال السنية والأعمال القلبية وبيت سكونه مرفوع على انه مبتدا لخبر محذوف تقديره ومحل سجادة الصوفى وأقيم المضاف اليه مقامه ويحتمل أن يكون منصوبا على اسقاط الخافض وهو فى أى بيت سكونه والوكر عش الطير وان لم يكن فيه وأطلقه هنا على الشيخ باعتبار ان المريدين اليه يأوون والى حماه يفزعون أو على المجالس بمعنى انه يكون له مجلس معلوم بين الجمع حسبما يأتى ﴿ يقول ﴾ والله أعلم ولا تكن أيها المريد باسطا سجادة بحضور الشيخ ومجلسه الالوقت الصلاة كنت مبتديا أو متوسطا بل اقعد قعودا مستوفزا لانه لاقصد ولا غرض للخادم البر الصادق الذى لم تنتبه نفسه للاحوال السنية الا السعى فى حوائج شيخه واخوانه والتبتل لخدمتهم والانقطاع لاعانتهم على عبادة ربهم حتى يجذب بذلك قلوبهم وتشمله بركتهم ويكتسب الأوصاف الحميدة والأحوال الجميلة ويؤهل لما أهلوا له ومحل سجادة المتوسط فى التصفية التى تنبه لسلوك المقامات الزكية وتأهل لمنازلة الأحوال السنية بيت اقامته وموضع خلوته لان ذلك أقرب لتأدبه مع شيخه وأسلم له من اللغو واللغط واجمع لقلبه واحفظ لسره ولا مجلس للمريد مألوف وموضع معروف فى بيت الجماعة كحال الشيوخ وأرباب التمكين والرسوخ الا ان ينفصل عن مجلس شيخه ويستقل بنفسه ويبلغ أوان الفطام والفصال ويؤذن له فى التعليم والمقال وأصل البيتين ماذكره فى العوارف

الصفات بغير ذات موصوفة بها فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا عرض ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا ترح ولا روح ولا شبح ولا ظلام ولا ضياء ولا أرض ولا سماء ولا تركيب ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا سهاد ولا رقاد ولا ظاهر ولا باطن ولا متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شئ من المتضادات والمختلفات والمتماثلات الا وهو مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده فكيف يوجد المختار مالا يريد لاراد لأمره ولا معقب لحكمه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على ان يريدوا شيأ لم يرده الله تعالى لهم ان يريدوه ما أرادوه أو ان يفعلوا شيأ لم يرد الله ايجاده وأرادوه مافعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بهذه الارادة أزلا والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ماجهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعين الارادة المنزلة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد فى الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل سبحانه وما تشاؤن الا أن يشاء الله وانه تعالى كما علم فاحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن

في موضعين أحدهما قال فيه ومن آدابهم الظاهرة ان المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ الا لوقت الصلاة فان المريد من شأنه التبتل بالخدمة وفي السجادة ايماء الى الاستراحة والتعزز والثاني قال فيه والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وكهول وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمشايخ بالزوايا أليق نظرا الى ما يدعو اليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فالنفس تتشوف الى التفرد والاسترسال في وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لتكثر العيوب عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون هذا الا اذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض وهكذا ينبغي لأهل الصدق والصوفية ان يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم فاذا تخلل أوقات الشبان اللغو واللغط فالاولى ان يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ليحبس الشاب نفسه عن دواعي الهوى والخوض فيما لا يعنيه ويكون الشيخ في بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على مادارت الناس عليه وتخلصه من تبعات المخالطة وحضور وقاره بين الجمع فينضبط به الغير ولا يتكدر هو واما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتديا ولم يذق طعم المعاملة ولم يتنبه لنفائس الأحوال فيؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله فتشمله بركة ذلك ويعين الاخوان المشتغلين بالعبادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون اخوة يطلب بعضهم الى بعض الحوائج فيقضي بعضهم لبعض الحوائج يقضي الله لهم حاجاتهم يوم القيامة فيحفظ بالخدمة عن البطالة التي تميت القلب والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق المواجيد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة فالناظم رضي الله عنه على ما قررنا نهى المريدين عن بسط السجادة بحضرة شيوخهم لما فيه من سوء الأدب معهم لانه كما قدمنا ايماء الى الاستراحة والتعزز مع كونه أيضا اشارة للتساوي مع الشيوخ ثم عرف كل أحد ما يليق به فذكر في الشطر الثاني من البيت الاول حال المبتدي وفي الاول من الثاني حال المتوسط ثم عرفهما معنى انه لا مجلس لهما كحال الشيوخ الان ينفصلوا عن شيوخهم وتكمل تربيتهم ويؤهلوا التربية غيرهم وهذا مبني على انه أريد بالوكر المجلس واما على انه عبر به عن الشيخ مجازا كما قدمناه فهو اشارة لبيان المستحق للمشيخة وان كان قد قدم ذلك أولا لكن في هذا التقسيم مناسبة لذكره ومعناه على هذا ولا شيخ يأوي اليه المريدون وتدرج الى حماه المسترشدون والقاصدون الا ان ينفصلوا عن شيخ على مثل ذلك الحال ويحصل له منه الاستقلال والتمكن من الحال والاذن في الارشاد الخاص والمقال ولما عبر عن الشيخ بالوكر عبر عن الانفصال للطيران للمناسبة مع تلويحه لما ذكرنا من الاستقلال اذ الفرخ مادام غير مستقل بنفسه ومستكمل للطيران لا يطير عن والديه ويؤدي هذا التقرير الثاني كان يقرر شيخ وقته أبو محمد عبد الله بن محمد العزواني رضي الله عنه ثم أشار الى التأدب مع مرتبة المشيخة اللازم له التأدب مع الشيخ فقال رضي الله عنه

﴿ومادمت لم تفطم فلا فرجية * عليك ولا تلف عليها بمستجر﴾

ومادمت دام واسمها وجملة لم تفطم خبرها وفرجية لا واسمها وهي العاملة عمل ليس وتلف أي توجد وهو مجزوم بلا والمستجرئ على الشيء صاحب الجرأة والجسارة عليه ﴿يقول﴾ والله أعلم ومدة كونك أيها المريد غير مفطوم عن رضاع التربية لعدم بلوغك الاستقلال بنفسك فلست محلا للبس الفرجية فلا تقربها ولا تلف ولا توجد بذي جرأة وجسارة عليها لانها من زي الشيوخ

أو نطق في الورى من العالم الاسفل والأعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة ٥٤ الحقيقة عند الناس يرى سبحانه السواد في الظلماء والماء في الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم به موسى عليه السلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والانجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكيف فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان كما سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما ان بصره من غير حدقة ولا أجفان كما ان ارادته من غير قلب ولا جنان كما ان علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان كما ان حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان كما ان ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وجوده وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه فيه ان انعم فذلك فضله وان أبلى وعذب فذلك عدله لم يتصرف في ملك غيره فينسب الى الجور والحيف ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن ارادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيآت من شاء هنا وفي يوم النشور لا يحكم عدله في فضله ولا فضله المؤملين في عدله اخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي ولم يعترض عليه معترض

المؤهلين للمشيخة فليسلك لها جهل بقدرك وتعدا طورك وميل الى الرياسة والاستتباع قال الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي رضي الله عنه ويكره لبس الفرجية أيضا الا للمشايخ فانها بمنزلة الطيلسان والسجادة والطيالس للمشايخ والبرانس للمريدين اه وهذا الحكم جار في كل ماهو من زي الشيوخ لان العلة واحدة وذلك لا يختلف باختلاف الأعراف ثم أشار الى التحذير من التكبر على الخلق ورؤيتهم بعين الازدراء فقال رضي الله عنه

﴿ولا ترين في الأرض دونك مؤمنا * ولا كافرا حتى تغيب في القبر﴾

الواو للعطف ولا ناهية وترين مؤكد بالنون الخفيفة وفي الأرض متعلق بترين ودونك ظرف منصوب بترين واصل دون أدنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدنيء الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الأشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون وذلك اذا كان أحط منه قليلا ثم اختصروا واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه يثني عليه أنا دون هذا وفوق ما في نفسك ثم اتسع فيه فاستعمل في كل من تجاوز حدا الى حد وتخطى حكما الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا تجاوز ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقوله مؤمنا مفعول ترين وقوله ولا كافرا عطف عليه ولا زائدة والمؤمن هو المتصف بالايمان كما أن الكافر هو المتصف بالكفر على انهم اختلفوا في المقابلة بين الايمان والكفر هل من مقابلة الضدين أو مقابلة العدم والملكة فاختار الامام الكبير أبو عمرو وابن الحاجب رحمه الله الأول فقال الايمان عبارة عن تصديق الرسل في كل ما علم بالضرورة مجيء الأنبياء به على الأصح فعبر بالانكار واختار غيره الثاني فقال الكفر هو عدم الايمان عما من شأنه أن يكون مؤمنا والايمان يقال لغة ويقال شرعا اما لغة فيطلق ويراد به التصديق والاعتراف ويتعدى بالباء آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ويطلق ويراد به الاذعان والانقياد ويتعدى باللام نحو فآمن له لوط وهو افعال من الأمن يقال أمنته غيري ويقال آمنه اذا صدقه وحقيقة آمنه التكذيب والمخالفة واما شرعا فاختلف أهل السنة والجماعة فيه على ثلاثة أقوال وهي هل هي الأمر القلبي المعبر عنه بالاذعان والتصديق فقط والنطق به وانقيته انما هو شرط لان تجري عليه الاحكام الشرعية الاسلامية في الدنيا حتى انه لو مات ولم ينطق وآمن بقلبه فهو مؤمن في نفس الأمر وهو مذهب جمهور المحققين واختيار أبي منصور الماتريدي شيخه كلمي ماوراء النهر والامام أبي حامد وهذا مالم يكن عاجزا ولا آبيا وهو الأمر القلبي مع النطق بحيث يكون الايمان مركبا منهما حتى انه لو لم ينطق ومات كذلك وهو غير عاجز ولا آب وهو المحكوم له بالايمان على القول الأول فهو كافر في نفس الأمر وهو قول الأشعري وجماعة من أصحابه وقال بعض العارفين مشيرا الى ترجيح هذا القول ان الحق جل وعلا مسمى باسمائه الحسنى فلابد للايمان من شيئين شيء يتعلق بالمسمى وهو الأمر القلبي والنطق باللسان مع العمل بالجوارح بحيث يكون مجموع الثلاثة هو الايمان وان لم يعمل لم يسلب عنه الايمان وهو قول المحدثين وجماعة من الصوفية وهو مشكل للزوم نفي الماهية عند نفي جزئها الا ان يتأول بالايمان بالكامل لا بمطلقه ثم ان ذلك الأمر القلبي اختلف فيه هل يرجع الى العلم أو يرجع الى كلام نفسي تابع للعلم فمنهم من رده الى المعرفة وهو أحد قولي الأشعري ومنهم من رده الى الكلام النفسي وهل هو كلام النفس المفسر بحديث النفس أو ربط القلب أو نسبة شيء الى شيء نسبة مطابقة للواقع وهو المسمى بالتصديق وهو ظاهر قول امام الحرمين وغيره وهو التسليم والاذعان وهو قول جماعة من المحققين وحجة الاسلام وعول عليه السعد التفتازاني والحق عند الصوفي انه أمر قلبي وليس هو المعرفة ولا يوجد دونها فهو عنده

هنالك اذ لاموجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضته تحت أسماء بلائه وقبضته تحت أسماء آلائه ولو أراد الله سبحانه ان يكون العالم كله سعيدا لكان أو شقيا لما كان في ذلك من شان لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد فلا سبيل الى تبديل ماحكم عليه وقال تعالى هن خمس وهن خمسون ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد اتم في في ملكي وانفاذ مشيئتي في ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولا تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر الا بوهب الهي وجود رحماني لمن اعتنى الله تعالى به من عباده وسبق له ذلك في حضرة اشهاده فعلم حين اعلم ان الالوهية أعطت هذا التقسيم وانها من دقائق القديم فسبحان من لافاعل سواه ولا موجود بذاته الا اياه والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل عما يفعل وهم يسألون فلله الحجة البالغة ولو شاء لهدا كم أجمعين وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بالايمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلى الله عليه وسلم ما أنزل من ربه اليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة الوداع على من حضره من الاتباع فخطب وذكر وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وماخص بذلك التذكير أحدا دون أحد عن اذن الواحد الصمد ثم قال الاهل بلغت قالوا بلغت يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد واني مؤمن بما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت به ومما

يرجع الى نور يلقيه الله فى قلب العبد يعبر عنه بالسكينة والاذعان ولذلك يقال فيه الايمان سكينة القلب لوجود أمر الرب الباعث فى استعمال النفس فى الأعمال الصالحة والأخلاق الراجحة قال الله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وان كان نورا فهو يقبل الزيادة والنقصان وكيف لا ونحن قاطعون بان ايمان الأنبياء ليس كاحد الناس على انه اختلف فى المسئلة على ثلاثة أقوال الأول يزيد ولا ينقص وهو قول أهل النظر من الأشاعرة وعمدتهم فى ذلك ان الايمان يرجع الى معنى بسيط قلبى وذلك أمران حصل فهو الايمان وان لم يحصل الايمان واما ان قلنا ان الايمان هو العلم والمعرفة فاحرى اذ هو لا يقبل النقص فلا يقبل التفاوت كما هو مقرر فى محله الثانى انه يزيد وينقص وهو قول السلف والفقهاء والصوفية وقد تقدم الكلام عليه مع كون ظواهر الآيات والأحاديث تشهد له قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا الثالث يزيد ولا ينقص وهو قول مالك على انه اختلف قوله كما هو فى رواية العتبية على الاحتمالات الثلاثة وكونه يزيد ولا ينقص انما ذلك توقف مع ظواهر القرآن حيث أخبر بالزيادة ولم يخبر بالنقصان والا فهو يزيد وينقص لا محالة وهذا كله ان لم تجعل الأعمال جزأ من الايمان وأما ان جعلت جزأ منه فزيادته ونقصانه ظاهران وقد ذكرت وجوه أخرى فى الزيادة والنقصان ككونه من حيث الثمرات ومن حيث كونه يكون بدون الاختيار ويكون به وان لم نقل باشتراط الاختيار فى التصديق ومن حيث الوصول بعد علم اليقين الى عين اليقين ومن حيث الترقى من عين اليقين الى حق اليقين وهذان الوجهان مختصان بأهل العراق ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا ترين أيها المريد فى الأرض مؤمنا أو كافرا أدنى منك منزلة واخفض منك عند الله مرتبة بل ر نفسك أقل الموجودات وأدنى المخلوقات واستمر على ذلك الى وفاتك وحلولك فى رمسك حتى تسلم من ادعائك غير وصفك وتحليك بغير نعتك اذ وصفك اللازم لك الذلة والافتقار ووصف ربك العز والاستكبار ومن ادعى صفته تعالى يكون كاذبا وقد عظم الله شأن ذلك فقيل فيما حكى عنه النبى صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته وفى رواية قذفته فى نار جهنم اى رميته فيها وقال الفضيل رضى الله تعالى عنه من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب وقال أبو سليمان رضى الله عنه لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد رضى الله عنه ما دام العبد يظن ان فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل أحد على قدر معرفته بنفسه وربه وقال فى العوارف قال يوسف بن اسباط وقد سئل ما غاية التواضع فقال ان تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا الا رأيته خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه فى سفره الى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤس الأسارى من الافرنج وهم فى قيودهم فقدمت السفرة والأسارى ينتظرون الأوانى حتى تفرغ قال للخادم احضر الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نزل بباطنه من التواضع لله والانكسار فى نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله وقال الشيخ أبو الحسن على بن عتيق بن موسى القرطبى رحمه الله تعالى انه رأى الشيخ الفقيه أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن مقيد وكان من الفقهاء العلماء يوما وهو يمشى فى يوم شاتٍ كثير الطين فاستقبله كلب يمشى على الطريق التى كان عليها قال فرأيته قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظر ليجوز وحينئذ يمشى هو فلما قرب منه الكلب قال رأيته قد ترك مكانه الذى كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشى فوقه قال فلما جازه الكلب وصلت اليه فوجدته

لم أعلم فيما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله اذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا ايمانا لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت أن سؤال فاتنى القبر حق والعرض على الله حق والحوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط حق والجنة حق والنار حق وفريقا فى الجنة وفريقا فى السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الاكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق والتأبيد للمؤمنين حق فى النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين فى العذاب الاليم حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتى على نفسى أمانة عند كل من وصلت اليه يؤديها اذا سئلها حيثما كان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال الى دار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران وجعلنا من العصابة التى أخذت الكتب بالايمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبت منه على الصراط القدمان انه المنعم المحسان آمين آمين انتهت العقيدة وهى فى غاية صفاء التوحيد الخالص عن الشرك الجلى والخفى أعاذنا الله تعالى منهما وحفظنا بحفظه الذى حفظ به كتابه المجيد وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثالث﴾ فى بيان أن السادة الصوفية أسسوا طريقهم على الكتاب والسنة السنية بالدلائل الواضحة والحجة القوية اعلم يا أخى أكرمنى الله تعالى واياك

علمه كأنه فقلت له ياسيدي رأيتك صنعت الآن شيأ استغربته كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان علمت له طريقا تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لاذنب له فنزلت عن موضعي وتركته يمشي عليه وأنا الآن أخاف المقت من الله الا ان يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني وهذه الحكاية فيها الهام من شرح هذا البيت والذي بعده واعلم ان منشأ الكبر انما هو من جهل العبد نفسه وربه كما ان التواضع سببه معرفة العبد بنقص نفسه أوشهود عظمة ربه وهذا أكمل من الأول لأنه لايمكن ارتفاعه ومن هنا كان تواضعا حقيقيا دون كما قال الشيخ تاج الدين رضي الله تعالى عنه في حكمه التواضع الحقيقي ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته يعني لأنه لابقاء لآثار الخلق عند ظهور وصف الحق قال ذو النون رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذوب ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب عنه سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع ان لاينظر الى نفسه دون الله تعالى فاذا حصل العبد على هذا المعنى من التواضع تواضع للخلق لامحالة لرؤيته نسبتهم من الله تعالى ولذلك قال في العوارف ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لايتوفر حظه من التواضع للخلق وأشار أيضا لهذا المعنى مولاي أبو الدرضي الله عنه حيث سئل قديما هل يجوز ان يرى الانسان شيأ فوقا ومزية له على غيره ولو كافرا أم لا وهل يواجهه بالطرد واللعنة ان كان شخصا معينا أم لا وهل يصح التمييز بين الشخصين أم لا فقال بعد كلام اعلم يا أخي ان الناس في ذلك على مذهبين مذهب المنقطعين والمتوجهين الى الله تعالى ومن له قدم في الارادة عدم الرؤية لذلك لانه لم يحصل لهم التمييز على الحقيقة والمؤمن والكافر من كان كذلك عند الله وهذا مما انفرد الله بعلمه عن الجمهور وهو من عالم الغيب لامن عالم الشهادة فتوقف لذلك وامسك اللسان عنه لانه لم يعلم نفسه من حيز السعادة أوالشقاوة وهل هو مقبول أومردود وغير ذلك من الأوصاف المتضادة فتحير أمره وأمسك اللسان سكونا تحت مجاري الأقدار ذهولا من هيبة الواحد القهار ولكن ذلك لايصله الانسان الا بعد ترقيه من عالم العادة الى عالم الحكمة ومن عالم الحكمة تصادمت تجليات الأسماء والصفات فيخضع لذلك لكل ذرة في العالم لالها ولكن للسر الموجود فيها افافهم واعرف قدرك ولاتتعد طورك ولاتقف ماليس لك به علم الآية وهذا بداية السالكين وأول اقدام المتوجهين ووراءذلك أمر لايسعه فهمكم ولاتسعه عقولكم ويختل منه ذهنكم قال مولانا جل جلاله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية والحامل لي على ذلك افادتكم واراحة لقلوبكم وشفاء لصدوركم وان أشياء وراء فهمكم ومحجوبة عنكم على غير ما يقتضيه نظركم ويكفيكم في ذلك ما أشار اليه صاحب الشريشية رضي الله تعالى عنه حيث قال ولاترين في الأرض دونك البيتين انتهى محل الحاجة منه وقد ذكر نحو هذا الأدب المذكور في البيتين الشيخ محيي الدين رضي الله عنه حيث قال ومن آدابهم مع الله تعالى وقليل فاعله ان يعتقد الانسان ان لله نظرات في كل زمان الى قلوب عباده فيمنحهم فيها من لطائفه ومعارفه ماشاء فاذا فارق شخصا ساعة واحدة وأعرض عنه نفسا واحدا وهو معه جالس ثم عاد اليه فانه يتهيأ للقائه بالخدمة والتعظيم بعد نظرة حصلت له من تلك النظرات حصل بها فوقه فان كان الأمر كذلك يعني بأن حصلت له نظرة من تلك النظرات فقد وفي معه الأدب وان يكن غير ذلك يعني بان لم يحصل له شئ من تلك النظرات فقد تأدب مع الله تعالى حيث عامله بما تقتضيه المرتبة الالهية وهذا مقام عزيز

بالاعتقاد الصحيح في أهل الله والحب الصادق الباعث الى التخلق بأخلاق أولياء الله ان بعض الناس ممن ليس له علم باصطلاح القوم ولامعرفة له باشاراتهم المرموزة في عباراتهم ينكر عليهم علومهم ويقول من أين لهم هذا ومادرى هذا الغبي ان ما أتوا به أهل الله تعالى هو نتيجة المتابعة للشريعة المحمدية والغوص في لجة بحر أنوارها المصطفوية وينكر أيضا على أفعالهم وأحوالهم ومواجيدهم ظنا بنفسه انه أحاط بعلوم الشريعة كلها وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر في لغة العرب حتى علم مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك وهذا هو الجهل والعمى عن طريق أهل الانصاف والهدى وربما يلتمس له عذر وهو انه لما رآهم يعملون الاعمال الشاقة من الصمت والجوع والسهر والعزلة والذكر والفكر وغير ذلك من الزهد والورع والخوف والرجاء وحسن الظن والصبر والشكر ورأى نفسه لاتستطيع ان تأتي بشئ من ذلك حيث انه دائما راكن الى الرخص وتارك للعزائم وراتع في رياض الشهوات والعادات واللذات المفوتات للمعدات للغنائم وهم رضي الله تعالى عنهم تراهم تارة يأتون بالرخص وتارة يأتون بالعزائم حرصا منهم على كمال المتابعة للشريعة وطمعا في تحصيل درر علوم الحقيقة اذ لاطريق الى الحقيقة الا من باب الشريعة كما يدل على ذلك من له علم واطلاع باحوالهم وعلومهم وأعمالهم فلذلك أبدى العذل واللوم وأظهر الانكار والفحش على القوم لعجزه عما قاموا به وتأخره عما قدموا عليه وجهله بما اصطلحوا عليه

(٨ - شرح رائية الشريشي) وذلك نتيجة الحسد الذي هو أصل الشقاوة والطرد والبعد عن حضرة الواحد الاحد اذ الحسود لايسود ولهذا قال الشيخ الأكبر قدس سره الاطهر في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات مانصه ولايخفى ان أصل الانكار من الاعداء

قل ان ترى لذ ذائقا وكذلك أيضا اذا شهدوا عاصيا فى حال عصيانه ثم زال عن تلك المعصية فانهم لا يعتقدون فيه الاصرار ويقولون لعله تاب فى سره ولعله ممن لا تضره المعاصى لاعتناء البارى به فى قضية أمره ولا يعتقدون فى أحد سوأ البتة الا من كشفهم الله تعالى على سره ومثاله فلا يقدرون ان ينكروا ما عرفوا لكنهم لا يعيرون أحدا ولا يشمتون به ومن نظر نفسه خيرا من أحد من غير أن يعرف مرتبته ومرتبة ذلك الآخر بالغاية بالوقت فهو جاهل بالله عز وجل مخدوع لا خيرة به ولو أعطى من المعارف ما أعطى ولم يكن هذا من شان القوم رضى الله عنهم والازدراء بالعالم من جانب الحقيقة هو الازدراء بالله تعالى وهو نقيض الولاية ثم أشار الى وجه الخلاص من هذه الآفة التى نهى المريد عنها فقال رضى الله عنه

﴿فان ختام الامر عنك مغيب * ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر﴾

نسبة هذا البيت لما قبله انه علة له وذلك انه لما رأى أن سامع البيت الذى قبله ربما تبقى نفسه متطلعة وليس كذلك قال ان سألت عن ذلك فهو كذا ولكنه طوى ذكر الشرط وذلك مطروق فالفاء المصدر بها البيت اذا فصيحة والمكر لغة الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ومن قولهم ضب خادع وخدع اذا أمن الحارس يده على باب جحره أوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فمكر الله استعارة لأخذ العبد من حيث لا يشعر به واستدراجه فان الاستدراج من الدرج وهو أخذ الشئ قليلا قليلا بحيث لا يشعر به ومنه درج الصبى لانه يقطع عرض البيت مثلا بخطا متقاربة شيأ فشيأ ودرج الكتاب أى طيه شيأ فشيأ الى انتهائه والدرج الذى يرتقى به ﴿يقول﴾ والله أعلم نهيناك أيها المريد عن أن ترى فى الارض أدنى منك منزلة لان الأمور بخواتمها وختام أمرك وأمر غيرك عنك مغيب فلا تسكن الى علم ولا الى عمل ولا تقطع على النجاة بشئ من العلوم وان علت ولا بسبب من الاعمال وان جلت ولا تزدر أحدا من خلق الله طائعا كان أو عاصيا مؤمنا كان أو كافرا لعدم علمك بتحقق الخاتمة فقد قيل انما يوزن من الاعمال خواتمها وقد يكون الحق نظر اليك نظرة البعد فانت تزداد بعملك بعدا فاذا انقطعت الآجال وأشهدت الاعمال تناهيت فى الابعاد فحللت دار البعد فالخاتمة هى مكر الله الذى لا يوصف ولا يفطن له ولا علمه يوقف ومن ليس ذا خسر وخذلان يخاف من مكر الله فى كل شئ لان القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وقد روى جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك قيل يا رسول الله أتخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به فقال ان القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وأشار الى السبابة والوسطى وهو من باب التمثيل والتصوير وهو ابراز المعانى العقلية فى الصور الحسية تقريبا للافهام وذلك هنا كناية عن سرعة تقليبها وعدم استعصائها عن ذلك لان ما يكون بين أصبعين فى الحس هو كذلك ولك أن تقول هو من باب التعبير بالسبب عن المسبب فان الاصبع سبب القدرة على التحريك والتقليب اذ بهما سرعة التقليب فعبر بهما عن القدرة التى هى المراد منهما ولك أن تقول عن روح الأصبعين وهى الأصبع العقلية الروحانية يعنى ان روح الأصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله القلوب فكنى بالأصبعين عنهما وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم للقلب ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة وقال مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا اجتمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن ومن الاحاديث التى وردت فى تهويل

المبطلين انما ينشأ من الحسد ولو ان أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهر منهم انكار ولا حسد وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الامر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأطال فى ذلك وأنشد بعضهم فى المعنى فقال

ان داعى الهوى أراه يجاب * ومريد الصواب صار يعاب
ليت شعرى هل الانام تعاموا * أم عراهم فى البينات ارتياب
وأرى طامس الحقائق غيرا * أعلى الشمس للبصير حجاب
غاية الباطل المروق للعين لدى الحق ان يقال سراب
وصحيح الاقوال ما أيدته * بالدلالات سنة وكتاب
فتأمل معانى الوحى واشرب * من مجاريه أنهرا عذاب
وعلى سنة النبى فعرج * فعليها يعض يا صاح ناب
وتحرى مسالك السلف الابرار صدقا فى التحرى الثواب
يا خليلى طارحانى حديثا * عن أولى الحق حبذا الانجاب
وارويا ان قوما مضوا وتقضوا * هم لبيت الفضائل الاعتاب
كتبهم عن فعالهم ناطقات * زانها عند نشوه الاسهاب

اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق قال الامام القطب الربانى سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى أول المقدمة من كتاب الطبقات الكبرى ما نصه مقدمة فى بيان ان طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وانها مبنية على سلوك أخلاق الانبياء والاصفياء وبيان انها لا تكون مذمومة الا ان خالفت صريح القرآن أو السنة أو الاجماع لا غير واما اذا لم تخالف فغاية الكلام انه فهم أوتيه رجل مسلم فمن شاء فليعمل به ومن شاء تركه ونظير الفهم فى ذلك الافعال وما بقى باب للانكار الا سوء الظن بهم وحملهم على الرياء وذلك لا يجوز شرعا وأطال الى أن قال ثم ان العبد اذا دخل طريق القوم وتبحر فيها أعطاه الله هناك قوة

أمر الخاتمة ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وقال الامام أبو حامد رضي الله عنه فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح وانما هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء انتهى قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ومن خوف العارفين عليهم بأن الله عز وجل يخوف عباده بمن شاء من عباده الاعلين يجعلهم نكالا للادنين ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل لبعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه فعند الخائفين في علمهم ان الله عز وجل قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا أخوف بهم المؤمنين ونكل بطائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله أعلم بما وراء ذلك ثم قال وصار من أهل كل مقام لمن دونهم موعظة لمن فوقهم وتخويف وتهذيب لأصحابهم وهذا داخل في وصف من أوصفه وهو المنادى فيما أظهر من العلوم والاعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الاحوال الى حال ولا أمن مكر الله عز وجل عالم به في كل الاحوال قال الامام أبو حامد رضي الله عنه وانما كان خوف الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لانهم لم يأمنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى أن النبي وجبريل صلى الله عليهما بكيا خوفا من الله سبحانه وتعالى فأوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما ومن يأمن مكر الله وكأنهما اذ علما ان الله تعالى علام الغيوب وانهما لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله تعالى قد أمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا أو مكرا لهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما أمنا من المكر وما أوفيا بقولهما قال ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال عليه السلام اللهم ان كسرت هؤلاء لم يبق أحد على وجه الارض يعبدك فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله تعالى وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو أتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عما يصدر عنها من المكر وليس لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وعرف قصور المعرفة عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ففوض الامر الى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من الامر لعلمه أنه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك ان هلكت فقد أهلك من لا يحصى من أمثالك لم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ومرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العذاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر سبحانه وتعالى عن ذلك ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكيف يخاف ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر أنفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن

الاستنباط نظير الاحكام الظاهرة على حد سواء فستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداب ومحرمات ومكروهات وخلاف الاولى نظير ما فعله المجتهدون وليس ايجاب مجتهد باجتهاده شيأ لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من ايجاب ولي الله تعالى حكما في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه كما صرح بذلك اليافعي وغيره وايضاح ذلك انهم كلهم عدول في الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه فمن دقق النظر علم انه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وصلتهم الى الله عز وجل في كل لحظة ولكن أصل استغراب من ليس له المام بأهل الطريق ان علم التصوف من عين الشريعة كونه لم يتبحر في علم الشريعة ولذلك قال الجنيد رضي الله تعالى عنه علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة ردا على من توهم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره الى أن قال وقال القشيري لم يكن عصر في مدة الاسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة الا وائمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتباركوا به ولولا مزيد خصوصية للقوم لكان الامر بالعكس انتهى قلت ويكفينا للقوم مدحا اذعان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لشيبان الراعي حين طلب الامام أحمد بن حنبل أن يسأله عمن نسي صلاة لا يدري أي صلاة هي واذعان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لشيبان كذلك حين قال شيبان هذا رجل غفل عن الله عز وجل فجزاؤه ان يؤدب وكذلك يكفينا اذعان الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابي حمزة البغدادي الصوفي رضي الله تعالى عنه واعتقاده حين كان يرسل له دقائق المسائل ويقول ما تقول في هذا يا صوفي فشيء يقف في فهمه

الامام أحمد بن حنبل و يعرفه أبو حمزة غاية المعرفة بالقوم وكذلك كان اذعان أبي العباس بن شريح للجنيد حين حضره
وقال لا أدرى ما يقول ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطلة وكذلك اذعان الامام أبي عمران للشبلي

الدنيا منقطعا او بظاهره و باطنه على الله مقبلا كان هذا ان يقتضى تحقق الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يخليها للانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فانه أشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الامن والغرور ولولا أن الله عز وجل لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء رحمة من الله تعالى وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني و بين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فمات لما قطعت له بالتوحيد لاني لا أدرى ما ظهر له من التقلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا أدرى ما يعرض لقلبي من باب الحجرة الى باب الدار وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما أحد أمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل رضي الله عنه يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال تعالى وقلوبهم وجلة قال وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر وقال أبو يزيد اذا توجهت للمسجد فكان في وسطي زنار أخاف أن يذهب بي الى البيعة أو بيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا أدنى كل يوم خمس مرات قال ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة انتهى وما ذكر عن سهل ان العارف يخاف الكفر والمريد يخاف المعاصي كل ذلك لانطواء العارف على ما قدمنا ذكره واتصافه بما شهدنا أمره يشغله خوف الابتلاء بالكفر عن خوف الابتلاء بالمعاصي بل لو وجد الفداء من الاول بتحقيق الوقوع في الثاني كان ذلك عنده عيدا كمن بات محبوسا في حد القتل والقذف لو وجد سبيلا بأن يسامح الأول ويضرب الثاني فأنت تعلم كيف كان يكون فرحه والمريد لما لم يبلغ نظره لما وراء الساتر وقف مع الحاصل ذلك مبلغهم من العلم وأيضا اللعين انما يريد ويحاول أن يفسد على كل أحد ما بيده وذلك كالطاعات للمريدين ومقامات التوحيد للعارفين قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه والعدو يدخل على العارفين من طريق الالحاد في التوحيد والتشبيه في اليقين والوسوسة في صفات الذات و يدخل على المريد من طريق الآفات والشهوات فلذلك كان خوف العارفين أعظم من قبل ان العدو يدخل على كل عبد من معنى همه فيشككه في اليقين كما يزين لهذا الشهوات وأصل قوله ومن ليس ذا خسر الخ قوله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فانه في قوة قضية قائلة آمن مكر الله خاسر وعكس نقيضها من ليس بخاسر ليس بآمن من مكر الله وهو معنى قوله ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر وكل قضية يلزمها عكسها وعكس نقيضها كما هو مقرر في فنه ولما نهى المريد عن التكبر على الخلق والازدراء بهم حذره من الافراط في الجانب الآخر كي لا يجعلهم قبلة ويرائيهم باعماله و ينظر اليهم في أحواله وغير ذلك مما ينشأ من تعظيمه لهم وانما ينزلهم حيث أنزلهم الله فقال رضي الله تعالى عنه

﴿ولا تنظرن يوما الى الخلق انه * يخلي طليق الصفو في كدر الأسر﴾

ولا تنظرن نهي ومنهي مؤكد بالنون الخفيفة و يوما أي حينا من الاحيان والى الخلق متعلق بتنظرن وضمير انه يعود للمصدر المفهوم من الفعل أي ان النظر اليهم و يخلي الخ خبر ان وطليق الصفو من اضافة الموصوف الى الصفة أو عكسه أي يخلي الطليق الصافي والكدر التغير

حين امتحنه في مسائل من الحيض وأفاده سبع مقالات لم تكن عند أبي عمران وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن رضي الله تعالى عنه ان الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول انهم بلغوا في الاخلاص مقاما لم نبلغه ثم انه قال يعني سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه فان من لم يدخل حضرتهم لا يعرف حالهم فما أغلقوا أبوابهم عليهم في حالة تقريرهم للعلم الا لكون غور بحر ذلك العلم عميقا على غالب الناس من العلماء فضلا عن غيرهم كما تقدم عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه انه كان اذا أتاه سؤال متعلق بالقوم يرسل الى أبي حمزة البغدادي رضي الله تعالى عنه و يقول ما تقول في هذا يا صوفي ولا يسع العارف أن يتكلم بكلام واحد يعم سائر الناس على اختلاف درجاتهم لان ذلك من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم على نزاع في ذلك أيضا فانه كان يقول أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم

فافهم وتأمل فان من لا علم له بالطريق اذا سمع الفقير يقول حقيقة التوبة هي التوبة من التوبة كيف ضد
يقول منطوق هذا الكلام وفحواه خطأ لان التوبة من التوبة اصرار فاذا فسر له الفقير مراده على مصطلحه وقال مرادي عدم

تزكية النفس وعدم الاعتماد على التوبة دون رحمة الله عز وجل لا الاصرار كيف يقول له هذا الكلام مع الآن وقد كان أنكره أولا لان من شأن القوم ان يشهدوا أعمالهم بغير الرياء والدعاوى ولا يشهدون لهم اخلاصا ومثل ذلك يصحح تقرير قول بعضهم

ضد الصفو والأسر هنا الشد والصعب ونحو ذلك وأل فى الأسر معاقبة للضمير العائد الى المصدر المفهوم من الفعل أى فى كدر أسره أى أسر النظر اليهم ﴿ويقول﴾ والله أعلم ولا تنظرن أيها المريد دقيقة من زمانك الى أقوالك وأفعالك وأحوالك وشؤنك من عبادات وعادات الى أحد غير الله تعالى فان النظر فى عباداتك وعاداتك الى الخلق والتقيد بهم والتوجه نحوهم والتطلع الى معرفتهم بحالك يخلى الطلق الصافى من الاوقات وما يدوفها من الاعمال والحالات فى كدر أسر النظر اليهم والالتفات نحوهم فتصير عباداتك وعاداتك مدخولة لانك حيث أسرك نظر الخلق وتقيدت بهم وأقبلت عليهم والتفت اليهم واعتبرتهم يدخل عليك الرياء والتصنع والتزين لهم وتحسين مواضع نظرهم منك لامحالة ولهذا قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه من لم يقنع فى أقواله وأفعاله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لامحالة ثم لا يزال بك ذلك الى ان يجرك الى أنواع من الكبائر والرذائل سوى ما أنت فيه من الانحطاط فى أهوائهم والتكبر عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان وتخالف السر والاعلان هذا باب عظيم من الخذلان والعياذ بالله وعذاب أليم استعجلته فى دنياك اذ فوتك بذلك راحة قلبك وطيب عيشك ويسلبك ثواب الفناء والعزة ويلبسك لباس الطمع والذلة فتردى بذلك هتك وتغل فيتك ولعذاب الآخرة أكبر ثم مع هذا من لك بحصول ما أردته منهم وأغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما استحسنت من نفسك شيأ لم يستحسنه غيرك وربما ارضى شخصا ما لا يرضى آخر فأنت بزعمك تعمل فيما ينفعك عند الناس وأنت ساع فيما يضرك عندهم مع مقاساة التعب والنصب فى نفسك وهذا كله شؤم نظرك الى الخلق والتفاتك اليهم وادبارك عن باب الحق مع فوات حظك من الله وخسران آخرتك وذهاب دينك ولهذا قال بشر بن الحرث رضى الله عنه ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس وقال بعضهم لا تطمع فى المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وقال فى العوارف وهذا أصل يفسد به كثير من الأعمال اذا أهمل ويصلح به كثير من الأحوال اذا اعتبر وهذا الكلام هو أصل هذا البيت مع قوله فيها ومتى تمسك المريد بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يتحقق صدقه واخلاصه كشيئين متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات داخلة على أهل البدايات لوضع نظرهم الى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا انه قال لا يكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعد اشارة الى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم ثم قال وربما استضر المريد بمجرد النظر الى الناس ويستضر بفضول النظر أيضا وفضول المشى فيقف من الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى فى بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره الى الطريق الذى يسلكه لا يلتفت يمنة ويسرة ثم يتقى موضع نظر الناس اليه واحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول الشئ فان كل شئ من قول وفعل ونظر وسماع وحركة خرج عن حد الضرورة جر الى الفضول ثم يجر الى تضييع الأحوال قال سفيان انما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول وكل من لا يتمسك بالضرورة فى القول والفعل لا يقدر ان يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومن تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وانحلت شيأ فشيأ وقد قال سهل بن عبد الله من لم يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطرارا ويفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين اه ولما كان اذا عمل المريد بمقتضى هذا الأدب وأعرض عن الخلق وأقبل بكنه الهمة على الملك الحق وأخلص لله فى عبادته واكتفى به وقنع بعلمه واغتنى بشهوده حتى تزكت نفسه واستنار بنور الاخلاص قلبه وأخرق العادة

حقيقة التقوى هى ترك التقوى ونظير ذلك أيضا قول سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

وقلت لزهدى والتنسك والتقوى • تخلوا ومابينى وبين الهوى خلوا

وكذلك قوله

تمسك باذيال الهوى واخلع الحيا • وخل سبيل الناسكين وان جلوا

لان من لا المام له بمصطلح أهل الطريق ينكر مثل ذلك ويقول ترك الزهد والعبادة والتقوى مذموم بل بذلك يذهب دين العبد كله فكيف يجوز اعتقاد صاحب هذا الكلام ولو كان له المام بالطريق لعلم ان مراد الشيخ عدم الوقوف مع الاعمال دون الله عز وجل فان المنقول عن الشيخ رضى الله تعالى عنه كثرة الزهد والعبادات والتقوى كما درج عليه السلف الصالح رضى الله عنهم وكذلك عن الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه واضرابه وما بلغنا قط عن أحد من القوم انه نهى أحدا عن الصلاة والزكاة والحج والصوم أبدا ولا تعرض لمعارضة شئ من الشرائع وكيف يترك الولى ما كان سببا لوصوله الى حضرة ربه انما يحث الناس على الاكثار من أسباب الوصول فما بقى وجه الانكار الا على مواجيدهم وافهامهم وتلك أمور لا تعارض شيأ من صريح السنة والامر فى ذلك سهل فمن شاء فليصدقهم ويقتدى بهم كمقلدى المذاهب ومن شاء فليسكت ولا ينكر لانهم مجتهدون فى الطريق والمجتهد لا يقدح انكاره على مجتهد آخر ونقل القزوينى فى كتابه سراج العقول عن امام الحرمين انه كان يقول حين يسئل

فى نفسه أخرق الله له العادات ومنحه أنواعا من الكرامات وكاشفه بالمغيبات كما قال صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ذكر ما يلزم من ظهرت على يده هذه الأمور من الأدب عقب هذا فقال رضى الله عنه

﴿وان نظم الحق الكرامات أسطرا * فلا تبدين حرفا لغيرك من سطر﴾

﴿سوى الشيخ لا تكتمه سرا فانه * بساحة كشف السر يجرى على بحر﴾

النظم الجمع والحق من أسمائه تعالى وتقدس وقد تقدم والكرامات جمع كرامة وهى أمر خارق للعادة يظهر على يد رجل ظاهر الصلاح ليس بشئ فى الحال ولا فى المآل ثم الصحيح عن القاضى امام الحرمين وجماعة المتأخرين ان الفرق بين المعجزة والكرامة هو المقارنة بدعوى النبوة وان الكرامة تكون من جنس المعجزة الا ما ثبت اختصاصه به عليه الصلاة والسلام كالكتاب المبين والصحيح أيضا انه يصح اظهار الكرامات من الولى وانه يجوز ان يتحدى على ولايته وان ما تحدى به لا يدل على ولايته الا ظنا لا قطعا بخلاف النبى هذا من حيث القواعد العلمية وبسطه فى الكتب الكلامية وأما من حيث الطريق فقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه واظهار الكرامات وأخفاؤها على حسب النظر لأصلها وفرعها فمن عبر من بساط احسانه أصمتته الاساءة مع ربه ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا أساء وقد صح اظهار الكرامات من قوم وثبت العمل فى اخفائها من قوم كالشيخ أبى العباس المرسى فى الاظهار وابن أبى جمرة فى الاخفاء رضى الله عنهما ثم قال من الناس من يغلب عليه الفناء بالله فتظهر له الكرامات وينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام ولا توقف فيدعى بحق عن حق لحق كالشيخ أبى محمد عبد القادر رضى الله عنه وأبى يعزى وعامة متأخرى الشاذلية ومنهم من يغلب عليه الفقر الى الله فيكل لسانه ويتوقف مع جانب الورع كابن أبى جمرة وغيره ومن الناس من تختلف أحواله فتارة وتارة وهو أكمل الكمال لانه حاله عليه السلام اذا أطعم ألفا من صاع وشد الحجر على بطنه فافهم والسطر لغة بالسين وبالصاد الكتاب والخط والكتابة ولم نره هنا الا بالسين والسر هنا ما يكتم وفى بعض النسخ بدله شيأ والساحة الناحية وفضاء بين دور الحى يقال ساحة البئر أو الدار ونحو ذلك أى عرصتها وجمعها ساح وسوح وساحات وهى هنا بمعنى المحل تسمية للشئ بما قاربه والباء بمعنى فى ويجرى على بحر حال لازمة ﴿يقول﴾ والله أعلم وان جمع الحق تعالى وتقدس أنواعا من المنح والكرامات وخوارق العادات فلا تظهرن شيأ من ذلك لغيرك لانه من أعظم القواطع والعوائق عن الله لاشلاء الخلق عليك بذلك وانصراف وجوههم اليك مع عدم تمكنك من حالك وبلوغك ان تغلب ولا تغلب فلا يزالون بك الى ان تتصنع وتتزين لهم وغير ذلك من الآفات والعلل التى تحجبك بسببهم فاحفظ سرك من زرك وادفن وجودك فى ارض خمولك يتكمل نباتك ويتم نتاجك وآثر الأدنى من كل شئ حتى يأتيك من أمر الحق ما يغلبك على تعذر دفعه ولا صبر به فتكون به حينئذ لا بنفسك وقد قيل الخمول فى البداية مقصود وفى النهاية محطوط وكتمك السر هو كما ذكرنا عام عن كل أحد سوى شيخك لا تكتمه سرا من أسرارك كرامة كانت أو غيرها مما يجرى على قلبك ومما ينزل بك فانه فى محل ان تنكشف له الأسرار ويطلع على خفايا الأخبار وكيف لا والحال انه على الدوام ومر الليالى والأيام فى سفينة من فراسة على بحر من العلم بما يليق بك فى كل نازلة تنزل بك فتحصل بافشاء سرك له لما عنده فيه ويحصل لك الدواء والنفع ومهما كتمت عنه نفسا من أنفاسك فقد جنيت على نفسك وخنته فى حق صحبته ويصير ذلك وبالا عليك قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ثم يجب عليه يعنى على المريد الملتزم بصحبة الشيخ حفظ سره حتى عن زره الا عن شيخه ولو كتم نفسا

عن كلام غلاة الصوفية لو قيل لنا اذ علوا ما يقتضى التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع فى غير مطمع فان كلامهم بعيد المدرك وعر المسلك يغترف من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق كما أنشد بعضهم فى هذا المعنى

تركنا البحار الزاخرات وراءنا
فمن أين يدرى الناس أين توجهنا

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه يقول بعد اجتماعه على الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وتسليمه للقوم من أعظم الدليل على ان طائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شئ من ذلك قط لفقيه الا ان سلك مسلكهم كما هو مشاهد وكان الشيخ عز الدين قبل ذلك ينكر على القوم ويقول هل لنا طريق غير الكتاب والسنة فلما ذاق مذاقهم وقطع السلسلة الحديد بكراسة الورق صار يمدحهم كل المدح اه قلت وهذا أكبر دليل للقوم انهم على الكتاب والسنة لان الشيخ عز الدين من أكابر العلماء المتمسكين بالكتاب والسنة فلما من الله تعالى عليه باجتماعه على سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه ورأى ما هو عليه وأصحابه من كمال المتابعة للكتاب والسنة قال ما قال والا لم يتأت له ان يمدحهم ان كانوا بخلاف ذلك لان العالم اذا رأى شيأ مخالفا للشريعة لا يمكنه السكوت على ذلك وناهيك بالعز بن عبد السلام فانه كان فى زمانه يلقب بسلطان العلماء ولولا انه أعلم علماء زمانه ما كان عليهم سلطانا ومما يدل على غزارة علم الشيخ أبى الحسن الشاذلى وكمال متابعته للكتاب والسنة ما ذكره سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى مقدمة الطبقات

نفسا من أنفاسه عن شيخه فقد خانه فى حق صحبته قال الشيخ العارف بالله محيى الدين أبو العباس البونى رضى الله عنه واياك ان تحقر فعلا يخطر لك الآن تلقيه للشيخ طاعة كان أو معصية على أى نوع برز لك ولو اختلف عليك ألف مرة فى الساعة اختلفت اليه ألف ساعة فى الخاطر ليعلمك الدواء الذى تزيحه به أو يحمل عنك بهمته وقال الامام أبو حامد رضى الله عنه بعد كلام فيما يعرض للمريد من الشبه فى حال سلوكه فينبغى ان يعرض ذلك على شيخه بل كلما يجد فى قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات الى علاقة أو صدق فى ارادة فينبغى ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ونظم هذا المعنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف التجيبى ثم السرقسطى الفاسى الدار المعروف بابن المنار رضى الله عنه فى مباحثه فقال

وقيل ان تكتم من الأحوال * شيأ سلكت سبل الضلال

فليس عند القوم باللبيب * من لم يصف شكواه للطبيب

وهذا هو الذى يقرر للخاص والعام من قاصد حضرة الملك العلام والا فقد قدمنا ان المريد الصادق المجمع على الشيخ بالكل والبعض يبادئه الشيخ بما فيه قبل ان يسأله ويكشف له عن حاله قبل ان يستكشفه وهذا لا يتعلم وانما يذكر كى لا ينكر على أهله وهو أساس مشيد ولكونه كثيرا لعطب لمن رام دخوله بلا ادخال عن الحق وأصل البيتين قوله فى العوارف ومن الأدب ان لا يكتم عن الشيخ شيأ من حاله ومواهب مواد فضل الله عنده وما يظهر له من كرامة أو اجابة ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحيى من كشفه يذكره ايماء وتعريضا فان المريد متى انطوى ضميره على شئ لا يكشفه للشيخ تصريحا أو تعريضا يصير على باطنه منه عقدة فى الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ثم قال فى آداب الشيخ ومن جملة مهام الأدب حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون ويمنحون من أنواع المنح فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ فى نفس المريد ما يجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شئ من خوارق العادات ويعرفه ان الوقوف مع شئ من هذا يشغل عن الله تعالى ويسد باب المريد بل يعرفه ان هذه نعمة من الله تعالى تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه ان شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعة الأسرار من ضيق الصدر الموجب لاذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب اذاعة السر للانسان قوتان آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف الى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهرت الأسرار فالكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ووزنها بالعقل حتى يضعها فى مواضعها فجل قدر حال الشيوخ عن اذاعة الأسرار لرزانة عقولهم وينبغى للمريد ان يحفظ سره من زره ففى ذلك صحته وسلامته وتأييد الله تعالى يتدارك المريدين الصديقين فى موردهم ومصدرهم اه هذا تقرير كلامه والله أعلم ويحتمل انه لما كان المريد اذا بلغ الى محل ظهور الكرامات وجرى خوارق العادات يطلب بشيئين كتم ذلك جهد الاستطاعة عن غير الشيخ واظهار ذلك للشيخ فان خالف واخل بشئ من ذلك فهو الجانى على نفسه لان الشيخ له تبصر بأحواله واشراق على باطنه فان رآه قد خان فى أحد الطرفين قطع عنه الامداد وعوضه من القرب الابعاد وتركه وهواه أشار بقوله * فلا تبدين حرفا لغيرك من سطر سوى الشيخ الى بيان ذينك الشيئين المطلوب بهما من ظهرت عليه تلك الكرامات وقوله فانه بساحة الخ علة للنهيين معا ولكنه يحتاج الى بيان ذلك بان ساحة الشيخ كما قدمنا مع حواليه ملازم ساحة الشيخ فى العادة وحارسه والناظر عليه ومعناه على هذا وان نظم الحق الكرامات أسطرا فلا تبدين حرفا من سطر من تلك الأسطر

ما نصه ولما اجتمع الأولياء والعلماء فى وقعة الافرنج بالمنصورة قريبا من ثغر دمياط جلس الشيخ عز الدين والشيخ مكين الدين الاسمر والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد واضرابهم وقرئت عليهم رسالة القشيري وصار كل واحد يتكلم اذ جاء الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فقالوا له نريد ان تسمعنا شيأ من معانى هذا الكلام فقال أنتم مشايخ الاسلام وكبراء الزمان وقد تكلمتم فما بقى الكلام مثلى موضع فقالوا له لا بل فحمد الله واثنى عليه وشرع يتكلم فصاح الشيخ عز الدين من داخل الخيمة وخرج ينادى بأعلى صوته هلموا الى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى فاسمعوه قلت وهذا معنى ما تقدم عن الامام القشيري رضى الله عنه انه لم يكن عصر فى مدة الاسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة الا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وما ذاك الا لما يرون عليه من المحافظة على الشريعة والتبحر فى علوم الحقيقة وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما حقيقة المتابعة فقال رؤية المتبوع عند كل شئ ومع كل شئ وفى كل شئ وقال رضى الله عنه اذا رأيت رجلا يدعى حالا مع انه يخرجه عن الشرع فتجنبه ولا تقرب منه ولا ترج فلاحه أبدا وقال رضى الله تعالى عنه اذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس كلهم الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة واعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وقال أيضا رضى الله عنه من دعا الى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعى وقال أيضا رضى الله عنه نقلا عن رجل سأل استاذه رحمه الله وطف على وظائف وأورادا قال فغضب الاستاذ منه وقال أرسول أنا حق أوجب الواجبات فالفرائض هاهى

معلومة والمعاصي مشهورة فكن أنت للفرائض حافظا وللمعاصي رافضا واحفظ قلبك من ارادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه
وايثار الشهوات واتباع الهوى والغفلات واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك اذا خرج لك مخرج الرضا
فكن لله شاكرا ولنعمه عليك ذاكرا واذا خرج لك مخرج السخط فكن له صابرا وعنه راضيا وقال شيخ مشايخنا العارف بالله تعالى الفقيه الصوفي سيدي محمد ابن البنا رضي الله عنه في المباحث الأصلية من الفصل الثاني في أصول قواعد الصوفية

حجة من برج الصوفيه
على سواهم حجة قويه

قال شارحها العارف بالله تعالى العالم العلامة الشيخ سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني رضي الله تعالى عنه وانما كانت حجة من برج الصوفية على غيرهم حجة قوية لأنهم أحرزوا الكمالات عقدا وعملا وحالا اما اعتقادهم فترقوا فيه الى الشهود والعيان واما علمهم فهم يأخذون بالاحسن والأحوط فهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه واما حالهم فهم ربانية ذوقية فهم على بينة من ربهم وكذلك أشار في البيت الثاني لشدة الاقتداء والمتابعة فقال

هم أتبع الناس لخير الناس
من سائر الأنام والأناس

قال الشارح أي الصوفية اتبع الناس واكثرهم اقتداء بسيد الناس صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على انهم أحب الخلق الى الله تعالى قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين وعلامة اذ المحبة الاتباع وقال بعضهم التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع ثم ذكر وجه كونهم أشد الناس اتباعا فقال

لغيرك الا الشيخ فلا تكتمه سرا ولا تنفرد عنه بشيء فانه ناظر وجار في ساحة سرك على بحر من علم بأحوالك واشراف على باطنك فان رأى فيك اخلالا بواحد من ذينك الشيئين قطع عنك الأمداد وعوضك من القرب الابعاد فقوله بساحة على هذا متعلق بقوله يجري ويحتمل ان يكون حالا من ضمير فانه أي يجري الخ خبر عن قوله فانه وحال كونه كائنا بساحة كشف السر يجري في بحر سفينة من فراسته ونفوذ بصيرته على بحر من علم بحالك واشراف على باطنك هذا ما أمكن في الوقت في ايضاح تركيب هذا البيت وفيه صعوبة واما المقصود به فهو واضح بين واعلم ان الكرامات على قسمين قسم يكون بخرق العادات في الحس كنبع الماء والطيران في الهواء ونحو ذلك وهو المراد هنا وبشهود أماكن وبلدان وأفعال أهلها ونحو ذلك وهو ما يأتي بعد ذلك وكل هذا يكون حتى لعوام الطائفة ومنها ما هو لخواصهم كاحياء الموتى وايجاد المعدوم وقلب الاعيان ونحو ذلك وقسم يكون بمعنى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها من صحة الايمان بالله عز وجل واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا وهذه أعلى وهي المطلوبة عند العارفين المحققين وقد حقق بعض هذا الذي ذكرنا وفصل الكرامات الى ظهورها في الولي لنفسه والى ظهورها فيه لغيره وفائدة ذلك الشيخ أبو الفضل تاج الدين رضي الله عنه في لطائفه فقال ثم ان هذه الكرامات قد تكون بطي الارض أو مشيا على الماء أو طيرانا في الهواء أو اطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة أو تكثير طعام أو شراب أو اتيانا بثمرة في غير ابانها أو انباع ماء من غير حفر أو تسخير الحيوانات عادية أو اجابة أو دعوى باتيان مطر في غير وقت أو صبرا على الغذاء لمدة تخرج عن طور العادة أو اثمار ظاهرة حسية وكرامات هي عند أهل الله أفضل منها وأجل وهي الكرامات المعنوية كالمعرفة بالله والخشية له ودوام المراقبة والمسارعة لامتثال أمره ونهيه والرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله سبحانه وتعالى والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول الطي على قسمين طي أصغر وطي أكبر فالطي الأصغر لعامة هذه الطائفة ان تطوى لهم الأرض من مشرقها الى مغربها في نفس واحد والطي الأكبر طي أوصاف النفوس وصدق رضي الله عنه فان طي الأرض لو أعجزك عنه وأفقدك اياه ما نقص ذلك من رتبتك عنده اذا قمت له بالوفاء في العبودية وطي أوصاف النفوس لو لم تتقدم عليه لكنت من المعتوبين وحشرت في زمرة الغافلين وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بزيادة الايقان وشهود الله بالعيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله تعالى ومن الله سبحانه فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور ثم قال واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر فيه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله وفرديته وأحديته وان قدرته لا تتوقف على الأسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل الفوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته فواقف عندها مخذول ونافذ منها اليه هو بالعناية موصول وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الأزلية بجمع لا يفترق وأمر يتعدد كانها صفة واحدة قائمة بذات الواحد أيستوي من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولأجل انها تثبت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أرباب النهايات في نهاياتهم

تبعة العالم في الأقوال * والعابد الناسك في الأفعال
وبهما الصوفي في السباق * لكنه قد زاد بالاخلاق

اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضي الله تعالى عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج جبل الى مرساة فالكرامة أربعة لازالة الشك في المنة ومعرفة بفضل الله فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس في الكرامة على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية العرفان وحدود الخطوة من أظهرت عليه وان فقدوه لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلجوا مقاما ليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبي لأبي العباس الرقي ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده فقلت ما رأيت أحدا الا وهو يؤمن بها فقال أبو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الأحوال فقلت ما أعرف لهم قولا قال أبو تراب بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فأما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبي تراب بعد ان عطش أصحابه فضرب بيده الأرض فنبع الماء فقال أريد ان اشربه في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقى أصحابه قال أبو العباس الرقي ومازال القدح معنا الى مكة قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه والقول الفصل في ذلك انه لا ينبغي ان تطلب أدبا مع الله ومن أظهرت عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله القسم الثالث وهو ان تظهر الكرامة فيه لغيره فالمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي شاهدها بصحة طريق هذا الولي الذي أظهرت على يديه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا في خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرفه الله عافيه من ودائع الاحسان ثم قال رضي الله عنه

﴿وفي الكشف ان كوشفت راجعه انه * لايضاح سر الكشف مبتسم الثغر﴾
﴿ولا تنفرد عنه بواقعة جرت * ففي عشاء منالك والسمع في وقر﴾

الكشف حسي ومعنوي فالحسي من مغيبات الأكوان والمعنوي من حقائق العرفان والمراد هنا الحسي وهو ان تنجلي الكوائن للعبد وتظهر لبصره الظاهر على ما هي عليه لا في لبسة مثال والواقعة قال الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه هي ما يرد على القلب من ذلك العالم يعني من عالم الغيب من أي طريقة كان من خطاب أو مثال ونحوه للشيخ أبي الحسن الششتري رضي الله عنه قال هي ما يرد على القلب من خطاب أو مثال من الغيب ولا يخفى ان قوله

* ففي عشاء منالك والسمع في وقر * على هذا التفسير للواقعة علة راجعة لا رجحية لأحد الطرفين على الآخر في العلية وأما ما ذكره صاحب العوارف حسبما يأتي من أن لو تعمم من كشف الحقائق في لبسة مثال فيكون قوله والسمع في وقر أجنبي في هذا المقام فيما يظهر اذا توصل لأن السمع ليس له دخل في الكشف على انه ليس في كلام العوارف حصر للواقعة فيما ذكرنا عنه حسبما يأتي وقد قسم الشيخ سعد الدين الفرغاني رحمه الله تعالى الكشف الصوري الحسي الى ثلاثة أقسام وأدخل فيه الواقعة فقال الكشف ينقسم بالقسمة الأولى الى قسمين صوري ومعنوي ولكل واحد منهما آلة مخصوصة فآلة الادراك في الكشف الصوري البصر الظاهر وآلة الادراك في الكشف المعنوي البصيرة الباطنة اما الصوري فهو ثلاثة أقسام أولها ان لا تمنع الحجب والحوائل بين الرائي ونظره الظاهر وبين المرئي عن رؤيته مثل بعد المسافة والجبال والحوائط ونحوها بحيث يراه بعد المسافة كأنه بين يديه كما رأى عمر رضي الله عنه مع سارية والقسم الثاني ان تظهر حقيقة معنوية أو روحانية أو مثالية في صورة مثالية لنظر

قال الشارح رضي الله عنه الناس ثلاثة عالم وعابد وعارف صوفي وكلهم قد أخذوا حظا من الوراثة النبوية فالعالم ورث أقواله عليه الصلاة والسلام تعلما وتعليما بشرط اخلاصه والا خرج من الوراثة بالكلية اذ الأعمال بلا اخلاص أشباح بلا أرواح ومن ورث من أب محاربة ميتة ليس بوارث والعابد ورث أفعاله عليه الصلاة والسلام من صيام وقيام ومجاهدة ظاهرة فقد قام عليه السلام حتى تورمت قدماه وكان يصوم كثيرا ويفطر كذلك والصوفي العارف ورث الجميع فأخذ في بدايته ما يحتاج اليه من العلم وقد يتبحر فيه ثم ينتقل الى العمل على أكمل حال ثم زاد عليهما بوراثة الأخلاق التي كان عليها باطنه صلى الله عليه وسلم من زهد وورع وخوف ورجاء وصبر وحلم وكرم وشجاعة وقناعة وتواضع وتوكل ومحبة ومعرفة وغير ذلك مما يطول ذكره وقد خص الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصائص لم يشاركه أحد فيها فكان له القوة في الجهتين فمن نظر في عبادته وجده لا يطاق ومن نظر في أخلاقه الباطنة وجده لا يدرك ومن نظر في معرفته وجده لا يلحق ولا يقرب أحد حول حماه فكان عليه الصلاة والسلام على مقام لا يدرك ولا يلحق ولا يعرف وانظر قول الشيخ القطب ابن مشيش رضي الله تعالى عنه (وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق) وان ينال أحد من العلماء أو العباد أو الصوفية من علمه عليه الصلاة والسلام أو عمله أو خلقه الا رشفة أو رشحة ولله در البوصيري في بردة المديح حيث قال

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

(ثم ذكر الأمر الثاني) وهو اتفاق مذهبهم ٦٦ واتحاد غاية طريقتهم (والأمر الثالث) وهو ما ظهر عليهم من الكرامات فقال

ثم بشيئين تقوم الحجه
انهم قطعا على المحجه
فمذهب الناس على اختلاف
ومذهب القوم على ائتلاف
وما أتوا فيه بخرق العاده
اذ لم تكن لمن سواهم عاده

قال الشارح رحمه الله تعالى الحجة هي الدليل والبرهان والمحجة هي الطريق المستقيم والائتلاف هو الاتفاق يقول رضي الله تعالى عنه ثم تقوم الحجة الدالة على انهم على المحجة والطريق المستقيم بشيئين احدهما ان مذاهب الناس على اختلاف كثير فقد كانت مذاهب الفقهاء في الفروع اثني عشر مذهبا ثم تقررت في أربعة وكانت مذاهب القراء خمسة وعشرين رواية ثم تقررت في عشرة وكانت مذاهب النحاة على مذهبين بصري وكوفي بخلاف مذهب الصوفية فهي متفقة في القصد والعمل وان اختلفت المسالك فهي راجعة الى صدق التوجه الى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى الله تعالى وعبارة كل واحد على قدر ما نال منه اذ كل عبارة فيه انما هي مخبرة عن صدق توجه صاحبها وكل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف اذا كان توجهه برضاه الحق من حيث رضاه والا فهو زنديق واسم التصوف عليه لا حقيقة له قلت اذا علمت ذلك كله علم يقين علمت ان السادة الصوفية اسسوا قواعد طريقهم على الكتاب المجيد والسنة المحمدية وثبت عندك ثبوتا حقيقيا لا مجازيا اذ لا طريق الى الحقيقة الا من باب الشريعة كما يدل على ذلك افعالهم وأقوالهم اشتوني

هذا الرائي مثل ظهور حقيقة العلم في الماء وفي صورة اللبن ومثل ظهور جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي ومثل تمثيل الجنة والنار في عرض الحائط لنظر النبي صلى الله عليه وسلم يوم كسوف الشمس وفي هذا القسم الثاني ربما يحتاج الى التأويل بالعقل مثل تأويل الرؤيا حتى اذا وقع فيه غلط يكون ذلك من جهة الكشف وأما القسم الثالث من الكشف الصوري أن تنشئ نفس المكاشف بقوة كانتها صورة مثالية عند غيره لمكشف عند ذلك الغير عنها اخبارا بما يريدا انتهى محل الحاجة عنه وقوله وفي الكشف هو متعلق بقوله راجعه وان كوشفت شرط في ذلك وضمير راجعه البارز للشيخ والمستتر للمريد المخاطب وانما لم يعلله لقوله راجعه ولا يضاح سر الكشف متعلق بقوله مبتسم الثغر وهو خبران من قوله انه والسر هنا لب الشيء وفي البيت تقديم وتأخير يظهر عند ذكر معناه والابتسام بداية الضحك وهو الذي لا صوت له والثغر بالفتح هنا الفم والأسنان وكنى بذلك عن فرح الشيخ بايضاح ذلك ورضاه به واقباله على المريد فيه وطلبه منه اياه قاصدا بذلك كله تحريض المريد على مراجعة الشيخ في الكشف المذكور وتهوينه عليه ولا تنفرد عنه وضمير عنه للشيخ وبواقعة متعلق بتنفرد وجرت أي نزلت والمتوهي صفة لواقعة وفاء ففي عشا الخ جواب لقوله ولا تنفرد والعشا ضعف البصر والوقر ثقل في الاذن وقيل ذهاب السمع كله وفي قوله ففي عشا عيناك والسمع في وقر القلب وقد تقرر في فن البيان انه ان تضمن معنا لطيفا غير نفس القلب قبل والا رد وقد تضمن ذلك هنا لان فيه من المبالغة التي تبعث المريد على عدم انفراده بواقعته واستقلاله بها وتدعوه الى امتثال ما أمره به من مراجعة الشيخ فيها ما ليس في تركه وذلك لايهامه ان العشا والوقر قد استوعبا العين والاذن حتى صارا مظروفين لهما وصار العشا والوقر ظرفين لهما فلا يسمع ولا يبصر ﴿يقول والله أعلم﴾ وراجع أيها المريد شيخك فيما كوشفت به من المغيبات والقدر والآيات ان كوشفت بشيء من ذلك لانه مبتسم الثغر لايضاح سر الكشف أي فرح بذلك مسرور له فلا تهم من رجوعك اليه فيه ولا تخل من ترددك له وله علم وبصيرة نافذة فيفيدك فيه ما يصلح بك ويرفع همتك حتى لا تقف على شيء دون الله تعالى ويعرفك صحيحه من سقيمه ولا تنفرد عن الشيخ ولا تستقل دونه بواقعة جرت لك وظهرت لك فان عينك في عشا وسمعك في وقر قد أحاط ذلك العشا والوقر بهما احاطة السور بالمدينة حتى منعاهما من التعرف وملكاهما عنه وحالا بينهما وبين ادراك الحق في ذلك من الباطل والواقعة بعض شأنها من حيث التفريق بين كون الارادة والهوى فيك فلابد من رجوعك لشيخك وعرضك عليه ما ظهر لك من الوقائع والكشوف واصل البيتين قوله في العوارف ومن آداب المريد مع الشيخ أن لا يستقل بواقعة وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح الى الله تعالى أكبر فان كان واقع المريد من الله تعالى يوفقه الشيخ ويعضده له وما من عند الله لا يختلف وان كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف فالمريد لعله في واقعة يخامر كون ارادته في النفس فتسلك كون الارادة بالواقعة مناما كان أو يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المريد باستئصال شأفة الكامن في النفس واذا ذكره للشيخ فنافي المريد كون ارادة النفس مفقود في حق الشيخ فان كان من الحق تبرهن بطريق الشيخ وان كان تنزع واقعة الى كون هوى النفس يزول وتبرى ساحة المريد ويحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة ايوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومما يشير الى ما يعنيه القوم بالواقعة ما ذكره في العوارف أيضا قال ومن لطائف ما سمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون الى شيء من المعلوم فارجعوا الى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى عليكم

ائتوني فيه ففعلوا ثم جاءه من يومه شخص يعرف باسمعيل الطائحي ومعه كاغد فيه ثلاثون دائرة وقال هذا الذي فتح لي في واقعتي فأخذ الشيخ الكاغد فلم يكن الا ساعة فاذا بشخص دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدي الشيخ ففتح القرطاس واذا هو ثلاثون صحيحا فترك كل صحيح على دائرة وقال هذا فتوح الشيخ اسمعيل أو كلام هذا معناه والذي يوضح الكشف والواقعة ويفرق بينهما ماذكره حيث تكلم على فتوح الاربعينية ولنورده بحملته لانه كله مهم المهم هذا قال فيها بعد ان ذكر ما يحصل للذاكر من تجلي الذات المقدسة وما يفتح عليه من العلوم الالهامية وقد تتجلى له الحقائق في لبسة الخيال أولا كما تنكشف الحقائق للنائم في لبسة الخيال كمن رأى في المنام انه قتل حية فيقول المعبر تظفر بالعدو وظفره بالعدو كشف كاشفه الحق به وهذا الظفر روح مجرد صوغ ملك الرؤيا جسدا لهذا الروح من خيال الحية فالروح الذي هو كشف الظفر اخبار الحق ولبسة الخيال الذي هو بمثابة الجسد مثال انبعث من نفس الرائي في المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر الى التعبير اذ لو كشف بالحقيقة التي هي روح الظفر لم يحتج الى التعبير وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة في المنام من غير حقيقة فيكون أضغاث أحلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير ان يكون وعاء الحقيقة فلا ينبني على ذلك ولا يلتفت اليه فليس واقعة وانما هو خيال واما اذا غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك قد ينبعث في الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من غيبته فاما يأتيه تفسيره من باطنه موهبة من الله واما يفسر له شيخه كما يعبر المعبر المنام يكون ذلك واقعة لانه كشف حقيقة في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر أولا ثم الاستغراق في الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لان الله تعالى جعل له بما يكاشف به في واقعته مورد الحكمة والحكمة تحكم في الزهد والتقوى وقد تتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من الله تعالى اياه يكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهوى لا من باطنه كالهواتف يعلم بذلك أمرا يريد الله احداثه له ولغيره فيكون اخبار الله تعالى اياه بذلك مزيد اليقين أو يرى في المنام حقيقة الشئ نقل عن بعضهم انه أوتي بشراب في قدح فوضعه من يده وقال قد حدث في العالم حدث ولا أشرب من هذا دون ان أعلم ما هو فانكشف له ان قوما دخلوا مكة وقتلوا فيها * حكي عن أبي اسمعيل الخواص قال كنت راكبا حمارا لي يوما وكان يؤذيه الذباب فيطاطئ رأسه فكنت أضربه بخشبة كانت في يدي فرفع الحمار رأسه الي وقال اضرب فانك على رأسك تضرب قيل له يا أبا سليمان يقع لك ذلك أو سمعته فقال سمعته كما سمعتني ثم قال وقد يكاشف الله بآيات وكرامات تربية للمريد وتقوية ليقينه وايمانه ثم قال بعد ان ذكر كرامات ومكاشفات وقعت لجماعة من أهل الله وكل هذه مواهب الله تعالى وقد يكاشف بها ويعطى وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شئ من هذه لان هذه كلها تقوية لليقين ومن منح صرف اليقين لا حاجة له الى شئ من هذا وكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ووجود ذكر الذات فان هذه الحكمة فيها تقوية للمريدين وتربية للسالكين ليزدادوا بها يقينا ويتخذون به الى مراغمة النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستعين بذلك ساكن عزمهم لعمارة الاوقات بالقربات فيروحون بذلك ويربون بطريقه ومن كوشف بصرف اليقين من ذلك لمكان ان نفسه أسرع اجابة وأسهل انقيادا واتم استعدادا المستلين بذلك منهم ما استوعى واستكشف منهم

فمن ذلك ما قال بعضهم
من كان في نيل الكمال راجيا * وعن شريعة الرسول نائيا
فانه ملبس مفتون * أو عقله مختبل مجنون
هذا المحال لا يصح أبدا * لان سيد الورى باب الهدى
وقال بعض السادة الصوفيه * مقالة جليلة صفيه
اذا رأيت رجلا يطير
أو فوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع
فانه مستدرج وبدعي
واعلم بان الخارق الروحاني
لتابع السنة والقران
والفرق بين الافك والصواب
يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الامور كلها
وشاهد بفرعها وأصلها
والشرع نور الحق منه قد بدا
وانفجرت منه ينابيع الهدى
وقال بعض أولياء الله
السالكين في طريق الله
من ادعى مراتب الجمال
ولم يقم بادب الجلال
فارفضه انه الفتى الدجال
ليس له التحقيق والكمال
ومن تحلى بحلى المعالي
وبحدود الله لم يبال
ففر منه انه الشيطان
مخادع ملبس خوان

(وقال) شيخ مشايخنا مولانا العربي الدرقاوي الشاذلي رضي الله تعالى عنه في رسائله التي كان يرسلها الى اخوانه في جميع الجهات ما نصه فان شئت ان تطوى لك الطريق وتحصل في ساعة على التحقيق فعليك بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات وتعلم من علم الظاهر ما لا بد منه اذ لا يعبد ربنا الا به والخلق الكريم هو التصوف عند الصوفيين وهو الدين عند أهل الدين ولعنة الله على الكاذبين وقال في محل آخر منها ما نصه اني احب من يتعلق بي ان يقوم بالمفروض وبما تأكد من المسنون وان يكون دائما على نظافة بدنه من وسخه فاحرى نجسه ومن شعر وسطه وابطيه وتقليم ظفر يديه ورجليه وثوبه ومكانه وعلى ترك ما لا يعنيه واستبرائه من بوله وتأنيه على ذلك حتى

بمعنى أو نقول يطمئن قلبه بانقطاع نواله وكان أستاذنا العارف بالله تعالى سيدي الشيخ محمد بن محمد الفاسي رحمه الله تعالى يحدثنا
في غالب أوقات مذاكرته بطلب علم الفقه والحديث والوقوف على الحدود الشرعية ويذكر لنا كلام الامام الشاذلي

ما ستر وقد لا يقع صور ذلك الرهابين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق
الردى ليكون ذلك في حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا في مقار الطرد والبعد
ابقاء لهم فيما أراده منهم من العمى والضلال والردى والوبال حتى لا يغتر السالك بيسير شيء
يفتح له ويعلم انه لو مشى على الماء والهواء لا ينفعه ذلك حتى يؤدي حق التقوى والزهد فاما
من تعوق بحال أو قنع بحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور ويخرج
بالغرور ويرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة
الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة وقال قبل هذا وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة
بغير شروطها واقبلوا على ذكر من الاذكار واستعملوا أنفسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا
الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة وجمع الهم له تأثير في
صفاء الباطن مطلقا فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم انتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة بالاخلاص من الصلاة
والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع بمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتج صفاء في النفس يستعان بها على اكتساب علوم ورياضة مما يعتني به الفلاسفة والدهريون
خذلهم الله وكلما أكثر من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان
بما يكتسب من العلوم والرياضة أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه
كل ركون ويظن انه قد ظفر بالمقصود ولا يعلم ان هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى
والبراهمة وليست هي المقصود من الخلوة يقول بعضهم يعني أبا علي الجوجاني الحق يريد منك
الاستقامة وأنت تطلب منه الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات
وصدق الفراسة وتبيين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم ذلك
وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة بما يفتح من ذلك على الصادقين يصير
مزيدا يقينهم والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة
وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته
واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر
الحدود والأحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله وترك متابعة
الرسول ثم يتدرج من ذلك الى الحد والزندقة نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات
يظنونها وقائع ويشبهونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك ولما ذكر انه لابد ان يعرض
المريد على الشيخ ما يفتح به من خوارق العادات وما يتجلى له من الحقائق وقائع أو كشوفات
وكان المطلوب غرضه أعم من ذلك عمم الحكم وأمره أن يعرض عليه مهماته الدينية والدنيوية
فقال رضي الله تعالى عنه

﴿وفر اليه في المهمات كلها * فانك تلقى النصر في ذلك الفر﴾

فنسبة هذا البيت اذا ما قبله عطف عام على خاص كأنه لما ذكر صورا بأعيانها مما يجب رفعه
لتأكد الأمر فيها ورأى ان ما يجب رفعه للشيخ هو أوسع من ذلك بكثير قال فاذا عساني
أعد لك الحاصل فر اليه في كل مهم وقوله فر أي اهرب وهو فعل أمر وضمير اليه للشيخ وهو
متعلق بفعل الامر قبله وفي المهمات متعلق به أيضا وكلها تأكيد للمهمات وفاء فانك جواب
الأمر ﴿يقول﴾ والله أعلم واهرب أيها المريد الى شيخك ومعتصمك في جميع مهماتك
الدينية والدنيوية حتى تفرغ قلبك منها الى سلوك الطريق والوقوف على التحقيق فانك ان
هربت الى شيخك فيها التمست الاعانة منه والنصر في ذلك الفرار والهروب اليه لانه لما يراها

شاغلة

رضي الله عنه وهو اذا ورد على
وارد من الحقيقة لا أقبله الا
بشاهدين عدلين وهما
الكتاب والسنة وكشف
لا تمكنون طريقتهم على الكتاب
والسنة المحمدية والشارع
مطلوبهم ومقصودهم بل
ومحبوبهم ومرغوبهم واليه
منتهى سفرهم ورحلتهم وفيه
فناؤهم وبه بقاؤهم حتى كان
يقول سيدي أبو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه لو
غاب عني رسول الله صلى الله
عليه وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي من المسلمين وقال
الشيخ تاج الدين بن عطاء
الله في لطائف المنن قال رجل
لسيدي أبي العباس المرسي
يا سيدي صافحني بكفك
هذه فانك لاقيت رجالا
وابدالا قال والله ما صافحت
بكفي هذه الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال لو حجب
عني رسول الله صلى الله عليه
وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي من المسلمين وقال
الشيخ صفي الدين بن أبي
منصور في رسالته والشيخ
عبد الغفار في التوحيد
حكى عن الشيخ أبي الحسن
الورقاني قال أخبرنا الشيخ
أبو العباس الطنجي قال
وردت على سيدي أحمد
الرفاعي فقال لي ما أنا شيخك
شيخك عبد الرحيم بقنا رح اليه
فسافرت الى قنا فدخلت على
الشيخ عبد الرحيم فقال لي
أعرفت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت لا فقال رح الى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحت بيت المقدس
فحين وضعت رجلي بالبيت واذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت الى الشيخ

شاغلة لك عن سبيل ربك الذى أعطمت اليه قيادك لأجله يهتم بها وينزلها بالله ويستغيث اليه فيها والحق تعالى وتقدس يطلع على قلب عبده المخصوص فلا يجده متهما بحاجة الا قضاها له وأراح منها لمه لغيرته عليه ان يشتغل بغيره قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه غيرة الحق على أوليائه من سكون غيره لقلوبهم وشغلهم الغير عنه هو الموجب لقضاء مهماتهم وأنه من حوائجهم وحوائج غيرهم حتى قيل يعنى به الشيخ أبا العباس المرسى رضى الله عنه ان الولى اذا أراد اغنى ومنه قول الناس عظ خاطرك أى لا كون على بالك لعل الله ينظرانى فيما انك فيه ليريح خاطرك منى ومن ثم كان أكثر الاولياء فى بدايتهم يسرع أكثر مقاصدهم فى الموجود لاشتغالهم بما يعرض بخلاف النهاية فان الحقيقة مانعة من اشتغال قلوبهم بغيره ولاهم الامن حيث أمرهم فينتفع بهم المريدون فى طلب الحق لاغيرهم كما يحكى عن الشيخ أبى مدين رحمه الله انه كان يفتح للناس على يديه ويصعب عليه أقل حاجته وقد قيل انهما اثنان ولى وصفى فالولى من يتحقق له كل ما يريد والصفى من يتسلط على الرضا بما يجرى ما فهم وأصل البيت قوله فى العوارف ويعتقد المريد ان الشيخ باب فتحه الله الى جناب كرمه منه يدخل واليه يرجع وينزل بالشيخ سوانحه ومهامه لدينه والدنيويه ويعتقد ان الشيخ ينزل باته الكريم ما ينزل المريد به ويرجع فى ذلك الى الله كما يرجع المريد اليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة فى النوم واليقظة ولا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو امانة الله عنده ويستغيث الى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ والراسخين فى العلم ثم ماذكره من انزال المهمات الدنيويه كذلك هو مقيد بالمهمات الا انه قد يكون الشيخ مهتما فى حق بعض غيره هم فى حق آخرين لانه لا يخلو اما أن يكون المريد لما حصل له من اليقين والاطمئنان لا تؤثر فيه هذه العوارض ولا تشغله ولا يهتم بها بل قد لا يدرى بها مع وجودها وهذا لا كلام عليه واما أن يكون بخلاف ذلك وصارت له هذه العوارض قواطع وموانع من سلوك الطريق وشاغلة عن بلوغ التحقيق فهذا تكون فى حقه مهمة ويجب عليه رفعها للشيخ ينزلها به فالانقطاع اليه أقرب والنكوص على العقب أسرع ثم يجب عليه فى رفعها استعمال أدب وهو ان لا يستعجل فى الاقدام على مكالمة الشيخ ويرصد له الوقت الذى يراه مستعدا لسماع كلامه قال فى العوارف ومن الآداب مع الشيخ ان المريد اذا كان له كلام مع الشيخ فى شئ من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ انه مستعد له ولسماع كلامه وقوله ٧ فكما ان للدعاء شروطا وآدابا لانه من مخاطبة الله تعالى فالقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط لانه من معاملة الله تعالى وسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الأدب ولما فرغ من الكلام على آداب ما ينشأ عن التحقيق بالاخلاص من الكرامات وخوارق العادات وما استتبعها به من رفع المهمات أشار الى التحذير من آفة تلحق المريد بعد اخلاصه وهو العجب ان لم يتداركه واهب القدر والارادة ومجرى العلوم والاعمال وجميع القربات فقال رضى الله عنه

﴿ولا تك ممن يحسن الفعل عنده • فيفسد الا أن تفر الى الكر﴾

لا ناهية وتك محذوف النون وذلك لغة فى مضارع كان اذا جزم ومن متعلق بتك ويحسن الخ صلة ومن ضمير عنده عائد لمن وافرده مراعاة للفظ من فانه مفرد مذكر وجرها بين مراعاة لمعناها لانها تصدق على الواحد والاثنين والجماعة بصيغة واحدة وفاء فيفسد جواب النهى ولذلك نصب الفعل بعدها بان مضمرة والكر الرجوع ضد الفر يقال فر راغ وهرب وكر عليه

فقال لى أعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال الآن كملت طريقتك لم تكن الاقطاب أقطابا والاوتاد أوتادا والاولياء أولياء الا بمعرفته صلى الله عليه وسلم انتهى من تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك للامام جلال الدين السيوطى قلت اذا لم تكن الاولياء أولياء الا بمعرفته رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا شك ان ذلك من طريق متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل دقيقة دقيقة وكل رقيقة رقيقة فاذا القوم أشد اتباعا له صلى الله عليه وسلم وأكثر اقتداء به صلى الله عليه وسلم وأما ما يقع من المنكرين على أهل الله فما هو الا بمجرد الحسد للقوم لما يرواعليهم من الاحوال العجيبة والعلوم الغريبة وكثرة الاتباع ونفوذ الكلمة فى سائر البقاع وكثرة الصيت والشهرة فى غالب البلاد وهم لا يقع لهم مثل ذلك ولا يقدروا ان يفعلوا أفعالهم أو يعملوا أعمالهم لعزة نفوسهم عليهم وغلبة الهوى والشهوة لديهم فتجد الواحد منهم يتكبر ويانف من مجالسة المساكين والفقراء المنكسرين فى حال الذكر والمذاكرة حيث تغشاهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فى الملا الاعلى وتلقاه يجالس السفلة وأهل الغفلة ويشتغل بالقيل والقال وكثرة المحاورة والجدال ويغفل عما نهى عنه الشرع ويرتكب المحظور والمحرم والمكروه ولا تأنف نفسه الخبيثة من ذلك مثل ماتأنف مما ذكرنا ثم ما كفاه ذلك حتى يحسد الطائفة الصوفية على ما آتاهم الله تعالى من فضله ولذلك قال بعض العارفين الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الله الواحد وفى معناه قال منصور الفقيه رحمه الله تعالى

الا قل لمن ظل لى حاسدا • أتدرى على من اسأت الأدب

أسات على الله فى حكمه • اذا أنت لم ترض لى ما وهب

ولابى الطيب رحمه الله تعالى

وانالم أهل الأرض من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب وروى انه صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل من الأنصار انه من أهل الجنة فبات عنده عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما لينظر عمله فلم يرله كبير عمل فقال له ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو الا ما رأيت غير اني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق فقد تبين بهذا ان انكار المنكرين على أهل الطريق حسد وظلم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿الباب الرابع في الرد على من أبدى العذل واللوم وأنكر شيئا مما اصطلح عليه القوم رضي الله تعالى عنهم﴾

اعلم يا أخي أيدني الله تعالى واياك بالصدق في محبة أوليائه وأعانني واياك على سلوك طريق أحبابه وأصفيائه ان مضمون هذا الباب تقبيح من أنكر هذا الطريق وتوبيخ من رد على أهلها وتزييف رأيه وتحقير شأنه في كل نادٍ وفريق حيث أنكر ما لم يحط به علما ولم يدرك له شأنا ولا قصدا اذ لو عرف شأنه لعظمه ولو أدرك المقصود منه لسارع اليه وعممه ولكن كما قال القائل من جهل شيئا عاداه وقال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر

وكم عائب ليلى ولم ير وجهها * فقال له الحرمان حسبك ما فات

ثم لا يخفى ان المنكرين على أهل الطريق على نوعين نوع يرى من الفقراء بعض ما يخالف الشرع عنده بحسب ادراكه وفهمه ولم ير صحة ما يفعلونه في الكتب المعتمدة المعتبرة ولم يسمع دليل جوازه فينكرهم وينكر ما يفعلونه واذا رأى دليل صحة ما يفعلونه يزول انكاره وهذا لا يحصل الا بشيئين اما

من

عطف وعنه رجع وفي بعض النسخ تفسد بتاء الخطاب وفي بعضها بياء الغيبة وكلاهما ظاهر وفاعل يفسد يحتمل أن يكون ضميرا عائدا للفعل أي لا تكن من هؤلاء فيفسد فعلك والاستثناء عليه يكون متصلا على ما يأتي بيانه ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أن فررت الى الرجوع الى الله والى الشيخ على ما يأتي فلا يفسد ذلك فعل بعد ذلك ويحتمل أن يكون فاعل يفسد ضميرا عائدا لمن من قوله أي لا تكن ممن حسن فعله عنده ففسد واستحكمت منه الامارة والشيطان فكباه في أودية من الخذلان والخسران ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تكن أيها المريد من الذين تحسن أفعالهم عندهم ويعجبون بها فان فعلك اذ ذاك يفسد وسعيك يخيب الا أن تهرب وتفزع بنفس احساسك بلوائح ذلك وروائده الى الرجوع الى ربك والالتجاء اليه في أن يفتح عيني قلبك حتى ترى انه المتصرف فيك والمجري ذلك عليك وانك وعاء من الأوعية لا فرق بينك وبين غيرك ممن لم يجر عليه شيء من ذلك ولو شاء لعكس الأمر بينكما وترى نفسك فيما صدر منك من الاستحسان كمن يفتخر بفعل غيره فتبدل تحجبك بالحياء من الله والخوف من مقته والشكر له على جزيل نعمته أو تهرب الى الرجوع لشيخك ان لم تكن من أهل المرتبة الأولى فيبصرك في ذلك كما تقدم ويحول بهمته بينك وبين ما نزل بك فلا يفسد فعلك والحالة هذه لسرعة مداواتك لدائك وتلافيك وجبرك لمكسورك وهذا على ان الاستثناء متصل ويجوز أن يكون منقطعا كما تقدم أي لكن ان فررت الى الرجوع لما ذكر فلا يفسد لك فعل بعد ذلك فعلى انه متصل لا يفسد له فعل لسرعة تداركه بما ذكر وعلى انه منقطع يكون لا يفسد له فعل في المستقبل وأما ما تعجب منه واستحسنه فقد فسد بتعجبه بل هو دلالة على عدم قبوله من أصله فقد قال بعض العارفين من علامة قبول العمل نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق لذلك العمل انه لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع اليه لبينونة بين عنديتك وعنديته وقال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما كل شيء من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على انه لم يقبل منك لأن المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل القبول وعلى الاحتمال الثاني وهو أن يكون فاعل يفسد ضميرا عائدا لمن من قوله ممن الخ معناه لا تكن ممن حسن فعله عنده ففسد أي اختلت ارادته وفسد قصده وفتر عزمه وقل احتياطه وحزمه حيث استحكمت منه الامارة وجرت اليه مهالكه وبواره وعليه فقوله الا أن تفر الى الكر معناه الا أن ترجع الى معاودة الأمر من أوله واستئناف البناء من أصله وتحرث في أرض ابتداء ارادتك بذرا جيدا سالما من التسويس فبالسلامة من التسويس ينبت ويكونه جيدا يثمر لك ما يصلح لزاد السفر لحضرة الباري البر فان الطريق فيها أن وأوهاد والزاد ما لم يكن جيدا أسرع اليه الفساد ومن لم يصحح بدايته كان كبان على خضخاض كلما زاد لبنة ليعلو بناؤه غاص في الأرض ثم أشار الى بيان ما يثمره التمكن من مقام الانابة مع الاعياء الى سبب استحسان الفعل المؤدي الى العجب وذلك عدم الصدق في الانابة فقال رضي الله عنه

﴿ومن حل من صدق الانابة منزلا * يرى العيب في أفعاله وهو مستبر﴾

من اسم شرط مبتدأ وحل أي نزل فعل الشرط ومن صدق الانابة متعلق به والانابة قيل هي ثاني درجة التوبة وقيل هي الرجوع الى الله على كل حال قال شيخ الاسلام أبو اسمعيل عبد الله الانصاري ثم الهروي رضي الله عنه في منازل الانابة ثلاثة أشياء الرجوع الى الحق اصلاحا كما رجع اليه اعتذارا والرجوع اليه وفاء كما رجع عنه اصطلاحا بثلاثة أشياء بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات وانما يستقيم الرجوع اليه وفاء بثلاثة أشياء بالخلاص

من لذة الذنب وترك استهانة أهل الغفلة تخوفا عليهم مع الرجاء لنفسك والاستقصاء فى رؤية عال الخدمة وانما يستقيم الرجوع اليه حالا بثلاثة أشياء بالاياس من عملك ومعاينة اضطرارك وشيم برق لطفه بك وقوله منزلا هو مفعول بقوله حل ويرى جواب الشرط والعيب أى النقص ولوم مفعوله وفى أفعاله متعلق به وفى بعض النسخ بدل العيب النقص وهو بمعناه وقوله وهو مستتبر السين والتاء فيه زائدتان وهو وجملة حالية وخبر المبتدا فى جملة الشرط والجزاء وفى الجميع على الخلاف فى ذلك ﴿يقول﴾ والله أعلم ومن حل ونزل منزلا من صدق الانابة الى الله والرجوع اليه الرجوع الكلى يرى العيب فى أفعاله التى تقرب بها الى مولاه وهو برىء من ذلك لكونه قد أتى بها على ما ينبغى شريعة وحقيقة فى ظاهره وباطنه وبالغ فى مناصحة مولاه جهد استطاعته لكنه لكمال رجوعه وانابته دائم الاتهام لنفسه لا يأمن ان يكون قد دخل عليه شئ من دسائسها وآفاتها المفسدة للاعمال من الحظوظ الباعثة عليها او المخالطة لها المانعة لها من القبول والصعود الى حضرة الملك الفرد وقد قال أبو يعقوب اسحق بن محمد النهرجورى رضى الله عنه من علامة من تولاه الحق فى أحواله ان يشهد التقصير فى اخلاص أحواله والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى قصده وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال أبو عمر اسمعيل بن نجيد رضى الله عنه لا يصفو لاحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها دعاوى فالنفس مجبولة على ضد الخير لولا فضل الله علينا ورحمته قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا وقال عزمن قائل وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال بعض السادات ما هنالك الا فضله ولا نعيش الا فى ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم فلهذا تبرأ الاكابر من أعمالهم الصحيحة فضلا عن غيرها حتى قال أبو يزيد لو صفت لى تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشئ واصل هذا البيت والذى قبله قوله فى العوارف واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابراهيم بن أدهم اذا صدق العبد فى توبته صار منيبا لان الانابة ثانى درجة التوبة وقال أبو سعيد القرشى المنيب الراجع عن كل شئ يشغله عن الله الى الله وقال بعضهم الانابة الرجوع منه اليه لا من شئ غيره فمن رجع من غيره اليه ضيع أحد طرفى الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى له شبح الاوصاف قائما بين يدى الحق مستغرقا فى عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الافعال والمجاهدة تحقق بحقوق الرعاية والمراقبة وقال أبو سليمان ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبته وقال أبو عبد الله السجزى من استحسن شيأ من أحواله فى حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدائه فيروض نفسه ثانيا ومن لم يزن اعماله بميزان الصدق فيما له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال ورؤية عيوب الافعال من ضرورة صحة الانابة وهو فى تحقيق مقام التوبة انتهى ولما فرغ من الكلام على الشيخ وما اليه سببه من الكلام على لواحقه من سلب الارادة معه ثم آداب مع الله تعالى وغير ذلك مما يحتاج الى استعماله فى سلوك الطريق وختم ذلك بمقام الانابة الذى هو ثانى درجة التوبة رجع لما بقى من الكلام على التوبة وهو بيان الاخذ فيها على سبيل التفصيل وذلك هو المعنى بتمات التوبة فى ذكرها وهى ثلاثة المجاهدة والمحاسبة والمراقبة وبعد ذلك يذكر الورع لانه خادم فى تكميل الجميع وابتداء المجاهدة فقال رضى الله عنه

﴿وان تمام التوب فيه لحفظه * مجاهدة لا تنتهى بسوى الصبر﴾
﴿فصبر على المفروض وقت ادائه * وصبر مع الازمان عن مورد الحظر﴾
﴿وصبر على المندوب فى كل حالة * وصبر على المكروه من غير ما قسر﴾

بمطالعة كتبهم مع من له علم ودراية باصطلاح علم القوم واما بصحبتهم أو مجالستهم أو مزاورتهم ولذلك قال القطب سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فان من لم يدخل حضرتهم لا يعرف حالهم ومما يؤيد ما ذكرناه ما ذكر عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضى الله تعالى عنه انه كان ينكر على القوم ويقول هل لنا طريق غير الكتاب والسنة فلما اجتمع على الشيخ العارف بالله تعالى القطب سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وذاق مذاقهم وقطع السلسلة الحديد بكراسة الورق صار يمدحهم كل المدح فكان يقول من أعظم الدليل على ان الطائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شئ من ذلك قط لفقيه الا ان سلك مسالكهم كما هو مشاهد وكان يسلم للقوم فمن كان انكاره مثل هذا النوع يرجى له الخير ان شاء الله تعالى كما وقع للشيخ عز الدين والامام أحمد بن حنبل مع شيبان الراعى والامام أبى عمران الشبلى حين امتحنه فى مسائل من الحيض وأفاده سبع مقالات لم تكن عند أبى عمران قلت وكذلك ما وقع للشيخ عبد القادر بن محيى الدين المجاهد مع سيدنا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد الفاسى المغربى رضى الله تعالى عنه فان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كان من أشد المنكرين على هذه الطائفة الدرقاوية الشاذلية ثم الفاسية حتى انه من شدة انكاره أراد ان يحاربهم فى أرض الجزائر فلما من الله سبحانه وتعالى عليه باجتماعه على أستاذنا رضى الله تعالى عنه فى مكة المشرفة وتلقى عنه الطريقة الشاذلية وذاق طعم شراب القوم مدح الشيخ والطريقة بقصيدة غراء نحو مائة وواحد عشر بيتا وكذلك وقع للعالم العلامة الفاضل الشيخ سيدى محمد السوسى المغربى انكار على الطائفة ولما من الله تعالى عليه باجتماعه على أستاذنا

في قوله وان مقام التوب البيت بعض تعقيد يظهر باعرابه ورد كل لفظ منه لمحله فقوله وان مقام التوب متعلق بقوله بعد مجاهدة ولفظه مبتدا واللام الداخلة عليه لام الابتداء ولام ان على الخلاف في نحو ذلك ومجاهدة منصوب على اسقاط الخافض وهو خبر المبتدا أى حفظه كائن بمجاهدة والجملة من المبتدا وخبره خبر ان والمجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى والمجانب للحق على كل حال وقوله لاتنحى سوى الصبر صفة لمجاهدة ونائب تنحى ضمير مجاهدة والصبر لغة الحبس وعند القوم حبس النفس على المكره وهو عقد اللسان عن الشكوى وقيل ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وقيل الصبر هو الثبات بين يدى محيي الاموات وقيل فيه غير ذلك وفصبرا الفاء فيه زائدة على مذهب الاخفش وهو مع ما بعده بدل تفصيل من الصبر في قوله سوى الصبر فيجوز فيه وفيما بعده من لفظه بحسب أوجه العربية الاتباع لما قبله في الاعراب والقطع الى الرفع وهو الموجود في النسخ أو ناصب ولم نره على كثرة ما رأينا من النسخ وعلى المفروض متعلق بصبر والمفروض والواجب شرعا بمعنى واحد وهو الفعل المطلوب طلبا جازما ففي فعله الثواب وفي تركه العقاب وأبو حنيفة والفقهاء يطلقون الفرض على المقطوع به والواجب على المظنون ووقت ادائه أى الزمان المقدر له شرعا وهو ظرف الصبر ومضاف اليه ما قبله ومعناه المحافظة على الاتيان بالمفروض في الوقت الذى عين لادائه وصبر مع الازمان صبر عطف على صبر ومع ظرف الصبر والازمان مضاف اليه وهو جمع زمان وعلى كل دقيقة منه فقد حضه بذلك على استصحاب الصبر مع كل لحظة ونفس كى لايتأتى منه مقاربة محظور ورود المطلوب فقد بان لك ان قوله مع الازمان في غاية التمكن وعن مورد الحظر متعلق بصبر والمورد موضع الورود والحظر المنع والممنوع وهو المطلوب تركه طلبا جازما ففي تركه الثواب وفي فعله العقاب وصبر على المندوب صبر عطف على الذى قبله وعلى الاول على الخلاف في ذلك وعلى المندوب متعلق به والندب لغة الحث وفي أصول الفقه المندوب والمستحب والتطوع والسنة أسماء لمعنى واحد وهو الفعل المطلوب طلبا غير جازم ففي فعله الثواب وليس في تركه العقاب وأما الفقهاء فلهم تفصيل في ذلك وفي كل حالة متعلق بصبر وصبر على المكروه يجرى فيه ما جرى في الذى قبله من الاعراب والمكروه هو المطلوب تركه طلبا غير جازم فليس في مخالفة الطلب والاقتضاء عقاب وفي موافقته الثواب وقوله من غير ما قهر اما صفة لمكروه وذلك لان القهر المنع والكراهة تكون للتحريم ولما دونه فكانه يقول على المكروه الذى لم يبلغ المنع واما صفة للصبر أى صبر غير مصحوب بقهر عليه ومورد الاحتمالين واحد لانه اذا لم يكن مقهورا من الشارع على ذلك الصبر فالمصبور عنه ليس مطلوبا تركه طلبا جازما وهو المكروه الذى لم يبلغ درجة المنع لانه لو طلب منه الترك طلبا جازما لكان مقهورا على الصبر عنه أى واجب ذلك عليه وما في قوله من غير ما قهر زائدة وذلك أحد محاملها وفي بعض النسخ القسر بالسين بدل الهاء والمعنى واحد ﴿يقول﴾ والله أعلم وحفظ مقام التوب يكون بمجاهدة في تصحيحه وتكميله من فطم النفس عن المألوفات ومنعها من الانهماك في الشهوات وحملها على موافقة الحق في عموم الاوقات لاتقصد هذه لصعوبتها على النفس وثقل اعبائها الا بالتدرع بدرع القوم والتمنطق بمنطقة الصبر المقوى لها على مقاساة الشدائد وارتكاب الاهوال في ذات الله فقد قال عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انكم لاتدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال على كرم الله وجهه انما الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد لاجسد لمن لارأس له ولا ايمان لمن لاصبر له وقال أيضا رضى الله عنه بنى الاسلام على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل بن موسى الاوسى القصرى رضى الله عنه المكاره التى حفت

وتلقى عنه الطريقة الشاذلية أثنى على الطائفة كل الثناء ومدح الاستاذ بقصيدة جيدة والحاصل ان انكار هذا النوع كثير وعاقبته الى الخير الكبير ومع ثبات أهله على نهج القوم يظهر عليهم السر الشهير والله على كل شئ قدير لان انكارهم عن عدم علم باصطلاح القوم وعدم اطلاع على كتبهم وفهم عباراتهم ورموزهم واشاراتهم وقد ذكر العارف بالله تعالى سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه في اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر من الفصل الثالث في اقامة العذر لاهل الطريق في تكلمهم بالعبارات المغلقة على غيرهم ما نصه اعلم رحمك الله تعالى ان أصل دليل القوم في رمزهم الامور ما روى في بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أتدرى يوم يوم فقال أبو بكر نعم يارسول الله لقد سألتنى عن يوم المقادير (وروى) أيضا انه قال له يوما ياأبا بكر أتدرى ما أريد ان أقول فقال نعم هو ذاك حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في بعض كتبه وذكر الشيخ محيي الدين رضى الله تعالى عنه في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه (اعلم) ان أهل الله لم يضعوا الاشارات التى اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لايعرف ما هم فيه شفقة عليه ان يسمع شيأ لم يصل اليه فينكره على أهل الله فيعاقب على حرمانه فلا يناله بعد ذلك أبدا ثم قال الشعرانى فان قيل لم رمز القوم كلامهم في طريقهم بالاصطلاح الذى لايعرفه غيرهم الا بتوقيف منهم ولم لم يظهروا معارفهم للناس ان كانت حقا كما يزعمون ويتكلمون بها على رؤس الاشهاد

بها الجنة هي المأمورات والمندوبات التي دعي العبد الى القيام بها شاقة على النفس ولا ينال شئ منها الا بالصبر الكثير وكذلك الشهوات التي زجر الخلق عن موافقتها وبترجع النفس عن المنهيات الا بالصبر الكثير وهو أي هذا الصبر بالمحافظة على الاتيان بالمفروض في الوقت الذي جعله الشارع محلا لفعله بجميع شروطه وكمالاته وآدابه الظاهرة والباطنة لا يقدمه عن وقته ولا يؤخره عنه وملازمة أيضا أي الصبر المذكور مع كل لحظة ونفس كي لا تجمع فيما لأمارة فترد به منهلا من موارد الحظر ظاهرا كان المحظور أو باطنا بالمثابرة على فعل المندوبات والتعطش لتحصيل نوافل الخيرات على أي صفة كان بحيث لا يشغله ولا يذهله عنها مؤلمات ولا ملائمات ويتدرع به أيضا أي الصبر المذكور على ان يهجم له العدو على حظيرة من حظائر المكروهات التي تبلغ درجة النهي على الترك كسائر المحظورات وعلى الاحتمال الثاني وانه صفة لصبر أي صبر غير محبوب يقهر عليه لان المكروه لما كان الوقوع فيه لا يعد ذنبا خفف أمره شيأ ما فلم يشدد في طلب الصبر عنه كما شدد في طلب الصبر على المفروض والمندوب وعن المحظور ولكنه قد يقال ان الجميع في حق المريد سواء لانه مترق عن درجات العوام وأخذ في التشمير وشدد الحزام وعامل في التصفية والصقال والنهي لنزول الضلال وكما يظهر للمندوب في ذلك أثر فعلا وتركا كذلك يظهر للمكروه مثله والتجربة كافية في ذلك وقد قال الشيخ في ذلك تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنه في لطائفه كل مأمور به أو مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فان مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها والمعصية هي أسباب التفرقة ووسائلها فلذلك نهي عنها انتهى واعلم ان الصبر بحسب القواعد العلمية بحسب ما يصبر عنه وعليه فما هو فرض فالصبر عليه أو عنه فرض وما هو فضل فالصبر عليه أو عنه فضل قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ان الصبر فضل وفضل ذلك يعرف بمعرفة الأحكام فما كان أمرا واجبا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا وندبا فالصبر عليه أو عنه فضل وأصل هذه الابيات قوله في العوارف أصل ما نقلنا في البيت الذي قبلها ولا تستقيم التوبة الا بصدق المجاهدة ولا تتم المجاهدة الا بوجود الصبر روى فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك الا بالصبر وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد الخواطر والصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفرض كالصبر على اداء المفروضات والصبر على المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الاولى وكتمان المصائب والاوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتمان المنح والكرامات ورؤية القدر والآيات ووجوه الصبر فرض وفضل كثيرة وكثير من الناس يقوم بهذه الاقسام من الصبر ويضيق الصبر على الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر فاذا حقيقة الصبر كائن في التوبة لكينونة المراقبة في التوبة والصبر من أعلى مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة قال بعض العلماء أي شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيأ بهذا العدد وصحة التوبة تحتوي على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو لا يصرفها في معصية الله وهذا أيضا داخل في صحة التوبة وكان سهل رضي الله عنه يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب وقال في موضع آخر وقيل لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار في الصابر مجرى الانفاس لا يحتاج الى الصبر عن كل

كما يفعل علماء الشريعة في دروسهم فان في اخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس رائحة ريبة وفيها الباب رمى الناس لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية فالجواب انما رمزوا ذلك رفقا بالخلق ورحمة بهم وشفقة عليهم كما عرف كلام الشيخ محيي الدين آنفا رضي الله عنه وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم لا يقررون علم التوحيد الا في قعور بيوتهم بعد غلق أبوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم ويقولون أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما انتهى وما ذلك الا لدقة مداركهم حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام ولا يجوز لاحد ان يعتقد في هذه السادة انهم يخفون كلامهم الا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التي دونت وكان من حقها ان لا تذكر الا مشافهة ولا توضع في الطروس لكن لما كان العلم يموت بموت أهله ان لم يدون دونوا علمهم ورمزوه مصلحة للناس وغيرة على أسرار الله ان تذاع بين المحجوبين وأنشدوا في ذلك

ألا ان الرموز دليل صدق
على المعنى المغيب في الفؤاد
وكل العارفين لها رموز
والغاز تدق على الاعادي
ولولا اللغز كان القول كفرا
وأدى العالمين الى الفساد

أي كفرهم عند من لا يعرف اصطلاحهم وكان الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه يقول انما فعل القوم من الرموز فانهم انما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل ان تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا في أنفسهم ويضلوا غيرهم ولذلك نهوا المريد ان يطالع في رسائل القوم لنفسه من

منهى ومكروه ومذموم ظاهرا او باطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولا تنفع دلالة بغير قبول الصبر ومن كان العلم سائسه فى الظاهر والباطن لا يتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بغير الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر تحامل على النفس وبالعلم ترقى الى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما فى مستقره وفى ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما عن الآخر أعنى النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فكل أجير أجره بحساب الا اجر الصابرين بغير حساب وقال تعالى لنبيه واصبر وما صبرك الا بالله أضاف الصبر لنفسه لشرف مكانه وتكميل النعمة به واعلم ان كلام الناظم رضى الله عنه قابل لان يحمل على بعض الكلام الاول المنقول من العوارف وان اختلف صنيعهما لان صاحب العوارف ذكر التوبة ومقدماتها كما قدمنا ثم قال باثر ذلك ثم التوبة فى استقامتها تحتاج الى المحاسبة ثم اشتغل بذكرها ووجه الكلام فيها فى المراقبة ثم تكلم بعدها على الانابة كما نقلنا كلامه فيها فى المراقبة وقال فيها ورؤية عيوب الافعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة ثم قال باثر الكلام عليها ولا تستقيم التوبة الا بصدق المجاهدة وذكر فيها ما يشمل المراقبة وغيرها كالذى عند الناظم فى أول الورع والناظم رضى الله عنه لما كان يدرج السلوك الى حضرة ملك الملوك أخذ ما ذكر فى المجاهدة ما يلزم المريد أول أمره ثم ارتقى به الى المحاسبة والرعاية حتى يكون مستغرق الاوقات فى العبادات مؤثرا المهمات ثم ارتقى به الى المراقبة ثم ذكر فى الورع ما يكون مكملا لذلك كله ولما فرغ من المتممة الاولى أشار الى الثانية فقال رضى الله عنه

﴿وفيه بذاك الحفظ حفظ مقامه * محاسبة للاوزار تبقى مع الاجر﴾
﴿بحفظك للانفاس فى كل لحظة * ووصف الحواس الخمس بالضبط والحصر﴾
﴿وان تك للاوقات راع ومؤثرا * لكل مهم فى السماحة والقهر﴾

ضمير فيه عائد لمقام التوب قبله والباء بذاك بمعنى مع والاشارة راجعة لحفظ المجاهدة قبله والحفظ عطف بيان أو نعت له والحفظ هو المراقبة وحفظ مقامه مبتدأ خبره فيما قبله ومحاسبة اما تمييز أو منصوب على اسقاط الخافض وللاوزار الخ بيان لما تكون به المحاسبة فيا ؤه متعلقة بمقدر أى تكون هذه المحاسبة بحفظك الخ وفى بعض النسخ بعدك أى احصائك وهو راجع فى المعنى اليه وللانفاس متعلق بحفظ والانفاس جمع نفس وهى الروح الحارة المارة بالقلب قال بعض أهل المراقبة حسبت أنفاسى فى اليوم والليلة فوجدتها اربعة وعشرين ألف نفس قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه وتعالى ان الطرفات ضعف ذلك لان كل نفس طرفتان وفى كل لحظة متعلق بحفظ أيضا ووصف الحواس الخمس وصف عطف على حفظ والحواس مضاف اليه وهو جمع حاسة وصفت بخمسة هنا لضرورة الوزن والخمس صفة لحواس والمراد بالخمس هنا الاذن والعين والفم واليد والرجل وبالضبط متعلق بوصف والحصر عطف عليه والضبط هنا التهذيب والتقييد والحصر الشد والتضييق ومعنى هذا الشطر ان يحملها بحيث يصح ان يشتق لها اسم من الضبط والحصر أى مضبوطة محصورة لان من اتصف بشئ صح ان يشتق له منه اسم وهى قاعدة لغوية وفى كلامه تلميح لها وان تك الخ عطف على حفظ من قوله بحفظك أى وبان تك والاصل ان تكون ولكنه جزم بان على حد قول الشاعر * تمالوا الى ان يأتى الصيد نحطب * فحذف الواو لالتقاء الساكنين وتدرج منه الى حذف النون وذلك لغة فى مضارع كان

غير قراءة على شيخ قلت وقد سمعت من شيخنا سيدى محمد الفاسى المغربى رضى الله تعالى عنه ان احوال العارفين بالله تعالى تكاد ان تخفى حتى على بعضهم لدقتها ورأيت شاهد كلامه رضى الله تعالى عنه فى البحر المورود فى المواثيق والعهود للعارف بالله تعالى سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه ما نصه فاياك وفتح باب الانكار فانه يطردك عن حضرة أولياء الله تعالى واشهد نفسك دونهم فى سائر العلوم تسترح وقد حكى لى سيدى عبد القادر الدشطوطى رضى الله تعالى عنه قال انكرت مرة على انسان رأيته لا يطمئن فى ركوعه ولا فى سجوده فقال لى يا أخى أنا ناصيتى بيد الحق سبحانه وتعالى يمدنى اذا شاء ويقصرنى اذا شاء فلا أستطيع ان أزيد ولا أنقص وأنا مشاهد لمحركى لا للحركة قال فغبت عن احساسى عند سماع قوله فقلت الله عليك من تكون أنت فقال أنا الامام الذى عن يسار القطب فقلت له يا سيدى التوبة فقال عفو الله أوسع وأعم استغفرت أم لم تستغفر ثم قال لى لا تنكر قط الا على ما يهدم الدين فقلت بسم الله فانصرف وكان ذلك تجاه بركة الجيش قريبا من الجبل المقطم فاذا كان أهل الله تعالى تجرى عليهم أحوال من دقتها تكاد تخفى على بعضهم فكيف بمن لم يعرف اصطلاحهم ولم يذق طعم شرابهم ولا سلك طريقهم ولا تربى بين أيديهم فحق عليه ان يترك الانكار عليهم ويذعن بالتسليم لهم ويعتقد انهم على بينة وعلم ولذلك قال العارف بالله تعالى الحبيب السيد عبد الله الحداد العلوى رضى الله عنه
فقد ستروا أهل الطريق واخلوا * أمورا من التحقيق حتى تعطلت
حذارغبى أو حسود مولع * بانكار أسرار العلوم الدقيقة
اذا لا يراها المنكرون فيحذروا * بانكارها الا عن دليل وحجة
كما أنكروا قوم على بعض من مضى * من العارفين اهل الهدى والبصيرة

اذاجزم وقال تعالى ولم ألك بغيا ولاتك فى ضيق والاوقات متعلق بتلك وهو جمع مفرده وقت وهوظرف الكون وراع خبرتك لحقه النصب بفتحة فوق الياء لكن أجراه مجرى المخفوض والمرفوع للضرورة ومؤثرا عطف على راع لانه منصوب المحل والكل مهم متعلق بمؤثرا والسماحة هنا السهولة وهى متعلقة بمؤثرا والتهور عطف عليها (ثم يقول) والله أعلم ويحتاج فى مقام التوبة مع الحفظ المتقدم بالمجاهدة الى حفظ ثان يكون بمحاسبة من صفتها انها لاتبقى ولاتذر ابن عينى قلب صاحبها لكونه حسم المادة من أصلها وقدم الشريعة التى تمنع الواصل وتحفظ صحة المفاصل وتكون هذه المحاسبة بحفظ الانفاس وحراستها فى كل لحظة وطرفة عن كل مالا يعنى بحيث لايخرج عنك نفس فى أدنى وقت الافى ذكر المذكور أو شكر على نعمة منعم أو صبر على محنة عتيدة أو رضا عند شدة شديدة وجعلك حواسك الخمس بل وغيرها مضبوطة محصورة على المخالفات وتحليتها بدل ذلك بأنواع البر والموافقات وذلك بأن تصون سمعك عن الفحش والغيبة والنميمة وغير ذلك من المحظورات ومالا يعنى وتحصل بدله الاستماع الى كتاب الله عز وجل وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم والوعظ والحكمة ومايعود اليك بالفائدة دنيا وأخرى وتغض طرفك عن المحرمات والمنكرات ومالا يعنى وتنظر بدل ذلك بعين التفكر والاعتبار المنتج معرفة عظمة الجبار وتنظر بعد ذلك بعين التفكر فى كتابه تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك وتمسك فمك عن الكلام فى كل محرم ومالا يعنى من الجدال والخصومة والغيبة والنميمة والطعن وآفاته كثيرة وتطلقه بدل ذلك فى ذكر الله وتلاوة كتابه والدعاء للاخوان وبذل النصيحة لهم وغير ذلك وتمسكه أيضا عن كل محرم وشبهة أو فضول من مأكول أو مشروب بل تأكل به بلا بقدر الحاجة وبنية التقوى على الطاعة وكذا سائر حواسك وتكون مع ذلك راعيا وحافظا وحارسا لأوقاتك فلا يمر عليك أدنى وقت الافى ضرب من ضروب الخير واداء فرض وتطوع ونفل أو قراءة قرآن أو ذكر الله عز وجل أو شكر على نعمة أو صبر على بلية أو طلب قوت من وجه حلال أو أكل أو لبس أو قيلولة تستعين بذلك على عبادة ربك وتشهد فيها حال التلبس به فلا يخرج عليك وقت الا وانت مراع له ومؤد حقه وتكون مع ذلك مؤثرا الكل مهم على غيره باعتباره حالا من أحوالك ووقتا من أوقاتك فى حال الرضا والغضب والعسر واليسر كان خفيفا أو ثقيلا وذلك ان أوقاتك أيها المريد ثلاثة اما وقت فرض تؤديه أو نفل حث عليه الحق سبحانه وندب اليه فتسابق اليه وتبديه أو مباح فيه صلاح جسمك وقالبك فتنظر بيقظتك فى أدنى وقت هل لله عز وجل عليك فيه من أمر أو نهى فتجتنب النهى بعلم يردك وورع يحجزك وتفعل الأمر وتؤديه على حسب ما أمرك به فان لم تجد فانه لايخلو من نوادب وفضائل فتبتدئ بالأفضل وتقدم مايختص به الوقت ولايوجد الافيه ويفوت دركه بفوات وقته ولاتشتغل بالفاضل حتى تفرغ من الافضل ولا بالأفضل حتى تفرغ من الفرض فهذا حالك أبدا اذا احتجت الى ضرورة مباح وهو أدنى أوقاتك وأحوالك فلتكن مشاهد النعم لئلا يذهب وقتك فارغا ولا يعود عليك بشئ من ذكر مولاك ولايخرجك رضاك ويسرك الى غيرهم ولاغضبك وعسرك عن مهم لاتأخذك فى الله لومة لائم ولاتك مخالفا للحق موافقا للهوى واذا عرض لك أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة فآثر الآخرة على الدنيا فاذا فعلت هذا كنت قد حاسبت نفسك فى كل ساعة وراقبت حسيبها كل وقت وان قصرت عن هذه المحاسبة لاجل الحسيب ولم يكن لك مقام المراقبة للرقيب فلا يفوتك ان تتفقد ماهنى من عملك فى يومك أو ليلتك مرة أو مرتين أو عند كل صلاة فان رأيت نعمة شكرت وان رأيت بلية استغفرت فتنظر الى طول غفلتك فى يومك وليلتك وسوء معاملتك وما فعلته من أعمالك كيف فعلتها ولم فعلتها وما تركت من سكوتك ومنك لم تركته

وكم من قريب بعدته عبارة • عن الفهم فاستمسك بحبل الشريعة وسلم لاهل الله فى كل مشكل • لديك لديهم واضح بالأدلة ونوع ينكرهم وينكر أفعالهم وان رأى دليل صحة مايفعلونه لايزول انكاره لان الحسد أعمى أعين بصيرته وخباثة الباطن أصمت آذان فؤاده فيزداد مرضا على مرضه ويصير مقارنا لمن قال الله تعالى فى حقهم لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل ويرى الانحطاط فى حياته عن مرتبته والذل وضيق الرزق وشماتة الأعداء وقلة المال والعيال ولايرى صحة البدن ويقع فى البلاء والمحن وان رأى فى مدة حياته مايسره فهو استدراج ومكر الهى وعقوبة قلبية لايشعر بها قال تعالى فى الحديث القدسى من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب انظر أى مقت أكبر من هذا أعاذنا الله تعالى من الانكار على أوليائه آمين قال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسى رضى الله تعالى عنه وانما يقع الانكار على أهل الله تعالى وكثرة الانتقاد وقلة الاعتقاد من سوء النيات وخبث الطويات ولنا من النظم فى ذلك من المواليات قولنا

يامنكرين لكم فى ناركم كيات نياتكم صيرت أعمالكم حيات
أنتم عميتم عن المنشور فى الطيات • الكل بالله والأعمال بالنيات

ومن كلام السادة الوفائية رضى الله تعالى عنهم ان أولاد الفقراء يعنى أهل الطريق كشجرة الزيتون كل حبة بزيتها الكبيرة فيها الزيت والصغيرة فيها الزيت وهى لاتخلو من زيت طيب ومن كلام سيدى الشيخ شمس الدين محمد الحنفى الشاذلى رضى الله تعالى عنه اذا كان أولاد الفقراء رمادا فلا تطأهم بقدمك تحترق ويوشك ان تقع فى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ومن كلام سيدى أبى العباس الغمرى لحوم الفقراء مسمومة

ولمن تركته وتنظر لقلبك هل فيك وصف من أوصاف المنافقين أو خلق من أخلاق الجاهلين فتحزن من أجله وتتوب منه وتعمل على حسن الاستغفار وجميل الاعتذار وإن كنت على الصدق تحققت ان كل حركة صدرت منك أو سكون لأجل الله عز وجل وبه فاعمل في الشكر على نعمة التوفيق والتأييد وحسن العصمة من التهلكة وأصل هذه الأبيات قوله في العوارف ثم التوبة في استقامتها تحتاج الى المحاسبة ولا تستقيم التوبة الا بالمحاسبة نقل عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فالمحاسبة بحفظ الانفاس وضبط الحواس ورعاية الاوقات وايثار المهمات ويعلم العبد ان الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم والليلة رحمة منه سبحانه وتعالى لعلمه بعبده واستيلاء الغفلة عليه كي لا يستعبده الهوى وتسترقه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس الى مواطن العبودية لأداء حق الربوبية ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة الى صلاة أخرى ويسد مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ولا يدخل في صلاة الا بعد حل عقدة القلب بحسب التوبة والاستغفار لان كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكت في القلب نكتة سوداء وتنعقد عليه عقدة والمنعقد المحاسب يهيئ الباطن للصلاة بضبط الجوارح وتحقق مقام المحاسبة فيكون عند ذلك لصلاته نور يشرق على أجزاء وقته الى الصلاة الأخرى فلا تزال صلاته منورة تامة بنور وقته ووقته منور معمور بنور صلاته وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضا وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو أمر آخر خط خطا فكلما تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه ليضيق بالمحاسبة مجاري الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لموضع صدقه في حسن الانقياد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام المحاسبة والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة قال الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته وسئل الواسطي أي الأعمال أفضل قال مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن ويكمل أحدهما بالآخر وبه تستقيم التوبة انتهى ولما كانت التوبة النصوح تشتمل على المقامات كلها أو جلها أشرنا الى اشتمالها على البعض فقال رضي الله عنه

﴿وفي التوب حال الخوف والصبر والرضا * فأكرم به للحق من تائب بر﴾
﴿وفيه مقام الخوف والصبر والرضا * كذلك الرجاء المد أولى من القصر﴾

حال الخوف مبتدا ومضاف اليه والصبر والرضا معطوفان على الخوف وفي التوب خبر المبتدا والخوف تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال قال الامام أبو حامد رضي الله عنه والرجاء انتظار محبوب تمهدت أسبابه الاختيارية والافتقار ورمضه وتسور الصبر تقدم والرضا سكون القلب تحت جريان الحكم قاله الحارث المحاسبي رضي الله عنه وقال ذو النون رضي الله عنه الرضا سرور القلب بمر القضاء وقوله فأكرم به صيغة تعجب أي ما أكرمه من تائب بر حيث اشتملت توبته على ما ذكر وهو مقدم من تأخير والاصل

وفي التوب حال الخوف والصبر والرضا * وفيه مقام الخوف والصبر والرضا
كذلك الرجاء المد أولى من القصر * فأكرم به للحق من تائب بر

والحق من أسمائه تعالى وقد تقدم والبر بالفتح هنا الصادق الكثير الخير واعراب صدر البيت الثاني كاعراب صدر الأول حرفا بحرف والرجاء مبتدا وكذلك خبره والاشارة لما تقدم من كون الخوف وأخويه تكون أحوالا ومقامات وقوله المد أولى من القصر زيادة بيان في معاد الاشارة على ان فيه تورية وهو ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويريد البعيد اعتمادا على قرينة

فمن تعرض لها عجل هلاكه بسم ساعة والعياذ بالله تعالى وبالجملة فالسكوت عن هذه الطائفة أعني الصوفية أولى وتسليم حالهم اليهم أسلم فان الطعن عليهم مظنة المؤاخذة وقد سلب كثير ممن طعن عليهم أو آذاهم وليس في السكوت عنهم اثم بل فيه السلامة

قال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه سمعت سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول اياك ان تصغي لقول منكر على أحد من طائفة العلماء والفقراء رضي الله تعالى عنهم فتسقط من عين رعاية الله عز وجل وتستوجب المقت من الله تعالى وكان الجنيد رضي الله عنه يقول من قعد مع هؤلاء القوم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله تعالى منه نور الايمان ﴿قلت﴾ نور الايمان بذلك الكلام الذي خالفهم فيه لا نور سائر أنواع الايمان كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فافهم ونظير ذلك لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن أي بان الله يراه حال الزنا وهكذا وانما نهى القوم عن المنازعة لان علومهم مواجيد لا نقل فيها ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لا يجوز للسامع منازعته فيما أتى به بل يجب عليه التصديق ان كان مريدا والتسليم ان كان أجنبيا فان علوم القوم لا تقبل المنازعة لانها وراثة نبوية وفي الحديث عندي لا ينبغي التنازع ونهى صلى الله عليه وسلم عن الجدال وقال في المجادل فليتبوأ مقعده من النار وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أصل منازعة الناس في المعارف الالهية والاشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول ومجيئها بغتة من غير نقل ونظر ومن طريق العقل فنكرت على الناس من حيث طريقها خفيفة فانكروها وجهلوها ومن أنكر طريقا من الطرق عادى أهلها ضرورة لاعتقاده فسادها وفساد عقائد أهلها وغاب عنه ان الانكار

خفيفة وذلك موجود هنا فان المتبادر من سماع هذا التركيب كون المدو القصر من صفتى اللفظ والمقصود ان مقام الرجاء مده وجعله حالا ومقاما فى التوبة أولى من قصره على المقام فقط وقرينة البساط تعين هذا المعنى البعيد وكون هذين المعنيين ليسا مدلولى اللفظ من أصله وانما حدث له باعتبار التركيب لا يضر فى التورية على ان المقام ليس من مواضع التورية لان المقصود بها ايقاع السامع فى الوهم باتباع المعنى القريب لنكتة قصدها المتكلم وما كان موضعه للبيان كهذه القصيدة ينافى ذلك ولكن التورية وقعت فى القرآن وهو عش البيان فما بالك بغيره ﴿يقول﴾ والله أعلم وحال الخوف وحال الصبر وحال الرضا مندرج فى التوبة النصوح وثابت فيها ومقام الخوف والصبر والرضا مندرج أيضا فيها والرجاء أيضا كذلك ومده بجعله داخلا فى التوبة حالا ومقاما أولى من قصره على كونه مقاما فقط لانه لابد للمقامات من رائد الأحوال فلا مقام الا بعد سابقة فما أكرمه على الله من تائب صادق فى توبته كثير الخير بما اشتملت عليه توبته من الأحوال والمقامات وما ذكر من كون التوبة مشتملة على هذه الأحوال والمقامات بين عند من له عقل رشيق ضرورى عند من أخذ فى سلوك الطريق وذلك لان خوفه هو الذى حمله على التوبة ولولا رجاؤه وطمعه فى الله وفيما عنده ما خاف ولولا صبره ما قدر على ترك ما ألف من سيئ العادات ولولا صحة توبته وانطفاء نيران نفسه المتأججة بمتابعة الهوى ما اطمأنت نفسه وباطمئنانها سكنت تحت مجارى الأقدار ورضيت بما فعل الحق سبحانه ويختار فالرضا داخل فى التوبة من حيث كونه نتيجة عنها وأصل البيتين قوله فى العوارف وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس اذا تزكت بالتوبة النصوح ذهب عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر بوجود الشراسة للنفس والاباء والاستعصاء فيها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبعها وشراستها الى اللين لان النفس بالمحاسبة والمراقبة تسعد وتنطفى نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه وتطمئن فى مجارى الأقدار قال أبو عبد الله الباجى لله عباد يستحيون من الصبر يتلقون مواقع الأقدار بالرضا تلقيا وكان عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت ومالى سرور الا مواقع القضاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حين وصاه اعمل باليقين فى الرضا فان لم يكن فان فى الصبر خيرا كثيرا وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيره أعطى الرجل الرضا بما قسم الله تعالى له فالاخبار والآثار والحكايات فى فضيلة الرضا وشرفه أكثر من أن تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا الا لتخلفه عن التوبة النصوح فاذا تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف والرجاء مقامان من مقامات أهل اليقين هما كامنان فى صلب التوبة النصوح لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاؤه ما خاف فالرجاء والخوف متلازمان فى قلب المؤمن ويفتعل الخوف والرجاء للتائب المستقيم فى التوبة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى سياق الموت فقال كيف تجدك قال أجدنى أخاف ذنوبى وارجو رحمة ربى فقال ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموضع الا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف وجاء فى تفسير قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة هو العبد يذنب الكبائر ثم يقول قد هلكت لا ينفعنى عمل فالتائب خاف وتاب ورجا المغفرة ولا يكون التائب تائبا الا وهو راج خائف اه فقد بان لك من تصفح شرح هذا البيت ان مقام التوبة هو فوق المقامات وقطب سنى الأحوال ورفيع الدرجات فاحقه بان يقال فيه ما اشتهر بين أهل الأمصار والقرى من قولهم كل صيد فى جوف الفرا واعلم ان ما ذكرنا من كون الحال رائد المقام وانه لا مقام الا بعد حال هو كذلك لانه كما قدمنا أول ما يبدو للعبد بالحال ثم لا يزال يتحول و يعود الى ان

من الوجود والعاقل يجب عليه ان يغير منكر انكاره ليخرج عن طور الجحود فان الأولياء والعلماء العاملين قد جاسوا مع الله عز وجل على حقيقة التصديق والصدق والتسليم والاخلاص والوفاء بالعهود وعلى مراقبة الأنفاس مع الله عز وجل حتى سلموا قيادهم اليه وألقوا نفوسهم سلما بين يديه وتركوا الانتصار لنفوسهم فى وقت من الأوقات حياء من ربوبيته ربهم عز وجل واكتفاء بقيوميته عليهم فقاموا فيما يقومون لأنفسهم بل أعظم وكان تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم قال سيدى الشيخ أحمد بن عطاء الله فى كتابه لطائف المنن واعلم علمك الله من العلم الذى يدلك عليه وجعلك من الداخلين بين يديه ان انتصار الحق لأوليائه ليس ذلك لانهم طلبوه من الله ولكن لما صدقوا التوكل عليه وارجعوا الأمر اليه انتصر الحق لهم ألم تسمع قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا تقولن هم ممن ينتصر لنفسه منك بل هم من ينتصر الله له فانه الغالب الذى لا يغلب والقادر الذى لا يعجز والقهار الذى لا قبل لأهل السموات والأرض بذرة من بلائه ولو وضع ذرة من ذرات قهره على الجبال لأذابتها ثم قال فى مكان آخر من الكتاب المذكور غير ان مقابلة الحق سبحانه وتعالى لمن آذى وليا ليس يلزم ان تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله تعالى ولان الله سبحانه لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة أعدائه كما لم يرضها أهلا لاثابة أحبائه وان كانت معجلة فقد تكون قساوة فى القلب أو جمودا فى العين أو تعويقا عن طاعة أو رقوعا فى ذنب أو فترة فى الهمة أو سلب لذاذة خدمته وقد كان رجل من بنى اسرائيل أقبل على الله تعالى ثم أعرض عنه فقال يا رب كم أعصيك ولا تعاقبنى فأوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان أن قل لفلان كم

يستعلى ويصير مقاما فالحال بنفسه يعود مقاما فلا تفرد للمقام عن الحال ولا مقام الا والحال مصحوب معه لكن الرضا قد يكون مقاما ويفقد فيه الحال قال فى العوارف وههنا لطيفة وذلك ان مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم بثباته مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة يجدها الراضى بحكم الطبع ولكن عمله بمقام الرضا يمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع فى وجود الكراهة المعمورة بالعلم لا يخرجه عن مقام الرضا ولكن يفقد حال الرضا لان الحال اذا تجردت موهبة أحرقت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام الرضا ولا يكون صاحب حال فيه والحال متقدمة المقام والمقام أثبت فيقول لان المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كان موهبة من الله تنزهت من مزج الطبع فحال الرضا أغلب ومقام الرضا أمكن ولا بد فى المقامات من رائد الأحوال فلا مقام الا بعد سابقة حال ولا تفرد للمقامات دون سابقة الأحوال واما الأحوال فمنها ما يصير مقاما ومنها من لا يصير مقاما والسر فيه ما ذكرناه ان الكسب فى المقام ظهر والموهبة بطنت وفى الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن فلما كان فى الأحوال الموهبة غالبة لم تتقيد وصارت الأحوال الى ما لا نهاية لها ولطفت سنى الأحوال ان تصير مقامات ومقدورات الحق غير متناهية ولهذا قال بعضهم يعنى أبا يزيد لو أعطيت روحانية عيسى ومكالمة موسى وخلة ابراهيم اطلب ما وراء ذلك لان مواهب الحق لا تحصى وهذه أحوال الانبياء ولا تعطى للاولياء ولكن هذه اشارة من القائل الى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى لان سيد الرسل صلوات الله عليه نبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام كل يوم لم أزدد فيه علما فلا بورك لى فى صبيحة ذلك اليوم وفى دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم ما قصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانا أرغب اليك فيه وأسألكه حتى تعلم ان مواهب الله لا تحصر والأحوال مواهب وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد اعداد الرمال دون اعدادها اه ثم أشار الى المتممة الثانية وهى المراقبة فقال رضى الله عنه

﴿ويلزم عنه ان يراعى سره ✽ فلا خاطر مر عليه بذى أمر﴾

﴿ملاحظة للحق فى كل لحظة ✽ وفى لفظة لولم يفه بسوى عمر﴾

الضمير فى عنه يعود على المحاسبة وعلى التوبة على ما هى عليه وجملة ان يراعى سره فاعل يلزم والسر جوف كل شئ وملاحظة مفعول من أجله لقوله يراعى فهو بيان للمراقبة حسبما يأتى قال الامام أبو حامد رضى الله عنه حقيقة المراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه والفاء فلا خاطر نتيجة مجموع الكلام والأصل ويلزم عنه ان يرعى سره ملاحظة الحق فى كل لحظة وفى كل لفظة ولو لم يفه بسوى عمر فلا خاطر مر عليه بذى أمر والعاطف أيضا فى قوله لولم يفه محذوف والحق من أسمائه تعالى وتقدس وتندم والأمر هنا الولاية واللفظة أى كلمة يقال للكلمة لفظة واللفظ الطرح فاللفظة فعل بمعنى مفعول مثل ذبح اليمن وضرب الامير اى مذبوح اليمن ومضروب الامير والخاطر قد تكلم القوم عليه فأطالوا وأحسنوا كصاحب القوت والاحياء والشعب والعوارف وغيرهم ونحن نذكر فيه كلاما مختصرا جامعا على حسب ما ذكره الشيخ جمال الدين القاشانى رحمه الله تعالى اذ قال الخاطر وارد يخطر بالقلب نازلا من باطنه المسمى بالسر الى ظاهره المسمى بالصدر ويقال له الخاطر يعنى للقلب أيضا لانه من خطوره كما مر ذكره وكل خاطر يرد بمصاحبة ما يتعلق بالسر من محبة الله ومحبة النفس والشيطان والملك لانه كلما سكنت القوى الروحانية والجسمانية الا نزل خاطر الحق فى صورة اشارة أو جلوة بمصاحبة محبته واذا غلبت القوى الجسمانية نزل

ما فيتك ولم تشعر ألم أسلبك حلاوة ذكرى ولذاذة مناجاتى نسأل الله تعالى العافية من الانكار على أولياء الله تعالى ولذلك قال اللقانى رحمه الله ويخشى على من تكلم يعنى فى أهل الطريق بسوء الخاتمة وجزاؤه الأدب الشديد والسجن الطويل المديد يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين والحاصل ان الانكار على أهل الله تعالى ممن جهل أمرهم اما على علومهم اللدنية أو على تفسيرهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالمعانى الغريبة أو على ذكرهم جهرا فى المساجد وغيرها وما يقع فيها من السماع بالألحان المطربة المهيجة والرقص والتصفيق وما يصدر منهم حال أخذ سلطان الذكر لهم من المحو والجذب والسكر من لذة حلاوة الذكر وغير ذلك حتى يغيبوا عن الذكر بالمذكور وعن الاسم بالمسمى وهو الله سبحانه وتعالى لا اله غيره ولا مقصود سواه اعلم يا أخى عافانى الله تعالى واياك ما ينفعنا فى الدارين وسلك بى وبك سبيل أهل مشاهدة الحضرتين انه لا يجوز الانكار على علوم القوم الا بعد معرفة مصطلحهم فى ألفاظهم قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى رضى الله تعالى عنه صاحب كتاب القاموس فى اللغة لا يجوز لاحد أن ينكر على القوم بادئ الرأى لعلو مراتبهم فى الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن أحد منهم انه أمر بشئ يهدم الدين ولا نهى أحدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من فروض الاسلام ومعظم شأنه انما يتكلمون بكلام يدق عن الافهام وكان يقول قد يبلغ القوم فى المقامات ودرجات العلوم الى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التى لم يصرح بها فى كتاب ولا سنة ولكن أكابر العلماء العاملين قد يردون ذلك الى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم

خاطر

خاطر النفس في صورة شهوة مصاحبة لمحبتها أو خاطر الشيطان في صورة معصية مصاحبة
حب الدنيا وإذا غلبت القوى الروحانية نزل خاطر الملك في صورة طاعة مصاحبة لمحبة الآخرة
اهـ وقال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه تمييز الخواطر من مهمات أهل المراقبة لنفي
الصوارف عن القلوب فلزم الاهتمام بها لمن له في ذلك أدنى قدم والخواطر أربعة رباني بلا واسطة
ونفساني وملكي وشيطاني وكل إنما يجري بقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه فالرباني غير متزحزح
ولا متزلزل كالنفساني ويجريان بمحبوب وغيره فما كان في التوحيد الخاص فرباني وفي
مجاري الشهوات فنفساني وما وافق أصلا شرعيا لا يدخله رخصة ولا هوى فملكي وغيره شيطاني
ويعقب الرباني برودة وانشراح والنفساني يبس وانقباض والرباني كالفجر الصادع لا يزداد
الا وضوحا والنفساني كعمود قائم ان لم يقتص بقي على حاله فأما الملك والشيطان فمترددان ولا
يأتي الملك الا بخير والشيطان قد يأتي به فيشكل ويفرق بأن الملك يقصده ويصحبه الانشراح
ويقوى بالذكر وأثره كنفس الصبح وله بقاء بخلاف الشيطاني فإنه يضعف بالذكر ويعمى
عن الدليل وتعقبه حرارة ويصحبه اشتغال وغبار وضيق وكزازة في الوقت وربما تبعه كسل
ويأتي من يسار القلب والملكي عن يمينه والنفساني من خلفه والرباني مواجه له والكل رباني
عند الحقيقة ولكن باعتبار النسب فمن عرى عنها نسب للأصل والانسبة ملاحظة للحكمة ثم
تحقيق هذا الآخر انما يتم بالذوق وقد قالوا من عرف ما يدخل جوفه عرف ما يهجس في نفسه
والله أعلم اهـ واعلم أنه ربما ظهر لبادئ الرأي أن الأنسب أن تقدم هذه المتممة التي هي
المراقبة وتجعل بإزاء المجاهدة والمحاسبة ثم يقال بعد وفي التوب الخ والصحيح النظر الممارس
بسلوك الطريق عارف بحسن صنيع الناظم رضي الله عنه وذلك لأن المراقبة أوائل أوطان
الاحسان وتلك الأحوال والمقامات المذكورة في البيتين من منازل الايمان ﴿يقول﴾
والله أعلم ولما كان بين الظاهر والباطن ارتباط حسب سنة الله تعالى ولذلك إذا كان الباطن
مؤيدا بنور الايمان حرك الظاهر للعمل وإذا تلبس الظاهر بأعمال ذلك الموجب سرت منه
أنوار الباطن حتى قال بعضهم كلما ازداد العبد عبادة واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكل
ما مل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا وهنا الزم عن تصحيح مقام المحاسبة أو عن مقام التوبة بمقدماتها
ومجاهداتها ومحاسباتها ومراعاة قلبه وتفقد باطنه لزوما دائما بذلك ومراعاته تكون بتصفيته
وتنقيته من الصفات المهلكات وكل ما يكره الله تعالى أن يراه وينظر اليه في قلوب أوليائه
وتحليته على قدر الاستطاعة بكل منجية وما يحب الله تعالى أن يراه وينظر اليه في باطن أصفيائه
ويكون همه بباطنه أكثر من ظاهره حتى يصير قلبه كالمرآة المجلوة وذلك بسبب مراقبته للحق
تعالى واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه ملاحظة أوجبت له أن يراعيه في كل حركة
وسكون وفي كل طرفة ولحظة وفي كل فعل وقول ولو قل لكمال معرفته ويقينه وتحقق وجدانه
بأن الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما
كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك
وينشأ عن هذا كله أعني ملاحظة الحق في جميع الأشياء لتيقن اطلاع الحق عليه انتفاء
ولايات الخواطر المزرية عليه شيطانية كانت أو نفسانية فكل خاطر يرد عليه يتثبت فيه
وينظر في كل ما ظهر له وتحرك بفعله بأنه هو لله عز وجل ويشاهده قربه وفي سبيله ورغبته
فيه وفيما عنده فيمضيه أو هو لعاجل دنيا أو عارض هوى أو لهو وغفلة بطبع البشرية ووصف
الجبلة فيسارع في نفيه ويبالغ في حسم مواده ولا يمكنه من قلبه بل الاصغاء اليه والمحادثة معه
وأصل البيتين قوله في العوارف اثر ما نقلنا في المحاسبة والمراقبة والرعاية حالان شريفان

وحسن ظنهم بالصالحين ولكن ما كل أحد يتربص اذا سمع كلاما لا يفهمه بل يبادر الى الانكار على صاحبه وخلق الانسان عجولا
قال وناهيك بأبي العباس بن سريج في العلم والفهم تنكر مرة ثم حضر مجلس أبي القاسم الجنيد ليسمع منه شيأ مما
يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ما وجدت فقال لا أدري ما يقول ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهرة تدل على عمل في الباطن واخلاص في الضمير وليس كلامه كلام مبطل وكان شيخ الاسلام المخزومي يقول لا يجوز لأحد من العلماء الانكار على الصوفية الا أن يسلك طريقهم ويرى أفعالهم ويسمع أقوالهم مخالفة الكتاب والسنة وأما الاشاعة عنهم فلا يجوز الانكار عليهم ولا سبهم وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهجوم بالانكار أن يعرف سبعين أمرا ثم بعد ذلك يسوغ له الانكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام على اختلاف طبقاتهم وكرامات الأولياء رضي الله تعالى عنهم على اختلاف طبقاتهم ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم الا ما استثنى ومنها اطلاعه على كتب التفسير والتأويل وشرائطه ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أول ومن دليله أرجح من الآخر ومنها تبحره في علم الأصوليين ومعرفة منازع أئمة الكلام ومناهجهم وأهمها معرفة
اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو الذات وذات الذات ومعرفة حضرات الأسماء والصفات والفرق
بين الحضرات وبين الأحدية والواحدية والوحدانية ومعرفة الظهور والبطون والأزل والأبد وعالم الغيب والكون والشهادة

ويصيران مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة على الكمال بهما فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من صدور مقام التوبة أخبرنا أبو زرعة اجازة عن ابن خلف أبي بكر الشيرازي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسن الفارسي يقول سمعت الجريري يقول أمرنا هذا مبني على فصلين وهو ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة قال الله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وهذا هو علم القيام وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان وهو ان يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله تعالى وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازمة له لان الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الخواطر تحقق ارادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك الا بحركة القلب فالارادة والمراقبة حسم مواد الخواطر الردية فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لان من حصر الخواطر كفي مؤنة الجوارح لأن المراقبة استئصال عروق ارادة المكاره من القلب وبالمحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة أخبرنا أبو زرعة عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا عثمان المقري يقول أفضل ما يلزم الانسان في هذه الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل ثم قال ترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط أحدهما بالآخر ان يتوب العبد ثم يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ ثم يرتقي من تطهير الجوارح من المعاصي الى تطهير الجوارح مما لا يعني فلا يسمع بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم تنتقل الرعاية والمحاسبة من الظاهر الى الباطن وتستولي المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام لمحو خواطر المعصية على باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن من رعاية الخواطر عن مخالفة الأركان والجوارح وتستقيم توبته * قال الله تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك أمره الله تعالى بالاستقامة في التوبة أمراله ولاتباعه وأمته وقيل لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق التائب بالنادر اذا ابتلي بذنب يمحى أثر الذنب عن باطنه في اللطف ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ اه وقد تقدم من كلامه على قول الناظم اذا ما بدا من باطن البيت ما يشفي العليل في أن المحاسبة سلم للمراقبة وهي أي المراقبة ناشئة عنها وكذلك المراقبة سلم للمشاهدة والمشاهدة ناشئة عنها واعلم ان المراقبين ينقسمون الى الصديقين والى أصحاب اليمين فمن أثبتهم على درجتين وقد حققهما الامام أبو حامد رضي الله عنه فقال بعد كلام الدرجة الأولى مقام المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير أصلا وهذه مراقبة لا يطول النظر في تفصيل أعمالها فانها مقصورة على ٧ * أما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعة كانت كالمستعملة بها فلا يحتاج الى تدبر وتثبت في حفظها عن سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستوفى بالعبودية صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه واحدا فكفاه الله تعالى سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا يستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الدنيا حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص

والشؤن وعلم الماهية والهوية والسكر والصحو ومن هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم بالتلبس من مرادهم انتهى وكان شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي رحمه الله تعالى يقول كما أعطى الله تعالى الكرامات للاولياء التي هي فرع المعجزات فلا بدع ان يعطيهم من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول العلماء انتهى من اليواقيت والجواهر ﴿قلت﴾ لان حقيقة علمهم بعيد عن مدارك العقول القياسية والنقول العلمية ولله در سيدي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه حيث قال في التائية الكبرى

ولا تك ممن طيشته دروسه
بحيث استقلت عقله واستفزت
فثم وراء النقل علم يدق عن
مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته مني وعني أخذته
ونفسي كانت من عطاء ممدتي

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله قال بعضهم هي أسرار الله يبديها الى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص فاذا سمعها العوام أنكروها ومن جهل شيأ عاداه ومن يك ذا فم مريض يجد حلاوة ماء الزلال مرا ويرحم الله تعالى البوصيري حيث قال

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال مشايخ الطريق رضي الله تعالى عنهم المنكر علينا كالعنين ينكر شهوة الجماع والمزكوم ينكر رائحة المسك الاذفر والمحموم ينكر رائحة السكر ونقل القزويني في كتابه سراج العقول عن امام الحرمين انه كان يقول حين يسئل عن كلام غلاة الصوفية لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من

كلامهم بما لا يقتضيه اقلنا هذا اطمع فى غيره طمع فان كلامهم بعيد المدرك وعر المسلك يغترف من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثاق كما أنشد الشيخ الاكبر قدس الله سره الاطهر

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدرى الناس أين توجهنا

وسئل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة وأهل الاهواء والمتكلمين بالكلام على الذات المقدسة فقال رضى الله عنه اعلم أيها السائل ان كل من خاف من الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله اذ التكفير أمر هائل عظيم الخطر لان من كفر شخصا بعينه فكأنه أخبر عن عاقبته فى الآخرة الخلود فى النار أبد الآبدين وانه فى الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا يجرى عليه أحكام المسلمين لا فى حياته ولا بعد مماته والخطأ فى ترك ألف كافر أهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم امرئ مسلم وفى الحديث لان يخطئ الامام فى العفو أحب الى من ان يخطئ فى العقوبة ثم ان تلك المسائل التى يفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم فى غاية الرقة والغموض لكثرة شبهها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعيها والاستقصاء فى معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه فى الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعى معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب فى حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على أكابر علماء عصرنا فضلا عن غيرهم واذا كان الانسان يعجز عن تحرير معتقده فى عبارة فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته فما بقى الحكم بالتكفير الا لمن صرح بالكفر واختاره دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة وهذا نادر وقوعه فالادب

الرجل فى الفكر فيه ويمشى فربما يخطئ الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له ثم قال بعد ان ذكر حكايات من أهل هذه الدرجة تشهد لصحة ما ذكر الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة الى التلفت الى الاحوال والأعمال الا انها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فى ذلك ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فانهم يرون الله تعالى فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى اطلاع القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدة فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتستحيى منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه وهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله عز وجل ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته اه والمراد هنا هذه الدرجة الثانية ولما فرغ من المتممات الثلاثة أعنى المجاهدة والمحاسبة والمراقبة شرع فى ذكر الورع الخادم فى تكميل الجميع فقال رضى الله عنه

﴿وهذا مقام لا يفوز بدركه * سوى ورع فى صفو باطنه يسرى﴾

هذا اشارة لمقام التوبة بلواحقه وسوابقه وهو مبتدأ ومقام خبره ويفوز مضارع فاز أى ظفر بالمقصود وسوى ورع فاعله ويسرى مضارع من سرى الزيت ونحوه فى الاناء غاص فيه وداخله ومازجه وفاعله ضمير الورع المفهوم من ورع وفى صفو باطنه متعلق به والمراد هنا بصفو باطنه سويداء القلب فانه خالص الباطن وصفو كل شئ خالصه ويحتمل ان يكون من اضافة الصفة الى الموصوف أى باطنه الصافى والجملة صفة لورع ﴿يقول﴾ والله أعلم وهذا أى مقام التوبة بمقدماته ومتمماته لا يفوز بدركه ويظفر بلحاقه وتحصيله على الحقيقة الا عبد ورع يسرى الورع فى باطنه الصافى عما تقدم من المحاسبة والرعاية والمراقبة سريان الزيت ونحوه فى الفخار الخم أو يسرى الورع كذلك فى خالص فؤاده وصميمه وسويدائه وخالطه وغمره وتمكن منه تمكنا أوجب له الاقدام والاحجام على موجبه بلا كلفة وسهل عليه لذلك ترك كل ما حاك فى الصدر وخرج الى البين الذى لا اشكال فيه فيما يتعلق بظاهره من سمع وبصر وكلام وذوق وشم ويد ورجل وبطن وفرج وسائر جسده وما يتعلق بباطنه من الخواطر المشتبهة والاعتقادات التى لم يقطع قاطع على أحد الطرفين فيها فيمرها على ظاهر ما جاءت به ويكل معناه الى الله تعالى بعد تنزيهه عن المعنى المحال فيها فيميز ذواته وأقواله وافعاله وأحواله وعلومه ويخلصها من الاشتباه ومتى لم يسر الورع فى باطن فؤاده وسويدائه لم يتمكن منه وكان تارة وتارة لان الشئ اذا لم يداخل القلب ويخالطه ويستوعبه حتى لا يبقى فيه متسع لغيره لم يتمحض له وحده وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب بغض العبد دنياه وهجر هواه وفى لفظ آخر اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة وعمل لهما فاذا بطن الايمان فى سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها وأما ما أشار اليه الناظم من كون الورع أصلا

في صحة التوبة التي هي أساس المقامات وقوامها فوردت أخبار وآثار تدل لذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم ملاك دينكم الورع وفي رواية خير دينكم الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما تقبل منكم الا بالورع الحاجز وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن أصل العبادة وهو الورع فهذا يشمل الورع في الأقوات وغيرها وأما ما يخص القوت ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت صدرت العروق عنها بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان وقد قال تعالى أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم الآية وحيث كان الورع من الدين بهذه المثابة فيجب التغلل عنه والتغلغل فيه على كل من أراد ان يبلغ مبلغ الرجال فأني يحال أو متمام لمن لا دين له وقد قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه لم يدرك من أدرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يأكل الحلال بالورع وقال من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف له الحجاب عن قلبه ولم ترتفع العقوبة عنه وما يه الى بصلاته وصيامه الا بعفو الله عز وجل وقال من أحب ان يرى خوف الله عز وجل في قلبه ويكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة أو ضرورة وكان يقول انما حرموا مشاهدة الملكوت وحجبوا عن الوصول بشيئين سوء الطعمة وأذى الخلق وكان يقول بعد ثلاثمائة سنة لا تصح لأحد توبة قيل ولم قال يفسد الخبز وهم لا يصبرون عنه فهذا كله يدل على طيب الطعمة وهو سبب بصير العبد مطلوبا بالعمل المبلغ الى أعلى الدرجات والعكس بالعكس وقد قال سهل رضي الله عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعت جوارحه ووفقت للخيرات وقيل كل ما شئت فمثله تفعل حتى قيل ما أكل بالغفلة استعمل فيها وقيل من أكل متشابها كان في عمله تخلط قال الامام أبو حامد رضي الله عنه ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الطاعة خزانة من خزائن الله تعالى ومفاتحها الدعاء وأسنانها لقمة الحلال وقد روي ان المهدوي والد الرشيدي دخل عليه بعض العلماء أبهته قصدا فقال له لا بد ان تجيبني الى خصلة من ثلاث خصال قال وما هي قال ان تلي القضاء أو تعلم أولادي وتحدثهم أو تأكل عندي أكلة ففكر ساعة فقال الأكلة أخفها على نفسي فاحتبسه وتقدم الى الطباخ وأمره أن يصنع له ألوانا من المخ المعقود بالسكر والعسل وغير ذلك ففعل وقدمه اليه فلما فرغ من الأكل قال له الطباخ والله يا أمير المؤمنين لا أفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبدا قال الفضيل بن الربيع وزير المهدوي فحدثهم والله ذلك العالم بعد ذلك وعلم أولادهم وولي القضاء لهم وأصل هذا كله ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كن ورعا تكن اعبد الناس وقال من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا والآخرة وقال كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به فانه دليل لتيسره لعمل أهل النار أحب أم كره وفي قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا بتقديم الامر بالأكل من الطيبات قبل العمل الصالح الا بعد طيب الطعمة التي يمكن معها ذلك بتيسر لانه سبحانه تفضل على هذه الأمة المحمدية بأن لم يكلفها بغير ممكن ولا يمكن

الوقوف عن تكفير أهل الاهواء والبدع والتسليم للقوم في كل شئ قالوه مما لا يخالف صريح النصوص انتهى كلام السبكي من طبقات الشعراني

﴿نكتة ظريفة مستحسنة لطيفة﴾ أحببت اثباتها هنا فتحا لباب الفهم في كلام العارفين بالله تعالى قال الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر قدس الله سره الأطهر كنت ذات يوم مع بعض اخواني فانشدت قائلا

يامن يراني ولا أراه
كم ذا أراه ولا يراني

فقال ذلك الاخ الذي كان معي لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يراك وأنت تعلم انه يراك قال فقلت له مرتجلا

يامن يراني مجرما
ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما
ولا يراني لائذا

(قلت) ومن هذا وشبهه تعلم ان كلام الشيخ وكل العارفين بالله تعالى رضي الله تعالى عنهم مؤول وانهم لا يقصدون ظاهره وانما لهم محامل تليق بهم وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فاحسن الظن بهم ولا تنتقد بل سلم واعتقد وللناس في هذا المعنى كلام كثير والتسليم أسلم والله تعالى بكلام أوليائه أعلم نقل من ترجمة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر وأما الانكار على تفسيرهم للآيات القرآنية والاحاديث النبوية بالمعاني الغريبة فاعلم يا أخي علمني الله تعالى واياك العلم اللدني وسلك بي وبك طريق أهل القرب والتداني قال شيخ مشايخنا العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أحمد بن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في لطائف المنن اعلم ان تفسير هذه الطائفة لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعاني الغريبة ليس ذلك احالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثم افهام باطنة تفهم من الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء انه عليه الصلاة والسلام قال لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم ان يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا احالة لكلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم

شاق

فليس ذلك باحالة وانما يكون احالة لو قالوا لا معنى للآية الا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها او يفهمون عن الله سبحانه ما أفهمهم ور بما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه كما أخبرنا الشيخ الامام مفتى الانام تقى الدين محمد بن على القشيرى قال كان ببغداد فقيه يقال له الجوزى يقرأ اثنى عشر علما فخرج يوما قاصدا الى مدرسة فسمع منشدا ينشد شعرا

اذا العشرون من شعبان ولت
فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار
فقد ضاق الزمان عن الصغار

فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة فلم يزل مجاورا حتى مات وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل

لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى
لما انتظرت بشرب الراح افطارا
الراح شئ شريف أنت شاربه
فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية
كن فى الجنان ودعنى أسكن النارا

فقال انسان هناك لا يجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب ويكفيك فى هذا ان ثلاثة سمعوا منادبا يقول يا سعتر برى ففهم كل منهم عن الله مخاطبة خوطب بها فى سره سمع الواحد اسع تر برى وسمع الآخر الساعة ترى برى وسمع الثالث ما أوسع برى فالمسموع واحد واختلفت افهام السامعين كما قال سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقال سبحانه قد علم كل أناس مشربهم وأما الذى سمع اسع تر برى فمريد دل على النهوض الى الله بالاعمال ليستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة تر برنا بوجود المواصلة وأما الثانى فكان سالكا الى الله تعالى طاوانه الاوقات فخاف ان يفوته الوصلة فقيل تروبحا على قلبه لما أحرقه نار الشغف الساعة ترى برى وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسمع ما أوسع برى وقال الشيخ محيى الدين ابن العربى قدس سره دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق

شاق فقد بان لك سر ترتيب الآية وقد يكون من هذا قول ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أطب مطعمك وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار وانه حث واغراء وتحريض على تحصيل ملاك الصيام والقيام وارشاد لا تيان الشئ من بابه لانه استخفاف بغير تطييب الطعام على انه كان مشهورا بالورع وكل مشهور بشئ تجد كلامه يقتضى ان ليس وراء ذلك شئ لا تختيرا لغير ماهو فيه بل قياما بحق مقامه الغالب عليه وهذا أمر مركوز فى جبلة ابن آدم فانه اذا غلب على القلب شئ صاغت النفس لذلك ألفاظا انطق بها اللسان بحكم الطبع واعلم ان الورع فى المطعوم والملبوس على درجات ذكرها الامام أبو حامد رضى الله عنه وجعلها أربعا الاولى الورع عن الحرام المطلق وهو الورع الثانية الورع عن كل شبهة لا يجب اجتنابها بل يستحب الدال به قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهو ورع الصالحين الثالثة ورع المتقين الدال عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس الرابعة ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل ما لا يتقدم فى أسبابه معصية ولا يقصد منه فى الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء للحياة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله تعالى حراما وامتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد والحاصل ان أول الورع هو الامتناع مما حرمته الفتوى ومنتهاه ورع الصديقين وهو الامتناع عن كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل اليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات فى الاحتياط انظر بسط هذا كله فى الاحياء وقسم صاحب منازل السائرين وصاحب شعب الايمان الورع مطلقا الى ثلاث درجات على حسب المقامات الثلاث اسلام وايمان واحسان فانظر ذلك فيهما وقد تكلم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضى الله عنه فى ورع الخصوص بكلام حسن بديع جمع فيه من كلام الائمة ما يحسن وقوعه ويعظم نفعه فقال رضى الله عنه قال فى التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه من الطمع فى الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم على بن أبى طالب البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جلس الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقال يا فتى انى سائلك عن أمر فان أجبت عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول كنت فى ابتداء أمرى بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفنى فاشتريت منه حاجة بنصف درهم فقلت فى نفسى فلعله لا يأخذ منى فهتف بى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد ذلك فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجوده وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلابد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من كلامه فى التقرير ذكر الورع فى مقابلة الطمع وكذلك جواب الحسن لعلى رضى الله عنهما لما ساله مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده فى الكلام الذى حكاه عنهما ولا شك ان الورع الظاهر لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرز عن اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع

ماهو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهم عليه وطمأنينة القلب به ولا يكون له ركون الى غير ولا استئناس الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذى يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مستعد كما نبه عليه الحسن رضى الله عنه فقال الورع على وجهين ورع فى الظاهر أن لا تتحرك الا لله وورع فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك الا الله ثم قال فان كان للعبد استشراف الى خلق أو سبقه نظر اليهم قبل مجىء الرزق أو بعده فمقتضى هذا الورع والواجب فى حق الادب أن لا يبذل نفسه شيأ مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه فى نظره الى ابناء جنسه كقصة أيوب الجمال مع أحمد بن حنبل رضى الله عنهما وهى معروفة وكما روى عن الشيخ أبى مدين انه أتاه جمال بقمح فنازعته نفسه وقالت له يا ترى من أين هذا فقال لها أنا أعرف من أين هذا يا عدوة الله وأمر بعض أصحابه ان يدفعه الى بعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل احل الحلال مالم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذى ذكرناه وأوضح الغرض الذى قصدناه شيخ الطريقة وامام الحقيقة من المتأخرين أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه فانه قال اعلم ان الورع أن لا يكون بينك وبين الخلق نسبة فى أخذ أو اعطاء أو قبول أو رد وان يكون السبق لله تعالى وهو ان تأتى الله طاهرا من جميع الاشياء والعلم والعمل قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال أيضا الورع ان لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون بينه وبين الخلق نسبة لا فى التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدرى أيأكله أم لا وقال أيضا الورع أن لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله فى الحركة والسكون فاذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقى مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رأيت شيأ الا ورأيت الله فيه فاذا رأى الله ذهبت وقال أيضا أجمع العلماء أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذى لا ينسى الله فيه الى غير هذا من العبارات التى عبر بها فى هذا المعنى ثم قال وقال سهل رضى الله عنه ليس مع الايمان أسباب انما الاسباب فى الاسلام قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه معناه ليس فى حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها انما يتهامن الطمع فى الخلق يوجد فى الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله يعنى ابن عطاء الله فى لطائف المنن فصلا فى هذا المعنى وجعله لجميع وظائف الآداب الدينية أصلا ومبنى فرأينا نقله فى هذا الموضع من صواب العمل المتكفل ان شاء الله تعالى بنجاح الأمل قال رضى الله عنه واعلم رحمك الله تعالى ان ورع الخصوص لا يفهمه الا القليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد اطماعهم بالطمع فى غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى أنوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وأعرضوا عن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فاذا انا أسير واذا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فاعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لى يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ ابن عبد الرحمن المغربى

القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعجز عن الاوعية وهناك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول ولم يستعمل بعد فغرف فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول أكرمنى الله تعالى باكل هؤلاء السادة منى لا أرضى لنفسى ان أكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ ابن عربى فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعاء قالوا نعم قلت ما سمعتم فاعادوا القول الذى تقدم قال فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنى الله واياك من أولى الفهم عنه والتلقى منه انتهى حرفيا من لطائف المنن قال الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى المقدمة من الطبقات وقد حكى الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات وغيرها ان طريق الوصول الى علم القوم الايمان والتقوى قال تعالى ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض أى أطلعناهم على العلوم المتعلقة بالعلويات والسفليات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والرزق نوعان روحانى وجسمانى وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله أى يعلمكم مالم تكونوا تعلمون بالوسائط من العلوم الالهية ولذلك أضاف التعليم الى اسم الله الذى هو دليل على الذات وجامع للاسماء والافعال والصفات ثم قال رضى الله عنه فعليك يا أخى بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة أن ذلك احالة للظاهر عن ظاهره ولكن لظاهر الآية والحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم فى الفهم فمن المفهوم ما جلبت له الآية والحديث ودلت عليه فى عرف اللسان وثم افهام أخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله تعالى عليه اذ قد ورد فى الحديث النبوى ان لكل آية ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا الى سبعة أبطن والى سبعين فالظاهر هو المعقول والمنقول من العلوم النافعة التى يكون بها

المغربي وكان مقيما بشرق الاسكندرية فحججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقال لى انك العام القابل عندنا فقلت فى نفسى اذا كنت العام القابل ههنا فلا أعود الى الاسكندرية فخطر لى الذهاب الى اليمن فاتيت عدنا فانا يوما على ساحلها واذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت فى نفسى لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقال لى من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه الورع نعم الطريق لمن يجعل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لايدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أدنى وأما أدنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه واحتقارا لنفسه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبابه هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه هل كان فهمك يصل الى هذا النوع الاترى قوله قد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل بالله ولله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذى ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم وانما ذكرناه هنا تتميما للفائدة وتكثيرا للفائدة الذى هو دابنا فى هذا التعليق وبالله سبحانه التوفيق ولما كان الصبر له موقع عظيم من الورع ونسبته منه نسبة الرأس من البدن فكما انه لا وجود لبدن بلا رأس فكذلك لاثبات لورع بلا صبر أشار لذلك فقال رضى الله عنه

﴿ولا ورع حق ولا متورع * اذا لم يكن بالصبر معتضد الازر﴾

صدر البيت على حذف مضاف أى ولا ذو ورع والورع هو الحبس على الهموم والاقدام والوقوف عند المشكلات وهو يختلف باختلاف المقامات حسبما تقدم وحق أى ثابت وموجود صفة لورع ومتورع عطف على المضاف المقدر وهو الذى أحوج لتقديره لان اسم الفاعل لا يعطف على المصدر ولا فى الموضعين ما يفهم من السياق اذا لم يكن الشخص ومعتضد الازر خبرها وبالصبر متعلق به ومعتضد أى معان ومنصور ومشدود فهو بصيغة اسم المفعول بل هو حقيقة والازر بفتح الهمزة هنا الظهر ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا ثبوت لمتصف بصريح الورع ولا لمحاول له ومتكلف حصوله اذا لم يكن الشخص مشدود الظهر بالصبر ومعانا ومنصورا أو مجملا له فقد قال المسيح عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه هذه الاربع خصال أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهى من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقد قدمنا قول على

الاعمال الصالحة والباطن هو المعارف الالهية والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن والحد فيكون طريقا الى الشهود الكلى الذاتى فافهم يا أخى ولا يصدنك عن تلقى هذه المعانى الغريبة عن فهوم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذى جدل ومعارضة ان هذا احالة لكلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ليس ذلك باحالة وانما يكون احالة لو قالوا لامعنى للآية الشريفة أو الحديث الا هذا الذى قلناه وهم لم يقولوا ذلك بل يقرؤن الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى فى نفوسهم ما يفهمهم بفضله ويفيضه على قلوبهم برحمته ومنته ومعنى الفتح فى كلام هؤلاء القوم حيث أطلقوه كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السر لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب العزيز والاحاديث الشريفة اذ الولى قط لا يأتى بشرع جديد وانما يأتى بالفهم الجديد فى الكتاب والسنة الذى لم يكن يعرف لاحد قبله ولذلك يستغرب كل الاستغراب من لا ايمان له باهل الطريق ويقول هذا لم يقله احد على وجه الذم وكان الاولى أخذه منه على وجه الاعتقاد واستفادته من قائله ومن كان شأنه الانكار لا ينتفع بأحد من أولياء عصره وكفى بذلك خسرانا مبينا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه والقد ابتلى الله هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصا أهل الجدال فقل ان تجد منهم أحدا شرح الله صدره للتصديق بولى معين بل يقول لك نعم نعلم ان لله تعالى أولياء وأصفياء موجودين ولكن أين هم فلا تذكر لهم أحدا الا أخذ بدفعه ورد خصوصية الله تعالى له ويطلق اللسان بالاحتجاج على كونه غير ولى الله تعالى وغاب عنه ان الولى لا يعرف صفاته الا الاولياء فمن أين لغير الولى نفى الولاية عن انسان ما ذاك الا محض تعصب كما نرى فى زماننا هذا من انكار ابن تيمية علينا وعلى اخواننا من العارفين فاحذر يا أخى ممن كان هذا وصفه وفر من مجالسته فرارك من السبع الضارى جعلنا الله واياكم من المصدقين لاوليائه المؤمنين بكراماتهم بمنه وكرمه

انتهى وأما انكار المنكر على ذكرهم لله تعالى جهرا في المساجد وغيرها وما يقع فيهما من السماع بالالحان المطربة المهيجة للنفوس والرقص والتصفيق وما يصدر منهم حال سلطان الذكر لهم من المحو والجذب والسكر من لذة حلاوة ذكر الله تعالى وغير ذلك حتى يغيبوا عن الذكر بالمذكور وعن الاسم بالمسمى وهو الله سبحانه وتعالى وربما يتوهم السامع انهم غير واحرفا أو حرفين من الاسم الشريف أوانهم بدلوا الاسم الذى شرعوا بذكره الى اسم آخر فان شاء الله تعالى يأتى الجواب عن ذلك كله فى الباب الذى يلى هذا الباب بالنقول الصحيحة والفتاوى من علماء المذاهب الاربعة المستقيمة الفصيحة ﴿تنبيه واعلام﴾ اعلم ان هذه الثلاثة الاشياء التى ذكرناها وهى انكار غالب الناس على القوم اما على علومهم اللدنية أو تفاسيرهم للآيات القرآنية والاحاديث النبوية بالمعانى الغريبة أو ما هم عليه من الجمع والاجتماع والذكر الجهرى فى المساجد وغيرها وما يحصل لهم فيها من الاحوال العجيبة انما هو حاصل منهم لسبع أشياء الاول لجهلهم بحقيقة نفوسهم وشرفها وهى الروح فى أصل نشأتها فلما حجبت وتظلمت سميت نفسا ولا شك ان الروح الذى قامت بها البدن أصلها لطيفة نورانية ملكوتية جبروتية عالمة بما كان وما يكون وما حجبها عن هذا العلم الا شغلها بتدبير هذا البدن وتحصيل اغراضه وشهواته فكل من جاهدها وخرق عوائدها رجعت الى أصلها فادركت العلوم اللدنية والاسرار الربانية وهو علم الباطن فلو عرف الانسان أصل نفسه وشرفها وعرف السبب الذى حجبها عن أصلها لاحتال عليها حتى يردها الا صلها كما قال بعضهم فاحتل على النفس أى حيله * فرب حيلة انفع للنصر من قبيله والعوائق لكن جهله باصلها تركه محجوبا بها حتى أنكر خصوصيتها ولذلك ورد من عرف نفسه عرف ربه ورأيت فى كتاب نصرة الفقير فى الرد على أبى الحسن الصغير لسيدى عبد الرحمن بن هاشم الحسينى كلاما للشيخ عز الدين بن عبد السلام رضى الله تعالى عنه على الاثر

كرم الله وجهه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد الخ فالصبر مقام عظيم لا يثبت عليه الا خاصة الله من عباده وما أوتى الخلق فيما وقعوا فيه من المخالفات والآفات الا من قلة الصبر وهو داخل فى جميع الأحوال الباطنة والاعمال الظاهرة فمن أراد الله به خيرا قواه على الصبر حتى يقهر باعث الهوى الموجب لارتكاب الشهوات والشبهات من الاقوال والافعال والاعتقادات وغيرها لكمال معرفته ويقينه لان الهوى عدو قاطع لطريق الله تعالى ومضاد لاسباب السعادة فى الدنيا والآخرة فيضع جميع اموره الظاهرة وأحواله الباطنة على ما يتقاضاه باعث الدين ويتم ورعه ويلتحق بالصالحين الورعين ومن واجهه الخذلان من الحق سبحانه يكون على العكس من ذلك فيلتحق بالفاسقين المجرمين ثم فصل ما أجمل فى هذا الصبر الى شيئين وهو الصبر على السراء والصبر على الضراء فقال رضى الله عنه

﴿فصبر على النعماء منه اذا سمت * اليك سموّ الطير فى البر والبحر﴾

قوله فصبر الفاء فيه زائدة على مذهب الاخفش فى جواز زيادتها وهو مع ما بعده بدل تفصيل من الصبر المتقدم فى البيت قبله فيجوز فيه وفيما بعده من لفظه بحسب أوجه الاعراب ما تقدم فى المجاهدة وقوله على النعماء متعلق بصبر ومنه صفة النعماء أى الكائنة منه أى الحق تعالى وتقدس وهو وصف كاشف لا مخصص لان الانعام ليس الا منه فى التحقيق وقوله اذا سمت أى ارتفعت وهو مشرب معنى أسديت ولذلك تعدى بالى فى قوله اليك وقوله فى البر والبحر يعنى من أى سمت وأسديت اليك من البر والبحر وهو كناية عن كثرتها كما قال فلان جاءت دنياه برا وبحرا وفيه من أنواع البديع المطابقة وتسمى أيضا بالطباق والتضاد وهو ان يجمع بين أمرين بينهما نوع من أنواع المقابلة والتنافى حقيقيا كان أو اعتباريا ولو فى صورة ما والبر خلاف البحر والبحر الماء الكثير وقيل المالح فقط وقوله سموّ الطير مفعول مطلق بسمت وهو كناية عن سرعة اتيانها هذا تقدير ويحتمل ان يكون معناه اذا سمت وأسديت من الحق تعالى وتقدس اليك مسرعة متلاحقة حال كونك كائنا فى بر المعاملة والاعمال وبحر التحقيق فى مقامات الانوار وقوله منه على هذا متعلق بقوله سمت على ما تقدم من اشرابه معنى الاسداء وليس صفة للنعماء كالحل الاول ويحتمل ان يكون معناه فاصبر على رؤية النعماء منه أى احبس نفسك عن ان تغفل عن ذلك اذا سمت اليك من بر الارفاق والالطاف أو بحر المنازلات والكرامات وقوله منه على هذا الحل متعلق بمقدر وهو رؤية المصرح به فى تقدير معناه وهذا تفنن فى التقدير وتوسع فى أساليب التعبير والا فالمقصود واحد وهو التحريض على الوقوف على حدود الادب فى السراء وأن لا تخرجه النعمة الى الاشر والبطر فتعود ضراء والحاصل انه يقول والله أعلم وبيان كونه مشدود الظهر بالصبر ان يصبر على أنواع الرفق والاكرام وضروب الامتنان والانعام ولا يزدرى بسبب ذلك بواحد من الانام وسواء كانت هذه النعمة من جنس ما ذكر أو من بر خلوص المعاملة والاعمال أو بحر التحقق فى مقامات الانزال أو غير ذلك من النوال فيقوم بواجب حق الله عليه فيما انعم به عليه من النعم الظاهرة والمنح الباطنة ويصرف كل شئ فى مستحقه وينزله منزلته ويأتى به على ما أمره الله به ولا يخرجه الى البطر والطغيان وتعدى حدود الله فى السر والاعلان لا الى اظهار ما منحه مولاه وأكرمه به وأمره باخفائه وكتمه وصونه عن بذله ولا يحرم الأرب ويستحق العطب وهذا لا يثبت عليه الأقدام لانه صبر مقرون بالقدرة ومن العصمة ولهذا قال بعض العارفين البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن

والعوافى لا يصبر عليها الا الصديق وكان سهل رضى الله عنه يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة رضى الله عنهم لما فتحت الدنيا عليهم فنالوا من العيش واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعظموا الاختبار بالسراء على الاختبار بالضراء وهذا اشارة منهم رضى الله عنهم الى تفاوت الحالتين وفرق ما بين المنزلتين فى السراء والضراء لانهم لم يصبروا حقيقة وانما المعنى فقاربنا أن لا نصبر وقد ذكر الشيخ أبو طالب رضى الله عنه ما أشرنا اليه من أنواع ما يصبر عليه فى حال كلامه على الصبر ونحن نذكره بحذف ما تخلله قال رضى الله عنه ومن الصبر الصبر على العوافى وان لا يجريها فى مخالفة والصبر على الغنى لا يبذله فى هوى والصبر على النعمة لا يستعين بها على معصية فحاجة العبد الى الصبر فى هذه المعانى ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر وعلى الشدائد فمن صبر على السراء وهى العوافى والغنى فى الاموال والاولاد وغير ذلك وأخذ الاشياء من حقها ووضعها فى حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد عليه أهل البلاء والفقر الا بحقيقة الرضا والزهد ومن الصبر اخفاء أعمال البر ومنع النفس الفاكهة والتمتع بذكرها واخفاء المعروف والصدقات والصبر أيضا على اظهار الكرامات وعن الاخبار بكشف القدر والآيات داخل فى حسن الادب من المعاملات وهو فى معنى الحياء من الله عز وجل وهذا طريق المحبين وهو حقيقة الزهد وأصل البيت ما تقدم من كلام العوارف من نحو هذا فى المجاهدة فراجعه هنالك ثم قال رضى الله عنه

﴿ وصبر على الضراء يبلغ ان يرى * سواء اليه وارد النفع والضر ﴾

صبر عطف على الذى قبله وعلى الضراء متعلق به ويبلغ فعل مضارع وفاعله ضمير الصبر وهو على حذف المتعلق أى يبلغ ذلك الصبر به أى بصاحبه والجملة صفة لصبر وان يرى منصوب على اسقاط الخافض الجار أى يبلغ به الى أن يرى وهو من المواضع التى يطرد فيها حذفه ووارد النفع مفعول أول ليرى والضر عطف على النفع وفيه من أنواع البديع ما تقدم فى البيت قبله لتقابل النفع والضر كالبر والبحر وسواء مفعول ليرى واليه معمول لسواء والى بمعنى عن وهو أحد معانيها فى لسان العرب وفى بعض النسخ بدل اليه لديه وهو ظرف منصوب به أى بسواء ﴿ يقول ﴾ والله أعلم ومن تتمة بيان كونه مشدود الظهر بالصبر ان يصبر أيضا على الضراء من فقر ومصائب وموت أعزة وغير ذلك من أنواع المحن والبلايا صبرا يبلغ به الى ان يرى ويجد وارد النفع والضر سواء عنده فلا ينحرف بقلبه لاحدهما دون الآخر لاشتغاله عن كل منهما بوجهه الميمونة ذمن الوارد الى المورود له عليه وهذا او ماه ومن معناه من كون صبره ابتغاء مرضاة الله ونظر الى ان ما نزل به هو منه وبرضاه وهو الملحوظ فى هذا الطريق عند ذوى التحقيق وقد يكون ذلك لملاحظة حسن الجزاء من الله تعالى وما وعد به الصابرين من الاجر وجزيل الثواب وحسن العاقبة كما روى ان امرأة فتح الموصلى رضى الله عنه عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه ولا يصبر الرجل الا بأحد معنيين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليقين أو النظر الى المعوض فهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد بالعوض غنى بالصبر ومن نظر الى المعوض حمله النظر وقال قبل هذا وأفضل الصبر الصبر على الله عز وجل بالمجالسة له والاصغاء اليه وعكوف الهم عليه وقوة الوجود به وهذا

الوارد من عرف نفسه عرف ربه قال ظهر لى من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحق وصفه وهو ان الله سبحانه وضع هذه الروح الروحانية فى هذه الجثة الجسمانية لطيفة لاهوتية ودعة فى كثيفة ناسوتية دالة على وحدانيته وربانيته ووجه الاستدلال بذلك من عشرة أوجه الاول ان هذا الهيكل الانسانى لما كان مفتقرا الى مدبر ومؤثر ومحرك وهذه الروح تدبره وتحركه علمنا ان هذا العالم لا بد له من محرك ومدبر الوجه الثانى لما كان مدبر الجسد واحدا وهو الروح علمنا ان مدبر هذا العالم واحد لا شريك له فى تدبيره وتقديره قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وقال تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون الوجه الثالث لما كان هذا الجسد لا يتحرك الا بارادة الروح وتحريكها له علمنا ان الله مريد لما هو كائن فى ملكه لا يتحرك متحرك بخير أو شر الا بتقديره وارادته وقضائه الوجه الرابع لما كان لا يتحرك فى الجسد شئ الا بعلم الروح وشعورها به لا يخفى على الروح من حركات الجسد وسكناته شئ علمنا انه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء الوجه الخامس لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شئ أقرب الى الروح من شئ بل هو أقرب الى كل شئ فى الجسد علمنا انه قريب الى كل شئ ليس شئ أقرب اليه من شئ ولا شئ أبعد اليه من شئ لا بمعنى قرب المسافة لانه منزه عن ذلك الوجه السادس لما كان الروح موجودا قبل وجود الجسد ويكون موجودا بعد عدم الجسد علمنا انه سبحانه وتعالى موجود فى كل مكان ما خلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان قبل كون خلقه ويكون موجودا بعد فقد خلقه ما زال ولا يزال وتقدس عن الزوال الوجه السابع لما كان الروح فى الجسد لا يعرف له كيفية علمنا انه سبحانه وتعالى مقدس عن الكيفية ولا يوصف بأين ولا كيف بل الروح موجود فى سائر الجسد ما خلا منه شئ من

خصوص للقرب بين حباله اوحياء منه أو تسليماله وتفويضا اليه وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الأقسام وشهود المشيئة لها والحكمة فيها والقصد والابتلاء بها وهو داخل فى قوله تعالى ولربك فاصبر وفى قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال سهل فى تأويل قوله عليه السلام ان الله سبحانه يحب كل عبد نؤم قال هو الساكن تحت جريان الأقدار عن الكراهة والاعتراض وقال عمر بن عبد العزيز من الائمة أصبحت ومالى سرور الا فى موقع القدر وروى أيضا الا انتظار القضاء ويقال من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين اه فمن اجلال الله واعظامه ترك التسخط وعقد اللسان عن الشكوى لا للمولى قال النبى صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر معصيتك وكذا أن لا يظهر أمر الجاهلية فى المصائب والأمراض ولا يتذلل العبد فى حالة العلة والفقر ولا يطمع فيه وقد قال الحسن البصرى رضى الله عنه صلاح الدين الورع وفساده الطمع كما قدمنا قال الشيخ أبو طالب رضى الله عليه فمن صبر على الطمع فى الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع فى الدين أدخله الصبر فى الزهد وقال أيضا ومن الصبر كتمان المصائب والأوجاع وترك الاستراحة الى الشكوى بها وذلك هو الصبر الجميل قيل هو الذى لا شكوى فيه ولا اظهار وقال أيضا ومن الصبر صون الفقر واخفاؤه والصبر على بلاء الله عز وجل فى طوارق الفاقات وأصل البيت ما تقدم فى كلام العوارف من نحو هذا فى المجاهدة فراجعه هنالك ولما ذكر الورع وملاكه الذى هو الصبر عقب ذلك بذكر بعض متعلقاته فقال رضى الله عنه

﴿فما يغتذى الاعما بان أصله * ولو لم يكن الا الليالى فى الشهر﴾

الفاء المصدر بها البيت فاء النتيجة بالصبرين المذكورين حتى صارا وطنا له قوى على ما ندب اليه هذا البيت ويقع فى بعض النسخ فلا بلا الناهية والكلام بعدها بتاء الخطاب بدل فما بما النافية الكلام بعدها بصيغة الغيبة ولا فرق باعتبار تأدية المعنى المقصود الا ان الفاء المصدر بها البيت وعلى نسخة النهى والخطاب الأقرب فيها ان تكون فصيحة وهى المؤذنة بشرط مقدر على تقدير سؤال وذلك انه لما ذكر الورع قدر سائلا سأله عن بيان متعلقه ليستعملن فيه فقال ان أردت ذلك فلا تغتذ الخ والايجاب للنفى والنهى وما من قوله بما بان أصله اما موصولة أو نكرة موصوفة وما بعدها صلة لها أو صفة وتقديرها اموصولة بالشئ الذى بان أصله وموصوفة بشئ بان أصله ويكن مجزوم بلم واسمها ضمير المصدر المفهوم من السياق والا الليالى فى الشهر خبرها والشهر هنا العدد المعروف من الأيام سمى بذلك لانه يشهر بالقصد ﴿يقول﴾ والله أعلم فلا يغتذى من اتصف بالورع أو هو آخذ فى محاولة الاتصاف به الا بما بان أصله ولو لم يكن اغتذاؤه بذلك لعدم امكانه الا الليالى يسيرة من الشهر فيستعمل الحلال ما أمكنه وهو فيما عدا ذلك من باقى ليالى الشهر معذور الا انه يقدم الأقرب الى الحلية فالأقرب ويأكله فاقة وضرورة لقوامه مع مراعاة أحوال وصفات تحدث فى الحال ولا يحتقر ما وجد من الحلال المطلق لكونه فى غالب أيامه لا يجده ويرى ان النادر كالعدم لأنه مكلف بقدر الامكان والاقتيات من ذى شبهة عند عدم غيره هو حكم الله فى حقه وفى ذلك الزمان والحاصل ليستعمل العلم فى كل وقت وأوان وما ذكر من أنه لا يغتذى الا بما بان أصله هو كذلك عند الشيخ ضياء الدين السهروردى رضى الله عنه فى آداب المريدين قال ولا يأكلون الا مما يعرفون أصله ويتورعون عن أكل طعام الظلمة

الجسد كذلك الله تعالى موجود فى كل مكان ما خلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان الوجه الثامن لما كان الروح فى الجسد لا يعلم له أينية علمنا انه تعالى تقدس عن الاينية والكيفية الوجه التاسع لما كان الروح فى الجسد لا يحس ولا يمس ولا يجس علمنا انه سبحانه وتعالى منزه عن الجس والمس والحس والوجه العاشر لما كان الروح فى الجسد لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علمنا انه سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار ولا يمثل بالصور والآثار ولا يشبه بالشموس والاقمار ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فهذا معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه فطوبى لمن عرف وبذنبه اعترف وفى الحديث تفسير آخر وهو انك تعرف صفات نفسك على الضد من صفات ربك فمن عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية ومن عرف نفسه بالفنى عرف ربه بالبقا ومن عرف نفسه بالجفا والخطا عرف ربه بالوفا والعطا ومن عرف نفسه كما هى عرف ربه كما هو انتهى من الكتاب المذكور فقد علمت بهذا ان سبب الانكار على أهل الله تعالى جهل الانسان بنفسه فاذا احتال عليها حتى يردها الى أصلها بكرم بمعرفة ربه سبحانه وتعالى ويزول عنه الانكار على أحوال القوم وأفعالهم وأقوالهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم الامر الثانى الموجب للانكار جهل كون نفسه خليفة عن الله تعالى فى أرضه قال تعالى فى شأن آدم انى جاعل فى الارض خليفة ولا شك ان الحق سبحانه وتعالى ركب هذا الروح اللطيف فى هذا المظهر الانسانى الكثيف وجعله يتصرف فى الكون كيف يشاء قال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وقال فى الحكم جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة تطوى عليك أصداف مكنوناته وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك فالانسان فى أصل نشأته خليفة الله فى وجوده من عرشه الى فرشه لكن الانسان لما جهل نفسه أشغلها

والفسقة

والفسقة وان كان من وجه كفر وفهم عن الشراب من قارورة البول وزجاج الحجام وان كان مغسولا نظيفا طاهرا وروى عن عمران بن حصين انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اجابة طعام الفاسقين ونظم هذا صاحب المباحث فقال

وجنبوا طعام أهل الظلم * والبغي والفساد خوف الاثم
بل أكلوا مما استباحوا حله * غير الذى لا يعرفون أصله

وقال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أتى بلبن فسأل عن أصله فأخبر به فسأل عن أصل الأصل فأخبر به فلما رضيه شرب منه هذا حكم الحلال ان تعرف عين الشئ ثم تعرف أصله وأصل أصله فاذا عرفت ذلك سقط عنك ما وراء ذلك فان لم تعلم ذلك رأى عين وأخبرك به مسلم تقى قام اخباره لك مقام علمك وقال قبل هذا الحلال عند علماء الباطن على ثلاثة مقامات حلال كاف وهذا عموم وكأنه ما حل من طريق الحكم وحلال صاف وهذا خصوص وكأنه ما ظهرت الأدلة فيه وحل سببه ووجدت السنة فيه وحلال شاف وهذا خصوص الخصوص وكأنه ما علم أصله وأصل أصله وجرى على أيدى المتقين ولم يخالطه جهل فاذا لك تفاوتت الشبهات لتفاوت حال ضدها واذا لم يجد الحلال وعمل على ماذكرنا كان ما يأكله حلالا وقد كان سهل رضى الله عنه يقول لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه فهذا على معنيين أحدهما ان المؤمن موفق معصوم وقد عمل لله عز وجل بما علم والله تعالى قد حفظه من حيث لا يعلم بأن يستخرج له الحلال من الحرام باختياره من علمه كما يستخرج له العلم من الجهل والتوحيد من الشرك بلطيف قدرته عن تذكرة وتبصرة اذا أقامه مقام التوحيد من الحكمة والمعنى الثانى ان المؤمن عنده لا يتناول شيأ الا فاقة وضرورة فقد حلت له وان حرمت على غيره وهذا هو المؤمن الصديق قال وبعضهم يضيف هذا الكلام للنبى صلى الله عليه وسلم وهو مخطئ فى ذلك انما هو من كلام سهل الششترى رضى الله عنه واعلم أنه لا يصح أن يكون معنى قوله ولو لم يكن الا الليالى فى الشهر ولو أدى ذلك الى أن لا يغتذى الا الليالى ويطوى فيما عداها من بقية الشهر لان اسم كان كما قدمنا ضمير يعود الى المصدر المفهوم من السياق والمصدر المفهوم منه هو اغتذاء موصوف بكونه عما بان أصله لا مطلق الاغتذاء فافهم ونعنى بهذا الذى نفينا صحته ان كلام الناظم لا يقتضيه الا انا لا ننكر ذلك على ما قواه الله عليه وصار سهلا لديه بما يبث الله فيه من الفرح بربه والنور فى قلبه حتى ينطفى بذلك لهب جوعه فان الامر به كله والطريق مبنى على تحصيل أعلى الدرج لا على اسقاط الكلفة والحرج ثم أشار الى صورة ثانية من الورع مع تربية ليقين المريد وتقويته بذلك على ما ندب اليه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بلال رضى الله عنه حسبما يأتى فقال رضى الله عنه

﴿فلا تك ممن لا يفارق خبزه * فديمة جود الحق دائمة القطر﴾

الفاء المصدر بها البيت للاستئناف فيما يظهر ولا بعدها ناهية وتك تقدم اعراب نظيره ومن من قوله ممن لا يفارق خبزه موصولة وصلتها لا يفارق خبزه وعائدها فاعل يفارق وكذلك الضمير المضاف اليه خبز وأفرد العائد وجره عن مراعاة اللفظ والمعنى وقد تقدم له نظير ذلك فى قوله ولا تك ممن يحسن الفعل عنده والفاء من قوله فديمة الخ جواب شرط مقدر على تقدير سؤال فهى الفصيحة والديمة جمعه ديم وهو المطر المستديم يوما وليلة وقيل المطر المستديم ليس شديد

بخدمة الاكوان فسقطت عن رتبة الخلافة حين صارت مملوكة فى أيدى الممالك لا يصلح للخلافة الا من كان حرا عن الملوك والممالك قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه الاكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة وفى بعض الاخبار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الاشياء من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له فكل من تحرر من رق الاكوان ورفع همته عن ما ملكها باسرها واستولت روحه على الوجود باسره فصار خليفة الله فى كونه وأما من بقى مملوكا فى يدها فلا خلافة له الامر الثالث جهل النفس بالعالم المعقول والمراد به العالم الروحانى وهو عالم المعانى لانه لا يدرك بالنقل وانما يدرك بتصفية العقل وجوهريته حتى يصير سرا من أسرار الله تعالى فحينئذ يدرك عالم المعانى ويغيب عن عالم الاوانى وهو عالم الحس فيحصل ان من اشتغل بعالم الاشباح وهو عالم الحس والحكمة لا يدرك عالم الارواح وهو عالم المعانى وعالم القدرة وانكر على من ادعى ادراك شئ من ذلك وهو معذور كمن أنكر طلوع الشمس وهو أرمد كما قال البوصيرى رضى الله تعالى عنه

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

وسبب حجابهم عن عالم المعانى وهو عالم القدرة اشتغالهم بعالم الحس وهو عالم الحكمة فاشتغلوا بعلم المنقول والاطلاع على الاقوال الغريبة وتحرير المسائل الفروعية والتغلغل فيها وهو سبب حجاب علماء الظاهر جمدوا على ظاهر الشريعة وادعوا الاحاطة بها وانكروا على علم الحقيقة فضلوا وأضلوا عن طريق الخصوص وقد قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولو تأملوا فى سر الشريعة لوجدوها تدل على الطريقة والطريقة توصل الى الحقيقة ولكن سنة الله لا تخرم فلا بد من قوم يتجردون لعلم الشريعة ويحملون لواءه والاضاعة للطريقة والحقيقة اذ لو ذاقوا هذا العلم لزهدوا فى سائر العلوم وان تجد لسنة الله تبديلا الامر

الرابع الاشتغال بعمل الجوارح الظاهرة والتعمق فيه والغفلة عن عمل القلوب وتصفيتها وهو سبب حجاب العباد والزهاد حسبتهم حلاوة عبادتهم عن شهود معبودهم وحلاوة زهدهم عن معرفة خالقهم فاستوحشوا من كل شئ لغيبتهم عن الله فى كل شئ فهم ينكرون الخصوصية لغيرهم ويثبتونها لنفوسهم وهو الجهل المركب وهذا معنى قوله أشد الحجاب عن الله ولذلك قال بعضهم أشد حجابا عن الله تعالى العلماء ثم العباد ثم الزهاد الامر الخامس الخوض فيما يحسنه العقل أو يقبحه فما استحسنه العقل أحبوه واعتقدوه وما قبحه العقل كرهوه وأنكروه فوقفوا مع عقولهم فانعقلوا عن مراتب الكمال وحجبوا عن مدارك الرجال فالعقل معقول لا يدرك من أمر التوحيد الا افتقار الصنعة الى صانعها وأما أسرار التوحيد وغوامضه فهو خارج عن دائرته كما قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه
فثم وراء النقل علم يدق عن
مدارك غايات العقول السليمة
وهذا سبب حجاب أهل علم الكلام وقفوا مع الدليل وحجبوا عن المدلول ارتبطوا مع الدليل والبرهان وانكروا الشهود والعيان هذا معنى الخوض فى المكروه والمحجوب ويحتمل ان الخوض فى الدنيا بالاشتغال فى تحصيل محبوبها كالعز والجاه والمال والبعد عن مكروهها كالذل والفقر وغير ذلك مما تكرهه النفوس فان الاشتغال بذلك حجاب عظيم عن سر التوحيد والله تعالى أعلم الامر السادس جهل الانسان مما يحل له الخوض فيه وما يحرم عليه اذ لو تحقق ذلك وعلم ما فيه من العقوبة لانزجر وانكب عن الخوض فيما لا علم له به ولشغله عيبه عن عيوب غيره لكن لما جهل ما يضره وما ينفعه أطلق لسانه فى الانكار على أولياء الله تعالى من غير احترام ولا احتشام فلا جرم انه ان لم يتداركه اللطف يخاف عليه سوء الختام والعياذ بالله تعالى وفى الحديث القدسى من عادى لى وليا فقد آذن لى بالحرب أو كما قال وفى حديث آخر من حسن اسلام المرء بعضهم

الودق الذى ليس له رعد ولا برق وكلاهما مناسب اما الاول فبين وأما الثانى ان ما كان من المطر بلا رعد ولا برق ولا شدة لو قعه فيه نوع خفاء قد لا يشعر به كل أحد وذلك مناسب هنا اذ ابى الله ان يرزق عبده الا من حيث لا يحتسب فكأنه يقول فديمة جود الحق دائمة القطر وانه خفى عليك ذلك خفاء أوجب لك ملازمة خبزك وعدم الثقة بوعد ربك واستعاره هنا للعطاء والافضال وضروب الامتنان والنوال والحق من أسمائه تعالى وتقدس وقد تقدم ونسبة عجز هذا البيت من صدره انه تقوية وتنشيط واعانة على امتثال ما طلب منه فيه ﴿ يقول ﴾ والله أعلم فلا تكن أيها المريد من الذين همهم بطنهم الملازمين لخبزهم وغيره من المطبوخات فى كل وقت وأوان بل اقتد بنبيك صلى الله عليه وسلم فى كونه كان لا يدخر لغد وينهى عنه كما اقتدى به فى ذلك أقوياء أمته الذين أردت سلوك طريقهم والاهتداء بهديهم ولا تتعد الى ما نهى عنه فتحط من العزيمة الى الرخصة ومن الورع الى الاباحة ولا يجىء منك شئ ولا يداخلنك أيها المريد حين فى العمل بهذا السكون ترى انك لا تجد ما تتقوت به اذا أعطيت ما يفضل عن غدائك فى الحال لمن يستحقه فان مطر عطاء الله وجوده وفضله دائم الانسكاب والانصباب قد عمت جميع الخلائق نعمه ومننه قال فى العوارف ومن أخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك ان الصوفى يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء فى قربته وراويته روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم الا وملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وروى أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طيور فاطعم خادمه طيرا فلما كان الغداء أتاه به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنهك أن تخبأ شيأ لغد فان الله يأتى برزق كل غد وروى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبرة من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال أدخر يا رسول الله قال أما تخشى أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وروى انه كان عيسى بن مريم عليه السلام يأكل الشجر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب يحذب ولا يخبأ شيأ لغد فالصوفى كل خباياه فى خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفى كدار القربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار قال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اه وهذا الكلام هو أصل هذا البيت والله أعلم وقد ورد أيضا عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى أم أيمن عن أن تدخر شيأ لغد ونهى بلالا عن الادخار فى كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ فقد علمت من هذه الاخبار ان الشبهة قائمة فى عدم مفارقة الخبز وأما ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت سنة فلعياله وتشريعا وتبيينا للضعفاء من امته كما انه ترك ادخار الغد تعليما للاقوياء منهم حسبما ذكره الامام أبو حامد رضى الله عنه وقد قال بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم دائر بين الاباحة والورع فادخاره قوت سنة بيان للاباحة وعدم ادخاره لغد ورع وشأن أهل الطريق الاخذ بالعزائم دون الرخص التى لم يندب الى العمل بها اما ما ندبت الى الاخذ به منها كالقصر فى السفر ونحوه فانهم يسرعون اليه ويحافظون على تحصيله على ان للعارفين علما يصرفونه بحسب الاحوال والعوارض قد يخفى على من ليس من أهله فقد كان

تركه مالا يعنيه ولا تغتر بمن يدعي مرتبة العلم ثم يطلق لسانه في أولياء الله تعالى فانه جاهل على الحقيقة لان ذلك سببه الرضا عن نفسه وأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه عصمنا الله تعالى من ذلك بمنه وكرمه الامر السابع الميل عن المواهب الالهامية والعلوم اللدنية وعدم التعريج عليها والتصديق بها ولا شك ان ٩١ من لم يعرج عليها ولا يصدق بوجودها لا يتشوق اليها ولا يطلبها وعلم الباطن كله مواهب وكشوفات فمن لم يصدق به لا يناله أبدا مادام منكرا له وقد قالوا أول الطريقة تصديق ووسطه توفيق وآخره تحقيق فمن لا تصديق له لا توفيق له ومن لا توفيق له لا وصول له لعين التحقيق ولذلك قيل التصديق بطريقتنا ولاية أي لانها سبب الولاية والله تعالى أعلم فهذه السبعة الامور هي الموجبة للانكار على طريق الخصوص فمن سلم من هذه الاسباب فتح له الباب ورفع عنه الحجاب ومتع بمشاهدة الاحباب بمن الكريم الوهاب ولذلك قال العارف بالله تعالى الشيخ سيدي محمد بن البنا في مباحثه رضي الله تعالى عنه

وانكروه ملأ عوام
لم يفهموا مقصوده فهاموا

وكل من أنكر منه شيا
فانما ذاك لسبع أشيا

لجهله لنفسه الشريفه
وكونها في أرضها خليفه

وجهلها بالعالم المعقول
وشغله بظاهر النقول

وسهوه عن عمل القلوب
والخوض في المكروه والمحجوب

والجهل بالحلال والحرام
والميل عن مواهب الالهام

واعلم بان عصبة الجهال
بهائم في صورة الرجال

ومن أباح النفس ما تهواه
فانما معبوده هواه

كيف يرى في جملة السباق * من حظه مع الحظوظ باق
متى يجد جواهر المعاني * من قلبه على الدواء عاني
لم يتصل بالعالم الروحاني * من عمره على الفضول حاني
ليس يرى مع المعاني داني * من قلبه في عالم الابدان
يا حسرتي اذ لا نجد راكب * يصحبنا في هذه المواكب
يا معشر الاخوان هل من سائل * أخبره عن هذه المسائل
يا صاحب العقل الحصيف الوافر * اياك ان تصدمك الحوافر

بعضهم لا يقصر في سفره قائلا للناس في الفقراء نية حسنة يحبون اغتنام الصلاة خلفهم فلا نحرمهم من نيتهم ثم ان الشبهة تختلف باختلاف المقامات فمن كان من أهل الحقيقة مثلا وأتى اليه بشيء حلال ثم شاهد الخلق فيه قبل الحق فأهل الظاهر لا يفتون الا بحليته وأهل الباطن يحكمون بشبهته ينبغي التورع منه كما وقع للشيخ أبي مدين رضي الله عنه وكذلك الادخار من أصله وان كان حلالا من طريق الاحكام لكنه شبهة عند أهل الباطن ذوي النهى والاحكام في حق من لم يكمل حاله ويستقيم يقينه وتوحيده ويستوي عنده الوجد والفقد وقد قدمنا عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي رضي الله عنه ان الورع لا يخطر الرزق بباله ولا يكون بينك وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدري أيأكله أم لا على انا نقول هذا الذي ندب اليه الناظم من ترك الادخار للمطبوخ هو أمر يلقى المريد بنفس دخوله لبعض ربطات الورع اما اذا دخل بلاده وصارت منازله له وطنا وقصوره ومنازهه له سكنا واتخذ عربا في فحص الزهد يأوي اليه بعض الاوقات وصار من اقاليم التوكل يأتي منه ان يضع يدي عزمه فوق حاجبي عيني همته ويحدد بصره وينظر اليه نظر المستشرف كم بينه وبينه فانه يشمئز اذ ذاك حتى من ادخار غير الطبيخ والاثم عند القوم حزاز القلوب وان اباحت الكتب وقد قال صلى الله عليه وسلم لوابصة رضي الله عنه استفت قلبك وان أفتوك وافتوك وورد الاثم حزاز القلوب وورد الاثم ما حاك في الصدر وهذا القلب الذي يرجع اليه في الفتوى المعتدل السالم من الافراط والتفريط عزيز جدا ولذلك لم يرد صلى الله عليه وسلم كل أحد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله هذا وقد قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ويقال من اهتم برزق غد فهي خطيئة تكتب عليه وقال سفيان الثوري رضي الله عنه الصائم اذا اهتم في أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة وقد كان سهل يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال أعرف بالبصرة مقبرة عظيمة يغدى على أمواتهم برزقهم من الجنة بكرة وعشيا يرون منازلهم من الجنان وعليهم من الغموم والكروب ما لو قسم على أهل البصرة لماتوا أجمعين قيل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا بأي شيء نتعشوا واذا تعشوا قالوا بأي شيء نتغدوا وقد وقع النهي منه ومن الذين بعده عن الادخار في زمانهم الذي كان الحلال فيه كثيرا فكيف بزمانك الذي غلب فيه الحرام فالأولى ان تلزم الضرورة فلا تأخذ الا فاقة وضرورة ولا تأكل الا كذلك وقد كان شقيق البلخي رضي الله عنه يقول في سنة تسع ومائة ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارة والصنائع شبهات كلها ولا يحل الاستكثار والادخار منها الوجود ٧ وعدم النصح قال وانما ينبغي للمسلم ان يدخل فيها ضرورة قلت ولذلك لما ورث داود الطائي رضي الله عنه عشرين دينارا حلالا أكلها في عشرين سنة واعلم انه لما رأى رضي الله عنه ان ملازمة المطبوخ من الطعام واستصحابه حيث صار من البقاع والآكام أعضل علة للمريدين لانه ادبار عن قبلة التوجه بالكلية وحسم لمادة اليقين الأصلية مع ما قدمنا فيه من قيام شبهة غير الحلية بالغ في الاحتيال في ازالة ذلك الغداء ودس له الدواء في الغداء حتى تدرب بشربه فسقاه اياه ساذجا فنبهه أولا الى ما أداه عنه ضعفاء اليقين وهو كون رزقه على الله لا فيما استصحب من الخبز ونحوه وقال له ان نوامي الحق التي هي أدوم لك مما بيدك متواصلة الانصباب ثم قوى له المزج فيما نحن بصدد شرحه وهو قوله وفي الناس الخ اذ فيه تعبير وايماء بتلويح ثم ساقه ساذجا فيما بعده وهي قوله وأي يقين الخ

فصرح بالتفريع والتقبيح واذا تبين هذا الذيك وانتقش على صحيفة ذهنك فنشرع فى شرح البيتين قال رضى الله عنه

﴿وفى الناس من لا ينتمى لتورع * ويكفيه عند الجوع مص نوى التمر﴾

من موصولة وهى مبتدأ و ينتمى لتورع صلتها ومعنى ينتمى ينتسب وفى الناس خبر المبتدا وقوله ويكفيه الخ البيت بقى عليه شئ من تمام المعنى المقصود منه وسنصرح به فى سبكه ﴿يقول﴾ والله أعلم وفى الناس من لا ينتسب لتورع أصلا لكونه من جفاة الأعراب وسكان الفيافى والقفار بعيد عن الأخذ فى الدين جملة فضلا عن التفصيل ومع ذلك ليست همته فى بطنه ولا يتهمم عند عشاء ليلته بفطور غده لا ثقة بالرازق بل طبيعة طبع عليها من الصغر وأنسها بالالف والعادة فان ألمت به حاجة للاكل وتمكن منه الجوع اذهب عنه كلبه بما تيسر فى الوقت من مص نواة تمر وتكديد عظم غاز ونحوها ان وجد الحشف من ذلك فضلا عن الجيد فأنت ترى كيف يكون عنده ذلك اليوم عيدا او عرس فأنت أيها المريد أولى ان تسارع الى هذه الخصلة وتحمل نفسك على تحصيل هذه الفعلة ان أردت انتهاج أهل الوصلة والا فعد لأوطان العمومية من قريب وليس كل أحد يصلح للسفر والتغريب بل لا يصلح لذلك الا الحاذق اللبيب الذى ألم مما أشرنا اليه بأوفر نصيب ومن كانت همته فى بطنه فقيمته ما يخرج منها والحاصل ان البطنة مذمومة فى جميع الحالات والجوع محمود فى كل المقامات فانه للتائب اختبار وتجريب وللزاهد سياسة وتهذيب وللصديق تكرمة وتقريب ثم قال رضى الله عنه

﴿وأى يقين فى ادخارك كسرة * لقد جئت شيأ عيب من أضعف الذر﴾

الاستفهام المصدر به البيت انكارى أى لا يقين فى ذلك واليقين قال الجنيد رضى الله تعالى عنه هو استقرار العلم الذى لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير فى القلب وسيأتى مزيد كلام فيه ان شاء الله تعالى وفى ادخارك متعلق بيقين وكسرة مفعول بادخارك وقوله لقد جئت الخ نوع ثان من التقبيح عليه وجئت أى أتيت وارتكبت وشيأ مفعوله وعيب الخ صفة لقوله شيأ ومن أضعف متعلق بمقدر حذف لوضوحه ودلالة المعنى عليه أى عيب اتيانه من أضعف الذر والذر بفتح الذال المعجمة صغار النمل مائة منها زنة حبة شعير ﴿يقول﴾ والله أعلم لا يقين يبقى لك أيها المريد فى الله وانه كامل العلم والارادة والقدرة وتمام العطف والعناية والرحمة بك والتكفل برزقك وايصاله لك عند حاجتك اليه مع ملازمة ادخار الكسر لانك لو اعتمدت اليه ووثقت به ما ادخرتها وقد جئت مع ذلك بشئ شنيع وأمر خسيس فظيع عيب بحسب الطبيعة الجبلية ارتكابه واتيانه من أضعف الحشرات فما بالك به بين الآدميين يا مواتى وقد عد الشيخ أبو طالب والامام أبو حامد رضى الله تعالى عنهما من يدخر من الحيوانات وذكرهم فى سياق الذم فقالا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفأرة والنملة وابن آدم ثم لما كان معنى هذا البيت تقبيحا للحالة المذكورة فيه عقبه بذكر حالة من متعلقات الورع أيضا أقبح منها فقال رضى الله عنه

﴿وأقبح منه ان تقدم للقرى * سواها وتبدى النكر فيما به تقرى﴾

أقبح هو افعل من القبح وهو مبتدا وضمير منه عائد لادخار الكسرة وجملة ان تقدم للقرى خبر المبتدا والقرى بكسر القاف مصدر من قريت الضيف أى أحسنت اليه وقوله ان تقدم للقرى سواها يحتمل ان يكون قوله ان تقدم على حذف لا أى أن لا تقدم للقرى سواها أى الاهى قال الله

لقد غدا السكون لك سافر * ان لم تكن فيه كالمسافر كم أنت ذو وسائد عراض * لاه عن الجوهر بالاعراض
مهما تعديت عن الأجسام * أبصرت نور الحق ذا ابتسام يا من على القشر غدا يحوم * حتى عن اللب متى تصوم
يا من اذا قيل له تعال * لمنهج التحقيق قال لالا ٩٣ اعقل فأنت نسخة الوجود * لله ما أعلاك من موجود
أليس فيك العرش والكرسى
والعالم العلوى والسفلى
ما الكون الا رجل كبير
وأنت مثله كون صغير
فاحتل على النفس فرب حيله
أنفع فى النصرة من قبيله
بعدا أرى فيك عن الاشارة
هل تنكرن رؤية العبارة
يا جاهلا أقصى الكمال وقفا
على عقول وهمها لا يخفى
فهذه ميادن الأبطال
ليست لكل جبان بطال
هل يصلح الميدان للجبان
أو يكمل الزرع بلا ابان
ما أنكر الناس لما لم يعرفوا
يا أهجر الالاف ما لم يألفوا
قال بعض شراح المباحث ما تعجبية مبتدأ بمعنى شئ والجملة بعدها خبر والالاف جمع الف من ألف الشئ اذا ولع به أى شئ عظيم صير الناس منكرين ما لم يعرفوا أو هاجرين ما لم يألفوا تعجب الناظم رضى الله تعالى عنه من اسراع انكار الناس على أهل هذه الطريق مع انهم لا معرفة لهم بها ومن اسراعهم هجران أهلها لتعاطيهم أمورا لم يألفوها ولا غرابة فى ذلك اذ الانكار على الخصوص سنة ماضية فان ثلث القرآن المجيد فى الأخبار عن تكذيب الصادقين وكذلك انكار ما لم يؤلف فانه هو السبب فى تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام قالوا ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين انا وجدنا آباءنا تعالى
على أمة وانا على آثارهم مهتدون قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فكل من أتى بخرق العوائد التى اعتادها أهل زمانه فلابد من الانكار عليه سنة ماضية ولن تجد لسنة الله تبديلا قال فى لطائف المنن واعلم أن الله تعالى ابتلى هذه الطائفة بالخلق ليرفع

بالصبر على من أذاهم مقدارهم وليكمل بذلك أنوارهم ولتحقق الميراث فيهم ليؤذوا كما أوذى من قبلهم فيصبروا كما صبر من قبلهم ولو كان من أتى يهدى أطبق الخلق على تصديقهم هو الكمال فى حقهم لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صدقه قوم هداهم الله تعالى بفضله وحرم من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك بعدله فانقسم العباد فى هذه الطائفة الى معتقد ومنتقد ومصدق ومكذب وانما يصدق بعلومهم وأسرارهم من أراد الحق سبحانه ان يلحقه بهم انتهى من شرح المباحث الأصلية للعلامة العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أحمد بن عجيبة رضى الله تعالى عنه ولذلك قال صاحب الحكم العطائية سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه معرفة الولى أصعب من معرفة الله عز وجل فان الله تعالى معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ولكن اذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته ولهذا قال الشيخ أبو محمد اليافعى رضى الله تعالى عنه عليك بالاعتقاد فى أهل عصرك من أولياء وعلماء واياك ان تكون ممن يصدق بان لله أولياء وعلماء عاملين ولكن لا يصدق باحد معين فان هذا محروم من الامداد لان من لم يسلم لاحد معين لم ينتفع باحد أبدا وقال سيدى الشيخ أبو المواهب التونسى الشاذلى من حرم احترام أصحاب الوقت فقد استوجب الطرد والمقت وكان يقول من اعترض على هذا الطريق لا يفلح أبدا ولو كان على عبادة الثقلين وقال الشيخ سيدى أحمد أفضل الدين قدس سره لو ان انسانا أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى الا واحدا منهم بغير عذر مقبول فى الشرع لم ينفعه حسن الظن عند الله تعالى حتى يحسن ظنه بالجميع

تعالى يبين الله لكم ان تضلوا قال ابن عطية رضى الله تعالى عنه معناه كراهة ان تضلوا اما بالتقدير لئلا تضلوا ومنه قول القطامى يصف ناقته رأينا ما رأى البصراء منها فآلينا عليها ان تباعا اه ومنه قول عائشة رضى الله تعالى عنها لله على ان نكلمه أبدا أى لا أكلمه أبدا ويحتمل أن لا يكون على حذفها ويكون قد حذف العاطف والمعطوف عليه فى قوله سواها والتقدير أو سواها وكلاهما جائز ان دل عليه دليل واحوج صحة المعنى لذلك أدل دليل وقد ورد فى القرآن أى فى نحو أن اضرب بعصاك البحر فانفجرت على أحد التقديرين فيها وقوله تسدى هو عطف على تقدم من قوله ان تقدم وواوه بمعنى مع لخفته النصب بفتحة فوق الياء وانما سكنه لضرورة الوزن والنكر مفعوله وفيما به تقرى متعلق بالنكر وما موصولة وصلتها تقرى والعائد الضمير المجرور بالباء ﴿يقول﴾ والله أعلم وأقبح من ادخار الكسرة ان لا تقدم لقرى من نزل بك سواها لكونك لا تجد فى غير الوقت وعلى الاحتمال الثانى يكون معناه وأقبح من ادخار الكسرة ان تقدم لقرى من ألم بك وحل بساحتك هى أو سواها من الطعام أعلى أو أدنى وتظهر له النكر والحقر فيما قدمته وان ذلك أقل من قدرك أو قدر المقدم اليه وكانت هذه الحالة من متعلقات الورع لأنه كما قدمنا يجرى فى القول والفعل والاعتقاد وهذه الحالة اشتملت على خبائث يجب التورع عنها لان فيها الازدراء بنعمة الله وقد ورد وعيد فى ذلك حسبما نذكره بعد وفيها الرياء ومراعاة الخلق على غير وفق وفيها التكبر اذ لو لم ير لنفسه قيمة ما بالى بما يصدر منها وهذه كلها واحدة انفردت بها عن الحالة التى قبلها ومن ثم كان أقبح وشاركتها فى الادبار عن قبلة التوجه بالكلية وحسم مادة اليقين الأصلية وما وعدنا به من الوعيد هو ما ذكره الشيخ أبو طالب والامام أبو حامد وصاحب العوارف واللفظ للاولين روى أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحقر ما يقدم اليه أو الذى يحقر ما عنده ان يقدمه قال الشيخ أبو طالب رضى الله تعالى عنه وكذلك جاء فى الخبر كفى بالمرء شرا ان يحقر ما عنده ان يقدمه الى أخيه أو الذى يحقر ما قدم وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله تعالى عنه واذا نزل به أخ من اخوانه أو جماعة قدم اليهم ما حضر قل أو كثر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال هلاك المرء ان يدخل عليه رجل فيحتقر ما فى بيته ان يقدمه اليه وهلاك بالقوم ان يحتقروا ما قدم اليهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من مكارم الاخلاق التزاور فى الله وحق المزور ان يقدم الى أخيه ما تيسر عنده وان لم يجد الا جرعة من ماء وان احتشم ان يقدم اليه ما تيسر لم يزل فى مقت الله تعالى يومه وليلته اه وأخرج أحمد وأبو يعلى من طريق ابن عمير قال دخل على جابر نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقدم اليهم خبزا وخلا وقال كلوا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الادام الخل انه هلاك بالرجل ان يدخل اليه النفر من اخوانه فيحتقر ما فى بيته ان يقدمه اليهم وهلاك بالقوم ان يحتقروا ما قدم اليهم فهذه الأخبار كما رأيت تدل صريحا على انها متوعدة بالمقت والوزر لمن احتقر ما يقدمه للضيف واما ان قدمه متأولا لشئ من ذلك بغرض صحيح كصيانة قلب المقدم اليه ونحو ذلك فليس من هذا حسبما يدل عليه الآثار التى نوردها ان شاء الله تعالى على قوله وان يخلص الاخلاص البيت وأما قوله فى الحديث نعم الادام الخل فقال عياض عن الخطابى قصد بذلك الثناء على الاقتصاد

ولذلك لا تجد وليا حق له قدم الولاية الا وهو مصدق بجميع أقرانه من الاولياء لم يختلف في ذلك اثنان كما انه لم يختلف في الله اثنان فمن آذى الاولياء بسوء ظنه فقد خرج من دائرة الشريعة واعلم انما أطلت الكلام في هذا الباب رجاء أن يسمعه مسلم يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويرجوا اليوم الآخر وفي قلبه شئ من الانكار عليهم وسوء الظن بهم فيرجع عن ذلك ويتوب الى الله تعالى من سوء الظن بهم ويحسن ظنه بالسادة الصوفية وفقراء الطريق ويكف لسانه عن الطعن والاعتراض والانتقام ويحمى قلبه من الانكار ويسلم اليهم أحوالهم وأقوالهم ويشتغل في عيوب نفسه وتخلصها من ورطات الذنوب ولا نقل لو علمتهم أولياء الله تعالى لاعتقدتهم فان الاولياء عرائس والعروس لا تجلى الا على من طهر ظاهره من الانتقاد ونظف باطنه من سوء الظن ونوره بالاعتقاد قال الشيخ سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه من زعم أنه ينال حظا من الله لقرابته من اولياء الله مع عدم صلاحه ومخالفته لطريقهم ومع اساءة الادب مع أحد منهم فقد كذب فيما زعم فكما تجب محبة الرسل كلهم وان اختلفت شرائعهم فكذلك الأولياء تجب محبة الكل وان اختلفت طرائقهم وكما ان من آمن بالانبياء والمرسلين الا واحدا منهم لا يصح ايمانه فكذلك من اعتقد أولياء الله كلهم الا واحدا منهم بغير طريق شرعى لا تصح محبته ولا يفيده ذلك الاعتقاد شيأ وبالجملة فهلاك المعترض عليهم والمنكر لاحوالهم ومؤذيهم محتم بمجرد الاعتراض والانكار والايذاء مالم تسبق له عناية من الله تعالى بتوفيقه للتوبة وحسن الاعتقاد لان من تعرض لهم بذلك فقد آذى الله ومن آذى الله فقد استحق الطرد والوبال وأهلكه الله وفضحه في الحال بشهادة من آذى لى وليا فقد آذنته بالمحاربة ولا تغتر أيها الجاهل بامهال الله تعالى فتقول لو كان هذا وليا أهلكني الله تعالى بسببه فهلاكك حتم لا بد منه وتأخيره لحكمة ربانية

في الأكل وان لا يتأنف في المأكل كانه قال ائتدموا بالخل وما تيسر ثم عطف على مدخول أقبح من متعلقات الورع وصفا آخر مشاركا له في الأقبحية فقال رضى الله عنه

﴿وان كنت في الأسفار كان مكانها * أمامك دون الكل من سفر السفر﴾

هذا البيت عطف على مدخول أقبح فالأقبحية مسلطة عليه والاسفار جمع سفر بفتحتين وهو الانتقال من موضع لآخر والسفر بضم السين وفتح الفاء جمع سفرة طعام المسافرين وهو يطلق على الواحد والجماعة يقال رجل سفر وقوم سفر ودون تقدم الكلام عليها ومن سفر السفر متعلق بقوله مكانها وامامك ظرف لقوله كان واعراب ما بقى من البيت واضح ﴿يقول﴾ والله أعلم ويشارك ماتقدم في الأقبحية أيضا انك ان كنت في سفر من الأسفار كان مكان خبزك وكسرتك من سفر المسافرين امامك دون الكل ممن حضر وتستبد بزادك ولا تشرك فيه اخوانك وليس ذلك من شيم القوم وفتوهم انما كانوا كشئ واحد ليس لهم معلوم ولا يختص أحد بشئ دون صاحبه * حكى عن ابراهيم بن شيبان رضى الله عنه أنه قال كنا لا نصحب من يقول نعلى وقال أبو حامد القلانسى أحد أشياخ الجنيد رضى الله تعالى عنهما صحبت أقواما من البصرة فأكرمونى فقلت مرة لبعضهم أين ازارى فسقطت من أعينهم وقد قال عمر رضى الله عنه كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانت هذه الحالة من متعلقات الورع وأقبح من الأولى لاشتمالها على مااشتملت عليه من الادخار والاعتماد على غير الجبار مع زيادة العار والبخل وايقاع الوحشة في قلوب الاخوان وادخال الظلمة عليهم بسبب الانفراد عنهم وقلة المروءة المذهبة للدين روى ان جنيدا الحجام حجم داود الطائى رضى الله عنه فأعطاه دينارا فقال هذا اسراف فقال لا عبادة لمن لا مروءة له وما قال رضى الله تعالى عنه واضح فان عدم المحافظة على المروءة في مثل هذا فتح لباب الطمع وهو فساد الدين دخل الحسن البصرى مكة فرأى غلاما من أولاد على بن أبى طالب قد أسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس فوقف فوقه الحسن فقال ما ملاك الدين فقال الورع قال فما آفة الدين قال الطمع فتعجب الحسن منه ولا شك ان فعل هذا الهام وبساطه لها تيسير ثم قال رضى الله عنه

﴿وهذا وان لم يبد منك لظنة * فللبخل منه جانب غير مزور﴾

الاشارة لاقرب مذكور وهو البيت الذى قبله يليه هو وقوله فللبخل منه أى فيه على حد قوله تعالى من يوم الجمعة والجانب شق الانسان وغيره والمزور المائل وباقى الألفاظ بين من اعراب ومعنى ﴿يقول﴾ والله أعلم وكون مكان خبزك امامك دون من معك من رفقائك وان فرضنا انه صدر منك لا لاجل بخل وشح فللبخل فيه جانب قائم معتدل غير مائل أى هو فعل صورته واضحة الدلالة على البخل وقلة المروءة وهو كذلك والله سبحانه أعلم ثم رجع الى تمام الكلام في معنى ماذكره من تقديم الكسرة والتحقير لها فقال رضى الله عنه

﴿ولن يخلص الاخلاص يوما لتارك * طعاما لما ضاهاه كالأرز والبر﴾

هذا البيت من تتمة قوله وأقبح منه ان تقدم للقرى الخ وانما فصل بينهما بقوله وان كنت الخ وقوله وهذا الخ لان الأول منهما مشارك لما قبله في الأقبحية فساقه بأثره لافادة ذلك والثانى متمم له فكمل ما يستتبعه المعطوف ثم رجع الى كمال ما يستجلبه المعطوف عليه والاخلال في نحو ذلك بشئ من نظم

فارجع عما أنت فيه فقد نصحتك وبالغت في النصيحة وماقصرت فاختر لنفسك مايحلو فالله الله أيها المنكر على السادة الصوفية
والعلماء العاملين الامارجعت عن انكاك الى رشد انقيادك وحسن اعتقادك بالمحبة والمودة ففي الحديث المرء مع من أحب وأنت مع
من أحببت وتدبر قول العارف الكبير سيدى الشيخ أبي مدين الغوث قدس سره حيث يقول وسلم لنا ماادعيناه اننا •
اذا غابت أشواقنا ربما بحنا
فانا اذا طبنا وطابت نفوسنا
وخامرنا خمر الحبيب تهتكنا
فلا تلم السكران في حال سكره
فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

هذا وارجو الله الكريم الحنان المنان الرحيم الرحمن أن يميتنا على حبهم وأن يحشرنا في حزبهم فياسعادتي ان قبلوني عبد أبوابهم وخادم نعالهم فاني طريح أعتابهم اللهم لاتقطع مددهم عنا واجعلنا من المستغرقين في تيار بحر علومهم وحقق نسبتنا اليهم ومحبتنا عليهم فهم عزنا وفخرنا وسادتنا وركننا العميد ولله در القائل

قوم همومهم في ربهم شغلوا • وفي محبة أرواحهم بذلوا
وخربوا كل مايفني وقد عمروا ماكان يبقى فياحسن الذى عملوا
لازينة الارض تلهيهم وتعجبهم ولاجناها ولاحلي ولاحلل
تاهوا على الكون من وجد ومن طرب • وما استقل بهم ربع ولا طلل
داعي التشوق ناداهم وأقلقهم فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل
وشقة البعد تطوى في السرى لهم • وكل قاص دنا حتى بذا اتصلوا
وافت لهم خلع التشريف يحملها عرف النسيم الذى من نشره ثملوا هم الاحبة أدناهم لانهم • عن خدمة الصمد القيوم ماغفلوا اللهم انى اسألك بحبك لهم وحبهم فيك اذ لولا سابق حبك لهم ماأحبوك أن تجعل حبي فيهم خالصا مخلصا لوجهك الكريم وأن لاتحرمني من شرابهم بحرمة صاحب الجاه العظيم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته أجمعين والحمد لله رب العالمين ﴿الباب الخامس﴾ في بيان

الكلام وانرجع للاعراب ان حرف نصب والاخلاص فاعل يخلص ويوما ظرف له أى يخلص ولتارك متعلق به أيضا وطعاما مفعول تارك ولما ضاداه أى شابهه متعلق به أى بتارك وكالارز والبر فرض مثال ويقع في بعض النسخ كالروز وأظن أنها ليست عربية فقد ذكرها صاحب القاموس فيه ثمان لغات ولم يذكرها وانما هو اسمه بلسان الوقت والعرف ولايخل ذلك بفصاحة الكلام مع انه أقرب في ترك التكلف حيث عبر بما ألفه اللسان واستعودت تسطيره البنان فيكون قد وقع في الكلام ماسبه عليه وهو من بديع الكلام عند البلغاء ويقع في بعض النسخ كالارز بسكون الراء على وزن فعل وهي عربية وهو الذى في الأصل ﴿يقول﴾ والله أعلم ولن يخلص ويصفو ويثبت الاخلاص حين من الأحيان ان ترك طعاما كان عنده من غير عذر أحوجه لتركه الى طعام آخر وتكلف احضاره وذلك كترك الروز بالبر أو العكس واصل البيت قوله في العوارف ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك لان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفي بعضه خفي منازعة الانكار وعدم الرضا بماقسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف وقيل التكلف تخلف عن شأن الصادقين روى أنس بن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مافيها خبز ولا لحم وروى عن جابر انه أتاه أناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الادام الخل وروى سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج الى خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن التكلف أن يتكلف أحد لأحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذى صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك الا آحاد وافراد وكم من متملق لايعرف انه تملق ولايفطن له فقد يتملق الى حد يخرجه الى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفي ثم قال وحكى عن ابن وائل قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبزا شعيرا وملحا جريشا وقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة ففي هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا وفي حديث يونس النبي عليه السلام أنه زاره اخوته فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر واذا استزرت فلاتبق ولاتذر وروى الزبير بن العوام قال نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اللهم اغفر للذين يدعون لأموات أمتي ولايتكلفون الاانى برىء من التكلف وصالحوا أمتي اه ومن التكلف أيضا وهو أدهى سلوك الطريق بالقلقلة والنأب ودخول الحقائق بالاكتساب ومن هذا شأنه عامل في تكثيف الحجاب وهو بعد يظن أنه من أهل الباب نعوذ بالله من الخطا في التوجه وعماية الانقلاب وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه ليس هذا الطريق بالرهبانية ولابأكل الشعير والنخالة ولا الصناعة وانما بالصبر واليقين والهداية قال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ولنرجع لما نحن بصدده قال الامام أبو حامد رضى الله عنه وأما آداب التقديم ماحضر فان لم يحضر شئ ولم يملك فلا يستقرض لاجل ذلك فيشق على نفسه وان حضره ماهو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه فلا ينبغي أن يقدمه قال

وقال بعض السلف فى تفسير التكلف ان تطعم أخاك مالا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه قال ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم قال وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم اليه ما حضر وقال فى العوارف ويجتنب المضيف التكلف الا أن يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا ونحو هذا قول الامام أبى حامد رضى الله عنه الخامس يعنى من آداب احضار الطعام أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص من المروءة والزيادة فيه تصنع ومراآة لاسيما اذا كان لا تسمح نفسه بأن يأكل الكل الا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع وينوى أن يتبرك بفضلة طعامهم اذ فى الحديث أنه لا يحاسب عليه أحضر ابراهيم بن أدهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان يا أبا اسحق ما تخاف أن يكون هذا اسرافا فقال ابراهيم ليس فى الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة وهذا من ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع ثم قال وحكى أبو على الروذبارى عن رجل انه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل قد أسرفت فقال ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فاطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع واشترى أبو على الروذبارى احمالا من السكر وأمر الحلوانيين حتى بنوا له جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها وأما ما وقع من ذكر الاخلاص فى البيت فاعلم أنه على درجات على حسب مراتب أهله قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه الاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الحق وأول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لاجل النفس والا دخل عليه مطالعة عوض أو ميل الى حظ نفس والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم فى الافعال وعدم السكون والاستراحة لهم فى الأحوال قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه وحقيقة الاخلاص ترجع لافراد الحق بالتوجه اما على بساط البقاء وهو الاول أو على بساط الجمع وهو الثانى أو على بساط الفناء وهو الثالث وفى خبر مسلسل سئل جبريل عن الاخلاص ما هو فقال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال سر من سرى أودعه قلب من أشاء من عبادى لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده انتهى وهذا الخبر وان كان واهيا فلم يذكر على طريق الاحتجاج فيه الى الصحة والحسن وانما ذكر على سبيل الاستئناس به ولما طال كلامه فى الكسرة وما استتبعه وذهب فى ذلك كل مذهب خاف أن يتوهم المخاطب ان ذلك هو اهم متعلقات الورع فتركه خيانة عن القيام بحقيقته فيما سوى ذلك فنبه على أن الورع يحافظ عليه عند التوم فى كل مطعوم وملبوس كى لا يحكمه فى بعض صوره ويخل به فيما عدا ذلك بقوله رضى الله عنه

﴿وفى كل مطعوم وفى كل ملبس * تورع أصحاب التورع لو تدرى﴾

أصحاب التورع فاعل تورع وفى كل مطعوم متعلق بتورع وفى كل ملبس عطف عليه وقوله ملبس مفعل بمعنى مفعول ﴿يقول﴾ والله أعلم وقد تورع أصحاب الورع المؤهلين له فى كل ما يطعم

فتاوى علماء الشريعة المجتهدين من المذاهب الاربعة من المتقدمين والمتأخرين على جواز الذكر الجهرى فى المساجد وغيرها وان سب المشايخ اهانة للدين والاهانة للدين كفر شرعا وعقلا بلا خلاف والله أعلم وفقنى الله تعالى واياك لما يحبه ويرضاه ان هذا الباب عمدة أبواب هذه الرسالة بل جميع هذه الرسالة من أولها الى آخرها شرح لهذا الباب فافهم معنى الخطاب وانظر بعين الانصاف بين الخطا والصواب اذ هو المقصود من تأليف هذه الرسالة ولهذا جعلته مقاصد ﴿المقصد الاول﴾ اعلم ان مبنى الطريق الى الله سبحانه وتعالى على اتباع السنة السنية ومجانبة البدعة وقمع الهوى والعزوف عن الدنيا والاقبال على المولى والتفويض والتسليم اليه والتوكل فى جميع الامور عليه والدعوة الى الله تعالى حالا ومقالا امتثالا لقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فى النهى عن ذلك أرشد أهل الله الخلق الى ذكر الله والالتجاء اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب وتلين الجلود وتتوجه الى علام الغيوب وترجع عما كانت عليه وتتوب قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وورد فى الحديث لان يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم وورد من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ واعلم أن الذكر كما قال ابن عباد قدس سره الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته وكما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى اذكرونى أذكركم لكان ذلك الشفاء والغنية ومن خصاله انه غير مؤقت قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يفرض الله

وفى

وفى كل ما يلبس لو عقلت ذلك وتفطنت له فلا تغفل عنهم واعمل فى التحلى به والاتصاف به حتى تتحقق به وترتقى من ترك كل ما يتطرق اليه احتمال التحريم وهى الدرجة الثانية ثم الى ترك ما يخاف أداؤه الى المحرم ولو لم يتطرق اليه احتمال التحريم وهى الدرجة الثالثة ثم الى ترك كل ما لا يتناول لغير الله تعالى ولا على نية التقوى به على عبادة الله ولو لم يخف أن يؤدى الى محرم وهى الدرجة الرابعة والى هذه الدرجة والتى قبلها يرجع ما ذكره صاحب العوارف حيث قال اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة فى الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات هكذا فى اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة ومآرب مختلفة فالصوفى يرد النفس الى متابعة صريح العلم قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال قيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق فى ثوبه أن يكون من وجه حلال لانه ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا اى لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لان طهارة الثوب شرط صحة الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره فى كونه يمنع الحر والبرد لان ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ما تدعو النفس اليه فكله فضول وزيادة ونظر الى الخلق والصادق ينبغى له أن لا يلبس الثوب الا لله وهو ستر العورة ولنفسه لدفع الحر والبرد حكى أن سفيان الثورى خرج ذات يوم عليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت انى لبسته لله والآن فلا أغيره لاجل الخلق فلا أنقض النية الاولى فهذه والصوفية خصوا بطهارة الأخلاق وما رزقوا بطهارة الأخلاق الا بالصلاحية والأهلية والاستعداد الذى هيأ الله لنفوسهم وطهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فالتناسب هو التسوية فمن التناسب أن يكون لباسهم مثلا كالطعامهم وطعامهم مثلا كلا لكلامهم وكلامهم مثلا كالمنامهم لان انتساب الواقع فى النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل فى الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشئ من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع الى التناسب رشح حال سلفهم فى وجود التناسب قال أبو سليمان الدارانى يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته فى بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغى أن يكون ما كوله من جنسه واذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى احد الطرفين اما فى طرف الثوب لموضع نظر الخلق واما فى طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس أبو سليمان الدارانى ثوبا غسيلا فقال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبى فى القلوب مثل قميصى فى الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثيابهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه وكما ان رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الأبواب انتهى ثم اذا لم يجد المريد من الحلال ما يكفيه لقوته ولباسه هل يقدم القوت أو اللباس قال الامام أبو حامد رضى الله عنه يحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشريته وهذا هو الاظهر

على عبده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله انتهى فعلى العبد ان يستكثر منه فى كل حالاته ولا يغفل عنه وليس له ان يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله بلسانه وان كان غافلا فيه فعسى الله سبحانه أن يرفعه عن ذلك وها أنا أشرع فى المقصود بعون الملك المعبود فأقول ﴿المقصد الثانى﴾ فى البدعة الضالة وهى كما قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ما خالفت كتابا أو سنة أو اجماعا أو أثرا وما لم يخالف شيأ من ذلك فهى المحمودة والمخالفة لما ذكر اما صريحا أو التزاما قد تنتهى الى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى على ما قرره ابن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى فى شرح الاربعين النووية فمنها ما أحدثته الاباحية المنتمون الى الصوفية وليسوا منهم اعاذنا الله منهم استحلوا ما حرم الله ومنها تعظيم نحو حجر وشجر رجاء قضاء حاجة وفساده غنى عن البيان والى ما يظن أنه قربة وطاعة وليس كذلك ومنشؤه أن يخص الشارع عبادة بزمان أو مكان أو شخص أو حال فيعمونها جهلا وظنا انها طاعة مطلقا كصوم يوم الشك اذا لم يصادف يومه الذى يعتاد صيامه أو التشريق أو الوصال وغيرها الا ترى أنه لا يجوز الطواف حول سائر البيوت تشبها وصرح فى معراج الدراية بانه لو طاف حول مسجد سوى الكعبة يخشى عليه الكفر وقال فى فتح القدير ظاهر هذه العبارة انه مطلوب الاجتناب وهو يصدق بالاباحة ومنه صلاة الرغائب وبراءة بجماعة لانها لم تشرع على سبيل التداعى الا فى الفرائض وأما ذكر الله سبحانه وتعالى فما من وقت ولا نفس الا وانت مأمور فيه بذكر الله اما وجوبا أو استحبابا وكان صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله فاذكر الله بأى صفة جهرا كان أو سرا فقد أدى ما أمر به وكل من أدى

ما أمر به فهو سنى متبع فذكر الله جهرا وسرا سنى متبع وهو المطلوب ولا يقال المأمور به هو ذكر الله سرا لقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك الآية فانها مكية نزلت حين كان المشركون يسبون القرآن ومن أنزله فأمر الله تعالى بالمخافتة فى القراءة فاذا عرفت انها مكية وانها مخصوصة بالقراءة فى الصلاة فى ذلك الوقت لمشروعية الجهر بعد ذلك عرفت انه لا يصلح الاحتجاج

عنده وقال الحارث المحاسبي بتقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دنانير فيها درهم حرام وهذا يحتمل ولكن أمثال هذا قد ورد من فى بطنه حرام فمراعاة اللحم والعظم أن ينبت من الحلال أولى ولذلك تقايأ الصديق رضى الله عنه ما شربه مع الجهل حيث لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى واعلم رحمك الله بالقيام عليك وجعل أنواره واصلة اليك ونعمه مغمورة لديك ان الأمر الاخروى شأنه عظيم وأمره فخيم وحاله مهول جدا فلذلك اذا جيء فيه لجانب الرجاء يعبر بعبارة تكاد ان تقطع عروق الخوف وتزيله من أصله واذا جيء فيه بجهة التحذير والترهيب يعبر بعبارة تقرب ان تقلع الرجاء وبهذه القاعدة تفهم معنى قوله عليه السلام فى الحديث المذكور ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وما أشبهه مما يوهم ظاهره خلاف اعتقاد أهل السنة وقد قال عياض لا يقبل قبول رضا وان قبل قبول جزاء ولما ذكر ان أرباب الورع استعملوه فى كل مطعوم وملبوس حذره ونهاه عن أن يبحث عن ذلك فيتورع فيما يسهل عليه ويتركه فيما عداه فيكون كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فقال رضى الله عنه

﴿فلا تك ممن خص بالبعض حكمه * وأهمله فيما سوى ذلك القدر﴾

الفاء المصدر بها البيت جواب شرط مقدر أى اذا تبين لك ما ذكرنا واياك ان تكون ممن خص بالبعض حكمه وأهمله فى غيره وباقى الفاظ البيت بين اعرابا ومعنى ﴿يقول﴾ والله اعلم فلا تك أيها المريد ممن خص الورع ببعض صور ذلك من المطعومات والملبوسات وغفل عنه فيما سواه على ان الورع يجرى فيما هو أعم من المطعوم والملبوس كالاقوال والافعال والخواطر والاعتقادات وانما اقتصر الناظم على ما ذكر لكونه كالاساس ومن أتقنه سهل عليه رفع البناء وأيضا الورع فيما عدا المطعوم والملبوس ثمرة عن الورع فيهما ومسبب عنه ومن حصل السبب حصل له المسبب اذا انتفت الموانع ووجدت الشروط وقد تقدم دليل هذا كله أول الباب ثم أشار الى بعض صور متعلقات الورع مما يخاف اهماله لتوهم انه ليس من متعلقاته فقال رضى الله عنه

﴿وفى البقل يجرى حكمه وهو ظاهر * وفى الملح والكمون والسعتر البر﴾

البقل كل نبات لا ساق له والكمون نابل معروف وهو على أنواع أربعة ومنه البستانى وهو الموجود كثيرا والبرى وهو قليل والسعتر بالسين وبالصاد وهو أيضا على أنواع والمراد هنا المعروف بالسعتر الجبلى والموجود فى النسخ بالسين وبالزاى ولكن لم نره بالزاى فى اللغة فيكون من قبيل ما ذكرنا فى قوله كالروز والبر والبرى نسبة الى البرية وهو الصحراء والمراد انه ينبت بنفسه فى الخلاء من الأرض لا انه بستانى يستنبت فى الاجنة فقوله البرى وصف مرادف لانه للاحتراز والتخصيص ﴿يقول﴾ والله أعلم ويجرى حكم الورع فى البقل وهو ظاهر فيه سواء كان فى خلاء من الأرض قد نبت بنفسه أو استنبت فى الاجنة أما الاول وهو ما اذا كان فى أرض مجهولة الارباب أو كان أربابها لم يصرحوا بالاخذ منها ولا بالمنع فيبقى الأمر محتملا فلو صرحوا بالمنع لامتنع ولو صرحوا بالاذن فى الاخذ لزال الحرج ولكن مع النظر أيضا لاربابها فى أصل مكسبهم وتصرفاتهم وأما الثانى وهو ما اذا كان مستنبتا فى الاجنة فكذلك أيضا ينظر للاذن والمنع لا غير ثم ينظر لحال أربابها بعد الاذن ثم ينظر أيضا لما كان يسقى به من الماء هل هو نجس أم لا للاختلاف فى ذلك حسبما هو مقرر فى فن الفقه وكذلك يجرى حكم الورع أيضا فى الملح

بها على وجوب ذكر السر وسيأتى تحقيق ذلك ان شاء الله تعالى على وجه لا يبقى فيه شبهة ﴿المقصد الثالث﴾ فى محل الانكار اعلم انه لا يجوز الانكار فى المحل المجتهد فيه اما على قول من يقول ان المجتهد يخطئ ويصيب وان حكم الله فى كل حادثة واحد لا تابع لحكم المجتهد فمن أصابه المصيب ومن أخطأه المخطئ فظاهر لعدم القطع بتعين الحق فى احدهما واما على قول من يقول ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لحكم المجتهد فكذلك فلو لم يرد نص ولا أثر فى ثبوت الجهر لما جاز الانكار فيه لأنه قال بجوازه المجتهدون كيف وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة عبارة ودلالة واشارة واقتضاء كما ستعرف ذلك ان شاء الله تعالى وكل ما كان كذلك فهو مشروع وكل ما هو مشروع فانكاره ابتداع فى الدين وقد ورد من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ولو لم يكن هناك نص ولا قال بجوازه أحد من الائمة لكان بدعة محمودة لأنه ينبه الغافل من سنة الغفلة ويوقظ الجاهل من نوم الغرة وسيأتى ان شاء الله تعالى ما فيه من الفوائد العظيمة والنتائج الجليلة مما يقتضى جوازه واستحبابه وان لم يكن هناك نص وقد كان سبب اسلام من أعز الله به الدين وقطع به دابر المشركين أمير المؤمنين كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سماع سورة طه وكان سبب توبة الفضيل سماع قارئ يقرأ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ولا تغتر بما فهمه بعض متأخرى شراح قول الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ولا يكبر فى طريق مصلى عيد

كان مما يتملح بلا تعمل أو مما يعالج كملح بنى معدان من حرزنطوان والعرايش والكمون بستانيا كان أو بريا والسعتر البرى على المعنى المذكور فى النقل أعنى فى السعتر على المعنى الأول وفى الكمون والملح على الثانى معا والله سبحانه أعلم ثم قال رضى الله عنه

﴿وفى الخل والماء الذى هو لازم ۞ ولا سيما ماء الصهاريج فى الثغر﴾

لازم أى دائم ولا سيما ولا مثل ما وماء الصهاريج يجوز فى الهمزة منه الجر على الاضافة فتكون ما من قوله لا سيما زائدة وهو الارجح والرفع على أنه خبر مبتدا محذوف والتقدير ولا مثل الشئ الذى هو ماء الصهاريج فتكون ما موصولة حذف صدر صلتها والصهاريج جمع صهريج وهو حوض يجتمع فيه الماء والثغر هنا بالفتح ما يلى دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان والمراد هنا الثغر الأعظم ببلد مصر وهو الاسكندرية ﴿يقول﴾ والله أعلم ويجرى حكم الورع أيضا فى الخل لأنه قد يكون أصله خمرا وما كان كذلك قد يتخلل بنفسه فمتفق فيه الخلاف أو يخلله الغير فيحصل الخلاف فيه ثم مع ذلك قد لا يستحفظ على الاناء الذى تخلل فيه وعلى خروجه منه فيلحقه شئ من أجزاء الخمر فيتنجس فلا بد من البحث عن هذا كله والخروج من الخلاف ما أمكن والاخذ بالاحوط ثم ينظر مع ذلك لحال أربابه فى أملاكهم وتصرفاتهم وكذلك يجرى حكم الورع أيضا فى الماء الذى هو لازم دائما فى الجبوب وغيرها كالمصانع التى عملتها السلاطين وغيرهم فى الطرق وغيرها فلا يخلو اما أن يكون لما عملت يوجد من ذلك أرباب الأعراب فى الفلوات فينظر فيها كما تقدم واما أن تكون مسبلة كالمصانع المذكورة فلا يخلو اما أن يكون المال الذى عملت به وأصل الماء حلالا أو العكس أو جهل المال فى ذلك فما علم أحد الطرفين فيه لا اشكال وما جهل ينبغى أن يحتاط فيه ويتورع عنه لأن الحلال عند القوم ما علم أصله وقيل وأصل أصله ومن الآثار الواردة فى ترك ما عمله السلاطين فى الطرق ما كان خالد القشيرى لما ولى مكة أجرى نهرا فى طريق أهل اليمن الى مكة فكان طاوس بن وهب اليمانى رضى الله عنه اذا مر على النهر لم يتركا دوابهما أن تشرب منه وقد كان بشر بن الحارث رضى الله عنه يمتنع من أكل ما يساق فى نهر ظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتنع بعضهم من أكل عنب كرم يسقى بماء جرى فى نهر حفر ظلما وقال أبو عبد الله بن الجلاب رضى الله عنه أعرف من أقام بمكة عشرين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيئا وأما الصهاريج فى الاسكندرية فتحتاج الى الورع أيضا بل لا شئ مثلها يحتاج الى الورع قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالدقاق رحمه الله فيما كتب على هذه القصيدة انه نظمها يعنى الناظم رضى الله عنه بالاسكندرية وجرت عوائد أهلها أن يحفروا فى المدينة مواضع مملوءة حبوبا بالماء وتكون محفوظة لا تنفتح الا من وقت الحوالى ووقت الحرفأكد الورع فى ذلك لكونها مبنية بأموال لا تعرف وكل موضع معروف بالشخص الذى بناه وأوقفه لله تعالى على سائر الناس انتهى نخرج من هذا ان ماء الصهاريج فى الاسكندرية ينبغى ان يحتاط فيها ما لا يحتاط فى غيرها لعدم معرفة المال الذى صنعت منه وهذا يتفق فيه مع غيره اثم تزيد بان الماء لما كان هنالك ليلا على الصفة المذكورة ينبغى أن يحتاط فى الاخذ منه بحيث لا يؤخذ منه الا بعد الاذن فيه ثم يحتاط فى الاسراف فيه لقلته وليس غيرها كذلك فقوله ولا سيما ماء الصهاريج فى الثغر فى غاية التمكين ثم أشار الى بعض ما يثمر التحقيق بما ذكر من الورع

الفطر فانه خارج عن المرام وكأنهم استبعدوا نفى التكبير من أصله لأنه ذكر الله ولا يمنع منه فى سائر الاوقات بل الممنوع انما هو بصفة الجهر والحال ان الامام انما نفى تخصيص التكبير بهذا الوقت من غير شرع لانه عرف من خصائص عيد الاضحى كالاضحية وهكذا كل ما خص الشارع عبادة بوقت فالاتيان بها فى غيره يكون بدعة كالتلبية للمحرم وهو ظاهر وقد ورد انكاره عن ابن عباس رضى الله عنهما رواه عنه ابن المنذر قال انه سمع الناس يكبرون فقال أقائدنا أكبر الامام فقال لا قال أمجن الناس أدركنا مثل هذا اليوم مع النبى صلى الله عليه وسلم فما كان أحد يكبر قبل الامام واستدلالهم للامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه بهذا دليل على أنه نفاه من أصله والا فلا يطابق الدليل المدلول فان ابن عباس كما ترى نفاه من أصله وليس الممنوع الا التخصيص من غير اذن من الشارع ولهذا قال فى غاية البيان فى باب المهر عند ذكر المتعة ولا يكبر فى طريق عيد الفطر عند أبى حنيفة أى حكما للعيد ولكنه لو كبر لأنه ذكر يجوز ويستحب انتهى فلو صح اذن الشارع فيه واستحبابه ذلك فى هذا الوقت اتبع فاذا عرفت ان قولهم انه بدعة عنده انما هو مبنى على ما زعموا وفهموا من عبارته وان الحق انه انما نفاه من أصله كما عرفت فقد علمت انه لا يصح نسبة ذلك حينئذ للامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه أصلا وعلى تسليم ان الخلاف فى صفته لا فى أصله فلا يصح قولهم ان الجهر به بدعة عنده مع وروده عن كثير من السلف كابن عمر وعلى وأبى امامة الباهلى والنخعى وابن جبير وعمر بن عبد العزيز وابن أبى ليلى وابان بن عثمان والحكم وحماد ومالك وأحمد وأبى ثور عملا بقوله تعالى ولتكبروا الله ولحديث ابن عمر عند الدارقطنى بل الخلاف حينئذ انما هو فى استحباب الجهر وعدمه لا فى كراهته وعدمها وعلى ذلك اعتمد ابن أمير حاج فى شرح المنية وقد روى الطحاوى عن استاذه أبى عمران البغدادى سنية الجهر أيضا عنه فسقط قولهم انه بدعة عنده أخذا من

فقال رضى الله عنه

﴿ومن كان هـذا عن يقين مقامه * فلا يشترى شيأ بـتة ولا يشر﴾

فقد خرج مخرج الغالب اذ هو غالب ما يتعامل به الناس والا فالمراد انه لا يبيع مطلقا ولا يشترى ﴿يقـول﴾ والله أعـلم ومن كان مقامه ما ذكرنا من الورع عن يقين بحيث رسخ فيه قدمه واطمأنت فيه حقيقته وسرى فيه الورع سريان الماء فى الورد والنار فى الفحم حتى صار لا يقدم ولا يحجم الا على حكمه وكان الورع طالباله فلا يمكنه ان يبيع ولا يشترى لقـلة الحلال المحض المطلق ومن باحث عليه مثله قد كاد لا يوجد فلا يجتمع هذه الحالة من يبيع ولا من يشترى ولذلك كان السرى رضى الله عنـه يقول كان أهـل الورع فى أوقاتهـم أربعة حذيفة المرعشى ويوسف بن أسباط وابراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا فى الورع فلما ضاقت عليهـم الأمور فزعوا الى التقلل ومن الاشارة الى قـلة الحـلال المطلق فى زمن السلف فضلا عن زماننا ما ذكره الشيخ أبو طالب رضى الله عنه قال كان وكيع بن الجراح يشدد فى الطعمة فيسئل عن الحـلال فيقرره فيقول الحلال أين وكيف لى بالحلال ثم قال لو سألنا مسترشد عن علمنا فى الحلال لقلنا له كل أصول البردى والق توملك وادخل الفرات وقال أيضا قال بعض العلماء لا أعـلم حلالا لا شك فيه الا ماء الغـدران وما أنبتت الارض غـير مملوكة أوهدية من أخ صالح أو معاملة تثق بصـدق ونصح وقد قدمنا كلام شقيق رضى الله عنـه فى هذا المعنى على قوله فلا تك ممن لا يفارق خبزه ثم اذا أحطت علما بما قررنا وتفطنت لما اليه أشرنا بان لك ان كلام الناظم رضى الله عنـه فى فضـل الورع فى غاية التحرير وانه لم يخلطه بشئ من غيره كما يظهر لبادئ الرأى بل كلما ذكر فيه حسبما يظهر من شرحنا له اما انه منه بوجه واعتبار أو ذكر بالاستطراد والانجرار والشئ قد يذكر فى غير فصله اذا استتبعه المذكور فى محله ولما أنهى الكلام على الورع الذى به تمامه تم الكلام عن الركن الاول وهو التوبة الى الله وصـدق الرجعى والتمسك بحقائق التقوى وكان الورع أول عموم الزهد وخصوص الزهد وكان الزهد هو المكمل للورع أيضا والمصحح له شرع فى ذكره وهو الركن الثانى من الاركان الثلاثة فقال رضى الله عنـه

﴿وقد جاء وقت الزهد أهلا ومرحبا * مكانك بين السحر منى والنحر﴾

الزهد عبارة عن الرغبـة عن الدنيا عدولا عن الآخرة أو عن غـير الله تعالى عدولا الى الله تعالى وحـده وهى الدرجـة العليا وقد أفاد فى هذا البيت والبيتين بعده معنى الزهد الا أنه فى هذا البيت والذى بعـده تكلم على لسان المريد الذى بلغ هذه المنزلة وفى الثالث التفت اليه وخاطبه ووجه حسن هذا الالتفات الى الايماء الى التفرقة بين الزهـد فى المال والزهد فى الجاه وان الاول أسهل عـلى النفس من الثانى بكثير كما شهد بذلك النقل الصحيح والذوق الصريح يظهـر ذلك بتأمل صنيعه حيث جعـله فى القسم الاول قائلا أهـلا بك يا زهد ومرحبا وخاطبه فى الثانى بقوله عليك الصـبر عـلى كذا الا ان اللام فى كلامه يمنى على حسبما يأتى فى اعرابه ولنشرع فى بيان معـنى الالفاظ واعرابها الوقت المقـدر من الدهر وفاعل جاء وقت الزهـد وأهلا معناه وجدت يا زهـد عنـدنا أهلا تأنس بهم ويأنسون بك ومرحبا معناه وجدت مكانا عندنا النزولك رحبا أى واسعا لا نقابلك والسحر بالسكون وبحرك ويضم الرئة ولا يصح هنا الا سكونه للوزن والنحر أعلى الصدر وقيـل موضع القـلادة وقوله مكانك بين السحر منى والنحر جملة من مبتدا وخـبر وهى فى المعنى

هذه المسـئلة بالكلية ولهذا قال الفقيه أبو جعفر والذى ينبغى عندنا ان لا تمنع العامة عن ذلك لقلة رغبتهم فى الخيرات به نأخذ انتهى ولانه صادف محـلا لمجتهد فيه فـلا معنى للانكار فيه وأما منع غير العوام فاغماه ومنع ارشاد الى الاكمل والافضل لاسيما والطريق لست محلا للذكر فالاليق فى حق العلماء السكوت والتؤدة والذكر جهرا مع المشى ينافى ذلك واعلم ان المجتهد اذا نـفى حكما وأثبتـه آخر لا يكون بدعة فمن ذلك الاشارة باليد فى الصـلاة نفاها الامام أبو حنيفة وأثبتها باقى الائمـة لثبوت أدلتها عندهم وعدمها عنده فمن قال ان الاشارة عنده مكروهة أو بدعة يخشى على فاعلها الكفر فقد نادى على نفسه بالجهل بل الثابت عنـه النفى فقط لعدم ثبوت أدلتهـا لا لما ذكروا ولهذا ان أصحابنا عمـلوا بها موافقة لباقى الائمة لما تحققوا أكثر أدلتها وقـد صنف الملا على القارى فى ذلك ورواها أيضا عن محمـد فى موطئه واعـلم انه أفاد كلام الفقيه أبى جعـفر ان العوام لم يمنعوا من الذكر جهـرا لا يذكرون الله رأسا فاذا كان هذا فى يوم سرورهـم فكيف فى يوم بؤسهم وذكر الله محبوب فى كل الاوقات فالمانع مـن ذكر الله جهرا مانع للعـوام من ذكر الله رأسا والعلماء مأمورون بارشاد العباد الى معالم الاسـلام واظهار شعائر الدين فى سائر الايام فالمانع داع الى عـدم ذكر الله من العوام وقد قال تعالى قل هـذه سبيلى أدعو الى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعنى وقال صلى الله عليه وسلم انما شـرعت المشاعر وجعلت المناسك لاقامـة ذكر الله وكل داع الى عـدم ذكر الله مبتدع ولا تغتر بما ذكره ابن الهمام فى باب العيد من انه بدعة فانه قد وردت أحاديث فى باب ادراك الفريضة صريحة فى ثبوت الجهر عن النبى صـلى الله عليه وسـلم وأصحابه منها ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهـم انه قال ان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية بالتكبير وكانه ذهل عن

تاكيد

تأكيد لما أفادته الجملة التي قبلها من الفرح بقدوم الزهد واقباله لان المجعول بين السحر والنحر في الحس هو المتلقي بغاية الفرح الذي كان القلب شديد التعطش الى قدومه وبين السحر والنحر الجناس المضارع لاختلاف الكلمتين بحرف واحد فقط مع تقارب المخرج لان النون من طرف اللسان وما يلي ذلك من أزل الاضراس والسين من رأس الاسنان وبين الثنايا ويقع في بعض النسخ مكانه بضمير الغائب مكان كاف الخطاب ولا فرق لان الكلام مع الكاف يكون فيه الالتفات لان قوله وقد جاء وقت الزهد من أساليب الغيبة وأما أهلا ومرحبا فهما قبلان الخطاب والغيبة ويفسران بما يليق بالكلام من ذلك ﴿يقول﴾ والله أعلم وقد جاء وقت الزهد وحان أوانه لاحكامي الركن الاول وبلوغي في الورع الى ترك الكل والاقبال على الله وصرف الرغبة اليه فقد وجدت أيها الزهد أهلا للنزول وصادفت سعة في القلب اتهيئه انزولك باحكام التوبة والتمسك بحقائق التقوى منزلتك عندي أيها الزهد لها خطر وشرف وقلبي قد أقبل بكليته عليك وصرف وجه رغبته اليك وقد وجدتني في غاية التهيؤ اليك ونهاية النشاط الى الاخذ فيك بالعمل بحيث أفعل ماذكره اذ قال رضي الله عنه

﴿خلوت عن الاملاك طرا فلا أرى * أميل الى ملك ولو كان ذا خطر﴾

خلوت فرغت والخلو عن الاملاك الخروج عنها حسا وقد قدمنا ان البيت على سبيل الترجمانية وعن الاملاك متعلق بخلوت والاملاك جمع ملك بالكسر اسم لما يدخل تحت التصرف وطرا أي جميعها وهو حال من الاملاك وقوله فلا أرى مبني للمجهول يحتمل أن يكون معناه فلا أظن ولا أوجد مائلا الى كذا فيكون النائب ضمير المتكلم وأميل الخ مفعوله الثاني وهو على هذا من أفعال اليقين ويحتمل أن يكون معناه فلا أراني على انها من أخوات ظن حذف مفعولها الاول وهو ياء المتكلم وأميل الخ هو الثاني وبين الاحتمالين في المعنى اختلاف يدل على اختلاف القائلين فالقائل لهذا الكلام على المعنى الاول مشاهد تصريف الحق مأخوذ عنه فيما نزل به فان فتح له بعد ربما وجه بالحذف والقائل له على المعنى الثاني قائم بحق الادب لم يتحكم على الحق حيث عبر عما طنه في نفسه ولم يجزم فان فتح له بعد ربما وجه بالسير والسلوك والى ملك متعلق بأميل ولو كان ذا خطر اسم كان ضمير الملك وذا خطر خبرها وخرجت حسا عن الاملاك الشرف ﴿يقول﴾ والله أعلم خلوت وخرجت حسا عن الاملاك جميع المعروفين بحيازتها وتبقى خستها وانها الاتقاء لها فلا أرى مع ذلك ولا أظن ولا أوجد أو فلا أظنني أميل وافزع وأجنح الى ملك من الاملاك ولو كان ذا خطر وبال أولا أراه ان عرض الا من أعظم الوبال وأصل البيت قوله في العوارف قال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع ونحوه وقول الشيخ أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال له معنيان ظاهر وباطن فالظاهر نفض ما في الايدي من الاملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود المعروف والانصراف عن ذكر ذلك فاذا تحقق بذلك رزقه الاشراف على الآخرة والنظر اليه بقلبه فحينئذ يجد في العمل بتقصير الامل لان الاسباب عن قلبه منقطعة وحقيقة الزهد قد حصلت الى قلبه فامتلأ من الذكر الخالص لربه عز وجل فكذلك نقول ان الزهد يكون عن حقيقة الايمان وان المشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد ثم تستوي الاشياء عنده ويستوي عدمها ووجودها ومعه يكون استواء المدح والذم لاستواء قلبه في المشاهدة كما رأينا في خبران

ذلك في باب العيد واستدلاله بالآية لا يصح كما ستعرف ذلك وقد تقدم أيضا ومما يدل على ان المحل المجتهد فيه الذي ثبت الاختلاف فيه بين الائمة ان من أتى بما يخالف مذهبا اذا علمه موافقا لمذهب آخر لا يكون مبتدعا وهذا ما قاله أصحابنا من انه لا يمنع العوام من الصلاة عند طلوع الشمس لانهم لو منعوا التركوها رأسا وقد ورد من أدرك ركعة من الصبح فقد أدرك الصبح رواه البخاري وغيره وعمل به الشافعي رضي الله تعالى عنه وترجح عند الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه خلافه ولو كان بدعة لمنعوه ولان البدعة الضالة لا يقر عليها أحد أصلا مع ان الصلاة في هذا الوقت حرام عند الامام ولكن لما أجازها الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في هذا الوقت ترجح الحديث عنده على غيره فلا يكون فاعلها مبتدعا وفي هذا القدر كفاية من هداية من أنكر الجهر بذكر الله الاكبر للفاضل العلامة الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي الحنفي ﴿المقصد الرابع﴾ فيمن قال من أصحابنا بجوازه فمن قال بذلك الشيخ العلامة علي بن أحمد الفوري ذكره في شرح الاوراد للشيخ نور الدين عبد الرحمن الايجامي قدس سره قال قال في عمدة الابرار ذكر في مجموع النوازل والفتاوى الخانية والحامية والسراجية والصغرى والملتقط والتجنيس والمزيدان قراءة القرآن بصوت رفيع في الحمام يكره وبصوت خفي لا يكره ولا يكره التسبيح والتهليل وان رفع صوته قال الجامع هو صاحب عمدة الابرار عصمه الله تعالى معلوم ان الحمام لا يخلو عن القاذورات وما يشا كلها غالبا وقد يكون أحد مكشوف العورة فيه فاذا جاز التسبيح والتهليل فيه بصوت رفيع مع هذه الاشياء فلان يجوز في المساجد والبيوت والزوايا والخلوة في مكان طاهر كان أولى يؤيده ما ذكره الفقيه الزاهد أبو الليث في التنبيه ان ما يحرم في المسجد خمسة عشر وعد رفع الصوت فيه بغير ذكر الله تعالى وفي بستان القاري في باب الاذكار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر مع أصحابه بالاذكار والتهليل

والتسبيح بعد الصلاة وذكر في عقيدة أبي النجيب السهروردي أن المراد بقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي الجهر بالذكر انتهى
وهؤلاء الذين نقل عنهم كلهم من المحققين ومنهم الامام قاضي خان والامام صاحب الهداية ودل كلامهم ان دائرة سائر الاذكار أوسع
من دائرة القرآن لحرمته على الجنب والحائض والنفساء وكراهته في الحمام وعدم حرمة سائر الاذكار وكراهتها

عليهم فاذا جاز الجهر بقراءة القرآن فلان يجوز بسائر الاذكار أولى لان أفضل الاذكار كتاب الله وقد ذكر المفسرون تسبيح الطيور ونطقها بالاذكار عند قوله تعالى وعلمناه عن حكاية نبيه سليمان عليه السلام منطق الطير فاذا كان البهائم التي هي من غير العقلاء ترفع صوتها بذكر الله فالانسان أولى بذلك وسيأتي ان جميع الموجودات ناطقة بذكر الله تعالى ماعدا كفرة الجن والانس وأما الذين جوزوه من علماء السادة الحنفية من المتقدمين والمتأخرين فكثيرون لا يحصون منهم الشيخ العلامة الفاضل محمد بن عثمان البلخي مصنف الوافي في علم النحو وله شرح اسمه المنهل في غاية التحقيق وله عين العلم الذي لم تكتحل عين الزمان بمثله أشار في مواضع الى أن ذكر الجهر جائز وان فائدته متعدية وهو من أكابر العلماء الحنفية ومنهم العلامة المحقق ابراهيم ابن محمود الاقصرائي الحنفي الشاذلي المواهبي فانه ذكر ذكر اللسان في شرح الحكم العطائية فهذا كما ترى قد نص على جوازه في شرح كنز العباد وفي عمدة الابرار وفي مجموع النوازل وفي الفتاوى الخانية والحسامية والسراجية

والصغرى والملتقط والتجنيس والمزيد والامام حافظ الدين والامام شمس الائمة الحلواني وجمع من العلماء وسيف الدين الميداني والاصفهاني والاحاجي وصاحب عين العلم والاقصرائي والقاري في بستانه وغيرهم ممن ذكرنا وغيرهم وبعض هؤلاء ممن جمع بين الشريعة والحقيقة وبعضهم من أكابر علماء الظاهر ممن يرجع اليه في تحقيق

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف استوى قال يستوي عندك المدح والذم فهذا يكون بسقوط قدر النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها يسقط الرياء وتثبت الاخلاص اه واعلم انا أشرنا بالخروج عن الاملاك حسا الى ماعليه علماء الباطن كالجنيد وسهل وأبي يزيد وشقيق ونظرائهم رضي الله عنهم من انه لا يكون الزاهد زاهدا حتى يخرج عن الشيء المزهود فيه بظاهره وباطنه ومن مالم يخرج باحدهما فهو راغب فلا بد اذا للمريد من اخراج لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة بتفريق المال واخراجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته ليتجرد همه ويجمع على الله قلبه ومادام يبقى له درهم يلتفت اليه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وسوف يجره ذلك عن قريب الى ماخرج منه اذا لم يبالغ في مجاهدته وصرفه ويخرج عن الجاه بالبعد عن الموضع الذي حصل له فيه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أمور وأعمال مباحة تنفر قلوب الخلق منه ومالم يستو عنده قبول الخلق وردهم لا يجيء منه شيء حتى اذا احكم به أعنه وتجوهرت نفسه بالزهد والفقر لله تعالى بظاهره وباطنه والخلق التام عن غيره تعالى وتمكن من حاله وصار يغلب ولا يغلب ويفترس ولا يفترس وتكمل نوره وتطهر سره وفنيت ارادته واختياره وصار مع ارادة الله تعالى واختياره وأخذه الحق عنه وعزله عن صفات نفسه فحينئذ ان فهم عن الحق باشارة الهمة تحمله وتظهره على الخروج للخلق أو الى الدخول في السعة والتلبس بشيء من الدنيا كان في ذلك بالله لا بنفسه مؤيدا منصورا وصار كيفما تقلب زاهدا وان رغب في الصورة فليس ذلك برغبة في نفس الامر لانه بالحق لا بنفسه ولا يزال يقع الانكار في كل عصر من الذين يجهلون هذا الاصل على مشايخ عصرهم كما وقع للشيخ أبي مدين والشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما لانهم يرون انهم خلوا من حقيقة الزهد لتلبسهم بالدنيا ويلزمهم أن ينكروا على جميعهم بل وعلى غيرهم ماهم فيه من الجاه بتعظيم الخلق لهم وقدومهم عليهم لان الجاه من أكبر أبواب الدنيا والزهد فيه أعظم من الزهد في المال حسبما يأتي لان الاموال تبذل في استئصال القلوب وملكها وهو الذي حصل لهم والتحقيق في ذلك ما أطلناه وهو ان العبد اذا فني عن مراده واختياره وصار معزولا عن نعته ووصفه منقطعا عن نفسه ليس عليه اعتراض في شيء من ذلك ولا في غيره لانه بارادة الله واقامته فيه لا بنفسه وقد قال في العوارف بعد كلام في تفضيل الصوفي على الفقير والزاهد وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار امنه وارادة والاختيار والارادة علة في حال الصوفي لان الصوفي صار قائما في الاشياء بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضله في صورة فقر ولا في صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن الله ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان اذن من الله فيه ولا يسمع في السعة والدخول فيها للشادين الا بعد احكام مهم علم الاذن وفي هذا مزلة الاقدام وباب دعوى المدعين ومامن حال يتحقق به صاحب الحال الا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم أن الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول الى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر قال الجنيد التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه في الاشياء بالله لا بنفسه

والفقير

المذهب ولو كان عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بدعة لما أجازوه لمن كان له نية صحيحة وآخرهم سيدي الشيخ العارف بالله تعالى مصطفى بن كمال الدين الصديقي الخلوتي الحنفي والعارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي وأما ما نقله صاحب البحر عن قاضي خان فلا يصح لأن المذكور فيها ما قدمناه والذي هو بدعة عنده إنما هو

التكبير أيام العشر وما نقله صاحب القنية وإن في السنة غنية وما أتى من الأحاديث الصريحة الدالة على جوازه وفضله ما في الكفاية على أنه يمكن حمل كلامه على أن الاخفاء أفضل والجهر فيه فضيلة لأن كلمة لا بأس قد يطلقونها على ما هو خلاف الأفضل لا المكروه تنزيها ويدل عليه قوله والاخفاء أفضل كيف وقد نص أصحابنا على أنه يستحب الجهر بالبسملة حال الأكل ليسمعه غافلا فيسمي وقد جعلوا الكلام على أقسام وعدوا الكلام بذكر الله وتسبيحه من الكلام المستحب والمتبادر من الكلام والغالب الجهر فيه الجهر به وقد كرهوا اعتكاف الصمت وقالوا يستحب الاشتغال بتلاوة القرآن أو التهليل والتسبيح وغيرهما من أذكار أو قراءة علم الحديث أو الفقه أو التفسير أو غيرها من العلوم الدينية وكتب الرقائق ومذاكرة أحوال الأولياء والصالحين الذين عند ذكرهم تتنزل الرحمة وبذكرهم تنشرح الصدور ويرغب في الطاعة وقد ذكر ابن بطال عن بعض العلماء أن الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال المطهرين من الجرائم والمعاصي العظام فلا يظن أحد أن من أدمن على الذكر وأقدم على ما يشاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أن يلحق بالمطهرين ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس له دين قوي ولا عمل صالح انتهى قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وأما الصوفي أو المتشبه فلا انكار عليهم لأنهم داعيان إلى الله تعالى قال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل

والفقير والزاهد مكنونان في الأشياء بنفسيهما واتفقا مع إرادتهما المجتهدان مبلغ علمهما والصوفي منهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن إلى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه انتهى وهذا الذي ذكر هنا هو حقيقة ما ذكر في الزهد إذ قال وقال بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم وعندي أن الزهد في الزهد غير هذا وإنما الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد لأن الزاهد اختار الزهد وأراد وإرادته تستند إلى علمه وعلمه قاصر فإذا أقيم مقام ترك الإرادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله حينئذ أو يعلم أن مراد الله منه التلبس بشيء من الدنيا فيما يدخل بالله في شيء من الدنيا لا ينقص عليه زهده فيكون دخوله في الشيء من الدنيا بالله وبإذن منه زهدا في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها أن يتركها بالله وإن أخذها أخذها بالله وهذا هو الزهد وقد رأينا من العارفين من أقيم في هذا المقام وفوق هذا مقام آخر في الزهد وهو لمن يرد الحق إليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه في مقام البقاء فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعيدت إليه موهبة ويكون تركه للدنيا في هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينئذ تأسيا بالأنبياء والصالحين ويرى أن أخذها في مقام الزهد رفق أدخل عليه لموضع ضعفه وترك شأن الأقوياء من الأنبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس لتدبير سوسه صريح العلم وهذا مقام التصرف لأقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا أولا بالله وقال في موضع آخر بعد كلام وإذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختياره من اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتي بها وقتا ويسمح للنفس وقتا لأنه مختار صحيح في الاختيار في الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر ويستقيم يشاكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل وينام كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل إني عزمت أن لا آكل اللحم قال كل اللحم فإني آكل اللحم وأحبه ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لأطعمني وهذا يدلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختارا في ذلك إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل وكان يترك اختيارا وإلى هذه الأقسام الثلاثة في الزهد أشار الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله

فلم يدن منها موسر باجتهاده * وعنها بها لم ينأ مؤثر عسرة
بذلك جرى شرط الولا بين أهله * وطائفة بالعهد أوفت فوفت
متى عصفت ريح الغنى قفت أخا * غنى ولو بالفقر هبت لربت
وأغنى يمينا باليسار جزاؤها * مدى القطع ما للوصل في الحب مدت

وإذا فهمت ما تلوناه عليك علمت حال الصحابة الذين كانت الدنيا في أيديهم كعثمان وعبد الرحمن والزبير وعمر بن الفاروق رضي الله عنهم ومن بعدهم من الأكابر وأنهم إنما أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين فكانت في أيديهم لا في قلوبهم وتصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين وامتثلوا أمر الله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه كما حقق ذلك الشيخ تاج الدين رضي الله عنه في تنويره وأوضح فيه المعنى الذي يكون به الطالب للدنيا مذموما ووضح التدبير المذموم وغيره وقال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله تعالى عنه حكم التابع لحكم المتبوع فيما يتبعه فيه وإن

كان المتبوع أفضل وقد كان أهل الصفة فقراء فى أول أمرهم حتى كانوا يعرفون بأضياف الله ثم كان منهم الغنى والأمير والمتسبب والفقير لكنهم شكروا عليها حين وجدت كما صبروا عنها حين فقدت بل يخرجهم الوجد عما وصفهم مولاهم به من انهم يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه كما انهم لم يمدحوا بالفقدان بل ارادة الملك الديان وذلك غير مقيد بفقر ولاغنى وبحسبه فلا يختص التصوف بفقر ولاغنى اذا كان صاحبه يريد وجه ربه فافهم اهـ وما يذكر فى كتب الوعظ والتذكير على سبيل التقبيح للدنيا او التنفير عنها من أنه روى فى حق صاحب السابقة العظيمة احد العشرة المشهود لهم بالجنة من قال فيه الفاروق لو وزن ايمانه بايمان الناس لرجحهم وهو عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والأنصار يدخلونها سعيا ولم أر احدا من الأغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فاعلم ان هذا الحديث وما فى معناه على تقدير ثبوته لا اشكال فيه فان الأمور تختلف باختلاف المقامات وتتفاوت لتفاوت الحالات وكثير من حسنات الأبرار يعد سيئة عند المقربين الأخيار ورياء العارفين أتم من اخلاص المريدين فكذلك حبو هذا الامام الصدر الهمام ليس على حقيقته من الدب على الاليتين واليدين بل ما عد حبوا فى حقه أخف وأسرع من طيران الصقر فى حقنا وان شئت قلت الطيران فى حقنا ابطأ واثقل مما عد حبوا فى حقه ولك ان تجعله من باب التصوير والتمثيل وهو ابراز المعانى العقلية فى الصور الحسية لسبب اقتضى ذلك كقوله لما خلقت بيدى وقوله تعالى يوم يكشف عن ساق وغير ذلك من الآى والأحاديث التى صرح بها علماء المعانى والبيان انها من باب التمثيل وذلك انما كان بيده وان كان على سبيل العارية المحضة وهو يتصرف فيه تصرف الوكيل الأمين المنتظر العزل كما يدل على ذلك خروجه رضى الله عنه عن سبعمائة بعير كلها موقورة الأحمال وغير ذلك من أفعاله وحسن أحواله لكنه أبطأ به شيأ ما عن السير فى مقدمة جيش أمثاله من أهل السابقة فى الاسلام فعبر عن هذا المعنى بالحبو على ان هذا البطء لم يكن بطء اهانة وتحريف بل بطء رفعة وتشريف بقدر ما بين فعله فيما كان بيده كما يشير لذلك بعض الأخبار الواردة فيه ليظهر شرفه ويتبين مكانته ومنزلته كيف صبر على غاية السراء وقام بحقوق الله فيها أتم القيام كفى شاهدا على فضل الصبر الحسن فانه صبر مع قدرة كما قدمنا وانما عبر بهذا التركيب المفجع دون غيره من التراكيب المؤدية لذلك لأنه قصد به التنفير عن الدنيا والتقبيح لها والتسلى عنها والأمر الأخروى كما قدمنا عظيم جدا فلذلك اذا جىء فيه لجانب التخويف والتحذير هكذا يعبر بعبارة تكاد ان تقطع دابر الرجاء من أصله ثم بعد كتبى هذا وجدت بحمد الله ما يؤيد ما أولناه به من التمثيل من كلام الامام أبى حامد رضى الله عنه قال دقيقة اذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فلا تظن انه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه فى يقظته كما يراه النائم فى نومه وان كان عبد الرحمن مثلا قائما فى بيته بشخصه فان النوم انما أثر فى أمثال هذه المشاهدة لقهر سلطان الحواس على النور الباطن الالهى فان الحواس شاغلة وجاذبة الى عالم الحس وصارفة وجهها على عالم الغيب والملكوت وبعض الأنوار النبوية قد يستعلى ويستولى بحيث لا تستجره الحواس الى عالمها ولا تشغله فيشاهد فى اليقظة ما يشاهد غيره فى المنام ولكنه اذا كان فى غاية الكمال لم يقصر ادراكه عن بعض

صالحا وقال اننى من المسلمين وبان لك انه عند أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم جائز اذا كان لصاحبه نية صحيحة لان المدار على الاخلاص وحسن النية فاذا كان يخاف على نفسه الرياء فهو المخاطب بقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا والحاصل ان المقصود الاعظم جمع القلوب على الله تعالى باى وجه كان سواء كان بذكر اسرا أو الجهر ولهذا بعض المشايخ اختار السر على الجهر كالنقشبندية رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين وبعض المشايخ اختار الجهر رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم وأما الشاذلية فان عندهم والحمد لله الذكر الجهرى والذكر السرى لانهم على سنن من كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه صلى الله عليه وسلم وعندهم لكل وقت ذكر المدار على عمارة الاوقات والساعات واللحظات بذكر الله تعالى اذ هو أقرب الطرق الى الله تعالى وأحبها اليه وأفضلها عنده سبحانه وتعالى جعلنا الله تعالى من المستغرقين فى ذكره الهائمين بحبه العاشقين لجماله المتلذذين بمناجاته فى حضرة مشاهدته واقترابه ووصاله بجاه حبيبه ونبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم آمين ﴿وهذه الفتاوى المرضية﴾ لعلماء الملة الاسلامية فى جواز ما يفعله السادة الصوفية ﴿سئل﴾ العلامة خاتمة المحققين شيخ الاسلام الشيخ خير الدين الرملى رحمه الله تعالى عما اعتاده السادة الصوفية من حلق الذكر والجهر به فى المساجد فى جماعة ورثوا ذلك عن آبائهم واجدادهم وينشدون القصائد الصادرة من ذوى المعارف الالهية كالقادرية والسعدية والمطاوعة ممن سلم لهم فقهاء الملة المحمدية ويقولون يا شيخ عبد القادر ويا شيخ أحمد يا رفاعى شئ لله ونحو ذلك ويحصل لهم فى أثناء الذكر وجد عظيم وحال يقعدو يقيم فيرفعون أصواتهم بالذكر فيطويهم الحال وينشرهم المقال ولا يخلو من ذلك من حضور ناس عوام يحصل منهم اللحن عند القيام وقصدهم ذكر الله المهيمن العلام

الصورة

الصورة المبصرة بل عبر منها الى السر فاذا كشف له الاواز الاعمان جاذب الى عالم الأعلى الذى يعبر عنه بالجنة والغنى والبر وجاذبه الى الحياة الحاضرة وهى العالم الأسفل فان كان الجاذب الى استعمال الدنيا أقوى أو مقاوما لجاذب الآخرة صده عن السير الى الجنة وان كان جاذب الاعمان أقوى أورثه عسرا او بطأ فى سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو وكذلك تجلى له الأنوار والأسرار من وراء زجاجات الخيال ولذلك لا يقتصر فى حكمه على عبد الرحمن وان كان أيضا لا مقصورا بل يحكم به على كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته كثرة تزاحم الايمان ولكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فبهذا يعرفك كيفية ابصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم من وراء الصور والأغلب أن يكون المعنى سابقا الى المشاهدة الباطنة ثم يشرق منه على الروح الخيالى بصورة موازنة للمعنى فذلك مثاله وهذا النمط من الوحى فى اليقظة فيفتقر الى التأويل كما انه فى النوم يفتقر الى التعبير وقوافع منه فى النوم نسبة أعظم من ذلك ولكن نسبته اليه نسبة الواحد الى الثلاث فان الذى انكشف لنا من الخواص النبوية تنحصر شعبها فى ثلاثة أجناس وهذا واحد من تلك الاجناس اه على ان هذا الحديث قد طعن فيه الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضى الله تعالى عنه وقال الحافظ الزين العراقى فى تخريجه أحاديث الاحياء انه ضعيف وقال فى محل آخر رواه أحمد مختصرا فى كون عبد الرحمن بن عوف يدخلها حبوا دون فقراء المسلمين والمهاجرين وفيه عمارة بن زياد مختلف فيه وقال أيضا فى الحديث الذى روى أنه قال له اما انك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى وما كدت أن تدخلها الا حبوا رواه البزار من حديث أنس باسناد ضعيف وقال أيضا فى الحديث الذى رواه الحاكم أنه قال يا ابن عوف انك من الأغنياء وان تدخل الجنة الا زحفا ضعيف وقال فى الحديث الذى رواه الطبرانى فى الأوسط آخر الانبياء عليهم الصلاة والسلام دخولا فى الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه فيه نكارة (ثالث) نخرج من هذا ان تلك الأحاديث الواردة فيه كلها ضعيفة ومن نقلها من الأئمة على ظاهرها فانما ذلك لقصد التنفير كما مر وليته نزه عن ذلك بغير هذا وأمثاله ولله در الشيخ تاج الدين رضى الله تعالى عنه حيث قال فى أحد جوابيه فى تنزيه عن قوله تعالى فى حق الصحابة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ان للسيد ان يقول لعبده ما شاء وعلينا ان نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه فليس كل ما خاطب السيد به عبده ينبغى أن نثبته للعبد ولا نخاطبه به اذ للسيد أن يقول لعبده ما شاء تحريضا لعبده وتنشيطا لهمته وقصده وعلينا ان نلتزم حدود الأدب معه الى آخر كلامه ومن هذا القبيل قول الامام الشافعى رضى الله عنه فى بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لها شرف تكلم فيها فقال لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعت يدها قال الشيخ تاج الدين السبكى رضى الله عنه فانظر الى قوله فلانة ولم يبح باسم فاطمة تأدبا منه ان يذكرها فى هذا المعرض وان كان أبوها صلى الله عليه وسلم قد ذكرها لانه يحسن منه ما لا يحسن منا اه وقد جرى على هذا الأدب الامام أبو داود رضى الله عنه فى سننه فانه أخرج فيه حديثا فيه شئ يتعلق بعبد المطلب فلما انتهى الى آخره قال فذكر تشديدا ولم يصرح بشئ ورحم الله الشيخ أبا عبد الله بن عباد رضى الله عنه حيث قال لما ذكر بعض المفسرين عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه فى نحو هذا المعرض المتقدم

يدخلون الذكر بنية صالحة ورغبة واضحة ﴿فأجاب﴾ بقوله اعلم أولا من القواعد المشهورة التى فى كتب الأئمة مقررة مذكورة ان الامور بمقاصدها والشئ الواحد يتصف بالحل والحرمة باعتبار مقصده وهى مأخوذة من الحديث الذى رواه الشيخان البخارى ومسلم انما الاعمال بالنيات ومدار غالب أحكام الاسلام عليه كما نص عليه العلماء الى أن قال حقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها الا كل ذى نفس جاهلة غبية ثم رأيت بعد مدة من افتائى هذا سؤالا رفع للشيخ أبى الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام من كبار أئمة المالكية شيخ الاسلام الدمشقى الدار رحمه الله تعالى ﴿وصورة السؤال﴾ ما قول سادتنا العلماء أئمة الهدى ومصابيح الدجى أيد الله تعالى بهم الدين وقمع بهم الجهلة والمفسدين ونفع بعلومهم المسلمين فى رجل يزعم أنه حنفى حضر مجلس حاكم شرعى وادعى على جماعة من الصوفية انهم يذكرون الله تعالى قياما ويرقصون ويتغنون وقال هذا حرام أفتيت بتحريمه وطلب من الحاكم المشار اليه منعهم من ذلك فاجاب الجماعة المذكورون بأنهم جماعة صوفية وذلك جائز عندهم فطلب الحاكم الشرعى المشار اليه فتوى من أحد السادة الشافعية فحضر الى مجلسه رجل من أهل العلم والافتاء شافعى فاخبر الحاكم بجواز ذلك فى مذهب الشافعية وقال يستثنى من الرقص الذى يشبه حركات المخنثين فان ذلك حرام وان الانشاد المشتمل على تنزيه الرب وتقديسه ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والترغيب فى الجنة والترهيب من النار وما يحصل الشوق المطلوب شرعا فكل ذلك جائز فاجاب الشخص المنكر المذكور بقوله هذا الذى ذكرته باطل وقد كفرت بهذه الفتوى وطلقت زوجتك فهل ما قاله المنكر صحيح أم باطل وهل هو مصيب فى الانكار أم مخطئ وماذا يترتب عليه فى تكفيره لهذا المفتى الشافعى من الاحكام الشرعية وهل يكون بمقالته هذه وانكاره قادحا فى كثير من أئمة الدين كالشافعى ومالك ونحوهما

وطاعنا على السلف الصالح ومكفرا الكل من قال بجواز ذلك من المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والصوفية وغيرهم وهل لولاة الأمر وعلماء المسلمين وصلحائهم مناقشة هذا المنكر على ماقاله ومقابلته على ماتفوه به ويثابون على ذلك الثواب الجزيل ﴿فاجاب﴾ رحمه الله تعالى الحمد لله

اللهم وفقنا للصواب ان ماصدر من هذا المنكر المذكور والمجازف المغرور من تحريم المباح وتكفير أهل العلم والصلاح أمر شنيع وقول فظيع لا يصدر مثله من عاقل ولا يتفوه به لبيب فاضل لخروجه فى ذلك عن القواعد العلمية وعدم رجوعه الى الضوابط الفقهية اذ من شرائط انكار المنكر معرفة مذهب المنكر عليه لاحتمال أن يكون ذلك الفعل جائزا لديه فيصير الانكار منكرا والقائل به من أى المذاهب كان مزورا فلا يسوغ الانكار فى الفروع المختلف فيها الا مع اتحاد المذهبين فى فروع الفقه والأصلين والمعرفة التامة بالحكم الشرعى فى تلك الجزئية وما يندرج تحته من قاعدة كلية ليكون المنكر على بصيرة والمنكر عليه فى وجوب الامتثال على تبصرة قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وقال تعالى ولا تقف ماليس لك به علم الآية فلا يقدم على التنكير الا عالم نحرير متسع الرواية والاطلاع عارف بالخلاف ومراتب الاجماع لاسيما فى مسئلة السماع فانها دقيقة المغزى بعيدة المرمى واسعة المجال شاسعة المنال قد اضطربت فيها أقوال السلف واختلف فى تقريرها أئمة الخلف حتى عدها بعض العلماء من المسائل التى الى الآن لم تحرر وأكثر البحث فيها وتكرر كما صرح به غير واحد من المحققين ﴿وهذه صورة ماأجاب﴾ وبها به العلامة الشيخ عبد الحى الشرنبلالى الحنفى حيث قال الحمد لله الذى منح الصواب نعم الطريق الشيخ محمد دمرداش وخليفته الشيخ كريم الدين الخلوتى أصل ثابت فى السنة من فعل سيدنا على وجعفر وزيد بن ثابت رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وصرح به

وساقه مساقا قبيحا قال انى بامر مستثقل جدا يكاد انقله يتمزق الكاغد الذى فيه رسم ويتكسر القلم الذى به كتب ورقم اه ولاشك ان ذلك حط من مرتبته واذاية له وقد روى الترمذى وابن حبان فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك ان يأخذه ومن المتفق عليه حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وسبب وروده أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضى الله عنهما شئ فسبه خالد فقال النبى صلى الله عليه وسلم وذكره ومثل هذا يقال وان كان المقول له صحابيا تنبيها على حفظ الصحابة عن ذلك ونهيا للفاضل ان يتعرض للافضل الذى تقدمه بشهود المواقف الفاضلة فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى وقد نص هذا الحديث بعض المحدثين بمن طالت صحبته وقاتل معه وأنفق وهاجر كعبد الرحمن الوارد بسببه ولكن العبرة انما هى بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما ذهب اليه الأكثر وصححه عياض هنا ولله در الشيخ أبى محمد بن أبى زيد رضى الله عنه حيث قال فى باب ماتنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من رسالته ان لا يذكر أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم الا بأحسن ذكر والامساك عما شجر بينهم وانهم أحق الناس ان تلتمس لهم المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب ولما ذكر النوع الأول من الزهد وهو الزهد فى المال أشار الى النوع الثانى منه وهو الزهد فى الجاه والرياسة فقال رضى الله تعالى عنه

﴿لك الصبر عن حمد الورى ولك الثنا ٭ ولا خير فى عز يفارق فى الحشر﴾

الحمد والمدح لغة أخوان وهما الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته والورى الخلق واللام المصدر بها البيت بمعنى على كقوله تعالى ويخرون للاذقان أى عليها وعلى من ألفاظ الوجوب فالمعنى ويجب عليك بشرع الطريقة الصبر عن حمد الورى وانما عبر باللام الدالة على الملكية لضرورة الوزن مع الايماء الى أن المتصف بما تقدم من المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والورع والزهد فى المال يسهل عليه الزهد فى الجاه ويصير طوع يده كانه من جملة خدمه كذلك كما تقدم فى البيت قبله من كلام الشيخ أبى طالب رضى الله تعالى عنه والصبر مبتدا وخبره فى المجرور قبله وعن حمد الورى متعلق بالصبر وقوله ولك الثنا فيه احتمالات الأول ان تكون الكاف زائدة واللام بمعنى عن وكلا ذلك عربى جائز فى اللسان فالمعنى عليك الصبر عن الحمد وعن الثناء وهو الأنسب بما يأتى فى العوارف الثانى أن تكون اللام بمعنى من وهو عربى أيضا والكاف غير زائدة والمعنى يجب عليك الصبر عن حمد الورى وطلب منك الثناء عليهم فى محله والا تبغضهم لعدم حمدهم لك لرؤيتك ذلك من الحق سبحانه الثالث أن تكون اللام على بابها والكاف فى موضعها أيضا ويكون المعنى عليك الصبر عن حمد الورى ولك الثناء من الله على ذلك الصبر فيكون موافقا لما بعده فى المعنى أى يكون هو وما بعده تنشيطا للمريد واحثا له كى تتى عزمه ان تصعد عقبة هذا الصبر وتقوية لكامل همته على حمل أعبائه ثم قوله ولك الثنا أصله المد ولكن لما كان فى محل الوقوف وهو نصف البيت قصره على لغة من يقف على الممدود كذلك

وبها أخذ حمزة وهشام من القراء وقوله ولاخير لأواسيها وفي عز خبر داو بنارق في الشعر صفة لعز ويصح في راء بفارق الفتح والكسر اسم فاعل ومفعول لان من فارقك فقد فارقته

(يقول) والله أعلم يجب عليك الصبر أيها المريد عن حمد الورى لك وعن ثنائهم عليك بحيث تفر من أسباب ذلك ما أمكنك وتعاملهم بنقيض مقصودهم حتى تخلص منهم ومن ثنائهم أو يطلب منك الثناء عليهم في محله وان تكرههم لعدم حمدهم لك أو ولك الثناء من الله على صبرك عن حمدهم لك كما وردت بذلك الأخبار وشهدت بوجدانه قلوب الاخيار كل ذلك بحيث له كلامه على انك ان تنبهت وفتحت عيني قلبك رأيت انه ليس هنالك ما يصعب عليك من تمرزك ترفعك بحمدهم لك أمر يفارقك بنفس مفارقتك الدنيا أو قبل ذلك لان الدنيا لها انقلاب وأحوالها تدور كدوران الدولاب ووسائلها تذهب سريعا كمر السحاب وتذهب ويبقى الحساب والعاقل انما يلتزم صحبة من يدوم ويوجعه كل شيء يوجعه وان دخل قبره دخله معه وليس ذلك الا الاتيان بما أمره به مولاه من الطاعات والانتداب لما ندبه اليه من نوافل الخيرات ويقنع بحمد الله له وثنائه عليه ويكتفي بعلم الله به عن حمد الخلق له وثنائهم عليه وعلمهم به وغير ذلك من الترهات والحاصل لاخير في صحبة من يخونك أحوج ما تكون اليه ويفارقك بين الوقوف بين يديه ويسلمه يوم العرض عليه وأصل البيت قوله في العوارف في موضعين الاول قال فيه والصبر عن محمدة الناس والصبر عن الخمول والتواضع والذل داخل في الزهد وان لم يدخلا في التوبة وكل ما فات في مقام التوبة من المقامات السنية والاحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الاربعة التي ذكره والثاني قال فيه وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء انتهى ومن الزهد في الجاه الزهد في كثير من العلوم التي أولع بها الخلق لانها تزيد في جاههم وترفع عند الخلق من قدرهم ثم هي منها ما يرجع الى الظاهر وهو كثير ومنها ما يرجع الى الباطن كحال كثير من المنتسبين في انكبابهم على قراءة مصنفات القوم وأخذهم في دقائق التوحيد الخاص وعلوم المواجيد والحقيقة بالفهم مع الخلو عن العمل والحال وعدم التعريج على التحقق في مقامات الانزال فرحين بما نالوا من الفهم متوهمين ان ذلك حقيقة ما أشار اليه القوم فحرموا التحقيق والعمل وتعلقوا بالاماني والامل وبقوا في خطة التصور ودائرة الفتور وصدق بهم ما كان سهل رضي الله عنه يقول بعد سنة ثلاثمائة لا يحل ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون بالكلام تكون مواجيدهم لباسهم ومعبودهم بطونهم وحياتهم كلامهم وفي رواية عنه انه أوصى عند موته فقال من كان عنده شيء من كلامنا فليدفنه ولا يظهره فانه بعد سنة ثلاثمائة الى ما فوقها يصير زهد الناس كلامهم وعبادتهم لباسهم ومعبودهم بطونهم لا يعبأ الله تعالى باعمالهم وكيف لا وتلك العلوم والمعارف ليست مما يدرك بالدرس والبحث ومطالعة كتب القوم وحفظها وترتيب ألفاظها والتشدق بها وليس ما يحصل في الفهم بواسطة الالفاظ من صورها المنتقشة في القوة المتخيلة هو ما أشار اليه القوم من علوم الاذواق والكشوف والمشاهدات للفرق بين التحقق بالشيء والفهم له بل لا نسبة بينهما لانها غريبة كثيرة الغموض دقيقة المعاني نائية في الرفعة بعيدة بالجملة والتفصيل عن جميع ما عبر في عالم الملك والشهادة خارجة عن المألوفات مباينة لكل ما نشأ الخلق عليه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات

العلامة الحافظ السيوطي في كتابه المسمى بحاوي الفتوى ونقل الجواز عن الحنفية والمالكية وما وقع في رسالة منسوبة للعلامة الحلبي شارح منية المصلي وغيره من تحريم ذلك وتكفير مستحله من انغام الطبل والزمر عند مالك وبعض الشافعية فلزم على القول بتكفير مستحله تكفير هؤلاء الأئمة الأعلام نعوذ بالله من نسبتهم اليه

وقول المعترض انهم يقضون صلاتهم التي صلوها خلفهم قول من لا معرفة له بفرائض الصلاة وأركانها فلا دليل له على قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ويغنيك عن ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وأما التوسل بالانبياء والاولياء فجائز اذ لاشك ان كل مسلم يعتقد في السيد أحمد أو غيره من الاولياء ان ليس له ايجاد شيء من قضاء مصلحة أو غيرها الا بارادة الله وقدرته والمسلم متى أمكن حمل كلامه على معنى صحيح سالم من التكفير وجب التسليم اليه ثم اطلعت بعد هذا على رسالة منسوبة الى المرحوم نوح أفندي تقوي ما ذكرناه وترد خلافه قال الشيخ العارف العلامة رئيس المحققين الكاملين الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به قد ورد علينا ضمن كتاب من بلاد الروم من قصبة حربول تابع تكرداغ في شعبان سنة ثلاث ومائة وألف سؤال بالتركية ومعناه بالعربية ان الشيء الثابتة حرمته بالاجتهاد لا يكفر مستحله فاوجها كفار مستحل الرقص في ذكر الله تعالى فأجبناه عن ذلك حيث قلنا الفرق بين التواجد في ذكر الله وبين الرقص في الاعتقاد ظاهر لكل مسلم فان الباعث على التواجد هو الشوق الى الله تعالى والمحبة في جماله وجلاله والباعث على الرقص انما هو الشهوات النفسانية والاغراض الشيطانية في الفسق والفجور فمن قال عن التواجد في ذكر الله انه رقص فقد كفر لانه سمى الطاعة معصية كما ذكر الفقهاء في الجزء المعروفة قال الشيخ علي القاري المكي فالعبارات في المنية

الفارضية وكذا في الاشعار الحافظية والقاسمية وأمثالها كلمات كفرية لمن حملها على المعاني الظاهرة كاهل الالحاد والاباحة اه كلامه في شرحه للمكفرات بدر الرشدي فمن رقص بالمعنى الذي ذكرناه على ذكر الله تعالى كان رقصه حراما بالاجماع وذكر الله طاعة بالاجماع ومن تواجد بالمعنى الذي ذكرناه على الغناء والفسق كان تواجده طاعة لان الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانواه وكان الغناء بالفسق والفجور حراما بالاجماع لا بالاجتهاد واستحلال الحرام المجمع عليه كفر ومن لم يقل بالحرمة فراده التواجد على الذكر لا الرقص فليست المسئلة اجتهادية وانما هي مبنية على حسن الظن وسوئه فمن رأى الحرمة المختلفة في حال ذكر الله تعالى من السالكين لحسن الظن بهم قال هذا تواجد على ذكر الله تعالى وهو طاعة ومن أساء الظن بهم قال هذا رقص حرام لانه معصية لان الرقص لا يكون الا بالباعث النفساني والشهوة الحيوانية والحاصل ان الفرق بين التواجد والرقص لا يخفى على المسلم المنصف الخالي من التعصب سواء كان من العوام أو من العلماء والرقص يكون بالتكسر والتخلع لآثار الشهوة والتواجد انما يكون بالشوق الالهي والمحبة الربانية ولا يخفى ذلك على جميع الناس فمن ساوى بين الرقص والتواجد بواسطة ان كلا منهما بحركة موزونة على نغمة موزونة كمن ساوى بين السجود للاصنام والسجود لله تعالى بواسطة ان كلا منهما وضع الجبهة والانف على الارض فيكفر بلا خلاف من كشف الاسرار ومنه مانسب الى الشيخ أحمد بن كمال باشا رحمه الله قال بلغنا ان بعض العلماء بل من زعم العلم اعترض على بعض أهل الوجد وبالغ في التقريع والانكار حتى شبههم بعبدة العجل أصحاب السامري وشبه مذكورها بالعجل وشبههم وقت تواجدهم من تجلي صفات القهر والرحمة على قلوبهم بالذين يطوفون حول العجل أو بالكفار

وضروريات ونظريات فلا تدرك بقياس ولا تتصور بواسطة لفظ ولا تحمل عليها حقيقة شئ كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهي ليست علوم دارسة وانما هي علوم وراثة تحصل بنسبة طهارة القلوب وزكاء النفوس قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام من عمل بما يعلم أورثه الله علم مالم يعلم فلا بد فيها من تحقيق نسبة القرابة المعنوية الموروثة بتأكيد عقد المحبة واحكام رابطة الصحبة وقبول نطفة العناية من صلب الولاية وعلوقها في مشيمة الارادة وظهور جنين السعادة وذلك يكون بسهر الدياجر وظما الهواجر وأنواع الرياضات والمجاهدات وفطم النفس عن العادات والمألوفات والدؤب على الطاعات والتقرب باعمال البر الموصلة الى أعلى الدرجات وقطع التعلقات والاستفادات وصرف الهمة الى الحق والاعتماد عليه في جميع الحالات والانقياد لشيخ رباني عالم صمداني والاستسلام لحكمه والامتثال لأمره قال الجنيد رضي الله عنه ما أخذنا الطريق عن القيل والقال ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات والحاصل أن التحقق بما يشير اليه القوم انما ينال من طريق الارادة ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التي معلوماتها تؤول الى الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا ينفع في الآخرة ولا تقربه الى الله عز وجل وقد تشغل عن عبادة الله عز وجل وتفرق الهم عن اجتماعه بين يدي الله عز وجل وتقسي القلب عن ذكر الله عز وجل وتحجب عن التفكر في آلائه وعظمته وقد أحدث علوم كثيرة لم تكن فيما سلف اتخذها الغافلون علما وجعلها البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله عز وجل وحجبوا بها من مشاهدة علم الحقيقة لا نستطيع ذكرها لكثرة أهلها الان نسأل عن شئ منها اعلم بعوام كلام أحق أم تنبيه اصرف وحكمة أم زخرف وغرور وأسنة هو عتيق أم محدث وتشدق فخبثه تخبر بصواب ذلك ومن أفضل الزهد الزهد في الرياسة على الناس ومدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم لأنهما قد يبذلان في الرياسة وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره الا سماسرة العلماء وقال الفضيل نقل الصخور من الجبال أيسر من ازالة رياسة قد نبتت في قلب جاهل انتهى وما أجمل هنا من العلوم المحدثة قد فصله بعض التفصيل في موضع آخر فقال وقد ابتدع الناس علوما لم تكن فيما سلف منها علم الكلام والجدل والمقاييس والنظر والاستدلال على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بادلة الرأي والمعقول ومنها ايثار علم الرأي والقياس على ظواهر القرآن والآثار ومنها اظهار الاشارات بالمواجيد من غير علومها ولا بيان تفصيلها وفي ذلك تحيير للسامعين واضلال للغافلين وانما كان العلماء بهذا العلم يظهرون علم التوحيد ويخفون الاشارة بالوجد فيظهرون للناس ما ينفع ويخفون ما يضر ولان المواجيد أحوال أعمال قلوبهم فكتمها أفضل وعلومها أنصبة للمريدين والعاملين فاظهارها هي البغية لهم فاظهروه وأخفوا وجدهم لانه سرهم فسلموا من التصنع والرعي فاعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم ما ليس لهم فعدلوا في الموضعين معا وفصلوا في الحالين جميعا فجهل هذا الآن فاظهر ضده فكان الى الضرر أقرب ومن السلامة أبعد فمن لم يحسن التفصيل ولم يوزن العبارة فانه يحسن الصمت لان من لم يتكلم بعلم ينفع به على سنة فسكوته أقرب الى الله عز وجل بمثله كما قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ومنها اظهار علوم المعرفة بمعاني الرغبة ليتميزوا عن الفقراء

تكبرا منهم فيجعلون مجملهم ويصرفون هممهم عن الاسباب على مقدار أنفسهم وأحوالهم وهذا من أكبر أبواب الدنيا وأضره على مريد الآخرة وأعظمه تمويها في الدين ومنها الكلام في التوحيد بمخالفة علم الشرع وان الحقيقة تخالف العلم الظاهر والحقيقة هي علم وهي أحد طرقات الشريعة وعلم الشريعة عنها فكيف ينافيها وهي التي أوجبته وانما هي عزيمة والرخصة وعلم الظاهر الرخصة والسعة فمن تكلم في العلم الباطن على غيرة من أعداء العلم الظاهر وأصوله فهو الحادف الشريعة وواجبة بين الكتاب والسنة ثم قال ومنها الكلام في الدين بالوسواس والخطرات من غير رد مواجيده الى الكتاب والسنة ولواجب معرفة تفصيلها ونفى مالم يشهد له الكتاب والسنة منها اذ في المواجيد ضلال وغرور وفي المشاهدات باطل وزور ونذكر في موضع آخر من العلوم المحدثة علم النجوم والعروض واعلم ان الزهد في المال والجاه يتنوع بحسب قوته وضعفه الى ثلاثة أنواع وقد تولى بيان ذلك أبو حامد رضي الله عنه مع زيادة بيان في المرغوب فيه وعنه فقال الزهد في نفسه تفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلاث درجات الدرجة السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب أولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة اليها في قليل أو كثير الدرجة الثانية أن يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق ذلك عليه وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه أنه ترك شيأ له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيأ اذ عرف ان الدنيا لا شئ فيكون كمن ترك حصاة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيأ والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من حصاة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الحصاة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع ثم قال وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار ثم قال الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله تعالى ونعيمه واللذة الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيره وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعلم والاخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا تكون له رغبة الا في لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالم ليقصد الخلاص منه ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد الى مطالبه وطلب غير الله تعالى من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون بالله تعالى خاصة الا من عرفهم وكما ان من عرف الدنيا وعرف الدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فمن عرف الله تعالى

الذين وصفوا بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ثم قال ومن تشبه بقوم فهو منهم وشنع على أهل الوجد والتواجد غاية التشنيع وغفل عن وصف المسلمين بالفعل الوضيع ﴿الجواب﴾ أقول وبالله التوفيق ان الوجد بروق أسها المحبة والخوف تلمع ثم تخمد بسرعة فقد تورثه علما وتدرا وهو على مراتب فمنها مايورث الوجدان العظيم وضده وهو الفقد فتنهد أركان بنيته ويكاد يتلف نفسه من عجاب الفقد كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الرسالة عند فترة الوحي حين أراد ان يلقي نفسه من رؤس شواهق الجبال الى آخر الحديث ومنها مايورث الهيبة والسكون كما كان يحصل له صلى الله عليه وسلم من الوجد وقت تلقي الوحي حتى كان يؤخذ عن هذه النشأة حين ورود الخطاب الالهي وكان أشد عليه ما كان مثل صلصلة الجرس ومنها ما كان يحصل له من وارد قلبي فيظهر عليه آثار التعظيم فيتمايل ويتواجد خوفا وتخويفا كما ورد في صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأخذ الجبار تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيديه جميعا الى آخر الحديث وليس الوجد من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم بل كل من خواص هذه الامة اذا ذكر الله وجل قلبه بل ليس للخواص فقط فربما يحصل للعوام حتى تذوب قلوبهم فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين على ان السادة تأمر بالتواجد تكلفا ضرب الاختيار اقتفارا التواجد جعفر بن عم النبي صلى الله عليه وسلم بحضوره حين قال له الحبيب أشبهت خلقي وخلقي وبحديث ان لم تبكوا فتباكوا فلا ينكر الوجد الا من سلب حلاوة الايمان وحرم من لذة الاحسان اللهم ارزقنا محبة تقطع بها قلوبنا عن رؤية سواك وتعرفنا بك وتجمعنا عليك آمين هذا وما كان من المناقشة في رفع الصوت فهو سنة رسول الله صلى الله

وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين النظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ثم قال وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح من آحاد الاقسام وبعضها أجمل المجمل أما الاجمال فى الدرجة الأولى فهو أن كل ما سوى الله تعالى ينبغى أن يزهد فيه حتى يزهد فى نفسه أيضا والاجمال فى الدرجة الثانية أن يزهد فى كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها والاجمال فى الدرجة الثالثة أن يزهد فى المال والجاه وأسبابهما التى توصل اليها من جميع حظوظ النفس والاجمال فى الدرجة الرابعة أن يزهد فى العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعنى به كل علم وقدرة مقصودهما ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى فى آية واحدة تسعة منها فقال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده فى آية أخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ثم رده فى موضع آخر الى اثنين فقال وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد فى موضع آخر فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس فى الدنيا فينبغى أن يكون الزهد فيه اه واعلم ان كل مقام لا يصح للعبد حتى يرتفع منه ثم يشرف عليه فيصححه كما قال شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصارى ثم الهروى رضى الله عنه وقيل يكفيه ان يعطى حالا من المقام الذى سوف يرتقى اليه فيصحح به مقامه وهو ما اختاره صاحب العوارف قال فيها واختلف المشايخ فى ان العبد هل يجوز له ان ينتقل الى مقام غير مقامه الذى هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه قال بعضهم لا ينبغى أن ينتقل الى غير الذى هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل له المقام الذى هو فيه الا بعد ترقيه الى مقام فوقه فينظر من مقامه العالى الى ما دونه من المقام فيكمل أمر مقامه والأولى أن يقال الشخص من مقامه يعطى حالا من مقامه الاول الاعلى الذى سوف يرتقى اليه فبوجدان ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشئ الى العبد أنه يرتقى أولا يرتقى الى المقامات التى يمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه الا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرتقى الى المقامات بزائد الاحوال اه واذا علمت هذا هو المقصد التى منها أشرف على التوكل كما قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه آخر اقدام الزاهدين أول اقدام المتوكلين وكان الزاهد أيضا لا يتم ما لم يحظ صاحبه بالتوكل بل له ارتباط فوقه وأخص منه حتى جعله أويس رضى الله عنه شرطا فيه كما سيأتى أشار لذلك فقال رضى الله عنه

﴿ وان مقام الزهد ما حل له سوى * برىء من التدبير والحول والجبر ﴾

عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده فمنها ما استفيد من صحيح البخارى رحمه الله تعالى عن معبد مولى ابن عباس أخبره ان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ما ورد من سنة الخلفاء الراشدين فقد روى ان ناسا كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم فاذا خفيت ارسل اليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان نودوا الذكر أى ارفعوا أصواتكم اه فليت شعرى أى ضرر شرعى يترتب على الجهر بالذكر عند هذا الجامد الطبيعة والقاسى القلب فالمحروم من حرم الاعتقاد والمغبون من انقضى عمره بانتقاد فاين أبناء الملوك من كنز حقائق الفنون هيهات هيهات خسر المبطلون سؤال للعينى رحمه الله تعالى عن ذكر الله تعالى برفع الصوت مع جوابه ما قول الائمة الحنفية نفعنا الله تعالى بهم عن قوم يجلسون ذاكرين رافعى أصواتهم متواجدين صارخين مخالفين لنص الآية وهو قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقوله صلى الله عليه وسلم خير الذكر ما خفى وانهم رافعى أصواتهم بقوله فانكم لا تدعون أصم وانكار ابن مسعود رضى الله تعالى عنه على جماعة رفعوا أصواتهم أفدنا تقريرا محققا مؤيدا أفادك الله الجنة آمين أقول وبالله تعالى التوفيق ان السؤال بعد التعمق لا طائل تحته بل ربما يجر الكلام فيه الى تخطئة مجتهد من أهل الدين بل ولو كانت لواحد من عامة المسلمين وان فتح الله على فى شرحى تصحيح المقدم على جميع الصحاح من الوسع ما لم أقدر على شكر أقل قليله ومنه ركى ما لا يعنى السكن للسائل هذا منعة الجواب وان لم يكن من أولى الالباب * فاعلم ياولدى ان الاستدلال بعموم ادعوا لا يصح ان يدخل فيه الجهر بالقراءة فى الصلاة والخطبة والاذان والاقامة فيفر من ورطة ويقع فى أخرى ونعوذ بالله من الاثنين بل هو خاص بالدعاء فقط اذ خير المطالب

هذا البيت والذى قبله فى ضمن قوله وان مقام الزهد محله سوى أخذ فى منازلة تمام التوكل وهو البرىء عن التدبير والحول والجبر المشاهد وعد الحق عين يقينه فاطمأن بذلك اطمئنانا حماه عن تأثير الفقر والوفر وأما الاعراب ومعنى الألفاظ فتمام الزهد اسم ان ومضاف اليه ماقبله وحاءله انما نازله وصار من أهله حقيقة وسوى ايجاب للنفى وبرىء مضاف اليه ماقبله ومن التدبير متعلق به والتدبير اعمال النظر فى عاقبة الأمور والحول الحركة والجبر التلافى وكأنه ينظر بقوله والحول والجبر الى لاحول ولاقوة الا بالله اذ معناها لاحركة ولاقدرة الا بالله تعبير عن الاستطاعة والقوة بالجبر لانه يرجع الى ذلك لكون الجبر انما يكون بالقوة لما فيه من موافقة السير المفقود فيما عبر به عنه والحول والجبر عطف على التدبير ﴿يقول﴾ والله أعلم وما نازل الزهد اصالة وحله حقيقة بحيث صار ما الكاله لامملوكه الا البرىء من التدبير لامره والاحتيال لنفسه والتلافى لشأنه قد ترك ذلك كله لرؤيته حسن تدبير سيده واختياره واعتماده على حول الله وقوته ووثقه بوعده وثوقا أشد من وثوقه بما فى يده قال امام الأئمة الحسن رضى الله عنه أو غيره وروى مرفوعا ليس الزهد فى الدنيا بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك وان تكون فى ثواب المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك وأما اذا اشتغل الزاهد فى التدبير وأخوبه فلا يصدق عليه اسم الزهد حقيقة لان ذلك رغبة تنافى الزهد ولهذا جعل خير التابعين أويس رضى الله عنه التوكل شرطا فى الزهد فقال اذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد وقال أيضا الزهد ترك للمضمون وقال بعض العارفين رضى الله عنه الزهد انما هو ترك التدبير والاختيار والرضا والتسليم لاختياره شدة كان أو رخاء وقال سهل رضى الله عنه التوكل ترك التدبير وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الأمل وأصل الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك وقد جعل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله عنه التدبير علة فى المقامات كلها وقادحا فيها وذلك فى كتابه التنوير فى اسقاط التدبير قال فيما نحن بصدده وهو الزهد الزهد زهدان ظاهر جلى وباطن خفى فالظاهر الجلى الزهد فى فضول المأكولات والملبوسات وغير ذلك والزهد الخفى الزهد فى الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد فى التدبير مع الله ثم ان التدبير قد تكلم القوم عليه وبينوا المعنى الذى يكون به قادحا فقال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه التدبير تقدير شؤن تكون عليها فى المستقبل مما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض وبحسب ذلك بالتفويض يخرج من التدبير والتفويض يخرج منه ايقاف القصد على اختيار الحق دون اختيار المبتدا والاعتراض فى المنتهى واذا كان كذلك لم يقدح تدبير الأمور وقال الشيخ أبو طالب رضى الله تعالى عنه وقد كثر قوله رحمه الله يعنى سهل بن عبد الله فى ترك التدبير وينبغى أن يعرف معناه ليس يعنى بترك التدبير ترك التصرف فيما أوجه العبد فيه وأبيح له كيف وهو يقول من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن فى ترك التكسب فقد طعن فى التوحيد انما يعنى بترك التدبير أى ترك الامانى وقول لم كان كذا اذا وقع ولم لا يكون كذا ولو كان كذا فيما لم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية مشاهدة المشيئة وجريان الحكم ويعنى ترك التدبير فيما بقى وفيما يأتى بعد لان فيه مثل هذا يقول فلا تشغل بالفكر فيه والتدبير له بعقلك وعملك فيقطعك عن حالك فى الوقت الذى هو الزم لك وواجب عليك حتى تكون فيما يأتى من الأحكام والتصريف فى

ماخفيت وأما قوله صلى الله عليه وسلم خير الذكر ماخفى وان حكم بمنطوقه لانه أقرب الى الاخلاص فلا يلزم من أفضليته أفضلية الجهر بل ربما يوجد فيه الاخلاص فيحوز الفضيلتين وأما انكاره صلى الله عليه وسلم بقوله فانكم لاتدعون أصم يؤول بتأويلات حسنة ومع ذلك أيضا لايعم ماذكرنا فالتأويل الأول يقرر بان الأولى الاخفاء المسائل لمن يعم الحاجات والثانى لمن أراد أن يغير فى الحرب والتثبيت وخفض الصوت من الخدع فى الحرب والثالث لعله كان مفرطا مشوشا على الغير وهذا أيضا من الحالات المعدة على ان الاصل فى كل عمل يقتدى به من لفظ ومعنى اظهاره والآيات والاحاديث لاتكاد تتناهى فى فضله وأما انكار ابن مسعود ان ثبت فلعله غير الجهر مذمومة باجماع الصحابة والافكيف يحمل انكاره على مخالفة الجماعة وهو معهم يرفع صوته عند انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر والتكبير ومعلوم لديه ان الصحابة كانوا يرفعون أصواتهم فى منى بالتكبير حتى يسمع أهل الاسواق تكبيرهم فيكبرون بتكبيرهم والاحاديث فى رفع الصوت بالتكبير على كل شرف برفع الصوت ثابتة ويخاف على منكرها الابتداع ومع ذلك فليس على أحد من الجهر بالذكر ضرار ولاضير بل التأويل الحسن ينتج كل خير انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا نص الزيلعى فى جواز رفع الصوت بما يتناول اسم الذكر وسنية رفع الصوت فى شرح الكنز مانصه وأكثر التلبية متى صليت أو علوت شرفا أو هبطت واديا أو لقيت ركبا وبالاسحار رافعا صوتك بها وكذا اذا

استيقظت من نومك أو استعطفت راحلتك وعند كل ركوب ونزول لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يلبي اذا لقي راكبا أو صعد أكمة أو هبط واديا وفي ادبار المكتوبة وآخر الليل ذكره في الامام ونقل من البزازية في جواز الذكر بالجهر مانصه وأما رفع الصوت بالذكر فجائز كما في الاذان والخطبة والحج والاختلاف في عدد تكبير التشريق جهر الايدل على ان الجهر به بدعة لان الخلاف مبني على ان كونه سنة زائدة على أصل الفعل في كم الصلاة كما اختلفوا في ان سنة الاربع في الظهر بتسليمة أو بتسليمتين وذلك لايدل على انها لو بتسليمتين يكون بدعة أو حراما اه ونقل من شرح المنية للحلبي مانصه والجهر في القرآن أفضل ان لم يكن عنده مشغولين بذكر الله تعالى مالم يخالطه رياء والله أعلم بالصواب تحقيق استرجع رواية الامام برفع الصوت في ذكر الله تعالى روى الحافظ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي مؤلف مسند الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم أبصر قوما يهللون ويكبرون فقال هي ورب الكعبة قيل وماهي قال كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهو حديث حسن على شرط الترمذي ورأيت في شرح هذا الحديث مانصه والظاهر ان الامام لايروي الا مايحتج به اه وفي آخر الاشباه والنظائر في وصية الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه لابي يوسف رحمه الله تعالى مانصه واكثر ذكر الله فيما بين الناس ليعلموا ذلك منك اه بلفظه وفي جامع قاضيخان جواز الذكر والتسبيح والتهليل بالجهر في الحمام وأما قراءة القرآن في الحمام بالجهر ان لم يكن به أحد مكشوف العورة وكان الحمام طاهرا لا بأس بأن يرفع صوته وان لم يكن كذلك فان قرأ في نفسه ولم يرفع صوته لا بأس ولا بأس بالتسبيح والتهليل وان رفع صوته بذلك اه بلفظه

ترك التدبير والتقدير لها بالزيادة فيها أو النقصان أو نقلها من وقت الى غيره أو من عبد الى آخر بالتقديم والتأخير تكون في ذلك كما كنت فيما مضى اذ ترى ان الانسان لايدري ماقدمضى قال فينبغي ان يكون فيما يستقبل تارك التدبير له تارك للاماني فيه على ماذكرناه كتركه أيضا فيما مضى فيستوي عنده الحالات لان الله عز وجل أحكم الحاكمين ولان العبد مسلم للاحكام والافعال راض عن مولاه في الاقدار مع جهله بعواقب المآل فترك التدبير بهذه المعاني هو اليقين والعين هو مكان المعرفة اذ جعل تعالى مكانا يمكن فيه على قدر المكان ما يليق به وكان يقول يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم قلت أنا وانا كن فيما أنت الآن كما لم تكن فانه هو اليوم كما كان وكان يقول أيضا الزهد اغماه وفي ترك التدبير فهذا يعني به ترك الاسباب التي توجب التدبير واخراج السبب الذي يجب تدبيره لانه يكون متسببا مقتنيا للاسباب وهو يترك تدبيره الا ان التدبير في هذا الموضع اغماه والتمييز والقيام بالاحكام ووضع الاشياء مواضعها فكيف لايكون العبد كذلك مع وجود الاسباب وهو عاقل مميز متعبد بالعلم مطالب بالاحكام واغماهو يقول ترك الاشياء المدبرة وازهد في الاسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير والتقدير فتكون بتركه تاركا للتدبير بسقوط أحكامها عنك واسترحت من اتمامها والنظر فيها وأصل البيت من موضعين في العوارف الاول وهو الذي أشار فيه الى أن الزهد يحقق بالتوكل سنذكره على قوله في التوب البيت والثاني نذكر أكثره تتميما للفائدة مع حذف ماتخللها مما لم نرد ذكره قال فيها قال السري التوكل الانخلاع من الحول والقوة وقال أبو بكر الوراق التوكل رد العيش الى نوع واحد وقال أبو بكر الواسطي أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وان لايفارق التوكل في أمانيه ولا يلتفت بسره الى توكله لحظة في عمره وقال سهل اول مقامات التوكل ان يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير ويعني والله أعلم أول أنه أعلاها وأشرفها والاول والقدوم والصدر ألفاظ يرادفها هذا في بعض الاحيان والاقسام أتى من كلام الامام أبي حامد رضي الله تعالى عنه أول مراتب التوكل كالرجل مع وكيله الذي عرفه بالصدق ثم كالطفل مع أمه ثم كالميت بين يدي الغاسل ولكن التعبير عن هذه الاشياء بحسب المواجيد وسهل كبير القدر جدا على انه سيأتي من كلامه مايوافق ما أولناه به هنا ثم قال صاحب العوارف ويتم لي ان التوكل على قدر العلم بالوكيل فمن كان أتم معرفة كان أتم توكلا ومن كمل توكله غاب في رؤية الوكيل عن رؤية توكله ثم ان قوة المعرفة تفيد صرف العلم بالعدل في القسمة وان الاقسام نصبت بازاء المقسوم لهم عدلا وموازنة وان النظر الى غير لوجود الجهل في النفس وكلما أحس بشيء يقدح في توكله يراه من صنيع النفس فنقصان التوكل بظهور النفس وكماله يثبت بغيبة النفس وليس للاقوياء اعتداد لتحقيق توكلهم واغتياظهم في تعب النفس يتقوى به موادا القلب فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فيصح التوكل والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك من النفس بقية يرد على ضميرهم سر قوله تعالى ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شيء فيغلب وجود الحق وجود الاعيان والاكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقدح في مثل هذا التوكل مايقدح في توكل الضعفاء في التوكل من وجود الاسباب والوسائط لانه يرى الاسباب موتا لاحياة لها الا

بالوكيل

بالوكيل وهـذا توكل خواص أهـل المعرفة بالله اهـ وأما ما أجملنا من ذكر درجات التوكل الثلاث الذى وعدنا بنقلها عن الامام أبى حامد رضى الله عنـه فتفصيلها ما ذكره اذ قال التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أى فوضه اليه واعتمد عليـه ويسمى الموكل اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه أى اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحـده ثم قال فان ثبت فى نفسـك بكشف أو باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كافة العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد وبالآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته ذكاء ورحمته لك عنايته ورحمة التـوكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسـه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق فى التوحيـد عنـد ذكر الحركة والقـدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هـذه الحالة من نفسك فسببه أحـد أمرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصـال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجـه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهـم وضـعـاعة له من نقصـان فى اليقين ثم قال فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون فى القلب شئ واليقين شئ آخر وكم من يقين لا طمأنينة معه ثم قال واذا انكشف لك معـنى التوكل وعلمت الحالة التى سميت توكلا فاعـلم ان تلك الحالة لها فى القوة والضعف ثلاث درجات * الدرجـة الأولى ما ذكرناه وهو ان تـكون حاله فى حق الله تعـالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله بالثقة والوكيـل * الدرجـة الثانيـة وهى أقوى ان تـكون حاله مع الله تعـالى كحال الطفل فى حق أمه فانه لا يعرف غـيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق فى كل حال بذيلها ولم يخـلها وان نابه أمر فى غيبتها كان أول سابق الى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمـه فانه كذا بزعمـه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك بالتمـييز الذى له ويظن انه طبع من حيث ان الصـبى لو طولب بتفصـيل هذه الخصـال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضـاره مفصـلا فى ذهنـه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تألهه الى الله ونظره اليه واعتمـاده عليه كلفه به كما كلف الصبى بامه فيـكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمـه ولا فرق بين هـذا وبين الاول ان هـذا متوكل وقد فنى فى توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليـه فقط فلا مجال فى قلبه لغير المتوكل عليه وأما الاول فمتوكل بالتـكلف والـكسب وليس فانيـا عن توكلـه أى له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هـذه الدرجـة أشار سهل حيث سـئل عن التوكل ما أدناه فقال ترك الامانى قيـل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجـة الثانية وسـئل عن أعـلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه الدرجة الثالثة وهى أعـلاه ان يكون بين يدى الله تعالى فى حركاته وسكناته مثـل الميت بين يدى الغاسـل لا يفارقه الا فى انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسـل الميت وهو الذى قوى يقينه بأنه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعـلم وسائر الصفات وان كل ذلك يحـدث جبرا فيكون عن الانتظار لما يجرى عليه ويفارق الصبى فان الصبى يفزع الى امه

أقول انظر الى قول المنـكرين وافترائهم على قاضيخان كما أوردنا من قولهم فى مقدمة هـذه الرسالة حيث قالوا قال قاضى خان فى فتاواه رفع الصوت بالذكر حرام وعلى تقدير صحة ايراد ما قالوا ونقلوا بزعمهم عن فتاواه فاعرفوا معناه (سؤال) اذا ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أقر على فعل ولو كان رقصا كفعل الحبشة أو ضربا بالدف كفعل الجوارى اللاتى أنشدن أقوال بعاث وغيره ولم ينـكره صلى الله عليه وسـلم وثم وجد من غـيره انكار فما حكمه أفتونا (الجواب) ان كان تنقيصا لفعل النبى صـلى الله عليه وسلم أو استهانة أو استخفافا أو تحرجا عن حكمه فقـد كفر وان ثبت عنـه حكم خـلاف ذلك فيستفسر فان رجـعـه فيعذر والا فيعزر والله أعـلم وسئل الامام الكامل الزاهد العالم الشيخ عز الدين بن عبد السلام من أئمة الشافعية رحمه الله تعالى عن السماع الذى يعـمل فى هـذا الزمان فى مجالس الذكر فاجاب بما صـورته سماع ما يحـرك الاحوال السنيـة المذكرة للآخرة مندوب اليه وقال فى قواعده الكبرى عنـد ذكر السماع من كان عنده هوى مباح كعشق زوجته أو أمته فسماعه لا بأس به ومن يدعوه الى محرم فسماعه حرام ومن قال لا أجد فى نفسى شيئا من الاقسام المـذكورة فالسماع مكروه فى حقه ليس بمحرم فمن جزم بالتحريم والتـكفير فقـد أخطأ فيما قال ووقع فى التكفير والضـلال واستحق العقوبة والنكال نسأل الله تعـالى العصمة والتوفيق والهداية الى أقوم طريق وذكر الشيخ ابن حجـر فى فتاواه الحـديثية قال انشاد الشعر وسماعه ان كان فيـه حث على خير أو نهى عن شر أو تشوق الى التأسى باحوال الصالحـين والخروج عن النفس ورعونتها وحظوظها والدأب والتحلى بالمراقبة للحق فى كل نفس ثم الانتقال الى شهوده فى كل ذرة من ذرات الوجود والعبادات كما أشار اليه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فكل من الانشاد والاستماع

سنة والذى نسمعه فى الطوائف اليمانية وغيرهم انهم لا ينشدون فى مجالس ذكرهم الا بما فيه شئ مما ذكرنا والمنشدون
والسامعون مأجورون مثابون ان صلحت نياتهم وصفت سرائرهم وما كانوا بخلاف ذلك فيفهمون من كلام الصالحين غير المراد بما
يلبق باغراضهم الفاسدة وشهواتهم المحرمة فهؤلاء عاصون آثمون فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم
والحاصل ان العبرة بالمقاصد
والنيات وما اشتملت عليه
القلوب وأكنته الضمائر
فرب سامع قبيح صرفه الى
الحسن وعكسه فيعامل كل
أحد بحسب نيته وقصده
وينبغى للانسان حيث أمكنه
عدم الانتقاد على السادة
الصوفية نفعنا الله بهم ان يسلم
لهم أحوالهم ما وجد لهم محملا
صحيحا يخرجهم عن ارتكاب
المحرم وقد شاهدنا من بالغ
فى الانتقاد عليهم نوع تعصب
فابتلاه الله تعالى بالانحطاط
عن مرتبته وأزال عوائد لطفه
وأسرار حضرته ثم أذاقه الهوان
والذلة ورده الى أسفل السافلين
وابتلاه بكل محنة وعلة فنعوذ
بك اللهم من هذه القواصم
المرهفات والبواتر المهلكات
ونسألك ان تنظمنا فى سلكهم
القوى المتين وان تمن علينا
بما مننت عليهم حتى نكون
من العارفين انك على كل شئ
قدير وبالاجابة جدير ولقد
وقع فى مصر المحروسة سؤال
من بعض مشايخ الصوفية فى
سنة ١١٠٥ صورته ما علية
السادة الدمرداشية ومن
خلف خلفهم وحذا حذوهم
كالخلوتية والسادة الشناوية
من ذكر الله تعالى والصلاة
والسلام على رسول الله صلى
الله عليه وسلم والحلقة المسماة
بالهوية ودورانهم مشتغلين بقولهم هو هو هو قاصدين بذلك ذكر الله تعالى مولهين بالوجد والشوق بما هم عليه حق
من خدمتهم لاسماء الله الحسنى واشتغال قلوبهم بنار المحبة والقول الاسنى فهل ذلك جائز لا اعتراض على فاعله وهل فى ذلك تمثيل
بالسامرى كما قال المعترض وهل هنالك مناسبة بين من يذكر الله تعالى وبين ما يدعيه المعترض أم الامور بمقاصدها كما قال صلى

ويصيح ويتعلق بذيلها ويمد وخلفها بل مثال هذا مثال صبى علم انه وان لم يرع بامه فالام تطلبه
وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وان لم يسألها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام فى التوكل
يثمر ترك الدعاء والسؤال ثقة منه بكرمه وعنايته فانه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة
ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثانى لا يقتضى ترك السؤال من غيره فقط ثم قال
فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب فى هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفى
التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثانى ينفى كل تدبير الا
من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل بامه فى التعلق بامه فقط والمقام
الاول لا ينفى أصل التدبير والاختيار ولكن ينفى بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله فى
الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار اليه وكيله به
والتدبير الذى عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته الى آخر كلامه فانظر فيه ثم ذكر تفسير
هذا البرىء من التدبير والحرل والجبر وما أصل ترك ذلك فقال رضى الله عنه

﴿يشاهد وعد الحق عين يقينه * فلا أمن فى وفر ولا خوف فى فقر﴾

وعد الحق مفعول يشاهد والحق من أسمائه تعالى وتقدس وقد تقدم وعين يقينه اما ظرف
على حذف مضاف أى نصب عين يقينه أو منصوب على اسقاط الخافض أى بعين يقينه لا بعين
بصره وفلا أمن فى وفر الفاء نتيجة وأمن اسم لا مبنى والجار والمجرور خبرها والوفر المال والمتاع الكثير
الواسع وقيل العام من كل شئ ولا خوف فى فقر اعرابه كاعراب ما قبله حرفا بحرف وهو معطوف
عليه أيضا وفى من قوله فى وفر وفى فقر السببية كقوله عليه السلام امرأة دخلت النار فى هرة
وبين الامن والوفر مع الخوف والفقر من أنواع البديع المقابلة وهى ان تذكر أمرين فصاعدا
ثم تذكر ما يقابل ذلك لفظة لفظة وقد ذكر أولا الامن والوفر ثم قابلهما بالخوف يقابل الامن
والفقر يقابل الوفر ﴿يقول والله أعلم﴾ ولسبب براءته وانسلاخه من التدبير وأخويه يشاهد
وعد الحق تعالى وتقدس بما يصلحه وما قسم له عنده بعين يقينه كأنه قد أخذ الموعود بيده اذ يقول
تعالى ومن أوفى بعهده من الله انه كان وعده مأتيا بل لكمال يقينه وثقته بسيده وتحقق وفاء
وعده وكمال صدقه وحسن تدبيره وسعة رحمته يثق بما فى يده أشد من وثوقه بما فى يد نفسه لانه
وان كان بيده فقد يكون ليس هو نصيبه ولا رزقه فلا أمن عنده مسبب على الفقر كما هو حال فاقد
التوكل الواقف مع العوارض والوسائط فيأمن فيسكن ويأمن الوفر يضعف سكونه ويضمحل
مع الفقر وانما هو واثق بوعد الله ومطمئن قلبه بالله لا فرق عنده بين حالتى والفقر لدوام نظره
لمولاه وعدم تعريجه على سواه فصدر البيت بيان لمنشأ التوكل وبساطه الذى هو الثقة بالوكيل
الحق وعجزه نفى لحالة غير المتوكل وهو الواقف مع العوارض عن المتوكل الواثق بربه الواقف
معه قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه مجال التوكل سكون القلب عن الاستشراف الى العبيد
والتطلع وقطع الهم عن الفكر فيما فى أيديهم من التطمع عاكف القلب على المقلب المدبر
مشغول الفكر بقدرة التصرف المقدر لا يحمله عدم الاسباب على ما حظره العلم عليه وذمه
ولا يمنعه ان يقول الحق وان يفعل به أو يوالى فى الله ويعادى فيه جريان الاسباب على أيدى
الخلق فيترك الحق حياء منهم أو طمعا فيهم أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا تدخله طوارق
الحاجات ونوازل الضرورات فى الانحطاط فى اهواء الناس والميل الى الباطن والصمت عن

الله عليه وسلم واذا قلتم بجواز ذلك فماذا يلزم المعترض بقدحه في هؤلاء السادة الراسخين في القدم المحمدي وهل على ولي الامر زجر
من يتعرض لهم أم كيف الحال الجواب أولا أما كلمة هو وذكر الله تعالى بها فقد رأيت رسالة مستقلة في الكلام على ذلك ذكر فيها
قال الشيخ عبد الله الجيلاني رحمه الله في تسبيح الملائكة كل منهم أذهلته عظمة

الله من تجلى في أسمائه فانفعلت ذواتهم في تلك الاسماء فهم ذاكرون من الذهول وذاهلون من الذكر فذكرهم من حيث الاسم أنت أنت أنت ومن حيث الذهول هو هو هو ومن حيث العظمة آه آه آه ومن حيث التجلي ها ها ها ومن حيث السر سبحانك سبحانك سبحانك وذكر في الرسالة المذكورة أيضا عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ان اسم الله الاعظم هو هو وقال فيها أيضا قد تواردت عبارة هؤلاء المشايخ المذكورين من المتقدمين والمتأخرين على ان لفظة هو من أفضل ذكر رب العالمين فلا ينادي بها غيره من المخلوقين وأجاب عن السؤال المذكور الشيخ العالم الفاضل الكامل أبو الخير أحمد المرحومي الشافعي الازهري فقال حمدا لمن أنزل في كتابه المكنون قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وصلاة وسلاما على رسوله سيدنا محمد المنزل عليه ترغيبا للذاكرين في تكثير ثوابهم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اما بعد فالذي عليه المشايخ المذكورون وأشباههم من أهل الطرق المحمدية في ملازمة ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وترتيبهم الحلقة المسماة عندهم بالهوية ودورانهم بها وقولهم هو هو قاصدين بذلك النشاط والمعونة على ذكر الله تعالى مع شدة الوجد والشوق لذلك والهيام والتلذذ بما هنالك مقتدين في أقوالهم وأفعالهم بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم مطلوب مرغوب موافق في الحالة المذكورة للكتاب والسنة قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال صلى الله عليه وسلم

حق ان ازمه أو يوالي عدوا أو يعادي وليا أو اليرب بذلك حاله عندهم أو يشكر بذلك ما أسدوه
اليه بالكف عنهم ولا يرب الصنيعة التي عرف بها لنظره الى الصانع ولا يتصنع لمصنوع دخلة
لعلمه بسبق الصانع لدوام مشاهدته ولا يسكن الى عادة من خلق ولا يثق بمعتاد من مخلوق اذ قد
أيقن برزقه ونفعه وضره من واحد فهذه المعاني من فرط التوكل وان وجدت في عبد خرج بها
من حد التوكل دون فضائله وتدخله في ضعف اليقين ثم قال فالتوكل قد علم بيقينه ان كل ما يناله
من العطاء من ذرة فما فوقها ان ذلك رزقه من خالقه وان رزقه هو له وان ماله واصل اليه لا محالة
على أي حال كان وان ماله لا يكون لغيره أبدا فقد نظر الى قسمه ونصيبه من مولاه بعين يقينه
الذي به تولاه من أحد ثلاث مشاهدات ان دنت مشاهدته نظر الى قسمه من العطاء في الصحيفة
التي كتب له عند تصوير خلقه فكتب فيها رزقه وأجله وأثره وشقي أو سعيد فكما لا يقدر أحد
من الخلق ان يجعله سعيدا ان كان قسمه شقيا ولا يقدر ان يجعله شقيا ان كان قسمه سعيدا
كذلك لا يقدر أحد ان يمنعه ما أعطاه مولاه من القسم فيجعله مرزوقا ان ذلك قد كتب كتابا
واحدا وجعل سواء وان ارتفعت مشاهدته نظر الى هذا في اللوح المحفوظ مفروغ له منه وهو
ام الكتاب الذي استنسخ منه هذه الصحيفة وكان يقينه بكتب رزقه في اللوح المحفوظ وانه
لا يزاد فيه بحول ولا حيلة ولا ينقص منه لعجز ولا سكنة كيقينه بما كتب فيه انه من أهل الجنة
فيدخلها لا محالة وان عمل أي عمل بعد ان يكون قد كتب اسمه في اللوح ومن جعل له فيها أثر
كقوله عز وجل ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون فقد
كتب الآثار والارزاق من كل شيء كتابا واحدا في ثلاثة مواضع توكيدا للعلم وتسكينا للقلب في
القسم كتب ذلك في الذكر الاول وهو اللوح المحفوظ ثم في الزبور الاول من الصحف ثم أنزل بعد
ذلك في كتابنا وهذا الذي به عرفنا ما سلف من ذلك وان علت مشاهدته الى الاعلى اعلى مرتبته
ونفوذ علمه وقوة يقينه اذ شاهد كل عبد من مقامه من معبوده ومن مكانه في دنوه وعلوه شهد
هذا الذي ذكرناه معلوما في علم الله عز وجل قبل خلق اللوح وسكن قلبه واطمأن الى علم
الله عز وجل وما سبق منه له ولهذا جاء الاثر ان الزهد في الدنيا ان تكون بما في يد الله عز وجل
أوثق منك بما في يدك وان تكون في ثواب المصيبة أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك أي فيقول
حرصك لنفاذ مشاهدتك ويذهب طمعك في الخلق لوجود زهدك فهذا هو الرضا فتدرج
التوكل الزهد والرضا فيما يرى الله عز وجل هو رزقك الواصل اليك لا شك فيه على أي حال
وهو الذي لك عند الله عز وجل وهو معلوم علم الله الذي لا ينقلب وذلك أحد ثلاثة الاشياء
ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت فهذا هو الذي لك في الدنيا من الآخرة
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي يا عجبا من جهل ابن آدم وغفلته
ثم قال لك من مالك فذكر هذه الثلاثة واشترط مع كل واحدة آخر غايتها فقال ما أكلت فأفنيت
ولبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فاشترط الافناء والابلاء والامضاء ثم قال بعد ذلك وما سوى
ذلك فهو من مال الوارث وهذه الثلاث على هذه الاوصاف هي رزق العبد وهي التي في يد الله
عز وجل له وهي الواصلة اليه فاما ما في يد العبد فقد لا يكون له انما هو مستودع اياه ومستخلف
فيه وان تملكه وحازه خمسين سنة واغتر فرغ له منه فان تملك سوى هذا أو ادعاه لاجل انه في
خزانته أو قبض يده فذلك لجهله بالله وقلة فقهه عن الله عز وجل وغفلته عن حكمة مولاه الذي

لوعرف حكمة الله وقدرته علم ان صندوقه وخزائنه و يده من خزائن الله عز وجل فى أرضه يودعها ماشاء الى الوقت الذى وقت فتستقر عند من هى له كيف شاء فقد قال عز وجل فمستقر ومستودع وقال الكل نبأ مستقر وقال ولله خزائن السموات والارض اه وقد يحتمل كلامه غير هذا المحمل وذلك لان الوعد أحد أقسام الكلام وكلامه وصفه بمعنى قوله يشاهد وعد الحق أى وصفه وليس المراد خصوص صفة الكلام بل الجنس ويستقيم بذلك أيضا الكلام ويتبين استنتاج عجز البيت عن صدره من غير احتياج ان تكون فى ينبه وذلك لان صاحب حضرة الاوصاف لايقف مع ظواهر الامور بل ينفذ بصيرته الى ماتحت الجذور وظاهر الوصف لايحكم على باطنه فمن ثم لايأمن من الوفر ولايخاف فى الفقر وأيضا الاوصاف متنوعة متقابلة أوصاف جمال وهى الرجاء وأوصاف الجلال وهى للخوف ومن أقوى اخطار بالبال الخطور مقابله ومن ثم أيضا تجد صاحب حضرة الاوصاف لايرجى الاخاف ولايخاف الارجا والوفر من أوصاف الجمال والفقر من أوصاف الجلال فلذلك لايأمن أيضا فى الوفر ولايخاف فى الفقر بل ولا يأنس بمقام ولاحال ولايساكن وجدا ولايباين فقدا بل يبقى كالخط فى الهواء لامحل له الامولاه ولااعتداد لدسواه ولا أمن له الاجاه والى هذا المعنى يشير ماذكر عن حمدون القصار رضى الله عنه انه سئل عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك فى عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دينا من غير ان تترك وفاء لاتيأس من الله تعالى ان يقضيها عنك برد السائل لاصل التوكل ومنبعه وأشلاه على ٧ لنظر العلم والقدرة وهذا الاحتمال يتضمن محلا رشيقا فى البيت بعده سنوضحه ان شاء الله تعالى واعلم ان التوكل له شرف عظيم وكفاه فخرا ماذكر فيه عن سهل رضى الله عنه وهو قوله العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وقال ليس للتوكل حد ولاغاية ينتهى اليه اه وهذا آخر عقبة من العقبات التى يطلب غنمها أهل الحراثة المعنوية ومازها العقد ثمارها عشابه ماء النيسان لعقد ثمار الحراثة الحسية وذلك ان ماسبق له التوفيق وأرعدت أرض قلبه رعود الزجر وهبت فيها مبشرات رياح الانتباه واصابها صيب القدرة والتوبة حتى تمكن منها الرى وغرس فيها بحيرة من فضل دوام العمل وحرث ذلك بحراث المجاهدة ونقى نباته من الحشيش المفسد للنبات بآلة المحاسبة والمراقبة ثم لم يحبس عنها المطر فى وقته بحيث انسكب فيها غيث ليالى الورع ومطر ديمة قطع الزهد ووابل نيسان التوكل وكانت أرضه تلك داخل طاعة امارة الشيخ الربانى وتحت دائرة ولايته كى تسلم من فساد جنود هواء طغيان النفس والهوى فقد سلمت فلاحته وربحت تجارته ونجحت سعايته وان له ان يتخذ اندارا أوسط مندرة أهل التوحيد وجرينا بين حوائط أهل التجريد وهو بالاقتناء ذلك بين ديار أهل التفريد وقد صار من تجار أهل الحضرة وواحد رجال النظرة ولما فرغ من الكلام على الركن الثانى وماهو من تتمته وكان ركن التوبة وركن الزهد يشتملان على جميع المقامات أشار لذلك فقال رضى الله عنه

﴿فنى التوب والزهد المقامات كلها * فروضهما من طيبه عبق النشر﴾

المقامات مبتدأ وكلها تأكيد له وخبر المبتدأ فى المجرور قبله والروض مجتمع الماء والخضرة والمراد هنا الرياض والروض مبتدأ وعبق النشر خبره والنشر هنا الريح الطيبة ومن طيبه

انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى وقال أيضا صلى الله عليه وسلم نية المرء خير من عمله والمدار فى الاعمال على اخلاص النية فمن رمى مثل هؤلاء الجماعة بالاعتراض بقول أو فعل فقد تعرض للمقت من الله تعالى ومن مثل فعلهم بفعل السامرى فيليق به ان يمثل هو بمعبوده يعنى العجل المذكور وكيف يعترض على ماهو مطلوب وممدوح ومندوب اليه فان زعم المعترض ان فعلهم وذكرهم لاجل الرياء وصرف وجوه الناس اليهم قلنا له انه لايطلع على مافى القلوب الاعلام الغيوب والحاصل ان الاعتقاد خصوصا فى مثل هؤلاء الجماعة مطلوب ولايجوز الانكار الاعلى من يأتى بما يخالف الشرع وينابذه ظاهرا من فعل أو قول كان يكشف عورته أو يترك واجبا أو فرضا أو يأتى بمنكر من المنكرات حال صحوه واختياره لاحالة غيبته واضطراره والله أعلم وأجاب أيضا عن السؤال المذكور الشيخ الفاضل محمد الاحمدى الشافعى الازهرى رحمه الله تعالى ووقع سؤال آخر فى مصر المحروسة فى التاريخ المذكور صورته ماتقول السادة العلماء رحمهم الله تعالى فى رجل معترض يقول فى حق السادة الخلوتية ونحوهم حيث يقومون للذكر ويدورون محلقين آخذين بايدى بعضهم بعضا ويسمونها الهوية انهم يكفرون لانهم يرقصون ويتلاعبون بالذكر ويكفر من يقول بجواز ذلك فماذا يترتب على هذا الخبيث فى انكاره على هذه الطائفة الفائزة الناجية ان شاء الله تعالى الذين يجتمعون على تلاوة القرآن العظيم وذكر الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم واخراجه لهم عن دائرة الاسلام وهل لهؤلاء الطائفة مستند من السنة المطهرة أو من أحد من السلف الصالح أم لا ومن جملة اعتراضه وشدة متعلق افترائه ان قال لجماعة اقضوا صلاتكم التى صليتموها خلف من يفعلها أو يقول بجوازها ومن جملة اعتراضه أيضا ان من يقول ياسيدى أحمد يابدوى أو غيره من الاولياء يكفر لانه أشرك مع البارى سبحانه وتعالى غيره مع ان قائل هذا انما يقوله بقصد التوسل بالولى

متعلق بعبق ومن فيه تعليلية والضمير في طيبه عائد على الروض والمقامات بتأويل ما ذكر
واستعار التوبة والزهد لانهما لما اشتملا على كل المقامات صارا شبيهين بروض أزهار ورياحين
وشبه المقامات بالازاهير والرياحين وتقديره بالمقامات كلها في التوبة والزهد فروضهما من شدة
طيبه أو طيبها عبق النشر أي قوي الرائحة والتعطر وبيان كون المقامات كلها في التوب
والزهد من ثلاثة أوجه الوجه الاول ان التوبة والزهد اذا كملا اشتملا على المقامات كلها بالفعل
اشتمال الظرف على المظروف واندرجت فيها لان التوب في مبتداها تحتاج الى الزاجر والانتباه
واليقظة وتستقيم بالمجاهدة والمحاسبة والرعاية والمراقبة والورع ولا يستقيم ذلك الا بالصبر باقسامه
كل بحسبه ومافات منه دخل في الزهد كما قدمنا وتشتمل أيضا على الخوف والرجاء لان الرجاء
حامل على الخوف من وفاة المرتجى والخوف حامل على التوبة وتشتمل أيضا على الانابة وعلى
رؤية عيوب الافعال لانها من ضرورة صحة التوبة وعلى مخالفة النفس والتقوى وعلى الشكر لان
الشاكر يقيد الجوارح عن المكاره والا لم يكن شاكرا وعلى الرضا لانه ثمرة التوبة النصوح وعلى
المحبة لاشتمالها على الحب العام الذي هو للحب الخاص المشتمل على جميع الاحوال بمثابة الجسد
حسبما يأتي تفصيله ان شاء الله تعالى في الصحة وعلى الاخلاص والصدق وغير ذلك من المقامات
والزهد ويشتمل على الفقر لان الزهد فقر وزيادة كما يأتي وعلى التوكل اذ به يتحقق الزهد كما ان
الزهد مقدمة للتوكل والتوكل مقدمة للرضا وعلى المحبة والمعرفة لانه لما كان الزهد كما قدمنا
لا يتم الا بالثقة بالله والتوكل عليه والاستسلام له كما جاء في الخبر أو الاثر الزهد ان تكون بما في
يد الله أوثق الخ فلا يثق به ويعتمد عليه الا لمعرفته به ولا يفرح بمصيبته الا لمحبته له قال الشيخ
أبو طالب رضي الله عنه الزهد يجمع التوكل والرضا ألا تسمع الى الخبر الذي جاء في الزهد ان
تكون بما في يد الله عز وجل أوثق منك بما في يدك فهذا هو التوكل قال وان تكون بثواب
المصيبة افرح منك لو انها بقيت لك فهذا هو الرضا ثم ان المعرفة والمحبة داخلتان فيه فأي مقام
أعلى من مقام جمع هذه الاربعة وهي غاية الطالبين اه وكل مافات في التوبة يدخل في الزهد
وقد تقدم تفصيل كثير من هذا في باب التوبة والمجاهدة والمحاسبة والمراقبة والورع والزهد
وغيرها فراجعه في محاله وأصل البيت على هذا ما تقدم في الابواب المذكورة من العوارف مع
قوله اثر ما قدمنا على قوله وفي التوب حال الخوف البيتين ثم ان التائب حيث قيد الجوارح عن
المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لان كل جارحة من الجوارح نعمة
وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة ترى شاكر للنعمة أكثر من التائب المستقيم
فاذا جمع مقام التوبة حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوى
والمجاهدة ورؤية عيوب الافعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر
والخوف والرجاء واذا صحت التوبة النصوح وزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح
الدنيا فيها فيعمل الزهد والزاهد فيتحقق فيه التوكل لانه لم يزهد في الموجود الا لاعتماده على
الموعود والسكون الى وعد الله تعالى هو عين التوكل وكل ما بقي على العبد من بقية تحقق
المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا وهو ثاني الاربعة ثم قال فاذا صح زهد العبد
صح توكله أيضا لان صدق توكله مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في
الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتمكن فيها وتحقق بها ثم قال فاذا تاب توبة

لقربه من الله تعالى مع اعتقاده ان الله تعالى اله واحد لا شريك له فهل اعتراضه مردود أم لا وهل التوسل بالانبياء والاولياء جائز
في الحياة وبعد الممات أم لا أفيدونا مأجورين الجواب قال الشيخ الامام العلامة أبو العز أحمد بن العجمي الشافعي الوفائي الازهري
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين هذا المعترض لا يؤبه أي لا يعتبر
باعتراضه ولا يتابع في أقواله
وان اعتقد ان ما عليه هذه
الطائفة كفر فقد باء به وعليه
ان يجدد اسلامه مع تعزيره
وتنكيله لاساءة الادب
وغوايته فقد واظبت هذه
الطائفة أجلة أعلام مشايخ
الاسلام كالعلامة المقدسي
والعلامة الشرنبلالي وحضر
مجالسهم جهابذة حفاظ
فلهؤلاء الطائفة سند أي سند
وسلف أي سلف وما يفعلونه
ليس برقص انما هو مجرد
دوران ومع التنزل فالرقص
الخالي عن التكسر والتثني
لا حرمة فيه ما لم ينضم اليه محرم
كآلة ومزمار أو اشتمل على
تكسر وتثن كفعل المخنثين
لمضاهاتهم ومن تشبه بقوم
فهو منهم لا مطلق التكسر
والتثني لوروده عن السلف
الصالح وعدم ورود النهي
عن صاحب الشريعة الغراء
عن مطلق التكسر وهو ظاهر
وأما أمره بقضاء الصلاة دليل
على سوء عقيدته اما لكونه
لا يرى صحة الصلاة الا خلف
معصوم أو اعتقاد كفرهم
وهذا كفر والعياذ بالله تعالى
فان الصلاة صحيحة خلف كل
بر وفاجر ولا قضاء كما لو بان
امامه محدثا أو ذا نجاسة خفيفة
وانما يلزمه القضاء اذا بان
امامه كافرا ام علنا وأما قوله
يا سيدي أحمد يا بدوي أو
يا شيخي فلان ليس من الاشراك لان القصد التوسل والاستغاثة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقد
سئل استاذنا علامة الاسلام وحامل لواء الشريعة الغراء على أحسن نظام الشيخ محمد الشوبري رحمه الله تعالى عما يفعله السادة
الخلوتية من ذكر الله تعالى قائمين محلقين رافعي أصواتهم بقولهم هو هو فهل لمن يعرف ذلك الاعتراض عليهم ويدعي انهم يعنون من

زمسو حاتم زهد فى الدنيا حتى لا يهتم فى غدائه لعشائه ولا فى عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا يكون له تعلق هـم بعد فقد جمع فى هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لان الفقير عادم الشئ اضطرارا والزاهد تارك الشئ اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكله يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر والصبر يحقق حبس النفس وصدقه وحبس النفس لله يحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات انتهى الوجه الثانى وهو الذى وعدناك به انه لا ينال شئ من المقامات الا بالزهد فيه والتوبة عنه وهذا كلام ينكره من لم يبلغ محله ويغفل عنه من هو من أهله فلنحاول فى طرح مقافله وكشف شئ من سواحله ولعل المنان ينظر الى زعمنا فى ذلك فيمن علينا بفاتحه ساله بخاتمه وفاتحه صلى الله عليه وسلم وعلى آله فنقول والله المستعان وعليه التكلان ان العبد اذا عظم تعطشه لمولاه وكان مطلوبه هو دون ماسواه وترفرفت دواعى اشتياقه لحماه تأبى همته الاباه وتستنكف وتشمئز ان وجهت وأثبت بسواه وتنشد قول ذلك الاواه

ان كان منزلتى فى الحب عندكم * ماقد رأيت فقد ضيعت ايامى

وكذلك ان خطر له غير الله بر ما فما تاب منه سريعا ورأى ذلك من نفسه من أعظم الجنايات كالردة ونقض العهد فلا تلوح له مرتبة من المراتب أو مقام من المقامات الا ويتوب من الوقوف معه أو يزهد فيه رغبة فى سيره وانجذابه اليه وهذا غاية فى التوبة والزهد ومن تمكنت عظمة مولاه من قلبه واستولت على سويدائه ولبه اكسبته التواضع الحقيق فلو ملك والحالة هذه الدارين واستخلف فى العالمين لنزل عن ذلك كله تواضعا لله قائلا بلسان حاله ومقاله

تخولنى عطفا ولا بملكها * ويأبى خضوعى كل تلك المراتب

ولو خير بين كونه وليا ملكا أو وليا عبدا التواضع واختار العبودية اذ تواضعه ناشئ عن شهود عظمة الربوبية وتحقق حقارة الاصلية فهو ذات له واما بالذات لا يختلف ولا يختلف وهذا نوع آخر من الزهد والتوبة ومن هذين البساطين يقال لو كانت الاحوال والمقامات عبيدا الى لبعث الجميع زهدا منى فى ذلك ولو خطر شئ من ذلك ببالى لتبت منه فهكذا تفهم التوبة والزهد المذكور لا كما يفهمه أهل القصور وهذه التوبة وهذا الزهد يكسبان سنى الاحوال والمقامات ويرقيان الى أعلى الرتب التوحيدية والدرجات وكيف لا ومن شغل بالله عن حظه فعليه تصب الحظوظ ومن شغله حظه عن الله فهو ملفوظ ومن هنا نتامح شيأ مما كان يجرى على لسان مولاى الوالد رضى الله عنه انهاضا لهمة الطالب وتحريرا له من رق المنازل والمراتب وهو قوله رضى الله عنه لا ينال مقام من مقامات العارفين أو منازل حال من أحوال المتوجهين الا بالزهد فيه الوجه الثالث ان المقامات لترتبها بعضها يصب فى البعض الا ترى ان من تمهدت له ارهاصات التوبة ووفق لاستثباتها زججه ذلك فى التوبة جملة فان قوى على الثبات عليها جره ذلك الى الاخذ فيها على سبيل التفصيل من مجاهدة ومحاسبة ومراقبة فان ثبت فيه كبه ذلك فى الورع فان تمكن فيه صبه ذلك فى الزهد فان صار له مقاما قذفه ذلك فى التوكل وهكذا فالمقامات موجودة فى التوبة والزهد بهذا الاعتبار والحاصل ان من انكح قرى الزهد طويبة التوبة انتج له افراخا جيادا من بلابل الاحوال وفواخت المقامات واذا حصلت ما ذكرنا واستنبت ما اليه أشرنا بان لك أن هذا البيت هو بيت القصيدة وواسطة عقد نظمها وقطب دائرتها فقد بين

ذلك فاجاب بان طريق السادة الخلوتية من أعظم الطرق العرفانية وقد سلوكها الكثير من الأئمة الاعلام السادة القادة العظام لتصفية السرائر وتنوير الافئدة والبصائر والتخلص من الرعونات النفسانية والتحلق باخلاق تلك الاسرار العرفانية فاشرقت عليهم أنوارها ودارت فيهم وبهم وعنهم أسرارها فتكاملوا بالحقيقة بهذه الطريقة وصاروا هم المشار اليهم بالكمال على هذه الحقيقة فيها من موارد ما أعذبها ومشاهد ما أطيبها كرع من حياضها العاملون وتبلوا فى مشاهدة أسرارها وما يعلقها الا العاملون الى ان قال فلا انكار ولا منع من ذلك ولا اعتراض على أهل هذه المسالك ومما كتبه الشيخ محمد الشهير بالعارف الخلوتى الى شيخه شيخ الاسلام شهاب الدين ابن حجر المكى نزيل مكة المشرفة ماقول السادة المحققين رضى الله تعالى عنهم أجمعين فى جواب من يذكرون الله تعالى قياما وقعودا وبالانغام الموسيقية بالتمطيط واظهار المدين همزة ولام الف اله ومد الهاء من اله ويقولون هو وهاوهى ويذكرون بالحلق وحى ويرقصون بعض الاحيان بالتواجد والوثبات ويغيبون عن ادراكهم ويقعون على الارض وينشدون الاشعار والكلام المطرب المهيج المحرك للذهن الى النشاط وغير ذلك مما يتعلق باحوال المريدين من أهل الطريق عموما وخصوصا هل هو حرام أولا وهل تركه أولى أو هو سنة وهل يجوز الانكار على هؤلاء أم له أصل فى الكتاب والسنة وهل يجوز سب مشايخ الطريق أفتونا أثابكم الله الجنة فكتب الشيخ الجواب فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين اللهم انى أسألك الهداية يجوز الذكر بجميع الانواع وهى بايل وبلاها لورود الشرع فيه لان ايل اسم الرحمن ولاها اسم المحجوب ولا تذكر لا اله الا الله الا فى الشهادتين ويجوز الذكر بهو وها وهى وبغير العربية وبالقلب وبالحلق ويجوز الذكر باسماء الله طرابان يقول لا رحمن الا الله الى آخر الاسماء الحسنى وباسم

فيه اللفظ الذى يستنزل سماويات المقامات والاترالث التى بها تغتنم ربات الموهوبات ولو اكتفى بهذا البيت عن جميع ابيات القصيدة لكفاه لكونه جامعا لما تفرق فيها ولما اشتملت فيها لكن بالاستلزام فقد ذكر ذلك رضى الله عنه تفصيلا ثم جمع فى هذا البيت اجمال كل ما فصل فى غيره من أبيات القصيدة ليحصل لك ذلك جملة وتفصيلا ولعله لك يشرف هذا البيت وما احتوى عليه من المحاسن فنسبة هذا البيت من منازل السائرين نسبة كلمة الشهادة من اعتقادات المتقدمين فكما انها مستلزمة لجميع عقائد الايمان كذلك هو محتوعلى جميع ما ينزله السائر الى حضرة الرحمن وفى اتيان الناظم به وسط القصيدة يجعل ما قبله وما بعده كالصدفة له وهو كاللؤلؤة بعض مناسبة لقدره ولو كتب بلون يخالف للون سائر الابيات ليكون فى وسطها كالعلام ما كان على فاعل ذلك ملام فما اجدره واحقه بان يوقر بقنايره اناو لاشك فى صحة ما نذكر فيه من الآثار عن سيد البشر المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الاخيار فقد ذكر صاحب ائمة السنين فى مناقب الاخوين الشيخ ابى عبد الله محمد والشيخ ابى زيد عبد الرحمن الهريزيين رضى الله عنهما ان أحدا كابر تلامذة الشيخ أبى عبد الله وهو والشيخ العارف أبو عثمان سعيد بن سليمان بن زاهد رضى الله عنه قال كنت ليلة نائما فرأيت كان الشيخ أعنى سيدى اباعبدالله فى جامع الجزارين من مراكش قاعدا على يسار الداخل من الباب الشرقى وعليه جماعة من الناس جلوسا لاخذ العلم عنه فدخلت من الباب فلما انتهيت الى الحلقة وانا أريد الجلوس معهم اذ رأيت جماعة مقبلين من جهة القبلة وهم نور ساطع وجمال ظاهر فنظرت اليهم فاذاهم أربعة نفر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم صلوات الله عليه وموسى صلوات الله عليه وعيسى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فقام الشيخ رحمه الله وكل من كان معه فلقيهم فى نصف المسافة التى كانت بينهم فلقيه صلى الله عليه وسلم بالبشر والسرور ظاهر فى وجهه فتعلقت به صلى الله عليه وسلم وجعلت ابكى واتضرع وانادى ياسيدى يارسول الله عسالك ان تلقننى شيأ انجو به من هذه الدنيا واتخلص به عند ربى فنظر الى ورجع الى اقباله على الشيخ مرات ثم التفت الى ورد وجهه للشيخ قال له القى اليه يافلان فقال له يارسول الله قد القيت اليهم ما عندى وبلغت جهدى فرد النبى صلى الله عليه وسلم وجهه الى واذا بهذه القصيدة فى يدى وكنت كثيرا ما الازمها فأخذها من يدى وجعل يتصفحها الى ان وصل الى بيت من أبياتها فوضع عليه أصبعه وناولنى الكراسة وأومأ الى البيت وقال لى عليك بهذا البيت قوله رحمه الله تعالى فقى التوب الخ واخبرنى الاخ فى الله والحبيب فى ذاته الشيخ ابو عبد الله محمد بن على النجى الزروالى انه وجد بخط شيخه الاول الشيخ العارف أبى محمد عبد الوارث بن عبد الله المانسوى رضى الله عنه على حاشية هذا البيت روى الناظم رحمه الله لما كمل هذه القصيدة رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد وضع صلى الله عليه وسلم مسبحته الكريمة على هذا البيت وهو يقول له لباب قصيدتك هذا البيت ولما فرغ من الركن الثانى وما يتبعه ولم يبق الا الثالث شرع فى ذكره فقال رضى الله عنه

﴿ولم يبق الان تداوم كل ما * تكون به عبدا الى آخر العمر﴾

يبق مضارع بقى وهو مجزوم بلم والايجاب للنفى وان تداوم ناصب ومنصوب والجملة فاعل يبقى والمداومة المواظبة وكل مفعول تداوم وما مضاف اليه مدلوله وهى نكرة موصوفة أى كل شئ

منفرد باللسان وبالقلب ويجوز الرقص بدليل رقص الحبشة فى المسجد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورقص جعفر بن أبى طالب بين يديه صلى الله عليه وسلم حين قال أشبهت خلقى وخلقى حتى غاب عن ادراكه بحضور النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه وانشاد الشعر جائز بلا انكار وكانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يتناشدون الاشعار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر يوم العيد على الغناء وأصل هذه الطريق من الكتاب والسنة لا يجوز الانكار عليها بالاتفاق والمنكر كافر شرعا لانكاره أصل الكتاب والسنة وسب المشايخ اهانة فى الدين واهانة الدين كفر شرعا وعقلا بلا خلاف والله أعلم (سؤال) رفع للبلقينى رحمه الله تعالى وصورته ما قولكم فى جماعة صوفية يجتمعون فى مجالس ذكر ويذكرون ثم ان بعضهم يقوم ذاكرا هائما لوارد حصل له فهل يلام على ذلك مختارا كان أوغير مختار وينكر عليه ويزجر أم لا أفيدوا ومع البسط أثبتم الجنة (فأجاب) شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى المذكور بانه لا انكار عليه فى ذلك وليس مانع منه ويلزم المنكر لذلك التعزير وكذا أجاب العلامة برهان الدين الابناسى بمثل ذلك وزاد ان صاحب الحال مغلوب والمنكر محروم ما ذاق لذة الوجد وما صفا له المشروب الى ان قال وبالجملة السلامة فى تسليم حال القوم وكذا أجاب بنحو ذلك أئمة من الحنفية والمالكية وكتبوا عليه بالموافقة والله أعلم وكذا أجاب الناقد جلال الدين السيوطى رضى الله تعالى عنه بعد نقل هذه الاجوبة بقوله وكيف ينكر الذكر قائما والقائم ذاكر وقد قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه فان انضم الى هذا القيام رقص أو وجد ونحوه فلا انكار عليهم فان ذلك من لذة الشهود والمواجيد وقد ورد فى بعض طرق الحديث رقص جعفر بن أبى طالب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم حين قال له أشبهت خلقى

وخلق من لذة الخطاب ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه ذلك فكان هذا أصل في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم لما يذكرون من لذة المواجيد وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع من جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الاسلام سلطان العلماء عزالدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى ثم قال وكذا أجاب الفاضل الكوراني في رسالته عند ذكر الآداب في الذكر فتوى السادة الشافعية قد شبه الغزالي رحمه الله ذكر شخص واحد وذكر جماعة مجتمعين بمؤذن واحد ومؤذنين جماعة فكما ان أصوات الجماعة بقطع جرم الهواء أكثر من صوت شخص واحد فكذلك ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا في رفع الحجب من ذكر شخص واحد ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وذكر رفقائه وقولنا أكثر تأثيرا في رفع الحجب لان الله تعالى شبه القلوب القاسية بالحجارة في قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة فان الحجر لا ينكسر الا بقوة وقوة ذكر الجماعة على قلب واحد أشد من قوة شخص واحد اه (سؤال آخر) لابن حجر العسقلاني ما قول العلماء العاملين في جماعة من المسلمين طلبة علم فقراء يجتمعون في جماعة يصلون الفريضة جماعة ثم يذكرون الله ويسبحونه ويهللونه ويكبرونه ويحمدونه بالوارد في السنة الصحيحة المأثورة وغير ذلك مما نقل عن السلف الصالحين ويختمون ذلك بفاتحة الكتاب ثم يذكرون لا اله الا الله بهيئة اجتماعية يصدر عنها رقة في قلوبهم وجدوا الشوق في الاستغراق في وحدانية معبودهم فمنهم من يسمع منه توحيد بلفظ الجلالة فقط الله الله الله ومنهم من يسمع منه آه آه آه فاذا انتهى بهم هذا الاستغراق ختم واحد منهم بلا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويختم باقي الجماعة كذلك ويدعون ويتفرقون هذا دأبهم وحالهم فأنكر عليهم شخص قائلا ان هذا الاجتماع ورفع الصوت بالذكر بدعة وقال آخر هؤلاء كلاب يعوون وقال آخر الذكر

تكون به عبدا وعائدها الضمير المجرور بالباء والعبد اسم مضاف لاسم الرب والسيد والمالك وذلك ان العبد مأخوذ من قولهم أرض معبدة أي مذللة سهلة فاذا العبد بمعنى الذليل وكل ذليل يعقل ولا يوجد الا عند المذل له والمذل له هو الرب والسيد والمالك وعبدا خبر تكون واسمها ضمير المخاطب والى آخر العمر متعلق بتداوم وفي بعض النسخ منتهى بدل آخر وهما بمعنى والعمر بفتح العين وضمها وسكون الميم فيهما وبضم الميم والعين الحياة ولا يصح الا الاخير هنا للوزن ﴿يقول﴾ والله أعلم ولم يبق لك أيها الموفق بعد تحصيل الركنين المتقدمين وتحليك مقدورك مما بيناك من أول القصيدة الى هنا الا ان تداوم الى آخر عمرك ومنتهى حياتك وتلزم الى مفارقة روحك لبدنك كل خصلة مما دخل في كونك عبدا محضا الذي هو وصفك اللازم لك وللعبادة خلقت ومهما غفلت خرجت من نعتك ووصفك وكنت غير عبد حقيقة لان العبد هو الذليل لمولاه ولا يظهر التذلل الا في العبادة لله تعالى قلبية أو قالبية وذلك أقصى غاية الخضوع والتذلل وما ذكر الناظم في الدؤب على العمل الى الموت بين فان الامور معتبرة بالخواتم ولا عبرة باستيعاب شعائر الدين لو أمكن ما لم يداوم على ذلك الى الموت قال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت وقد ندب صلى الله عليه وسلم لذلك بفعله وقوله فقد كان فعله ديمة أي ان صدرت منه طاعة التزمها وداوم عليها وقال صلى الله عليه وسلم أحب العمل الى الله أدومه وان قل وقال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق الى غير ذلك مما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى وهو كثير وقليل دائم خير من كثير منصرم وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله ما لعمل المؤمن انتهاء دون الموت والله ما المؤمن الذي يفعل الشهر والشهرين والسنة والسنتين انما المؤمن المداوم على أمر الله عز وجل الخائف من مكر الله انما الايمان شدة في لين وعزم في يقين واجتهاد في صبر وعمل في زهد وفي هذا البيت قطع لدابر البطالين ممن انتسب لهذه الطائفة ولم يصف نفسه في مصاف الخدمة لله ويقول ان ذلك شأن العباد وهم بعد محجوبون عن الله وما درى المقدور بأن الكل عامل لله مصحوب على وجه في خدمته وان العمل له قلبا وقالبا قدر مشترك بين أهل التحقيق وانما التفرقة بالنيات والقصود وقد روي عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انه مر على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال ما أنتم فقالوا نحن عباد قال فلأي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله عز وجل من النار فخفنا منها فقال حقا على الله عز وجل ان يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شيء تعبدتم فقالوا شوقنا الله عز وجل الى الجنان وما أعد فيها لاوليائه ونحن نرجوا فقال حقا على الله عز وجل ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياؤه عز وجل حقا معكم أمرت ان أقيم فأقام بين أظهرهم فانفصلت هذه الطائفة التي أقام معها الا بالنية وأما صورة العمل فموجودة عند الكل ومن تتبع الصحابة والتابعين وأكابر الاولياء والصديقين وأهل التمكين والرسوخ من العارفين المقربين وجدهم كلهم لله عاملين قلبا قائمين بوظائف العبودية الظاهرة والباطنة ولا دليل للخلاف في قول من قال اذا وصل العمل للقلب استراحت الجوارح لان معناه عندهم ما سره الطريق انها تستريح من تعبه لان ما وصل

للقلب

بالجهر ليس له أصل لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وقال صلى الله عليه وسلم خير الذكر ما خفي فهل يجوز ما يفعله هؤلاء بهذه الهيئة والذكر جهرا أم لا ثم ان بعض المنكرين أراد أن يدخل عليهم عند اشتغالهم بالذكر قارئا للقرآن فاذا لم يبطلوا الذكر ويسكتوا ويستمعوا القرآن فقد خالفوا قول الله

عز وجل في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فهل له ذلك أم لا وهل يجب على الذاكرين حينئذ السكوت والاستماع ويأثمون اذا لم يستمعوا وما يجب على المنكر عليهم ومن يؤذيهم بالقول والفعل وما جزاؤه أفيدونا مثابين ﴿الجواب﴾ نعم يجوز الجهر بالذكر وان كان الاسرار أفضل ولا يلزم منه سلب الفضل عن المفضول بل غاية قضيته ذلك ان يشتركا في الفضل ويزيد أحدهما وليست فضيلة الذكر السر لذات السر ولا فضيلة الجهر لذات الجهر خاصة بل السر في السر بعده عن الرياء فحيث يأمن الذاكر الرياء في الجهر انتفى المحذور الأول عنه وانما قلنا الأول لانه اذا سلم الجاهر من الرياء لم يأمن العجب فان امن منه انتفى المحذور الثاني فان انضاف الى ذلك ايقاظ غافل وتنبيه ذاهل لم يبعد رجحانية الجهر الا ان تزيد حكمة السر بالتفكر الذي قد لا يحصل من الجهر وأما من قال رفع الصوت بالذكر بدعة فلم يصب لانه ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينصرف الناس من المكتوبة

للقلب خفف على الجوارح لانه ملك وهي خدمه وغرض الملك خفف على الخدمة وقد روي عن الجنيد رضي الله عنه ان رجلا قال بحضرته أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى فقال الجنيد هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بي دونها وانها لآكد في معرفتي وأقوى في حالي وروي أيضا في منتهاه وفي يده سبحة فقيل له أنت مع عظم اشارتك وعلو رتبتك تأخذ السبحة فقال شيء وصلنا به الى الله لا نتركه ونحو ذلك قال قبله أول من تكلم في هذا الشأن امام الأئمة الحسن البصري رضي الله عنه وذلك لان عامر بن شعيب رضي الله عنه رأى في يده سبحة فسأله عن ذلك فقال يا بني هذا الشيء كنا استعملناه في البدايات فما كنا بالذي نتركه في النهايات أحب أن أذكر الحق تعالى بقلبي ويدي ولساني والحكايات في هذا المعنى كثيرة على انا لا ننكر على من كان من أرباب القلوب سيره بالقلب فقط وانما حذرنا من الغلط اذ النفس مجبولة على ضد الخير والطريق خفي المكان والعدو بالمرصاد والدرهم يلابس العقل والباطل يشاكل الحق وقد قال في العوارف ويحترز المبتدي عن مجالسة الفقراء الذين لا يقولون بقيام الليل وصيام النهار فانه يدخل عليه منهم الشر ما يدخل عليه من مجالسة أبناء الدنيا وربما يشيرون الى الأعمال شغل المتعبدين وأن أرباب الأحوال ارتقوا من ذلك وينبغي للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان بحسب لا ينبغي أن يدخل هذا الكلام سمعه راسا فانا جربنا ومارسنا الامور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا ان الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون الزيادات والنوافل تحتها قصور مع كونهم أصحاء في أحوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه في بدايته انتهى وأصل البيت قوله في العوارف والزهد والتوبة اذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يفوز هذه الثلاثة ويتيسر وبعضها يتوقف على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المحققين بالزهد المستقيمين في التوبة تخلو عن كثير من سني الاحوال لتخلفهم من هذا الرابع ولا يراد الزهد في الدنيا الا لاستكمال الفراغ المستعان به على ذاته العمل لله انتهى ثم قال رضي الله عنه

﴿وتكمل أركان الولادة فاخترق * بها ملكوت السبع من غير ما حجر﴾

تكمل بالنصب عطف على تداوم لان أسباب اكمال ذلك في طوقه وأركان الولادة مفعوله وهي الايمان والتوبة النصوح والزهد وتحقق مقام العبودية بدوام العمل لله والمراد هنا بالولادة الولادة المعنوية وفي قوله تكمل اشارة الى أن أصل تلك الاركان موجود معه وانما بقي عليه اكمالها وهو كذلك حسبما يأتي وقوله فاخترق جواب الشرط المقدر أي فان أكملتها فاخترق وهو طلب في معنى الخبر أي فان أكملتها صح لك أن تلج ملكوت وبصيغة الخبر عبر في العوارف كما يأتي وبها متعلق بقوله اخترق وضميره للاركان المكملة وملكوت السبع مفعوله أيضا وللقوم في الملكوت اصطلاحات منها أنه الملك الباطن كدرجات الجنان ودركات النيران وباطن السموات والأرضين وهو المراد هنا وكذا هو مذهب صاحب العوارف فيه والمراد بالسبع هنا السبع سموات وقوله من غير ما حجر من بمعنى الباء وما زائدة وهو حال من فاعل اخترق أي حال كونك مصاحبا لعدم الحجر ﴿يقول﴾ والله أعلم والشق الثاني مما بقي عليك ان تكمل أيضا باحكامك هذا الركن كما أحكمت الركنين

وهذا ظاهر في مشروعية الذكر بالجهر وكذا الذكر في المسجد الأعظم لاقامة الصلاة لكن قال النووي رحمه الله تعالى حمل الشافعي رضي الله تعالى عنه على ذلك على انهم جهروا وقتا لأجل تعليم الذكر لا انهم داموا على ذلك قال والمختار ان الامام والمأموم يخفيان الذكر لا ليعلم اه ولو كان الحامل على ذلك كونه في مسجد

وقت الصلاة ويحصل من رفع الصوت تشويش فترك الجهر أولى وان لم يحصل فهو محل النزاع وأما من قال هؤلاء كلاب يعوون فقد أخطأ خطأ شنيعا وقال قولا يكاد صاحبه ان يقع فى الكفر من جهة تشبيه أصوات الذاكرين عباد كر ويستحق على اطلاق ذلك عليهم التعزير البليغ اللائق بمثله والله أعلم بالصواب (وهذه صورة) ما أجاب به الشيخ الامام سليمان الشبراخيتى المالكى رحمه الله تعالى الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على رسوله سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده هؤلاء السادة ذكرهم مشهود مشهور ويحضرهم فيه العلماء والفقهاء قرنا بعد قرن من قديم الزمان الى الآن فهم على حال محمود وطريق بالخير معهود فمن آذاهم فهو مستحق لما فى الحديث القدسى من الوعيد من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب ومن لم يكن منهم وليا فهو فى حمى الاولياء لحبه لهم ومشيه على طريقهم وما رأينا السادة الخلوتية عصر من السادة الدمرداشية والسادة الذين هم فروع الاستاذ سيدى كريم الدين الخلوتى وغيرهم الا فى غاية من الاتقان بذكر كلمة الايمان وبالنطق بالاسم على وجهه المعظم الاعظم فاحياهم الله وحياهم واحيا الطريقة بوجودهم ومزيد النور فى وجوههم مما استنارت به سرائرهم وزكت ضمائرهم فمن نسبهم للكفر فهو الكافر وصلاتهم فى غاية الصحة فعلى من كفرهم ان يجدد اسلامه وعلى ولى الأمر ان يدفع عن هؤلاء السادة ويكف عنهم ألسنة الجهلة المتكلمين فيهم بغير ما يجوز فى حقهم مما هو مذكور فى السؤال وقد سبقنا الشيخان وهما المفتيان العلامة شهاب الدين الرملى الشافعى والعلامة الشيخ عبد الحى الشرنبلالى الحنفى رحمهما الله تعالى بما يغنى عن اعادة المقال ولله الحمد على وجود مثل هؤلاء السادة المحيين من ما اندرس من طريق القوم مع ما لهم من ذلك من أذكار فى الخلوات والجلوات وما هم عليه من الصيام والقيام فهم السادة

قوله أركان الولادة المعنوية فتخرج من مشيمة النفس وبطن العادة والتقييد بعالم الملك الى عالم الملكوت وفضاء القدرة وزوال سجف الحكمة عن بصيرتك فان كلتها وتحققت بها فاخترق أعنى بروحك بسبب هذه الولادة المعنوية لعدم تقيد روحك اذ ذاك بحكم جسمك ملكوت السبع سموات انتج حالا من أحوال العارفين وتكتسب زوائد المعارف بما تشاهده هنالك من القدر والآيات وانواع خوارق العادات حال كونك مصاحبا بعدم الحجر والمنع لتأهلك لذلك واستحقاقك له قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه ان النفس اذا عقدت على ترك الآثام جالت فى الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى اليها عالم علما ولا مانع من الاسراء بالروح اذ المختص بمحمد صلى الله عليه وسلم هو الاسراء بالروح والجسم معا كما ذكره ابن ابى جمرة رضى الله عنه وغيره وقد قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده لم يقل بنبيه ولا برسوله وهو نبيه ورسوله وانما كان كذلك لانه أراد أن يفتح باب السريان للاتباع فأعلمنا أن الاسراء من بساط العبودية فالنبى صلى الله عليه وسلم له كمال فى العبودية وكان له كمال الاسراء أسرى بروحه وجسده وظاهره وباطنه صلى الله عليه وسلم والاولياء لهم قسط فى العبودية فلهم قسط من الاسراء يسرى بارواحهم لا بأشباحهم اه وسيأتى من كلام العوارف على قوله تجردت عن كل شئ من هذا وأصل البيت قوله فى العوارف وانى بمبلغ علمى وقدر وسعى وجهدى اعتبرت المقامات والأحوال وثمراتها فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان أربعة ثم رأيتها فى افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الأربع التى جعلها الله باجراء سنته معدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الأربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالنور والآيات ويصير له ذوقا وفهما لكلمات الله المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأت وتأكدت أحد الثلاث بعد الايمان التوبة النصوح والثانى الزهد فى الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا من الاعمال القلبية والقالبية من غير فتور وقصور انتهى وما ذكره من الولادة المعنوية قد تكلم عليها فى محل آخر باوضح من هذا فقال والسر فى وصول السالك الى رتبة المشيخة ان السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطمأنينتها تنتزع عنها البرودة واليبوسة التى استصحبتها من أصل خلقتها وبها تستعصى على الطاعة والانقياد للعبودية فاذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصل اليها وهذا اللين هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله تجيب الى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب المؤمن بين الروح والنفس ذو وجهين أحد وجهيه الى النفس والوجه الآخر الى الروح ويستمد من الروح بوجهه الذى يليه ويمد بوجهه الذى يليه حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه وفاءت الى أمر الله ثم القلب يشرئب الى السياسة لما فيه من التوجه الى النفس فتقوم نفوس المريدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية فى عين النفسية من وجه أو وجود التألف بين الشيخ والمريدين من وجه بالتألف الالهى قال تعالى لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فيسوس نفس المريد كما يسوس نفسه من قبل ويكون فى الشيخ حينئذ معنى التخلق باخلاق الله

من معنى قول الله ألا طال شوق الأبرار الى لقائى وانى الى لقائهم لأشد شوقا وعاهما الله تعالى من حسن التألف بين الصاحب والمصحوب بصير المريد جزء الشيخ كما لولد جزء الوالد فى الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية كما ورد عن عيسى صلوات الله عليه لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين فبالولادة الأولى له ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت قال الله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وصرف اليقين على الكمال يحصل فى هذه الولادة يستحق ميراث الانبياء ومن لم يصله ميراث الانبياء ما ولد وان كان على كمال من الفطنة والذكاء نتيجة العقل والعقل اذا كان بائسا من نور الشرع لا يدخل الملكوت ولا يزال مترددا فى الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لانه صرف فى الملك ولم يترق الى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التى معها تنبعث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كل ما عند من يترجم عنه يبوح الى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد المعقول العزيزية عن نور الهداية التى هى موهبة عند الأنبياء واتباعهم الصواب واسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما ان فى الولادة الطبيعية ذوات الأولاد فى صلب الأب مودعة تنتقل الى أصلاب الأولاد بعدد كل ولد ذرة وهو الذرة التى خاطبها الله يوم الميثاق الست بربكم قالوا بلى حيث مسح آدم وهو ملقى ببطن نعمان بين مكة والطائف فسالت الذرات من مسام جسده كما يسيل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجابت ردت الى ظهر آدم فمن الآباء من تنتقل الذرات فى صلبه ومنهم من لم تودع فى صلبه فينقطع نسله هكذا فى المشايخ من يكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من يقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذى رد الله على الكفار حيث قالوا محمد أبتر لا نسل له قال الله تعالى ان شانئك هو الأبتر والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم نسله باق الى أن تقوم الساعة وبالنسبة المعنوية يصل ميراث العلم الى أهل العلم واعلم انه لما كان دوام العمل لله هو أشد ما طلب من العبد وعقبته كؤد لا يصعدها الا من أخرج له من بيت عدة التوفيق منطقة من بيت الصبر ومنساة من عزم احتمال رضا الله عنه فى نصر العبد على ذلك بحلية جليلة هى كافيل صل أب حياة أنفع فى النصرة من قبيلة وصنع له لاذهاب علة رعب ذلك عن قلبه شربة مزجها بأنواع حلاوى حسن الكلام وأبان بديع النظام حتى عاد بعد مرها أحلى وخلها عسلا فقال له أولا ولم يبق عليك أيها الموفق بعد ما ذكر الا ان تداوم على كذا وتكمل على ما معك من كذا وهذا خطاب يقتضى بشهادة الطبع السليم غاية سهولة ما طلب وبه تم علاجه كما يعلل الصبى بقوله فان داومت على ما نبهتك عليه وأكملت ما أشرت لك اليه ولجت ملكوت السموات وتفرجت فى أنواع المغيبات واطلعت على أسرار الكائنات وهذا لا محالة يستخرج منه القريحة ويتركها بعد صحيحة اضعف عقله ثم نبهه فى البيت الذى أردنا ان نشرع فى شرحه ان ثم ما هو أعلى من هذا وحرضه على محاولة الصعود اليه مشيرا له الى سبب ذلك ومحذرا من التكاسل عنه بقوله فلا تزل تطير الى العلياء بأجنحة الشكر ثم صرح له فى البيت الذى بعده بالمقصود ووقفه بباب الواحد المعبود وأعلمه

الاعلام وممن يرحمهم الله تعالى بهم الانام ولا عبرة بمن خالفهم فانه محروم والسلام وذكر المناوى فى طبقات الاولياء فى ترجمة الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه قالوا انهم اذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون قال دعهم يفرحون بربهم وهذا القدر من فتاوى مذاهب الأئمة الاربعة الاعلام من العلماء المتقدمين ومشايخ الاسلام فيه كفاية وغنية لمن كان قصده الاخذ من الكتاب العزيز والسنة ولم يكن ذا عناد وحسد ولوم على من وفقه الله تعالى لسلوك طريق القوم واما ما وجدته للمتأخرين من العلماء العاملين والفقهاء المتبحرين فى رسالة مستقلة جمعها الاستاذ الكامل والمرشد العارف الفاضل الواصل سيدى الشيخ محمد بن أستاذ شيخنا العارف بالله تعالى والدال به عليه شيخ الشيوخ ومعدن التمكين والرسوخ الشيخ سيدى محمد حسن بن حمزة ظافر المشهور بالمدنى لانه من أعيان أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام خرج منها رضى الله تعالى عنه فى طلب الشيخ المربى وأخذ عن نحو اثنى عشر شيخا كلهم فحول فلم يفتح له على يد واحد منهم الى ان جمعه الله تعالى على قطب العارفين وامام الموحدين الشيخ الجليل شيخ الجماعة سيدى ومولاى العربى بن سيدى أحمد الدرقاوى المغربى الشريف الحسنى الشاذلى قدس الله تعالى سره ونور ضريحه ونفعنا الله تعالى بعلومه آمين فلما أخذ عنه فتح الله تعالى عليه بالفتح الكبير وأخذ عن أستاده المذكور السر الواضح الشهير وورثه فى جميع أحواله وأقواله وأفعاله وأسراره فلما انتقل شيخه مولاى العربى الدرقاوى خرج من المغرب الأقصى بالاذن للارشاد ونشر الطريقة الشاذلية الدرقاوية فى جميع البلاد فلما وصل الى طرابلس الغرب حصل له الاذن بالاقامة فيها والتوطن فنشر الطريقة وأظهر ثمرات أهل الحقيقة وأقبلت عليه الرجال من العلماء والطلباء وأهل المدن والفقراء وأهل البوادى ومن فى رؤس الجبال وعمت بركاته وفيوضاته سائر

ان كل ماعدا ذلك مردود وهو قوله فلا تك الا تاليا البيت فهكذا يساق المريد ويسهل عليه الشديد والافلا رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنة النظر مأواه ثم قال رضى الله عنه

﴿ومن خير ما تعطى الدوام فلا تزل * تطير الى العليا بأجنحة الشكر﴾

الدوام مبتدأ وماقبله خبره وما موصوفة وعائدها محذوف وتقدير الكلام والدوام من أحسن شئ تعطاه وقد قدمنا بيان كونه من خير ما يكرم به العبد وقوله فلا تزل الخ خاطبه فى صدر البيت بطريق الخبر ثم التفت وخاطبه ثانيا على سبيل الأمر وفى الكلام التفات من الخطاب الاخبارى الى الخطاب الأمرى وهذا شأنه رضى الله تعالى عنه فى هذه القصيدة كلها لا تكاد تجد فيها بيتا الا وعبارته فيه مختلفة الحلل وذلك من بديع العمل ومن جميل الحمل اذ كل ذلك من شفقته على متعاطيها وتخفيف اطلاع افهامها كى يسأموها فيهجروها أخيرا والانتفاع بها الأ ابكارها مع ذلك مسدلات الخدور كثيفات الستور ذوات جمال ركالات أبواب مغلقات ولكن هذا التمهيد ان شاء الله يفتح مغلق تلك الأبواب ويكشف عن وجوه كرائمها الجلباب ويبذلها حتى يطمع فيها من لاقوة له ولاحول ممن طال ماتمنى نكاحها ولم يجد لها طولا ولا يظهر منها مكنونات الضمائر حتى يترك مستحقة التسمية بانوار السرائر قد بعدنا عن الباب فلنرجع لبيان معنى الألفاظ والاعراب اسم تزل ضمير المخاطب وجملة تطير الخ خبرها والى العلياء متعلق بتطير وبأجنحة الشكر كذلك والشكر حقيقة فرح القلب بالمنعم لأجل نعمته حتى يتعدى ذلك الى الجوارح فتجرى بالطاعات من غير تردد وقد شبه الشكر بطائر وأضمر التشبيه فى النفس ولم يصرح من أركانه بسوى المشبه وأضاف اليه شيأ من لوازم المشبه به وهو الأجنحة ففى الكلام استعارتان تخييلية ومكنية حسبما هو مقرر فى محله وفى بعض النسخ النسر بدل الشكر والمعنى بمثل أجنحة النسر والنسر طائر ينسر الشئ ويقلعه لقوته ولذلك كان أشد الطيور صعودا فى الجو حتى انه يقال ان ريش رأسه قد أسقطته برودة الأفق فالمراد اذا التحريض على تقوية أسباب الصعود المعنوى فالامداد بقدر الاستعداد ولذلك طوى ذكر المضاف الذى قدرناه فى كلامه بين الباء والأجنحة ومعالى الأمور وان تنوعت فهى محصورة فى تعلق الهمة بالله وعكوف القلب عليه وأقوال الهم به وعدم التصريح على غيره ﴿يقول﴾ والله أعلم وداوم أسباب العبودية لله فى ظاهرك وباطنك من أفضل ما تعطاه أيها الطالب كما تقدم بيانه فلا تزل ولا تبرح تطير الى معالى الأمور على ممر الأعمار والدهور بأجنحة شكر الله على ما أولاك من المنن والفضل الجسيم وما أسدى اليك من المنح والخير العظيم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه اذا أكرم الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب فى عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جريان ماقدر له ولا يلتفت اليها كأنه فى معزل عنها واذا أهان الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له حظوظه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب فى شهواته وحظوظ نفسه وعبوديته عنه بمعزل وان كان يجرى عليه شئ منها فى الظاهر وهذا باب من الولاية والاهانة وأما الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق عند ذوى البصائر كلها سواء لانه بالله فيما يأخذ ويترك انتهى ثم أشار الى بيان ما طلب من المخاطب ان يداوم عليه من أسباب العبودية وما تتكمل به أركان الولادة المعنوية فقال رضى الله عنه

المريدين وذلك فى سنة خمسين ومائتين وألف من هجرة من له كمال العز ونهاية الشرف سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مدت الحساد أعناقهم الى الانكسار والعناد وتكلمت ألسنتهم بالفحش والزور والفساد وأبدوا العذل واللوم على ماجاءهم به حضرة الاستاذ رحمه الله تعالى من أحوال القوم كاعتراضهم على الذكر بالجهر مع الاخوان فى المساجد وغيرها وانشاد الشعر المهيج المطرب ولبس الخرقة المشهورة عند القوم وغير ذلك مما لاطائل تحته بل أوجب لقائله مقت الله وسخطه فلما رأى الشيخ رضى الله تعالى عنه ذلك منهم استفتى علماء الازهر الانور فى ذلك الزمان وغيرهم من علماء المذاهب الاربعة الحاملين شريعة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وآله وسلم ولما وصلت اليهم وحصلت بين أيديهم وقرئت عليهم وفهموا المقصود قصدوا الهارضاء للملك المعبود وغاصوا بحر شريعة صاحب اللواء المحمود فاستخرجوا درر النصوص مؤيدة لاهل الطريقة المحمدية والخصوص وسأذكر بعض ما أوردوه من الأقوال لتحقق ان هذه الطريقة على قدم الشريعة فى سائر الاحوال فمن سلكها حاز الشرف ومن ذاق عرف فمن ذلك ما أجاب به فخر العلماء الاعيان وعمدة صلحاء الزمان الشيخ محمد فتح الله قدس الله روحه ونور ضريحه عن سؤال ورد عليه ونص جوابه الحمد لله وحده حيث كان هذا الرجل بهذه الحالة وأجلسه أستاذه لذلك فله فعل ماذكر ولا حرج عليه ولا بدعة فى ذلك لانه ورد انه عليه الصلاة والسلام لقن أصحابه جماعة وفرادى أما الجماعة فقد ورد عن شداد بن أوس انه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل ﴿فلا عندكم من أحد أى من أهل الكتاب قلنا لا فقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا اله الا الله فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا اله الا الله وأما فرادى فقد ورد انه عليه الصلاة والسلام لقن على بن أبى طالب حين سأله ذلك كما رواه الشيخ يوسف الكوراني بسند صحيح ان عليا رضى الله عنه

﴿فلاتك الا تاليا أو مصليا • ودائم ذكر القلب ابدمن ذكر﴾

الفاء من قوله فلاتك فصيحة ولاتقع الا في كلام وهي المؤذنة بشرط مقدر على تقدير سؤال وذلك انه لما ذكر ما تقدم ورأى ان نفس المخاطب تبقى متطلعة الى بيان ذلك قدر ان سائلا سأله وقال له ياسيدي يرحمك الله بماذا تتكمل هذه الأركان وماهي الأسباب التي طلبت مني المداومة عليها فقال ان أردت معرفة ذلك فلاتك الخ ولاناهية وتك تقدم اعرابه مثله عند قوله ولاتك ممن يحسن البدء والايحاب للنهي وتاليا خبرتك واسمها ضمير المخاطب ومصليا عطف على تاليا وأو للتخيير به عطف عام على خاص لان الصلاة فيها التلاوة وزيادة اذ أن يراعي تاليا للعرف فانه يطلق فيه على سرد القرآن بغير صلاة فيكون من عطف المغاير اذ ذاك ودائم ذكر القلب عطف على ما يكون عليه المخاطب من التلاوة والصلاة فهو راجع لأحدهما لابعينه والواو بمعنى مع فدوام ذكر القلب الذي هو الحضور مطلوب منه مع التلاوة ومع الصلاة التي طلب منه استيعاب الزمان بهما في كلامه غاية التحرير والرشاقة كما هو دأبه رضي الله تعالى عنه في هذه القصيدة الغريبة المثل فان من جملة محاسنها ان من نظرها بادئ الرأي هابها ومن أمعن النظر فيها الفها وبقصد رمضغها تستحلي وهذا شأن كلام الربانيين والقلب هو القوة القابلة للمفهومات والصدر في قوله أبدمن ذكر بمعنى اسم الفاعل وكان أصل الكلام أبده الله من ذاكر فذاكر تمييز لضمير المفعول أظهرت معه من وذلك جائز في تمييز العدد والتمييز المنقول من الفاعل وليس هذا منه ماتم بني لمالم يسم فاعله ﴿يقول﴾ والله أعلم فلاتك أيها المخاطب الناهض الهمة لما قدمناه ذكره الا في عبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات اما تاليا لكتاب الله عز وجل بتدبر لمعانيه وحضور في ذلك وتعظيم للمتكلم له وغير ذلك من آدابه الظاهرية والباطنية ومصليا الفريضة والنافلة الى وقت صليتها قائما فيها بشروطها من غير افراط ولا تفريط وحدودها الظاهرة ومندوباتها التابعة واسرارها الباطنة مع دوام ذكر قلبك الله عز وجل بحضوره بين يديه كنت في عبادة أو عادة سراء أو ضراء نعمة أو بلية فتراقب الله في جميع شؤونك وتصدق في العبودية له في جميع أحوالك ومعنى قوله أبدمن ذكر قوى الله هذا المتصف بهذا الذكر من ذاكر فهو دعاء من الناظم رضي الله عنه لهذا الذاكر بالذكر الحقيقي الذي لا تصحبه الغفلة عن الله في أحكامه الامرية والقهرية وهو أفضل من الذكر اللساني لانه لا تصحبه الغفلة ولذلك قالوا وعلم اللسان من يذكر بلجنف في الحنك وخرج بما ذكر ان القاصد الى الله كالمعتكف يجمع ورده ليجتمع همه فان هذه الثلاثة هي أوراد المعتكف ويكره له فعل غيرها الا ان كلامه يقتضي ان حكمة ألفاظه ان المريد لا يكون الا تاليا لكتاب الله أو مصليا مع ان الاشتغال بذكر واحد هو أقوى أسباب التوصل الى حضرة ذي الفضل الجزيل وقد يجاب عن هذا بجوابين الاول ان قوله تاليا أخذه بالمعنى اللغوي الصادق بالقرآن وبذكر من الأذكار الثاني أنا نسلم انه بالمعنى العرفي ولكن جل أسماء الله أو كلها مأخوذة من القرآن وتلاوة تصدق بقراءة أحزاب منه مثلا وبتكرير آية مرات أو كلمة كذلك فافهم على انا نقول أحوال القوم مختلفة في هذه المسئلة فمنهم وهو الاكثر من كان يلزم المريد اذا أشرف على الحقيقة بذكر واحد ليجتمع همه ويتحد قصده ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب حتى اذا اتحد مشربه وكملت حقيقته عاد

سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلني على أقرب الطرق الى الله وأسهلها على عباده فقال صلى الله عليه وسلم أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله ثم قال علي كيف أذكر يارسول الله فقال غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال عليه الصلاة والسلام لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلي يسمع ثم قال علي لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع بل يلزمه العمل به والقيام بوظائف الاوراد والاذكار التي عاهد عليها شيخه وتلقاها عنه لالتزامه طاعته ولامعنى للعهد الا الامتثال والعمل بما أمره به وقد نص في بعض حواشي التفسير ان تركها اختيارا كسلا فسوق ومن لازم أوراد شيخه فاز بمقاصده في الدارين كما قال في المنفرجة

والزم باب الاستاذ تفز
وتكون بذلك خل نجي

وهذه الاوضاع التي وضعها أهل الطريق في الذكر من القيام والجهر والاهتزاز وقصر الاسم الشريف في بعض الاحوال وافراد لا اله الا الله عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والانشاد والاجتماع على الذكر ولبس الخرقة ليس فيها منكر ولا دليل على منعها بل هي مشروعة لانهم لما رأوا الهمم قصرت وغلب على الناس الكسل وحب البطالة التي جبلت عليها النفس جعلوا تلك الامور وسيلة للرغبة في الذكر والنشاط والقوة عليه وحضور القلب والاقبال على المذكور والمشروعات فهي مشروعة لان الوسيلة تعطى حكم المقصد ولهم فيها أدلة من الكتاب والسنة أما القيام فقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم على ما فيها من التفاسير فهي دالة على اباحة القيام فيه بل هو أولى اذا لحقه الكسل والفتور عند الجلوس وأما الجهر فقد تقدم ان عليا رضي الله عنه تلقى الذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم جهرا والمريد يذكر على ماتلقى من شيخه وقد ورد الامر به في تكبير العيد وهو مذهب للمصلي والتلبية والرباط فكذلك الذكر ليقبل الناس عليه وينشطوا به

وتلين له قلوبهم وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يجهر بالقرآن فى المسجد فيسمعه أهل الدور حوله وان أصحابه كانوا يقرؤن
معقبات الصلاة جهرا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر
فقال آخر لو ان هذا خفض من صوته فقال صلى الله عليه وسلم دعه فانه أوّاه اى رحيم رقيق القلب وروى أن
أناسا كانوا يرفعون أصواتهم
بالذكر عند غروب الشمس
فى زمن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فاذا خفضوها أرسل
لهم أن ثوروا الذكر أى ارفعوا
أصواتكم به وقال الغزالى رضى
الله عنه ان الله شبه القلوب
بالحجارة والحجر لا ينكسر الا
بقوة تامة فكذلك القلب
القاسى لا يتأثر الا بالذكر
الجهرى القوى وأما الاهتزاز
فقد ذكر القوم فى كتبهم طلبه
للذاكر يبتدئ فى لا اله الا الله
من السرة مائلا لليمين ويختم
بالا الله على اليسار فيصل
الاسم الشريف للقلب اللحمى
ويقرعه فيكون أقوى فى
الاستحضار وأشد فى نفى
الاغيار كما نص عليه فى منهج
السالك وغيره وروى فى بعضها
أيضا أنه صلى الله عليه وسلم بشر
بعض أصحابه ببشارات فكل
من بشره منهم حجل واضطرب
وتمايل فرحا بما بشره به فدل على
جواز الاضطراب والاهتزاز
عند الهيام والفرح وقد اختلف
الفقهاء فى الاهتزاز عند قراءة
القرآن وانحط الحال على فعله
بقدر الحاجة للنشاط ودفع
الكسل فكذلك الذكر لعدم
الفارق لكن مع الادب فلا يتجاوز
الحد حتى يكون تلاعبا او رقصا
وهذا فيمن تمالك حاله وضبط
أفعاله وكانت باختياره وأما من
غلب عليه حاله وسلب بالذكر
اختياره وغاب عن حسه وشعوره فلا حرج عليه فيما يصنع لان أفعاله اضطرارية ولا تكليف الا بفعل اختيارى ووفور
كما قال العارف وبعد الفنا فى الله كن كيف ما تشا * فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر وأما قصر الاسم الشريف وعدم مده فهو
جار على بعض لغات العرب كما نقله العلامة الصبان فى رسالته على البسملة ان بعض العرب يقصره قال وذلك ينفع المسرعين فى الذكر

الى ذلك والى هذا يشير كلام الامام أبى حامد رضى الله عنه فى كتابه رياضة النفس من الاحياء
وقد ذكر الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه استخراج الشئ من محله بادخال الضد عليه
أبدا فان تعدد تعدد أو اتحد اتحد حسب سنة الله لا لزوما فى النظر وان اقتضاه العقل فلهذا أمروا
المريد فى ابتدائه بتعديد الأوراد واكثارها نفيا لما فى نفسه من آثارها وعند توسطه بافراد الورد
لانفرادا لهم وافراد الحقيقة وكل هذا بعد حفظ الورد الشرعى من ذكر أو غيره حسبما ورد عموما
ثم قال طلب الشئ بوجه واحد مع الحاح اقرب لنواله وادعى لدوام سببه المطلوب فى نفسه لافراد
الحقيقة لله فلزم التزام ورد لا ينتقل عنه حتى تحصل نتائجه والا فالمتنقل قبل الفتح كحافر بئر
لا يدوم على محل واحد وكالقطر قطرة على كل محل يريد تأثير المحل بالقطرة أترى يظهر لعمله
مع ذلك أثر واختار صاحب العوارف غير هذا فقال ولا بد للمبتدى أن يكون له حظ من تلاوة
القرآن ومن حفظه فيحفظ من القرآن من السبع الى الجميع الى أقل أو أكثر كيف أمكن
ولا يصغ الى قول من يقول ملازمة ذكر واحد افضل من تلاوة القرآن فانه يجد فى القرآن وتلاوته
فى الصلاة وفى غير الصلاة جميع ما ينبغى بتوفيق الله وانما اختار من المشايخ بعضهم ان يديم
المريد على ذكر واحد ليجتمع الهم من لازم التلاوة وهو فى الخلوة وتمسك بالوحدة تفيده التلاوة
والصلاة أوفر ما يفيده الذكر الواحد فاذا سئم فى بعض الاحايين يصانع النفس على الذكر
مصانعة وينزل من التلاوة الى الذكر فانه أخف على النفس وينبغى ان يعلم ان الاختيار بالقلب
فكل عمل من تلاوة أو صلاة أو ذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فانه
عمل ناقص وعلى هذا يحمل كلام الناظم فى البيت ولا يحتاج معه الى تكلف والقول الفصل
فى هذه المسئلة ما ذكره فى موضع آخر من العوارف اذ قال فيصلح لقوم من أرباب الخلوة ادامة
الأوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم ملازمة ورد واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة
ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الأوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر ومعرفة
مقادير ذلك يعلمه المصحوب للشيخ المطلع على اختلاف الاوضاع وتنوعها مع نصحه للامة وشفقته
على الكافة يرد المريد لله لا لنفسه غير مبتلى بهوى نفسه محبا للاستتباع فيما يفسده مثل هذا
أكثر مما يصلحه وفى أتيان الناظم بقوله فلا تلك الا تاليا أو مصليا الخ اثر قوله بأجنحة الشكر الى
ان المطلوب من العبد ان تكون أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته شكر الله وهو كذلك لان نعم الله
مترادفة على العبد فى جميع أحواله وتقلباته قال الشيخ أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه الخلق
كلهم مع الله فى مقام الشكر وهم يظنون انهم معه فى مقام الصبر وأصل هذا البيت والذى بعده
قوله فى العوارف اثر ما قدمنا على قوله ولم يبق الا ان تداوم البيت والعمل لله ان يكون العبد
لا يزال ذاكرا أو تاليا أو مصليا أو مراقبا لا يشغله عن هذه الا واجب شرعى أو مهم لا بد منه طبعى
واذا استولى العمل القلبى على القلب مع وجود الشغل الذى أداه اليه حكم الشرع لا يفتر باطنه
عن العمل فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفضل وجهد فى
العبودية قال أبو بكر الوراق من خرج من قالب العبودية صنع به ما يصنع بالافق وسئل سهل بن
عبد الله التسترى أى منزلة اذا قام بها العبد قام مقام العبودية قال اذا ترك التدبير والاختيار
فاذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله شغله وقته الحاضر عن وقته الآتى ويصل الى
مقام التدبير والاختيار ثم يصل الى ان يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله لزوال هواه

ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل من باطنه قال يحيى بن معاذ الرازي مادام يتعرف يقال له لا تختر ولا تكن مع اختيارك من تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له ان شئت فاختر وان شئت لا تختر لانك ان اخترت باختيارنا اخترت وان تركت الاختيار فباختيارنا تركت فانك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو الغاية والنهاية وهو ان يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار الا باحكام هذه الاربعة التي ذكرناها الان ترك التدبير فناء وتمليك التدبير والاختيار من الله عبده ورده الى الاختيار تصرف الحق وهو مقام البقاء والانسلاخ عن وجود كان بالعبد الى وجود يصير بالحق وهذا العبد ما بقي عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدي الله عز وجل متمسكا بالاستكانة والافتقار متحققا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ولا الى أحد من خلقك فاضيع ولكن اكلأني كلاءة الوليد وتخل عني ولما وقعت الاشارة للذكر هنا وكان الناس فيه على درجات ما بين ذاكر غافل ومتيقظ وحاضر بغائب عما سوى المذكور أشار الى فضل تلك الدرجات التي ترتبت عليها الاحوال الشريفة والمقامات المنيفة لان الاكابر من الذكر دخلوا الى علوم المشاهدة والاسرار المكنونة وراء الحجب والاستار فقال رضي الله عنه

﴿وأفضل ذكر المرء حين لقلبه * حضور يغيب الذكر فيه عن الذكر﴾

أفضل مبتدأ وذكر مضاف اليه ما قبله والمراد كذلك وحين منصوب على الظرفية وهو خبر المبتدا ولقلبه متعلق بمقدار أي حين يكون لقلبه وحضور فاعله يكون المقدر ويغيب الى آخره صفة لحضور بالحق والغيبة عما سواه وتكون في سببية والمعنى يغيب فيه أي بسببه لقوته ويحتمل ان يكون الحضور معناه المجالس بضرب من التلازم والمجاز ويكون قوله فيه على ظاهره والمعنى وأفضل ذكر المرء حين يكون لقلبه أي له وخص القلب لشرفه مجالس معمور به وقوله يغيب الذكر فيه عن الذكر يحتمل الذكر الأول منه هذين أن يكون بمعنى الذاكر من اقامة المصدر مقام اسم الفاعل ويحتمل أن يكون كل من ألفاظ الذكر من مركزه الا أن الاخير مصدر منحل الى أن وفعل المفعول والمعنى على الاول يغيب الذاكر بسببه على أول الاحتمالين في الحضور أو فيه على الثاني عن الذكر وعلى الثاني يغيب الذكر بسببه لقوته على الاول أو فيه على الثاني عن الذكر أي عن أن يذكر ويكون بالمعنى من الذاكر أعني ذكر اللسان لانه محو في وجود الاعيان ويحتمل أن يكون لفظ الذكر الثاني هو المؤول باسم الفاعل ويفي بهذا المعنى لأن من غبت عنه غاب عنك أي يغيب الذكر فيه عن الذاكر ﴿يقول﴾ والله أعلم على الاحتمال وأفضل ذكر المرء وأشرفه وأرفعه حين يكون لقلبه حضور مع مولاه يغيب الذاكر بسبب ذلك الحضور لقوته وغايته واستيلائه عليه عن الذكر نفسه وعن غيره من الخليقة فلا يبقى له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار أو يغيب بعده في قربه يتيه عقله بمحيطته ويغيب وجوده بوجوده كخفوت نور القمر في ضوء الشمس بحيث يرى أنه منقول عن البين ومولاه هو الذاكر والمذكور لأن كل شيء منه بدا واليه يعود قال الشيخ أبو نصر عبد الرحيم بن الأستاذ أبي القاسم القشيري رضي الله عنهما الذكر اندراج الذاكر في مذكوره واستهلاك السر عند ظهوره وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر الى المذكور وعن كل شيء لقوله تعالى

والذاكر اذا لهج بالذكر وأسرع به وتابعه التهب قلبه واحترق وزاد شوقه وتلهفه للمذكور وقوي استحضاره كما هو المقصود وأما افراد لا اله الا الله عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانها متضمنة لها وصارت كالعلم عليهما كما في حديث أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ولم يقل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرار بالرسالة ويكفي فيه مرة واحدة في العمر ولا اله الا الله رأس الذكر وأنفع ما يعالج به القلب في اصلاحه وافناله على المذكور ونفي الاغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ورياضة النفس وتهذيبها ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب نفوسهم كما نص عليه سيدي علي المرصفي رضي الله تعالى عنه في منهج السالك وأما الانشاد وسماعه فلا بأس به لاشتماله على حكم ومواعظ كما ورد ان من الشعر لحكما فتتقوى به الروح وتنتعش لانه لها كالغذاء وينهض الجسم ويهيم في الذكر وكان عليه الصلاة والسلام يسمعه ويتمثل به ترويحا ويأمر حسان به ويقول اللهم أيده بروح القدس وهو جبرائيل ونهى من أنكره عليه في المسجد الشريف كما وردت به الاحاديث الصحيحة فهو مأمور به في الجملة خصوصا اذا كان فيه ذكر الصالحين وسيرهم فبه تتنزل الرحمات وربما أورث السامع اعتبارا واهتداء بهديهم وأما الاجتماع على الذكر وايقاعه في الجماعة فقد قالت الصوفية ان الذكر في الجماعة كالصلاة فيها لما في الحديث القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه وهذا يدل على فضيلة الذكر جماعة وفي الحديث يد الله مع الجماعة أي نصره واعانته وعنى فيهم مقبول فتعمهم بركته والمنفرد معرض لتلاعب الشيطان به واغتياله له وقطعه عن الخير وقد قالوا الشاة المفردة أكيلة السبع وهو من التعاون على البر المأمور به بقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي منهج

السالك أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفيه أيضا عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قلنا يارسول الله ما رياض الجنة قال مجالس الذكر فهذا يدل على طلب الجماعة فيه وجميع أوامر الذكر الواردة في الكتاب والسنة كاذكروني أذكركم يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا مطلقة شاملة للفرد والجماعة وليست مقيدة بالافراد ولم يرد فيما أعلم ما يدل على النهي عن الجماعة فيه وأما قوله تعالى واذكر ربك في نفسك فلا يدل على ذلك لان ذكر النفس لا يدل على نفي الذكر جماعة كما هو مقتضى القاعدة الاصولية وهذا على ان الخطاب عام وقال سيدي الشيخ يوسف العجمي ان الخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم وهو المأمور بذلك خاصة وذلك ان الله أمر العامة بالنظر بقوله أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وأمر الخاصة بالتدبر بقوله أفلا يتدبرون القرآن لان الاستفهام توبيخي فيستلزم الامر وأمر سيد أهل الحضرة بقوله واذكر ربك في نفسك لانه عرف نفسه وربه ومن لم يعرفهما فكيف يذكر ربه في نفسه بل هم المخاطبون بقوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا كذا ذكره في منهج السالك لسيدي على المرصفي وأما لبس الخرقة فلا بأس به لمن كان أهلا ليتميز بها ويعرف فيحترم ويقبل عليه الناس ويأخذون عنه كما قالوه في لبس زي العلماء وهي من الشعائر القديمة ولها أصل صحيح في السنة وهو ان سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ألبساها السيدنا أويس القرني بأمره صلى الله عليه وسلم فتبين بهذا وعلم ان ذلك الرجل المسؤل عنه هو ومن تبعه على الحق والهدى لان طريق القوم كلها حق صحيحة وضعها اصفوة عبيد الله الكاملين أهل البصائر النيرة المتصل سندهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين

واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن البنا الازدي رضي الله عنه في شرح مراسمه ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر واراد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر الخفي عند المتصوفة على الاستهتار والتمكن في الاسرار وأما قولهم حتى يتمكن المذكور الى حالة يستغرق به عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحا بل حكمة وقدرة من عزيز عليم وبيان عور ذلك أن يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق ويمتلئ منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين على لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به قد استولى المذكور الاعلى على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد يقلبها كيف يشاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد وصف الله تعالى أم موسى عليهما السلام بمعنى ذلك في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أي فارغا من غير شئ فكادت تبدي به من غير قصد منها الذكره ولا تدبير بل كان تركها التبريح بذكره صبرا بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل من شأن موسى وبانه من المرسلين وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف البعد ولا العدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوالات المحدثين ولا تجرى عليه أحكام المخلوقين فهو حاضر عندنا ومعنى وشاهد اسرا ونجوى اذ هو القريب من كل شئ اقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلو به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والانعام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها و واحد الاعداد فلا تحصره ومعانيها سبحانه وهو العلي الكبير اه وقد قيل هذا والذكر الدائم على وجوه فتارة يذكر الله تعالى لعظمته وعلائه وكبريائه فيتولد منه الهيبة والاجلال وتارة يذكر العبد لعظيم قدرته وأليم أخذه وشديد بطشه فيورث ذلك الخوف والحذر وتارة يذكره بالفضل والرحمة فيورث ذلك الرضا وتارة يذكره بوعده فيتولد منه الشوق وتارة يذكره اذا ذكره فيتولد من ذلك الشكر وتارة يذكره لأن له الملك والحمد والثناء الحسن والأسماء الحسنى والصفات العليا والخلق والأمر والقدرة النافذة والمشيئة الماضية يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيتولد من ذلك الغبطة والسرور وتارة يذكره بانه عبد لمن هذه صفاته فيتولد من ذلك الحب والصبر له وتارة يذكره لأنه الكافي للمهمات الموجود وحده لا شريك له في جميع المهمات المتكفل بالأرزاق وايصالها الى المفترقين وذوي الحاجات فيتولد عن ذلك التوكل والتفويض وتارة يذكره بما نصب من العلامات وبما استشهد به من الشواهد وأقام من البينات وأنار من الآيات فيتولد من ذلك زوائد اليقين وتارة يذكره العبد لأن بيده مفاتيح الأمور ومباديها ونهاياتها منه ظهرت واليه تعود فيتولد من ذلك فناؤه عن نفسه وبقاؤه بربه عز وجل ثم اعلم وفقنا الله واياك ان أفضل الذكر في الذكر وهو الخفي أيضا باعتبار وذلك ان تذكر في ذكرك اياه انعامه وافضاله واحسانه وتلزم نفسك الاعظام له والاجلال ولا تطالب نفسك بذكر الحقيقة فقد قالوا حقيقة الذكر العجز عن الذكر شاهده هذا

قوله

للكتاب والسنة وليست خارجة عنهما بل هى ثمرتها ولذا قالوا شريعة بلا طريقة عاطلة وقالوا من تشرع ولم يتطرق فقد تفسق فهى
مقربة الى الله موجبة لمحبته لما فى الحديث القدسى لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه أى بنوافل الطاعات من صلاة
وصوم وقراءة وذكر واستغفار وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهى لاتخرج عن هذا فن تمسك بها وهدى الناس
اليها حتى اهتدوا فهو ناج
سعيد لما فى الحديث لان
يهدى الله بك رجلا واحدا
خير لك من حمر النعم أو كما قال
وان انكار هذا المنكر ومعارضته
هؤلاء الجماعة وأمثالهم محض
جهل وعناد لانطماس
بصيرته وعماه وحجبه عن
طريق الهدى وعدم معرفته
لاوضاع الطريق فعلى ولاة
الامر زجره وقهره هو وأمثاله
ونصر دعاة الخير أهل
الطريق لتنتشر عنهم ويعم
بها النفع ويحصل بها الاهتداء
وتنزل بها الرحمات ويؤجرون
على ذلك والله أعلم قاله وكتبه
الفقير محمد فتح الله ابن الشيخ عمر
السمديسى المالكى الخلوتى
الحفنى الصاوى عفا الله عنه
آمين ومنه ما كتبه العلامة
الشيخ ابراهيم السقا رحمه الله
تعالى ونصه الحمد لله الجهر
بالذكر مطلوب مرغب فيه
محبوب بنص الصادق
المأمون اذكروا الله حتى يقولوا
مجنون والذاكر فى نفسه المسر
عن أبناء جنسه لايتأتى رميه
لذكره بالجنون اذ لايعلم أحد
سره المكنون فلا يحصل امتثال
شريف هذا الامر الابرفع
الصوت وشريق الجهر
والخروج فيه عن المعتاد
المألوف حتى يصل فى اعتقاد
أهل الانتقاد الى رتبة المنكر
ويتنزل من درجة المعروف

وانشاد كلام العارفين لتذكير نفوس المحبين منتظم فى سلك وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين فتكرهذين على أهل السلوك من أهل الوسواس والشكوك وهو صاحب هوى مبتدع قائل برايه غير
متبع وقوله انكم تذكرون سميعا فلا حاجة لرفع الصوت مسلم المقدمتين لكنه حق اريد به الباطل والبهتان والمين اذلم يدع الذاكر

قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ولو تجلى المذكور العلى جل جلاله للقلب بالذكر
حال الذكر لانصدع وتدكدك كما تدكدك الجبل للتجلى وانما ذلك على قدر ارادته من ذلك
ومشيئته والانبياء والرسل صلوات الله عليهم أقرب الناس الى القرب وأحقهم مشاهدة ومكاشفة
يؤيدهم الله بايد منه ومن الناس من يعطى من المكاشفة حظا اهو أكبر من التأييد فمن ذلك
يكون الصعق والغشى والموت وانما هو السر فى قوله تعالى أولئك كتب فى قلوبهم الايمان
وأيدهم بروح منه وقال ان لم تبلغه هذه الدرجة قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم والله
يؤيد بنصره من يشاء فمن أيده وقواه لم يبلغ به الصعق وغيره اه ولما كان الحضور مع الحق
بالغيبة عما سواه قدرا مشتركا بين أصحاب المقامات الثلاث علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
وكان فى البعض أقوى منه فى البعض ومنهم من يدوم له فيكون متمكنا أو لايدوم له فيكون متلونا
وقد يكون وراء الستروان استولى عليه سلطان الذكر كما سيأتى فى محله أشار الى ذلك بضرب من
الاجمال أولا ثم بضرب من التفصيل ثانيا فقال رضى الله عنه

﴿فان يك تلوين فذو العلم حسبه * محاضرة من خلف منسدل الستر﴾
﴿وان يك ذا عين اليقين فحظه * مكاشفة جلت عن النظر الفكر﴾
﴿وان يك تمكين فذو الحق حقه * مشاهدة من غير حجب ولاستر﴾

التلوين صفة أرباب الأحوال ومعناه ما اقتضاه لفظه من الانقلاب وعدم الثبات على صفة
واحدة بل كل وارد يرد عليه يصرفه على موجبه وحكمه فتارة كدودة البقل لونها من لون البقلة
التى هى فيها والتمكين مقابل التلوين وهو الثبات وعدم الانقلاب ولا يرد عليه وارد الا تابعه يعود
حاله ويغيره الوارد فتراه فى الحس لافرق فى صفته بينه بعد ورود الوارد وقبله والتمكين صفة أهل
الحقائق والرسوخ ومحله حق اليقين والتلوين محله علم اليقين وأما عين اليقين فهو فى الغالب
محل الاصطلام والغيبة عنه وعن سائر الانام فصاحبه غريق الأنوار مطموس الآثار وهذه
الحالة لاتوصف بتلوين ولا تمكين كما سيأتى وقد يكون تلوين فى بعض الاحايين ولكن الحكم
للغالب فلذلك لم يعتبره الناظم حيث جعله واسطة بين التلوين والتمكين وقد تكون له أيضا افاقة
ما ولا يسمى ذلك تمكنا فى الاصطلاح وأما اليقين بأقسامه والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة فسيأتى
الكلام عليها اذا تبين لك هذا فلنرجع لبيان النظم فالفاء من قوله فان يك تلوين فصيحة أى
ايقاعها فى مثل هذا الموضع كشف عن فصاحته وذلك انه لما أخذ فى بدء الحضور
الموصوف بكونه يغيب الذاكر بسببه عن ذكره وراه كما قدمنا قدرا مشتركا بين المقامات
الثلاث وهو فى بعضها أقوى منه فى البعض ورأى ان نفس السامع تبقى متشوفة لذلك فقدر كأن
سائلا سأله عن ذلك فقال مجيبا له ان تشوفت الى معرفة ذلك فان يك الخ ثم طوى ذلك الشرط
استغناء عنه بالفاء المشعرة به وهذا غاية فى الوجازة والفصاحة ويك فعل الشرط وهو مضارع
كان التامة وهو أيضا على تقدير المتعلق والتقدير بأن يكون أى للحاضر المفهوم من السياق
وتلوين فاعل يك والفاعل من قوله فذو العلم جوابه الشرط وهى داخلة فى التقدير على مبتدا
وما بعدها فى الحال خبر عن ذلك المبتدا وأصل الكلام صاحب العلم أى صاحب مقام علم اليقين
وقوله حسبه أى كفاه محاضرة مبتدا وخبر والجملة فى محل نصب على الحال امن ذو العلم وهى حال
لازمة حسبه من الحضور المحاضرة وقوله من خلف منسدل الستر صفة للمحاضرة وصفا بيانيا

الجاهر صمم الاله ولا حاجة لرفع صوته لنحو تلاوة فان اراد لا حاجة للذاكر فهو محجوج بحاجة امتثال الاوامر وكأنه تشبث وما درى
بانكم لا تدعون اصم ولا غائبا من أفضل الورى عليه الصلاة والسلام وعلى آله واصحابه الكرام وترك آخر الحديث أربعوا على
أنفسكم يعني ارفقوا بها المشير اليه الاضمار ولولاهما امر ولا نهي وارواح المحبين تحن ابدا الى الانين بل يحق
لها البكاء والعويل اذ لا تقنع
بقليل بدل جليل فرفع
الاصوات بذكر المحبوب
امس وأولى من بكاء على
فوات المطلوب وشغل للاسماع
عن ترهات الاقوال حتى يصل
الذاكر بصرف جوارحه
وحواسه الى المقام العال ولذا
أمر بسد العينين وتضييق
المجاري وسهر الليل وترك
الانام وما هو بينهم من الكلام
سائر سارى جارى فلا يجاب
هذا المعارض لما رام بل يزجر
ويكف عنه والسلام فان
كان انكاره لمنكر اقترن بما
في السؤال فلا يخفى حكم
المنكرات ويدور على امرها
الحال فان ثبتت وجب النهي
عنها حتى يخرج المتلبس بها
عن مناكره ويتنصل منها
والله أعلم كتبه الفقير اليه
سبحانه ابراهيم السقا الشافعي
الخطيب بالازهر عفا الله
عنه وألباس الخرقة ثابت بما
ذكر في الجواب فوقه وفيه
الكفاية والله يتولى العناية
كتبه ابراهيم المذكور لذهول
اعتراه أولا فاخره ومنه
ما كتبه العلامة الشيخ محمد
حسين الكتبي رحمه الله تعالى
ونصه الحمد لله حيث كان هذا
الرجل ومن تبعه على هذه
الصفة فهم على أكمل الاحوال
ولا يسوغ الانكار عليهم بانهم
مراؤن فان الرياء والاخلاص
من اعمال القلوب وهي مما لا يطلع عليها ولا يطلق المنع بسبب الرياء اذ لا يتحقق في كل شخص ومن القواعد
الفقهية الامور بمقاصدها وهي ماخوذة من حديث انما الاعمال بالنيات والاحتجاج بما ظاهره الحظر لا يصح للجواب عن ذلك
والجمع بين الاحاديث في كثير من المصنفات وفتاوى الائمة الحنفية والشافعية قال الامام السيوطي في الفتاوى الحديثية سألت أيها

ربكم

لا تخصيصا والسدل الارخاء والستر بكسر السين ما يستتر به وقوله وان يك ذا عين اليقين ان حرف
شرط ويك مضارع كان الناقصة وهو فعل الشرط وفي بعض النسخ بلفظ الماضي والمعنى واحد
وعلى النسختين فاسمها ضمير الحاضر المتقدم الذكر وذا عين اليقين خبرها وقوله فحظه مكاشفة
مبتدا وخبر والفاء الداخلة عليه جواب الشرط وجملة الخ صفة لمكاشفة وقوله وان يك تمكين
ان حرف شرط ويك فعل الشرط وهو مضارع كان التامة وهو على حذف المتعلق أيضا كالذي
قبله أي وان يكن له أي للحاضر المتقدم تمكن وقوله فذو الحق حقه مشاهدة اعرابه كاعراب
قوله فذو العلم حسبه محاضرة حرفا بحرف وقوله من غير حجب ولا ستر صفة لمشاهدة وهما مفتوحان
لانهما مصدران والحجب والورع والمنع والستر والتغطية ونحوها ولا بد من هذه التفرقة ان
تقارب المقصود من الكلمتين لان لا لا تدخل الا على المتعاطفين اللذين بينهما تغاير في المفهوم
﴿يقول﴾ والله أعلم فان يك لهذا العبد الحاضر المتقدم الذكر حال التلوين بالزيادة والنقصان
والتنقل في الاحوال وهو صاحب مقام علم اليقين يعني صاحب علم بالله وصفاته وأسمائه وأفعاله
وغير ذلك مما ينبغي اليقين فيه قد تقرر عنده هذا العلم واستقر على طريق النظر والاستدلال
بحيث لا يقبل التزلزل وسكن في النفس والعقل سكونا يؤديه الى اعطاء المراتب حقها ويحمله
على الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية والتخلق بالاخلاق الالهية وحسبه من ذلك
الحضور بين يدي الله عز وجل المحاضرة التي هي النظرة من وراء حجاب وجوده المرخى بينه
وبين ربه وان كان الذكر مستوليا على قلبه وهذا المقام أول درجة في اليقين واليقين هو كما قال
شيخ الاسلام الهروي رضي الله عنه مركب الآخذ في هذا الطريق وهو غاية درجات العامة وقيل
أول خطوة الخاصة ويعني بقوله مركب الآخذ أي أخذ السالك لتحصيل مقام الجمع لانه اذا تيقن
ان هذا الطريق موصل الى الحق سبحانه حمله يقينه على ركوب الاهوال وتحمل المشاق
والاثقال وان كان الحاضر المذكور صاحب مقام عين اليقين قد انخرق حجاب العلم في حقه وصار
يعاين به الامر على ما هو عليه فحظه من ذلك الحضور ونصيبه منه المكاشفة لاوصاف الحق
سبحانه وتعالى ونعوته المرتقية تلك المكاشفة على النظر الفكري أي الحاصل على الدليل
والبرهان لان ذلك من وراء حجاب وهذا الحضور بنعت البيان قد ظهر الحق لعيني قلب هذا
الحاضر حتى صار في هذا العيان وان يك لهذا الحاضر المتقدم حال التمكين أي الثبوت والرسوخ
في حضرة الحق قد استولى سلطان الحقيقة عليه وامتحى في ثبوتها وفني في بقائها وصار بربه
لا بنفسه ولبس نور الوجود بالحق بدلا عن وجوده بنفسه لا يزلزله عن مقره شئ ولا يصرفه عنه
صارف ولا يستخفه عنه مستخف فهو صاحب مقام حق اليقين أي تحقق بالذوق والوجدان
ما كان له على الشهود والعيان وهنا يضمحل وجود العبد ولا يبقى له اسم ولا رسم وينشأ انشاء ثانيا
بالله والثابت له في هذه الحالة من ذلك الحضور ونصيبه منه المشاهدة للذات الاقدس بنظر
العيان من غير حجاب ولا ساتر يستره لتخلصه من لوث وجوده لترادف أنواره ودوام تمكنه
وقولنا بنظر الايقان نحو قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله تعالى
ببصر الايمان والايقان فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان وقال الامام جعفر الصادق رضي الله
عنه وعنا به لا تدركه الابصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ولا يحس
بالحواس ولا يقاس بالناس ويحكى ان رجلا قال للجنيد رضي الله عنه يا أبا القاسم هل رأيتم

الاخ أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر ورفع الصوت بالتهليل فهل ذلك مكروه أم لا الجواب
لا كراهة في شئ من ذلك قطعا لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة ثم ذكر اربعة وعشرين حديثا منها ما يتعلق بالذكر في المجالس
والذكر في الخلوة والذكر في الملأ والذكر في الاسواق والذكر الذي يشهد به الجبال والبيوت وسائر الامكنة
وقال فانها مما لا يكون الا بالجهر انتهى وادلة الذكر الجهري كثيرة منها ما أخرجه عبد الرزاق في سننه في باب الذكر بعد الصلاة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس عن المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن الزبير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته قال بصوته الاعلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأخرج أبو شجاع الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال ورزقه النظر الى وجهه وأخرج البيهقي عن زيد بن أسلم قال قال ابن الادرع انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فمر بي في المسجد على رجل يرفع صوته بالذكر فقلت يا رسول الله عسى ان يكون هذا مرائيا قال عليه السلام لا ولكنه أواه وأخرج ابن مردويه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال ان رجلا كان يرفع صوته بذكر الله فقال رجل لو ان
هذا خفض من صوته فقال عليه السلام دعه فانه أواه ونقل السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى ان ابراهيم لأواه حليم
احاديث في تفسير الاواه منها انه الذي يكثر ذكر الله ومنها انه الذي علق قلبه بالله ومنها انه الموقن وهو لغة الحبشة ومنها انه الذي
يكثر التأوه ونقل الفاضل الشهير بطاش كبرى زاده في شرح الجزري ان الجهر بالاذكار والاسرار بها منقول عن النبي صلى الله

ربكم حين عبدتموه أم اعتقدتم الوصول اليه بقلوبكم فقال الجنيد رضي الله عنه أيها السائل ما كنا بالذي نعبد ربا لا نراه وما كنا بالذي نراه بعيوننا فنشبهه وما كنا بالذي نجهله فلا ننزهه فقال له الرجل فكيف رأيتموه فقال الكيفية معلومة في حق البشر مجهولة في حق الرب ان تراه الابصار في هذه الدار بمشاهدة الاعيان ولكن تعرفه القلوب بحقائق الايمان ثم ترقى من المعرفة الى الرؤية بالمشاهدة نور الامتنان فهو سبحانه مرئي بالحقائق القدسية منزه عن الصفات الحدثية مقدس بجماله منعوت بفضله فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبل يده وتاب ولازمه حتى ظهر عليه للخير أثر ولم يزل في صحبته حتى ماتا رحمة الله عليهما وقد تكلم الشيخ أبو عثمان سعد الدين سعيد الفرغاني رحمة الله عليه على اليقين ومراتبه الثلاثة فقال واعلم ان اليقين هو سكون الفهم واطمئنانه واستقراره بزوال التردد من قولهم يقن الماء في الحوض اذا استقر وسئل عنه الامام سهل رضي الله عنه فقال اليقين هو الله يعني لا استقرار في الحقيقة الا له واليه وهذا السكون والاستقرار اذا اضيف الى النفس والعقل المضاف اليهما بناء على حجة ودليل يدلهما على الامر المطلوب بهما يضاف اليه العلم المبني على الانابة والظهور فيقال علم اليقين واذا اضيف الى الروح الروحانية بطريق جواب الحجب الحائلة بينهما وبين ذلك الامر المطلوب وكشف حقيقته أو كيفيته فتعاينه وتشاهده عينه كما هو في معدنه يقال لذلك السكون والاستقرار وعين اليقين واذا أضيف ذلك السكون والاطمئنان الى السر المضاف الى المعية لقوله تعالى وهو معكم يسمى حق اليقين فاليقين أمر واحد وباضافته الى أهل مراتب متنوعة يضاف اليه ما يختص بأهل كل مرتبة من علم بحسب مخصوص ومن عين ومن حق ثم ان ما وقع في هذه الابيات من ذكر التلوين والتمكين واليقين ومراتبه الثلاثة والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة كلها كلمات اصطلح القوم عليها وقد ذكرها الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه في رسالته فقال المحاضرة ابتداء والمكاشفة بعده ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر ثم بعده المكاشفة وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة الى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغيب ثم المشاهدة وهو وجود الحق من غير بقاء تهمة فاذا أضحى سماء السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة على بروج الشرف وحق المشاهدة ما قال الجنيد رحمه الله وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله تعالى انه توالى أنوار التجلي على قلبه من غير ان يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق فكما ان الليلة الظلماء بتوالي البروق واتصالها اذا قدرت تصير في ضوء النهار فكذلك القلب اذا دام به دوام التجلي متع نهاره بلا ليل ثم قال التلوين صفة أرباب الاحوال والتمكين صفة أرباب الحقائق فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لانه يرتقي من حال الى حال ومن وصف الى وصف ويخرج من مرحل ويحصل في مربع فاذا وصل تمكن ثم قال وصاحب التلوين أبدا في الزيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل وامارة انه اتصل انه بالكلية عن كليته بطل وقال بعض المشايخ انتهى بعض الطالبين الى الظفر بنفوسهم فاذا ظفروا

عليه وسلم فهما جائزان لكن اذا لم يخلص نيته من الرياء فالاسرار أولى ولا يخفى ان الاخلاص والرياء مما لا يطلع عليه فليس لاحد ان ينكر على أحد بانه مراء ولذا ورد اذكروا الله ذكرا كثيرا حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وهذا الحديث أخرجه الامام أحمد في مسنده وفي الزهد والبيهقي في شعب الايمان وسعيد بن منصور في مسنده عن أبي الجوزاء رضي الله عنه واخرجه أيضا الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه توبيخ عظيم وزجر فخيم لمن طعن في الذكر الجهري والاحاديث في الجهر بالذكر كثيرة فلا حاجة الى الاطالة قال الامام الواحدي في تفسيره المسمى بالوسيط الذكر من جملة الفرائض واعلان الفرائض أولى واحب كما أجمع عليه العلماء وقال قاضيخان من مرجحي مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وغيره الذكر في الاسواق ومجالس الغفلة والفسق جائز بنية انهم مشتغلون بالدنيا وهو مشتغل بالتسبيح وهو أفضل من التسبيح وحده في غير السوق وأما ماروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه رأى قوما يذكرون برفع الصوت فقال ما أراكم الا مبتدعين فلا أصل له وذلك انه لم يثبت عند الائمة الحفاظ بل ثبت في صحيح مسلم خلافه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا قال بعض الائمة مازال ابن مسعود يذكر الله في المجالس فكيف ينكر وعلى تسليم ثبوته يكون معارضا للاحاديث الصحيحة فلا يعتبر به أصلا واما ما ورد انكم لاتدعون اصم فهو من مطابقة الكلام لمقتضى الحال لانهم قالوا يارسول الله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فهو صريح في الدعاء وقال بعض المحققين انه كان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي وكانت اصوات الناس بالتكبير تشغله فاشار عليه الصلاة والسلام اليهم بالذكر القلبي في تلك الحالة وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يشم من بعضهم رائحة الرياء فنهاهم

الحجاب

بنفوسهم فقد وصلوا فريد به انخناس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة فاذا دامت لعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين قال واعلم ان التغير عما يرد على العبد يكون لاحد أمرين اما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه والسكون من صاحبه لاحد أمرين اما لقوته أو لضعف الوارد ثم قال بعد ان ذكر عن شيخه الاستاذ أبي علي الدقاق رضي الله عنه وجهين في دوام التمكين أحدهما انه يصلح دوام الاحوال لان أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثر بالطوارق قال والاولى ان يقال ان العبد مادام في الترقي فصاحب تلوين يصح في نعته الزيادة في الاحوال والنقصان منها فاذا وصل الى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه بأن لا يرده الى معلولات النفس فهو ممكن في حاله على حسب محله واستحقاقه ثم ما يتحفه الحق سبحانه كل نفس فلا حد لمقدوراته فهو في الزيادة متلون بل ملون وفي أصل حاله ممكن فابدا يتمكن في حالة أعلى مما كان فيها قبل ثم يترقى عنها الى ما فوق ذلك اذ لا نهاية لمقدورات الحق في كل جنس فأما المصطلم على شاهده المستوفى عن احساسه بالكلية فللبشرية لامحالة حد فاذا اضل عن جملته ونفسه وحسه وكذلك عن المكونات بأسرها فاذا دامت به هذه الغيبة فهو محو فلا تمكين اذا ولا تلوين ولا مقام ولا حال ومادام بهذا الوصف فلا تشريف ولا تكليف اللهم الا ان يرد بما يجري عليه من غير شئ منه بذلك متصرف في ظنون الخلق بل مصرف التحقيق قال الله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ثم قال فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان وحق اليقين ما كان بنعت العيان فعلم اليقين لارباب العقول وعين اليقين لاصحاب العلوم وحق اليقين لاصحاب المعارف انتهى وماذكره من الترقي بعد التمكين هو قولهم التلوين في التمكين وهو مقام شريف وحال منيف واليه يرجع قول من جعل التلوين من أكبر المقامات وان حال فيه حال قوله تعالى كل يوم هو في شأن وبعضهم يجعله مقاما ناقصا وهو اشارة الى ما قدمنا من التلوين قبل التمكين وكذلك اختلفوا في المكاشفة والمشاهدة أيهما أعلى على هذا المعنى لان المكاشفة متعلقها المعاني والمشاهدة متعلقها الذوات فالمشاهدة للمسمى والمكاشفة لحكم الاسماء قالوا ولما لم يصح شهود الذات الاقدس فالمكاشفة أعلى لانها ألطف فهي تلطف الكثيف والمشاهدة تكثف اللطيف ومامن أمر يشهد الا وله حكم زائد على ما وقع عليه الشهود ولا يدري بالكشف مثال ذلك اذا شاهدت متحركا تطلبه الكشف بحركة لانه يعلم ان له محركا كشف ولهذا يتعلق العلم بعلومين ويتعلق البصر الذي هو المشاهدة بعلوم واحد فيدرك المكاشف ما لا يدرك المشاهد ويفصل الكشف ماهو مجمل في الشهود وممن قال بان المكاشفة أعلى أبو الحسين النوري وأبو بكر بن مبرك وأبو حامد وأبو العباس بن البنا رضي الله عنهم قال الامام أبو حامد المشاهدة ثلاثة مشاهدة بالحق وهي رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهي رؤية الحق في الاشياء ومشاهدة الحق وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب والمكاشفة أتم من المشاهدة وهي ثلاثة مكاشفة بالعلم وهي تحقيق الاصابة بالفهم ومكاشفة بالحال وهي تحقيق رؤية زائد الحال ومكاشفة بالوجود وهي تحقيق صحة الاشارة والذي عليه الاكثر ان المشاهدة أعلى وممن قال بذلك من أهل التصانيف الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وشيخ الاسلام الهروي وصاحب العوارف والفخر الرازي رضي الله عنهم وعلى ذلك درج الناظم هنا قال شيخ الاسلام المشاهدة سقوط

باحسن وجه وقال المحققون من المفسرين عند قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا أى دوموا على ذكر الله فى الاحوال كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين مرضى واصحاء ليلا ونهارا سرا وعلانية حركة وسكونا فى البر والبحر والسفر والحضر فى الحل والغضب فى السرور والتعب فى السوق والطرب فى الطاعة والمعصية فى الجنابة والطهارة فى الشدة والفرج وفى كل حال الاحال الانزال ثم فيه يكون المرء مغلوبا على عقله معذورا فى تركه وفعله وهذا مجموع ما فى التفاسير المشهورة كابى السعود والقاضى والكازرونى والرازى وأما الاهتزاز عند الذكر فلقوله عليه الصلاة والسلام ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب وقال الخرقانى الرجل هو الذى اذا قال لا اله الا الله اهتز من فوق رأسه الى أصبع قدمه وان لم يهتز فليس برجل واما انشاد كلام القوم المتضمن للمعارف والحكم وتهيج الاشواق وتجديد الاذواق فليس فيه حرج نقل عن بعض أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنه جواز السماع ونقل أبو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة من العلماء وقال سمع ذلك من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقد فعل ذلك كثير من السلف وتابعيهم باحسان ثم قال ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة ولم يزل أيضا أهل المدينة يواظبون على السماع قال يونس بن عبد الله سألت الامام الشافعى عن اباحة السماع فقال لا اعلم أحدا من أهل المدينة يكره السماع فعلم من هذا ان من قال بالكراهة فراده التنزيه لا التحريم فاما من قال بالتحريم فراده السماع المقارن للاهو به النفسانية والخواطر الشيطانية فهذا السماع يجر صاحبه الى الملاهى ولا يورده على العشق الالهى وقد اطنب صاحب الاحياء فى منع القول بحرمة السماع وابطال دليله الحرمة قال فى العوارف روى ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل وعنده قوم يقرؤن القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يارسول الله

الحجاب بتا وهى فوق المكاشفة لان المكاشفة ولاية النعت وفيها شئ من بقاء الرسم والمشاهدة ولاية العين والذات وأصل هذه الابيات قوله فى العوارف ومنها يعنى المكاشفات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذى أودعه الله الاسرار والعلم اذا انفرد من نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم اليه اليقين كان علما لا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما أشار اليه علم اليقين وعين اليقين قال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب يخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أبقيت لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال المعرفة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للاولياء وعين اليقين لخواص الاولياء وحق اليقين للانبياء وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة فالمحاضرة لارباب التلوين والمشاهدة لارباب التمكين والمكاشفة بينهما الى أن تستقر المشاهدة والمحاضرة لاهل العلم والمكاشفة لاهل العين والمشاهدة لاهل الحق أى حق اليقين ثم قال ومنها التلوين والتمكين فالتلوين لارباب القلوب لانهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص الى الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لارباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها من عالم الصفات وأما أرباب التمكين فخرجوا عن مشام الاحوال وخرقوا حجب القلوب وباشر أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم التغير فى الذات اذ جل ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا من مواطن القرب من انصبة تجلى الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون فى نفوسهم لانها فى محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع فى النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين فى النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت القدم فى التمكين كشف فى الحقيقة وليس المعنى بالتمكين ان لا يكون للعبد تغير فانه بشر وانما نعنى به ان ما كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشئ فى حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة فى بعض الاحوال ويكون ثبوته على مستقر الايمان وتلوينه فى زوائد الاحوال انتهى ثم قال رضى الله عنه

﴿ تشاهدنا نور التجلى حقيقة * فلا خوف يوما من حجاب ولا ستر ﴾

تختلف النسخ هنا فيقع فى بعضها تشاهدها البيت مقدما على تشاهد أنوار التجلى البيت وعليه فالضمير فى تشاهدها الذات الاقدس وان لم يتقدم ذكرها لدلالة المقام عليها وارادة كرا شهود يقتضيها والمعنى كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب يعنى الشمس على أحد التأويلين وان لم يتقدم ذكرها والاولى ان يكون قوله تشاهدها مشيرا يعنى المنازلة أو يكون معادها نازلها حقيقة وعبر عنه بذلك لوقوعه فى صحبة قوله قبل مشاهدة فيكون فيه من أنواع البديع المشاكلة كقول الشاعر

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

قرآن وشعر فقال عليه الصلاة والسلام من هذا مرة ومن هذا مرة وقال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكمة وقال تعالى أدع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم صبر على اصحاب الدرق فقال خذوا يا بنى ارفدة حتى
يعلم اليهود والنصارى ان فى ديننا فسحة استدل بهذا من يرى اباحة السماع والسماع لمن تخلى من الهوى
وتحلى بالتقوى واحتاج الى
ذلك احتياج المريض الى
الدواء مطلوب محبوب ونقل
خير الدين تفصيلا فقال ان
كان ذا داعية للخير يحل وان
للشر يحرم وشبهوه بسوق
الدابة ان احتيج اليه حل
والاحرم وانشد

أوما ترى الابل التى
هى ويك أغلظ منك طبعا
تصغى الى صوت الحدا
ة وتقطع البيداء قطعا

واجمع عبارة فيه ما قاله بعضهم
قد حرمه من لا يعترض عليه
اصدق مقاله واباحه من لم
ينكر عليه لقوة حاله فمن
وجد فى قلبه شيأ من نور
المعرفة فليتقدم والا فرجوعه
لما نها دعنه الشرع أسلم وأحكم
وأما لبس المرقعة والباسها
فهو ما ثور ثابت ويكفى فيه
ما اشار اليه المحقق السابق فى
الجواب والله أعلم بالصواب
كتبه الفقير محمد حسين الكتبى
الحنفى عفى عنه ومنه أيضا
ما كتبه العلامة الشيخ ابراهيم
الملوى رحمه الله ونصه الحمد لله
حيث كانوا على الكتاب
والسنة مشتغلين بالذكر
والاوراد فلا ينبغى التعرض
لهم والانكار عليهم اذا كانوا
بتلك المثابة والله أعلم الفقير
ابراهيم الملوى المالكى خادم
العلم والفقراء بالازهر عفى عنه
آمين ومنه أيضا ما كتبه
العلامة الشيخ حسن العطار رحمه الله تعالى ونصه الحمد لله اذا كان حال هؤلاء الطائفه كما هو مذكور فى السؤال لى
فهم على أكمل الاحوال والمنكر عليهم متعنت جهول ومثل انكاره هذا يعد من الفضول والله أعلم الفقير حسن العطار خادم العلم
والفقراء بالازهر غفر له ومنها أيضا ما كتبه العلامة الشيخ محمد عليش عفا الله عنه ونصه الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أى خبطوا والضمير المتصل به يعود للمشاهدة المذكورة وعلى هذا فكون الكلام آخذا بحجزة
ما قبله ويقع فى بعض النسخ بالعكس وهو تقديم بيت يشاهد انوار التجلى رهوأنسب لانه تفسير
لقوله فى البيت قبله حقه مشاهد فالاتيان به أثره مقدما على قوله يشاهدها أولى من العكس
مع ما فيه أيضا من كون لفظة يشاهدها المذكورة على هذا الترتيب الذى قلنا انه أولى تبقى على
حقيقتها وظاهرها من غير احتياج كانه اشرابها معنى المنازلة كما يحوج اليه الترتيب الآخر
المرجوح وعليه فالضمير المتصل به أى يشاهد يعود لانوار التجلى والانوار جمع نور وهو الظاهر
فى نفسه المظهر لغيره وان شئت قلت عبارة عما يبصر فى نفسه ويبصر به غيره وهذه الانوار هنا
ليست بمحسوسة وانما هى معقولة اذ النور فى الجملة كما صرح به الامام أبو حامد وتلميذه أبو بكر بن
العربى رضى الله عنهما وغيرهما منه ما هو محسوس كالشمس والقمر والكواكب ومنه ما هو
معقول أعلاه هو الله عز وجل ثم بعده أنوار منها كلامه ورسله وتجلى الشئ ظهر بذاته هذا هو
حقيقة اللفظ واطلاقه على ظهوره بالفعل والوصف مجازى فقول الناظم اذا يشاهد أنوار التجلى
حقيقة معناه يشاهد أنوار تجلى الذات لا أنوار تجلى الافعال أو الصفات فحقيقة منصوب بالتجلى
على انه تمييز له أى يرى ببصر الايمان أنوار التجلى حقيقة وهو تجلى الذات لا انوار التجلى مجازا وهو
تجلى الافعال والصفات والمقصود انه يشاهد أنوار الذات لكن لما كانت مشاهدته تلك الانوار
متلازمة مع تجلى الذات أقحم بينهما لفظة التجلى وأضاف اليها الانوار والاضافة تقع بأدنى ملابسة
مع ما فيه من تكميل وزن البيت وهذا على تفسير التجلى بالظهور كما لبعضهم وقال الامام أبو حامد
رضى الله عنه وجماعة التجلى ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وعليه فاضافة الانوار اليه بيانية
أى الانوار التى هى التجلى وفى العوارف قال بعضهم التجلى رفع الحجب البشرية لا يتلون ذات الحق
عز وجل والاستتار ان تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الحق وقال الشيخ أبو العباس بن
البنا رضى الله عنه وغيره التجلى اشراق أنوار اقبال الحق على القلوب وقوله فلا خوف الخ الفاء
نتيجة عن صدر البيت وخوف اسم لا مركب معها ويوما ظرف منصوب بخوف ومن حجاب الخ
خبر لا ويجوز أن يكون الظرف هو الخبر ومن حجاب متعلق بخوف والحجاب المانع والستر بكسر
السين ما يستر به الشئ ولا بد من هذه التفرقة واذا تقارب المقصود من الكلمتين لان لا لا تدخل
الا بين المتعاطفين الذين بينهما تغاير فى المفهوم فلا يقال مثلا ما عندى قمح ولا بر وما عندى عسجد
ولا ذهب ﴿يقول﴾ والله أعلم يشاهد هذا المتمكن الذى حقه من الحضور المذكور وقبل ما كان
منه ناشئا عن النظر ببصر الايقان وهو مشاهدة أنوار الذات الاقدس حقيقة قد ارتفع عنه
الاحتمال على أن يكون ذلك شهود الصفات أو الافعال فلا خوف ولا حذر يلحقه حينا من
الاحيان من مانع يمنعه ولا ساتر يستره وذلك ان الاستتار انما يكون لظهور صفات النفس
وبقاء بقيته من وجود العبد وصاحب هذه الحالة متلون وهذا قد قدمنا انه متمكن فشأنه دوام
التجلى لانه لم يبق فيه بقية يقع عليها الاستتار قد استولى سلطان الحقيقة عليه واذهب وجوده
ومحى تعينه وانانيته وأنشأه الحق انشاء ثانيا به ومكنه حينئذ فى مرتبته هذه ومقامه بل لا يرده
لمعلومات نفسه وحكم بشريته هكذا أجرى الله سنته وأجرى عادته مع الذين اصطفى من عباده
وأهلهم لقربه ووداده ان من بلغه منهم هذه المرتبة الشريفة والمنزلة المنيفة لا ينسدل دونه بعد
ساتر حتى لو طلب أحدهم الستر ما أعطيه كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لما كشف

لى عن الحق قلت الهى احتجب عنى كما احتجبت عن خلقك فقال لو سألتنى ما سألنى به موسى كليمى وعيسى روحى ومحمد صفيى لما احتجبت عنك ولكن سلى ان أتوب لك فسألته فقرّ الى فوالله لو احتجب عنى طرفة عين لمت وصل البيت ما تقدم من العوارف فى التمكين فراجعه ثم قال رضى الله عنه

﴿ يشاهدها سر الذى ذكر قلبه * عتيد وان كف اللسان عن الذكر ﴾

اختلاف النسخ فى تقديم هذا البيت على ما قبله وتأخيره عنه قد تقدم الكلام عليه فى الذى قبله والسر المعنى هنا استوفى الكلام عليه صاحب العوارف فقال وأما السر فقد أشار القوم اليه ووجدت فى كلام القوم ان منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح وأعلى منه والطف وقال السر محل المشاهدة والروح محل المحبة والقلب محل المعرفة والسر الذى وقعت اشارة القوم اليه غير مذكور فى كلام الله عز وجل وانما المذكور فى كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والفؤاد والعقل وحيث لم نجد فى كلام الله ذكر السر بالمعنى المشار اليه ورأينا الاختلاف فى القول فيه وأشار قوم الى انه دون الروح وقوم الى انه ألطف من الروح فنقول والله أعلم الذى سموه سرا السر هو شئ مستقل بنفسه له وجود وذات كالروح والنفس وانما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس فأخذ فى العروج الى أوطان القرب وانتزح القلب عن ذلك من مستقره متطلعا الى الروح فاكتسب وصفا زائدا على وصفه فاستعجم على الواجدين ذلك الوصف حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سرا ولما صار للقلب وصفا زائدا فى عروجه واستعجم فسموه سرا والذى زعموا انه ألطف من الروح متصفة بوصف أخص مما عهدوه والذى سموه قبل الروح سراه وقلب اتصف بوصف زائد على غير ما عهدوه وفى مثل هذا الترقى من الروح والقلب يترقى النفس الى محل القلب وينخلع من وصفه فتصير نفسا مطمئنة تريد كثيرا من مرادات القلب من قبل اذا صار القلب بريدما يريد مولاه متبريا عن الحول والقوة والارادة والاختيار وعند هذا وطئ صرف العبودية حيث صار حرا من ارادته واختياراته اه وعلى هذا الذى اختار صاحب العوارف فى السر وانه ليس أمرا زائدا على الروح والقلب جرى تلميذه الناظم فى هذه القصيدة وانه تارة يذكر الروح فى مقام ذكر القوم فيه السر وهو مقام المشاهدة وحق اليقين والقلب عند صاحب العوارف لطيفة من عالم الامر كتكون الذرية بين آدم وحواء فى عالم الخلق ثم أطال فى بيان ذلك وعنده الروح والنفس والقلب والعقل أمور مختلفة لاختلاف أسمائها وعند الامام أبى حامد رضى الله عنه القلب لطيفة ربانية روحانية قال وهى الروح والنفس والعقل وليس ثم أمر آخر زائد وسيأتى مزيد بيان لهذا ان شاء الله تعالى وتقدس وقوله سر الذى الخ فاعل يشاهدها وذكر قلبه عتيد مبتدأ وخبر والجملة صلة للذى وعتيد أصله حاضر قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أى حاضر واشرب هنا معنى الوجود أى ذكر قلبه موجود وقوله وان كف أى أمسك اللسان الخ اغياء أى ذكر قلبه موجود حتى فى حال سكوت لسانه ﴿ يقول ﴾ والله أعلم يشاهد هذه الانوار وينازل هذه المشاهدة على الترتيب الآخر سر الشخص الذى استولى عليه الذكر حتى صار دائم ذكر القلب ذكر اللسان أو أمسك فان الانسان يتكلف الذكر ويضرب قلبه بلسانه حتى يتموهر لسانه بالذكر ولا يزال يداوم عليه

جوابى عن هذا السؤال بجواب هذين الشيخين الاعلى والامين رحمهما الله تعالى رحمة واسعة والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم عبد الله محمد عليش المالكى عفى عنه آمين ومنه ما كتبه العلامة الشيخ أحمد السباعى رحمه الله تعالى ونصه الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده الجواب ماذكر أعلاه ولا يحتاج الى كلام أدناه من يرتجى ان يكون فى الحسير ساعى الفقير أحمد السباعى ومنه أيضا ما أجاب به العلامة الشيخ جمال المكى رحمه الله تعالى ونصه الحمد لله رب العالمين رب زدنى علما أما الذكر فهو لا يخلو اما أن يكون فى وقت صلاة أو تعليم علم فهو حرام حيث يشوش عليهم وان خلا عن ذلك فللعلماء فيه كلام كثير وقد رفع سؤال للعلامة الرملى فأجاب بقوله قد جاء فى الحديث ما اقتضى طلب الجهر نحو وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه ورواه أحمد بنحوه باسناد صحيح وزاد فى آخره قال قتادة والله أسرع والذكر فى الملا لا يكون الا عن جهر وكذا حلق الذكر وطواف الملائكة وما ورد فيها من الاحاديث فان ذلك انما يكون فى الجهر بالذكر وهنالك أحاديث اقتضت طلب الاسرار والجمع بينهما بان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص والاحوط كما جمع بين الاحاديث الطالبة للجهر بالقراءة والطالبة للاسرار بها ولا يعارض ذلك خير الذكر الخفى لانه حيث خيف الرياء أو تأذى المصلى والنيام والجهر ذكر بعض أهل العلم انه أفضل حيث خلا عما ذكر لانه أكثر عملا وتتعدى فائدته الى السامعين ويوقظ قلب الذاكر فيجمع همه الى الذكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد النشاط وقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك أجيب عنه بانها مكية كآية الاسراء ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها نزلت لئلا يسمع المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله فأمر به سدا للذريعة كما نهى عن سب الاصنام بذلك وقد زال وبعض شيوخ مالك وابن جرير وغيرهما حملوا الآية على الذكر حالة قراءة القرآن

تعظيما له ويدل عليه اتصالها بقوله تعالى واذا قرئ القرآن الى آخر الآية قالت السادة الصوفية الامر فى الآية خاص به صلى الله عليه وسلم وأما غيره ممن هو محل الوسواس والخواطر الردية فمأمور بالجهر لانه أشد فى دفعها يؤيده حديث البزار من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته فان الملائكة تصلى بصلاته وتسمع لقراءته وان مؤمنى الجن الذين يكونون فى الهواء وجيرانه معه فى مسكنه يصلون بصلاته ويسمعون قراءته ويطرد بجهره عن داره والدور التى حوله فساق الجن ومردة الشياطين وتفسير الاعتداء لا يحب المعتدين بالجهر بالدعاء مردود بان الراجح من تفسيره التجاوز عن المأمور به والاختراع بما لا اصل له فى الشرع والتوفيق بين ما ورد فى الجهر والاسرار واجب فان قلت صرح فى الخانية بان رفع الصوت بالذكر حرام لقوله عليه الصلاة والسلام لمن رفع صوته بالذكر انك لا تدعو أصم ولا غائبا وقوله عليه الصلاة والسلام خير الذكر ما خفى لانه أبعد من الرياء وأقرب الى الخضوع محمول على الجهر الفاحش المضر وفى البزازية ناقلا عن الفتاوى ان الذكر بالجهر فى المسجد لا يمنع احترازا عن الدخول تحت قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وصنيع ابن مسعود يعنى اخراجه جماعة من المسجد سمعهم يهللون ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم جهرا يخالف قولكم قال قلت الاخراج من المسجد لو نسب اليه بطريق الحقيقة يجوز ان يكون لاعتقادهم العبادة فيه ولتعليم الناس انه بدعة والفعل الجائز يجوز ان يكون غير جائز فيه لغرض يلحقه فكذلك غير جائز يجوز لغرض كما ترك النبى صلى الله عليه وسلم الافضل تعليما بتلاوة ثم قال وما روى فى الصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال للرافعى أصواتهم بالتكبير أربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا الخ يحتمل انه لم يكن فى الرفع مصلحة فقد روى انه كان فى غزاة ولعل رفع الصوت لم يكن فيه مصلحة لان الحرب خدعة وأما رفع الصوت

حتى يحيى القلب ويتمكن منه الذكر فاذا حيى وتمكن منه الذكر عاد مطلوبه طالبا ومرغوبه راغبا وربما جرى الذكر على اللسان بلا اجراء ولا تعمل ولو أمسك اللسان عن الذكر فانه يجرى على القلب قال الامام أبو حامد رضى الله عنه فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله الله مع حضور القلب الى أن ينتهى الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان ينمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى أن ينتهى الى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله تعالى من رحمة فتحها على الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء رضى الله عنهم بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق فى قلبه وتكون فى ابتدائها كالبرق الخاطف لا تثبت ثم تعود وقد تتأخر وان عادت وقد تثبت وقد تكون مختلفة وان ثبتت فقد يطول ثباتها وقد لا يطول وقد تتأخر أمثالها على التلاحق وقد تقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله تعالى فيها لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم ونظم هذا المعنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد البنا التجيبى رضى الله عنه فى مباحثه فقال بعد ابيات فى ترويح المريد

فعند ما ملت الى الزوال * ادخل فى خلوة الاعتزال
وقيل قل على الدوام الله * واحذر كطرف العين ان تنساه
ولم يزل مستعملا للذكر * فيصمت اللسان وهو يجرى
ثم جرى معناه فى الفؤاد * جرى الغذا فى جملة الاجساد

قال الشيخ ابو العباس زروق رضى الله عنه ووجه ذلك من طريق الحكمة هو ان القلب له علقة بالجوارح والتفات لما يرد منها فاذا ذكر اللسان والتفت اليه القلب فكان تارة معه وتارة غافلا عنه ثم يصير مصاحبا له باعتبار الالتفات اليه حتى تنطبع معانى ما يجرى على اللسان فيه فلا يسع خلوه عن تلك المعانى وما يرجع اليها عنده فاذا تمكنت هذه الحقيقة عاد ذكر اللسان ترجمة فقط ثم يأتى الفناء فى المذكور بالغيبة عما سواه من ذكر وغيره بحيث يرى انه منعزل عن البين ومولاه هو الذاكر والمذكور لان كل شئ منه بدا واليه يعود وأصل البيت قوله فى العوارف واختار جمع من المشايخ من الذكر لا اله الا الله وهذه الكلمة لها خاصية فى تنوير الباطن وجمع الهم اذا داوم عليها صادق مخلص وهى من مواهب الله لهذه الامة وفيها خاصية لهذه الامة ثم قال لا يزال العبد فى خلوته حتى يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة فى القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها فى القلب عن كل حديث النفس فاذا استولت الحكمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لا يسكت القلب ثم تتجوهر فى القلب وبتجوهرها يستمكن نور اليقين فى القلب حتى اذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها لتجوهرها او بعد الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر المشاهدة والمكاشفة والمعاينة اعنى ذكر الذكر بتجوهر نور الذكر وهذا هو المقصود الاقصى من الخلوة وقد يحصل هذا لا بذكر الكلمة بل

بتلاوة القرآن اذا أكثر من التلاوة واجتهد فى مواطاة القلب مع اللسان حتى تجرى التلاوة على اللسان ومعنى الكلام مقام حديث النفس فتدخل على العبد سهولة فى التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة فى التلاوة والصلاة ويجوهر نور الكلام فى القلب فى مطالعة عظمة المتكلم سبحانه ودون هذه الموهبة لا يفتح على العبد من العلوم الالهامية اللدنية والى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة اذا صفى باطنه فقد يغيب فى الذكر من كمال انسه وحلاوة ذكره حتى يتمكن فى غيبته بالذكر التام ولما فرغ من ذكر صاحب علم اليقين وعينه وحقه على سبيل الاجمال وأراد أن يذكر ذلك على سبيل التفصيل وكانت المحبة أصلا لذلك اذ هى المثمرة للأحوال كما ان التوبة أصل فى مقامات الانزال أشار لذلك فقال رضى الله عنه

﴿ولكل من كاس المحبة شربة * سرت فيه سرى الماء فى الغصن النضر﴾

الكأس لغة الاناء بما فيه من الشراب وقد يسمى كل واحد بمفرده كأسا فيقال كأس خال وشربت كأسا وقيل اذا خلا يسمى قدحا لا كأسا أما عند القوم فسيأتى الكلام عليه والمحبة قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه المحبة أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يمكنه الالتفات لغيره ولا العمل بغير ما فيه رضاه ايثارا له على ما سواه اهـ وقال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه وقيل ان للقلب حبة هى باطنه عليها تعلق المحبة ومنه سميت محبة كان اشتقاقها من حبة القلب وهى التى يقال لها سويداؤه والميم فى الاسماء قد تزاد للمبالغة فى الوصف والشربة مقدار الرى من الماء كالحسوة والغصن القضيب والناضر الناعم الحسن وقوله شربة هو مبتدأ ومن كاس المحبة متعلق به وسرت فاعله ضمير المحبة وسرى الماء مفعول مطلق عامله سرت وفى الغصن متعلق بسرى الماء والنضر صفة لغصن وجملة سرت الخ صفة لشربة وخبر المبتدأ فى المجرور قبله وهو قوله ولكل ﴿يقول﴾ والله أعلم ولكل واحد من صاحب علم اليقين وعينه وحقه شربة من كأس محبة الحق تعالى وتقدس سرت فيه تلك الشربة كما سرى الماء فى الاغصان الناعمة الغضة أى سريانا لم يمكن كل واحد منهم التخلف عن موجبه بحسب مقامه ورتبته واستعداده وقابليته بحيث أشلى صاحب العلم على الموافقة فى جميع الحالات وأغرى صاحب العين على كثرة الشرب حتى عاد طافحا لا يفرق بين القبلة والذرات وحمل صاحب الحق على مواصلة شرب الليل بالنهار حتى تجوهر بخمره فأفاق من تلك الطفحات فامتزجت منه ومنها النعوت بالنعوت والصفات بالصفات قال الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه المحبة أخذة من الله لقلب من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله وشراب المحبة مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل والشرب سقى القلوب والاوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشرب بالتدريب والتهذيب ويسقى كل على قدرته فمنهم من يسقى بغير واسطة والله متولى ذلك منه له ومنهم من يسقى من وجه الوسائط كالملائكة والعلماء والاكابر من المقربين ومنهم من يسكر بشهود الكاس ولم يذق بعد شيأ فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالرى وبعد بالسكر وبعد بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما السكر أيضا كذلك والكاس معرفة الحق يغرف بها من ذلك

بالذكر فجائز انتهى ملخصا والله سبحانه وتعالى أعلم وأما الوجد عند سماع القارئ والمنشد فهو أصل أصيل عند أرباب القلوب وقد أثنى الله تعالى على أصحاب الوجد فقال سبحانه وتعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع وقد اشترط كثير من القوم بداءته بسماع آيات من كتاب الله تعالى فان غالب أرباب القلوب انما يظهر عليهم أثر الوجد عند سماع القرآن روى أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال حسبك وذرفت عيناه وبكى أثناء عند قراءة ان تعذبهم فانهم عبادك وأما ما نقل عن الذين تواجدوا عند سماع آية من الصحابة والتابعين فأكثر من أن يحصى فمنهم من صعق ومنهم من بكى اليومين والجمعة ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات فى غشيته ومات ابن أبى أوفى من التابعين عند قراءة فاذا نقر فى الناقور فصعق وسمع عمر رضى الله تعالى عنه قارئا يقرأ ان عذاب ربك لواقع فصاح صيحة سمعت بأقطار المدينة ثم غشى عليه يوما وحمل الى منزله ثم ضعف شهرا وسمع الشافعى قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشى عليه يومين ويشترط ان المسمع مريد للشيخ أو لغيره قد خدم الفقراء أو سقى بشرابهم وامتزج بأحوالهم وتهذب بتسليكهم وله اعتقاد صالح وقلب خاشع محزون على ذنوبه وعيوبه ويحفظ كثيرا من الاشعار الربانية وكلام القوم وهو فصيح الكلام حسن الصوت كثير الحياء

سريع البكاء ولا ملل عنده فى السماع انتهى ملخصا من جواب سؤال أجاب عليه العلامة شهاب الدين الحمصى الشافعى ووافق عليه العلامة يحيى بن موسى الحنفى وأما حكم مبايعة المشايخ فقال العلامة حقى أفندى فى تفسيره روح البيان عند قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله الى آخر الآية تبين بهذا سنة المبايعة وأخذ

الشراب الطهور الصافى لمن يشاء من عباده المخصوصين من خلقه فتارة يشهد الشارب تلك الكاس صورة وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها علمية فالصورة حظ الابدان والانفس المعنوية حظ القلوب والعقول والعلمية حظ الارواح والاسرار فياله من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب دام ولم ينقطع عنه نسأل الله من فضله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد تجمع جماعة من المحبين فيسقون من كاس واحدة وقد يسقون من كؤس كثيرة وقد يسقى الواحد بكاس وبكؤس وقد تختلف الاشربة بحسب عدد الاكواس وقد يختلف الشرب من كاس واحدة وان شرب منه الجم الغفير من الاحبة وقال تلميذه الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه المحبة أخذة من الله لقلب عبده عن كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعروفه والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمور فى مشاهدته والعبد يستزيد من حبه فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيسكر حال التقريب على بساط القربة ويمس ابكار الحقائق وثيبات العلوم فمن أجل ذلك قالوا أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون ثم قال الشراب هو النور الساطع من جمال المحبوب والكاس هو اللطف الموصل ذلك الى افواه القلوب والساقى المتولى ذلك لخصوص الاكابر والصالحين من عباده وهو العالم بالمقادر ومصالح أحبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشئ منه نفسا أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا ومن توالى عليه الامر ودام له الشرب حتى امتلات عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقول ولا ما يقال فذلك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويدنون الى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وقد تكلم صاحب العوارف فى المحبة العامة التى هى لصاحب علم اليقين وغيره فقال رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى وسمعى وبصرى وأهلى ومالى ومن الماء البارد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وخالص الحب هو ان يحب الله تعالى بكليته وذلك ان العبد قد يكون فى حاله قائما بشروط حاله بحكم العلم والجبلة تتقاضاه بضد العلم مثل ان يكون راضيا والجبلة قد تكره ويكون النظر الى الانقياد بالعلم الى الاستعصاء بالجبلة فقد يحب الله ورسوله بحكم الايمان ويحب الاهل والولد بحكم الطبع وللمحبة وجوه وبواعث المحبة للانسان متنوعة فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاهل والمال والماء البارد استئصال عروق المحبة بمحبة الله حتى يكون حب الله غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته حتى يكون حب الله أغلظ فى الطبع أيضا والجبلة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا خاصا بخواص تتقمر به وبنوره نار الطبع والجبلة وهكذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح وخلوصه الى مواطن القرب قال الواسطى فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات قال بعضهم الحب شرطه ان يلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فاذا الحب حبان حب عام

التلقين من المشايخ الكبار وهم الذين جعلهم الله تعالى قطب الارشاد بان أوصلهم الى التجلى العينى بعد التجلى العملى وعن شداد ابن أوس وعبادة بن الصامت قالا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب يعنى من أهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فامر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم فقولوا لا اله الا الله فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة انك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا ان الله قد غفر لكم كما فى ترويح القلوب لعبد الله البسطامى قدس سره وأخذ من التقرير المذكور أخذ اليد فى المبايعة وذلك بالنسبة الى الرجال دون النساء قال أبو يزيد البسطامى من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان وسمعت كثيرا من المشايخ يقولون من لم يرمفلحا لا يفلح ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الخراءة بكسر الخاء المعجمة يعنى قضاء الحاجة فلابد لطالب الحق من أديب كامل وأستاذ حاذق بصير بآفات النفوس وآفات الاعمال ومداخل العدو فاذا وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدب بآدابه ليسرى من باطنه الى باطنه حال قوى كسراج اقتبس من سراج ولينسلخ من ارادة نفسه بالكلية فان التسليم له تسليم لله ولرسوله فان سلسلة التسليم تنتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الله عز شأنه انتهى ملخصا والله الهادى وعليه اعتمادى أمر برقمه راجى لطف ربه الخفى جمال ابن عبد الله شيخ عمر الحنفى مفتى مكة المكرمة كان الله لهما حامدا مصليا مسلما (ومنه ما أجاب) به العلامة الشيخ محمد بيرم الخامس التونسى رحمه الله تعالى ونصه الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى لا نبى بعده وعلى آله وأصحابه المؤيدين ملته

والمكثر بن حنده أما بعد فقد وقفت على تحريرات العلماء الاعلام هداة الانام المرسومة بخطوطهم أعلاه وتبركت بما تضمنته من
الفوائد الخالصة من الاشتباه وأخطرني من لا تسعني مخالفة أمره ان اتفق أثرهم فامتثلت متطلبا فيوض صدره وأقول ان المسائل
المبحوث عنها يستدعي الكلام عليها افرادي تقديم مقدمة وهي ان طرق ١٣٩ المشايخ أولياء الله تعالى رضي الله

تعالى عنهم ما لها هو التقرب
الى الله تعالى لكي يكون مع
عبده في جميع أحواله ومن
المعلوم ان التقرب له سبحانه
وتعالى انما يكون بما شرع
من الدين بواسطة خير المرسلين
عليه الصلاة والسلام اذ لا مجال
للعقل والاختراع فيما يرجع
الى ارضاء الخالق جل وعلا
ويرشد الى ما تقدم الحديث
القدسي المروي في الصحيح
ومازال العبد يتقرب الى
بالنوافل حتى أكون معه
الذي يسمع به الى آخر الحديث
وعلى ذلك فيلزم وزن أعمال
الشيخ بميزان الشرع فان
وافقت عمل بها والا ردت
لقوله صلى الله عليه وسلم كل
عمل ليس عليه أمرنا فهو رد
ومن دقائق ما يجب التنبه
اليه هو الاحتراز عن مشابهة
البدعة المذمومة في الدين
وهي اختراع شيء على أنه
عبادة من غير الرسول صلى
الله عليه وسلم مع انه لم يكن
عمله عليه ولا أمر به لا بالاجمال
ولا بالتفصيل كما بين ذلك
أبو اسحق الشاطبي في كتابه
الاعتصام وأطال فيه البرهان
وعد من ذلك اتخاذ السنن
والنوافل مأخذ الفرائض
لا اخراجها عن موضوعها
الذي هو مجرد الترغيب الى
الالتزام والايجاب ويشهد له
من نصوص فقهائنا الحنفية
ماذكروه من استحباب التنفل في البيت سيما من يقتدى بهم خشية التلبس على العامة بالوجوب فاذا تمهد هذا وكان العمل
المبحوث عنه خاليا عن تلك الشائبة ومؤسسا على قواعد التشريع فلا شك في جوازه وطلب ما هو مطلوب منه وبيان ذلك يستدعي
بيان افراد مباحثه التي هي عشرة مباحث (الاول) ان هذا الطريق له سند يتصل بصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام فهذا

وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال الامر وبما جاء من معدن العلم بالآلاء والنعماء وهذا
الحب محركه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر الى هذا
الحب العام الذي يكون لكسب العبد فيه مدخل أما الحب الخاص فهو محب الذات عن مطالعة
الروح وهو الحب الذي فيه السكوت وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاؤه اياه وهذا
الحب يكون من الاحوال لانه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول النبي
صلى الله عليه وسلم أحب الي من الماء البارد لانه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات
وهذا الحب روح والحب الذي يظهر من مطالعة الصفات و يطلع من مطالع الايمان قالب
الروح ولما صحت محبتهم هذه أخبر الله عنهم بقوله اذلة على المؤمنين لان المحب يذل لمحبوبه
والمحبوب محبوبه و ينشد

لعين تفدى ألف وتتقى * ويكرم ألف للحبيب المكرم

وهذا الحب الخاص هو أصل الاحوال السنية وموجبها وهو في الاحوال كالتوبة في
المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا والتوكل
على ما شرحناه أولا ومن صحت محبته هذه تحقق بسائر الاحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو
وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجثمان لانها مشتملة على الحب العام الذي هو
لهذا الحب كالجسد ومن أخذ في طريق المحبوبين وهو طريق خاص من طريق المحبة
يتكامل فيه ويجتمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذي يشتمل عليه التوبة
النصوح وعند ذلك يتقلب في أطوار المقامات لان التقلب في أطوار المقامات والترقي
من شيء منها الى شيء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب أثبت كسب الانابة سببا
للهداية وفي حال المحبوب صرح الاجتباء غير معلل بالكسب فقال يجتبي اليه من يشاء فمن
أخذ في طريق المحبوبين يطوى في بساط أطوار المقامات و يندرج فيه صفوها وخلاصها ثم
وصفها والمقامات لا تقيده ولا تحبسه و يعبدها و يحبسها بترقية منها واستنزاعه صفوها وخالصها
لانه حيث أشرقت عليه أنوار الحب الخاص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها
صفة للنعوت والصفة النفسانية والزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد
المتولد من جهة النفس والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جود في النفس
ما أشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقي ظلمتها وجودها فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه
وذهب جودها فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب أحرقت رغبته وماذا يصفي منه
التوكل ومطالعة الوكيل حاشا بصيرته وماذا سكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة
ممن لم يسلم كليته قال أبو علي الروذباري ما لم تخرج من كليتك لا تدخل في حد المحبة وقال أبو يزيد
من قتله محبته فديته رؤيته ومن قتله عشقه فديته منادمته ثم قال فاذا التقلب في أطوار
المقامات لعوام المحبين وطي بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن هممهم
المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهي مواطن من يتعثر في أذيال
بقاياه قال بعض الكبار يعني الحسين بن منصور الحلاج لابراهيم الخواص الام أدى بك التصوف
فقال الى التوكل فقال تسعى في عمران باطنك أين أنت من الفناء في التوكل برؤية الوكيل

فالنفس اذا تحركت بصفتها منفلتة من دائرة الزهد ردها الى الدائرة بزهده والمتوكل اذا تحركت ردها بتوكله والراضي يردها برضاه وهذه الحركات من النفس بقايا وجودية تفتقر الى سياسة العلوم وفي ذلك تسم روحه القرب من بعيد وهو أداء حق العبودية بمبلغ العلم وبحسب الاجتهاد والكسب ومن أخذ في طريق الخاص عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بأنوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب بروح دائمة المكوث محمية عن الطوارق والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلف والزهد والتوكل والرضا كائن فيه وهو غير كائن فيها على معنى أنه كيف تقلب كان زاهدا وان رغب لانه بالحق لا بنفسه وان رؤي منه التفات الى الاسباب فهو متوكل وان وجد منه الكراهة فهو راض لان كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته بالحق أعيد اليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة محولة مطلوبها صار عين الداء دواءه وصار الاعلال شفاءه باب طلب الله له مناب كل طالب من زهد وتوكل ورضا وصار مطلوبه من الله ينوب عن كل مطلوب من زهد وتوكل ورضا قالت رابعة محب الله لا يسكن حنينه وأنينه حتى يسكن مع محبوبه وقال أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شئ وقال أبو الحسن الوراق السرور بالله من شدة المحبة والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس وقال يحيي بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين أعجب كيف يصبر الانسان عن حبيبه وقال بعضهم من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حب الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

واذا كان الحب للاحوال كالتوبة للمقامات كان من ادعى حالا يعتبر حبه ومن ادعى محبة تعتبر توبته فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قيامه بهذا القالب والأحوال اعراض قيامها بجوهر الروح وقال سحنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي عليه السلام قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى وقال أبو يعقوب السوسي لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة الى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن هذا بالمحبة فاذا خرج المحب الى هذه النسبة كان محبا من غير محبة ثم قال بعد كلام سننقله ان شاء الله على قوله ولما سرت في النفس الأبيات واذا صحت المحبة رتبت عليها الأحوال سئل الشبلي عن المحبة قال كاس لها وهج اذا استقر في الحواس وسكن في النفوس تلاشت وقيل للمحبة ظاهر وباطن فظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها ان يكون مفتونا بالحبيب عن كل شئ فلا تبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه ولما ذكر في هذا البيت ان كل واحد من المقامات الثلاث لصاحبه شربة من كاس المحبة وكان فعل تلك الشربة في كل واحد بحسب طبيعة مقامه لان المسكرات تهيج في كل شخص مقتضى الطبيعة الغالبة عليه وذلك لان الانسان مركب من طبائع أربع كل واحدة تنزع وتهيج لما أجرى الله بحكم عادته ان يخلق في البدن عنده الابها فالدم يهيج للنشاط والانبساط والصفراء للخاصمة والمضاربة الى غير ذلك ولكن نور العقل يمنع كل واحدة عن الشره في مقتضاها فاذا غلب بالاسكار صالت الطبيعة الغالبة بقوى مقتضاها

فلذلك

لاشك انه من أصول قواعد ديننا المتين وقد نص العلماء في دواوين علم الحديث وعلم الاصول والفقه ان السند من خصائص هذه الشريعة المباركة والاصل فيه هو ماقدمناه من ان التشريع خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم فيلزم اسناد الامر اليه وذلك يتوقف على السند والرواية بشروطها الثاني ان هذا الطريق يجهر فيه بالذكر فهذا سائغ فقد نقل في رد المحتار عن الفتاوى الخيرية مانصه جاء في الحديث مااقتضى طلب الجهر نحو وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم رواه الشيخان وهناك أحاديث اقتضت طلب الاسرار والجمع بينهما بان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال كما جمع بذلك بين أحاديث الجهر والاخفاء بالقراءة ولا يعارض ذلك خير الذكر الخفي لانه حيث خيف الرياء أو تأذى المصلين أو النيام فان خلا عن ذلك قال بعض أهل العلم ان الجهر أفضل لانه أكثر عملا ولتعدي فائدته الى السامعين فيجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد النشاط اه الثالث ان هذا الطريق يذكر أصحابه فرادى ومجتمعين فهذا أيضا سائغ اما الافراد فلانه الاصل واما الاجتماع فقد نقل الحموي في حواشيه عن الامام الشعراني مانصه أجمع العلماء سلفا وخلفا على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها الا ان يشوش جهرهم على نائم أو مصل أو قارئ الرابع التزام الذكر في أوقات معينة فهذا ان كان الالتزام بمعنى الوقوع الخارجي واجرائه مجرى سائر النوافل في الاعتقاد من غير عقد القلب على الالتزام به فهو لا بأس به ولا شك في مطلوبيته وان كان بمعنى عقد القلب على الالتزام به كالتزامه بالفرائض فهذا مكروه لانه اخراج للمشروع عن صفته وقد صرح علماؤنا بذلك وبانه يكره النذر لقلبه المندوب واجبا على تقدير وقوع الالتزام فانه يلزم العمل بما التزم به لما في الالتزام من معنى العهد الذي يجب الوفاء به كما حررناه ذلك فيما كتبناه على باب الوفاء بالعهد وغيره من صحيح

فلذلك ترى صاحب الدم اذا سكر يكثر بسطه وانشراحه وصاحب الصفراء تسىء خلقه ويخاصم ويقاتل الى غير ذلك وكذلك من ولد الولادة الثانية وصارت أمزجته من طينة المقامات الثلاث اذا أخذ في الشرب من كاس محبة الحق وكان تنقله على ماقدمناه من أول القصيدة الى هنا غطى عنه ظلام الطبع والنفس الوازعين لطبيعة كل مقام عن الاسترسال في مقتضاها وطبيعة علم اليقين في الأمر والنهي وعين اليقين الاشتياق الى الالقاء وحق اليقين شخوص النظر والبهت فلذلك ترى صاحب العلم لا يفتر عن العمل وصاحب عين اليقين لا يلتفت الى العمل غائب عنه فيه وصاحب الحق لا يلتفت لسواه لاستغنائه بالمسامرة وأدب الحصر كما قال أبو العباس بن عطاء رضي الله عنه المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول ثم أخذ في بيان مافعلته تلك الشربة في كل واحد من الثلاثة وما استتبعه فعله فقال رضي الله عنه

﴿فذو العلم طوع الحب والحب عنده * موافقة المحبوب في العسر واليسر﴾

الفاء المصدر بها البيت على ماذكرناه في مقدمة البيت فصيحة وتقدم شرحها غير مرة وذو العلم مبتدأ وطوع الحب خبره أي صيرت تلك الشربة فيه مرافقته محبوبه ويجوز في طائه الضم والكسر وعلى الضم فالاسناد من المجاز العقلي وقوله والحب عنده الخ تفسير وايضاح لحقيقة الحب عند صاحب هذا المقام وفي العسر متعلق بموافقة واليسر معطوف عليه وبين المتعاطفين من أنواع البديع المطابقة وهي الجمع بين أمرين بينهما تقابل حقيقي أو اعتباري ولو في صورة ماهو موجود بين العسر واليسر ﴿يقول﴾ والله أعلم فأثرت تلك الشربة من محبة الحق تعالى وتقدس في صاحب علم اليقين أي صيرته طوع محبوبه وحقيقة الحب عنده موافقة المحبوب في عسر المؤلمات ويسر الانعامات فلا قصد الا قصد محبوبه منه قال بعضهم المحبة موافقة المحبوب على ماأساء وسر ونفع وضر وقال أبو على الروذباري رضي الله عنه المحبة الموافقة وقال سهل رضي الله عنه الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال الحارث بن أسد المحاسبي رضي الله عنه المحبة ميلك الى الشئ بالكلية ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وهذه الأقوال ومافي معناها اشارة الى الحب الذي هو حظ صاحب مقام علم اليقين ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به

﴿ولو قال طأ في النار والنار جرها * لهيب يرمى الشرارة كالقصر﴾

﴿لما كان لمح البرق أسرع ما يرى * بأسرع مني في امتثالي للامر﴾

هذا كلام على سبيل الترجمة عن صاحب هذه الحالة والفاء للنتيجة ولو هنا للتعليق في الاستقبال فالماضي بعدها مؤول بالمضارع وفاعل قال ضمير المحبوب وطأ فعل أمر وفي النار متعلق به والجملة محكية بالقول والجمر جمع جمرة وهي النار المتقدمة واللهب اشتعال النار اذا خلص من الدخان وقيل لسانها والشرارة ماتطاير من النار والنار مبتدأ وواوه للحال وجرها مبتدأ ثان ولهب مبتدأ ثالث وخبره في المجرور قبله وهو وخبره خبر عن الثاني والجمع خبر عن الأول والهاء من قوله جمرها عائد الثاني الضمير المجرور باللام وهو وقوله له وذكره مراعاة للفظ جمر ويقع في بعض النسخ فيكون مراعاة لمعناه ويرمى الخ صفة لهب والشرارة مفعوله وكالقصر صفة للشرارة والقصر في اللغة مشترك يطلق على أمور منها انه يطلق

الضاري ومن المعلوم أن ساداتنا الاولياء رضوان الله عليهم أشد الناس تحفظا على الشريعة ونقل عن كثير منهم أنه قال مامعناه مابلغكم عني فزنوه بميزان الشريعة فما وافقه الشرع فخذوه ومالا فاضربوا به الحائط وعلى ذلك فيلزم ان تحمل أورادهم وعباداتهم كلها على المنهج المشروع ومنه اجراء النوافل على صفتها وليس مرجع ذلك الا عمل القلب فيجاهدون أنفسهم بانواع الطاعات ويوقعون كلا منها على صفته المشروعة لانهم أشد الناس اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي لمريدهم التنبه الى ذلك والعمل بمقتضاه ﴿الخامس﴾ الذكر قياما وقعودا وهذا أيضا لا شك في جوازه اذ صلاة النافلة قد أجيزت على نحو ذلك فما بالك بمجرد الذكر ﴿السادس﴾ اهتزاز الذاكر عند الذكر فهذا وان كان ظاهر الوهابية منعه لكن المعتمد ماذكره ابن كمال باشا ونقله العلامة الصفوة ابن عابدين وأقره ونصه

مافي التواجد ان حققت من حرج * ولا التمايل ان أخلصت من باس

فقمت تسعى على رجل وحق لمن * دعاه مولاه أن يسعى على الراس

الرخصة فيما ذكر من الاوضاع عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم الى أحسن الاعمال السالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الاحوال فهم لا يسمعون الا من الاله ولا يشتاقون الا اليه ان ذكروه ناحوا وان شكروه باحوا وان وجدوه صاحوا وان شهدوه استراحوا وان سرحوا في حضرة قربه ساحوا اذا غلب عليهم الوجد بغلباته وشربوا من موارد اراداته فمنهم من طرقته طوارق الهيبة فخر وذاب ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب ومنهم من طلع عليه الحب من مطلع القرب فسكر وغاب هذا ماعن لي في الجواب والله الموفق للصواب انتهى ومنه يعلم التصريح بجواز الذكر قائما ﴿السابع﴾ افراد الذكر لكلمة لا اله الا الله فهذا الامر به في جوازه وقد ورد في الصحيح أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا اله

على واحد القصور وهى الديار والمدائن والقرى والحصون العظام ويطلق على جمع قصرة وهى الشجرة العظيمة فان جعلنا ال فى الشرارة للجنس فسرناه بالجمع والافسرناه بالافراد فاذا كل واحد من المعنيين صحيح على ترتيب لا على تفريع واللام من قوله لما جواب لو وما نافية ولمح البرق أى لمانه اسم كان وأسرع مارئى حال من البرق وذلك لان لمحات البرق متفاوتة فى السرعة ومراده أسرعها والبرق سوط من نور بيد الرعد وهو الملك الموكل بالسحاب يزجره به وبأسرع خبر كان جر بالباء لتقدم النفى ومنى متعلق باسرع وفى امتثالى كذلك وللامر متعلق بامتثالى ﴿يقول﴾ والله أعلم فلو فرض ونصور ان أمرنى محبوبى وبغيته قلبى بوطئ النار والحال ان جمرها الشديدة توقدها وتأججها اللهب يرمى بالشرارة العظيمة مثل القصر مثلا لما كان أسرع لمحات البرق للعين باسرع من امتثالى لذلك الامر ووطئى على ذلك الجمر قال الشيخ شرف الدين أبو القاسم عمر بن الفارض رضى الله عنه لو وقفت ممتثلا ولم أتوقف وأنشد بعضهم

ولو عذبتنى فى النار حتما • دخلت مطاوعا وسط الجحيم
اذا كان الجحيم رضاك عنى • فما ذاك الجحيم سوى نعيم

ولبعضهم وقد سألت عن حال عاشقها

لله صفه ولا تنقص ولا تزد • فقلت لو كان يهوى الموت من ظمأ • وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

ومن هذا المشرب قول بعضهم أحببت كل شئ بحبه حتى لو أحب دخول النار أحببت دخولها وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فمالى منه مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار كنت بذلك راضيا وقيل لاخر آخر قد نلت غاية الرضا منه فقال اما الغاية فلا ولا مقام من الرضا قد نلته لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق على الى الجنة ثم ملا بى جهنم تحلة لقسمه وبدلا عن خلقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه ولولا ان خاصية لوفرض ماليس بواقع واقعا لامكن ان يقال فى تقدير هذين البيتين هكذا فلو قال لى طأ فى النار مخالفة للنفس والشيطان والحال ان تلك النار لها لهب يرمى الشرارة كالقصر لما كان الخ ويكون عبر عن مخالفة النفس والشيطان بالنار الموصوفة بهذه الصفة بضرب من الاستعارة والتشبيه لانه لما طال الفهما وافقتهما والجرى على مايحبان منه كان على النفس الوطء فى مخالفة ذلك كالوطء فى النار بل هو عليها أشد لكن الامر بهذا المعنى محقق وقوعه من المحبوب ولو لا تناسب ذلك لما قدمنا ان خاصيتها فرض ماليس بواقع واقعا الا أن يقال هى هنا لتصوير المسئلة فقط فيصح ولكن المناسب لما يجده المترجم عنه فى طويته هو التقدير الاول ثم قال رضى الله عنه

﴿ولى منه بشرى لو حلت بقعرها • ابت لى ان أدرى ببرد ولا حر﴾

هذا البيت كالذى قبله أتى به على سبيل الترجمانية عن صاحب هذه المرتبة وهو اشارة لغيبته فان الغيبة عبارة عن عدم علم الغيب بما يجرى من أحوال الخلق وقد تزيد على حوها بان يغيب عن احساسه بنفسه وغيره فتصير غشية ويكون ذلك بوارد من تذكر ثواب وهى البشرى أو عقاب وهى التذرى فهذه هى غيبة صاحب مقام علم اليقين وقد يكون ذلك بسبب معنى يكاشف به عن الحق وهى غيبة العارف صاحب عين اليقين وحقه وهم مختلفون فى ذلك على حسب مقاماتهم وأحوالهم والترجع لبيان ألفاظ البيت بشرى مصدر كرجعى وهو الفرح وسميت البشار

بشارة

الا الله وورد فى التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ختامها بلا اله الا الله وحده لاشريك له وكذلك أحاديث صلاة التسبيح بحيث ان المسئلة أوضح من ان يؤتى فيها بدليل بل افراد ذكر اسم الجلالة وحده جائز وفى رد المحتار مانصه وروى هشام عن محمد عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه اسم الله الاعظم وبه قال الطحاوى وكثير من العلماء وأكثر العارفين حتى انه لاذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به كما فى شرح التحرير لابن أمير الحاج انتهى (الثامن) القصر فى اسم الجلالة بحذف الالف بين اللام والهاء فهذا انه سمع فى لغة بعض العرب ولا مانع من التكلم باى لغة من لغاتهم بل قد جوز الفقهاء ذبيحة من سمى بتلك اللغة وقالوا بانعقاد يمينه قال ابن الشحنة فى شرح الوهبانية المراد بالهاء الالف بين الهاء واللام فاذا حذفها الحالف أو الذابح أو الداخل فى الصلاة قيل لا يضر لانه سمع حذفها فى لغة العرب وقيل يضر انتهى (التاسع) انشاد الشعر فى مدائح النبى صلى الله عليه وسلم والتشويق للحضرة القدسية أو الثناء على بعض الصالحين فهذا جائز شرعا ولا محذور فيه بل ورد ما يدل على الترغيب فيه على الجملة قال فى الضياء المعنوى العشرون من آفات اللسان الشعر سئل عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح فما كان منه فى الوعظ والحكم وذكر نعم الله وصفة المتقين فهو حسن وما كان فى ذكر الاطلال والازمان والامم فمباح وما كان فى هجو وسخف فحرام وما كان فى وصف القدود والخدود فمكروه كذا فسره أبو الليث السمرقندى ومن كثر انشاده وانشاؤه حين تنزل به مهماته ويجعله كسبة له تنقص مروأته وترد شهادته انتهى باختصار وذكر ابن الهمام فى شهادات الفتح تفصيلا يؤل الى نحو ماذكر مع زيادة ان كان من الغزل انما يحرم اذا كان المتغزل فيه حيا معينا ولم يقصد من ذكر الشعر الاستشهاد على قاعدة بلاغية أو نحوية اما اذا خلا عما ذكر فهو مباح مطلوب

بشارة لانها تبين فى بشرة من بشر بها وهى أى البشرى مبتدا وخبره فى أول البحر و رين قبله وهو قوله لى ومنه متعلق بالاستقرار العامل فى المجرور المخبر به أى بشرى كائنة لى منه وضميره للمحبوب وللقوم المفهوم من قال وهو أبلغ هنا والله أعلم فان سلطان المحبة اذا سطا على العبد الحق المحبة بالمحبة بل ربما عاد الامر بالعكس كما قيل

ألفت الضنا حتى تطاول مكثه • فلو زال عن جسمى بكته الجوارح

وليس بطئ عنده وانما هو فى غاية النعيم وليس عند المحب شئ ألذ من خطاب محبوبه ولو كان بحتفه والحكايات والابيات فى هذا المعنى أكثر من ان تحصى وليس بمحب من لم يبلغ فى محبته لشئ من هذا ولو حرف شرط وحلت فعل الشرط و بقعرها أى أقصاها متعلق به وضميره للنار المذكورة وأبت جواب الشرط وفاعله ضمير البشرى ولى متعلق به وان أدرى الخ مفعول ابت وادرى مرفوع بضمة مقدرة فى الياء وان مهملة أى غير ناصبة وذلك لغة فيها حملا على المصدرية لانها أختها ومعنى قوله ابت لى ان أدرى ليس على ما يتبادر من ظاهره من الغيبة عن الاحساس بذلك والاتنافر بعجز البيت مع صدره لان الغائب عن الحس لا يخبر عن حال والفرض ان البيت على سبيل الترجمانية عنه فكانه القائل بنفسه وانما معناه ابت لى ان أبالى بذلك واعتبره كما يقول الانسان عند الغيظ للاجنبى لا أدرى هل أنت فى الدنيا فان مراده انه لا يبالى به ولا يعتبره لا الغيبة عن الاحساس به اذ خطابه اياه يكذبه فى ذلك وقد يقال انه على سبيل الترجمانية على لسان حاله فيبقى الكلام على ما يتبادر من ظاهره وببرد متعلق بادرى وحر معطوف على برد ولا زائدة و بين هذين المتعاطفين من أنواع البديع المطابقة وقد فسرناها قريبا بين العسر واليسر ﴿يقول﴾ والله أعلم ولى من ذلك القول وتوجه خطابه بشرى ولذة أو ولى من تذكرى فضل حبيبى وعز كلامه وسعة رحمته واثابته بالكثير على اليسير وما أعد فى الجنان لمن أطاع أمره وامتثل نهيه من حور وقصور بشرى لو حلت معها بقعر جهنم لغيبتنى عن الاحساس بالمها والمبالاة ببرد زمهريرها وحر لهبها لاستيلاء تلك البشرى على محل الاحساس كما روى ان امرأة فتح الموصلى رضى الله عنها عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه هذا ان كان ملاحظا للثواب والاحسان الذى يجازون به على ذلك وهو اللائق بالمقام وان ترقى من ذلك وكان ملاحظا لمراد حبيبه واختياره واستشعار رضاه فى ذلك فقد يقوى حبه أيضا ويستغرق همه حتى يمنعه الاحساس بألم النار وان بقى احساس يسير فيغمره ما يحصل من اللذة فى استشعار حصول محبوبه بالقائه اياه فى النار ﴿وقد قيل﴾ ان رابعة العدوية رضى الله عنها كانت مجتازة مع نفر من أصحابها لبعض حاجاتها فضرب رأسها ركن جدار فرضه وجرى الدم على وجهها وبدنها وهى لا تلتفت الى ذلك ولا تكترث به فقال لها بعض أصحابها اما تحسين بما جرى عليك وهذا الدم قد خضب وجهك وثوبك فالتفتت كالمستطرفة لذلك والمتيقظة له ثم أقبلت عليهم كالمعتذرة من غفلتها وقالت يا اخوانى التذاذى بموافقة مراده فيما جرى شغلنى عن الاحساس بما ترون من شاهد الحال وكان سهل رضى الله عنه به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له فى ذلك فقال يا دوسة يعنى يا حبيبى ضرب الحبيب لا يوجع وكان الجنيد رضى الله عنه يقول من علامة الحب فى المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطف من مولاه وفيه القربة الى محبوبه وقلما التذ أذى بكل بلاء يصيبه لذابه

واشتهار قصيدة كعب مع ما فيها من التغزل بسعاد وانشادها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجازاته بالعفو والبردة كاف فى الدليل وكذلك جعل منبر لحسان فى المسجد ليناضل بشعره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صريح فى جواز الشعر ولو فى المسجد اذا كان الشعر على الصفة السابقة فهذا أمر مباح ولا مشاحة فى المباحات وأصل اتخاذها العارفين كما نص عليه السهروردى و روى فى عوارف المعارف هو اقامتها مقام عهد بين الشيخ والتلميذ فى تسليم التلميذ واعتماده لشيخه فيما يعلمه من علوم الشريعة وتهذيب الاخلاق وأبقيت على أصلها فى المريد الحقيقى وأخرجت عنه لمجرد الانتساب والتشبه فى المريد المنتسب وما آل ذلك الى اصطلاح على شئ مباح وجعله علامة على شئ آخر اما مباح أو مندوب اليه فهذا ملخص ما رأيناه من النصوص منطبقا على الفروع المسطورة وبناء على ذلك فلا وجه الى انكار من أنكر على اشاعة هاته الطريق بين العامة وأهل البداوة من البداوة اذ لا ريب فى تهذيب أخلاقهم بها وارشادهم بها الى عمل الطاعات بما فيها من المشروع ولا يضر ان يكون بعض أحوالها مباحا فقط اذ من شرط الانكار والنهى عن المنكر ان يكون العمل مجمعا على منعه فكيف والحالة ما ذكرناه فى هاته الطريقة من كون بعض فروعها مندوبا اليه و بعضها مباحا ثم ان اشتهار مثل هاته الطرق فى العامة مما لا يشك عاقل فى جلبه الى الخير لولا ما يعترى بعضها من جهل المنتسبين اليها فيعمل على حصول التقاطع والتدابر بين المسلمين بادعائه الافضلية لطريقته أو منع التلامذة من تعظيم الصالحين الى غير ذلك مما يوسوس لهم به الشيطان و يخلط به عليهم طريق الآخرة بطريق الدنيا من التنافس والتفاخر الموجب للتقاطع والتدابر والحال ان الله جل وعلا يقول انما المؤمنون اخوة وفى الحديث الشريف وكونوا عباد الله اخوانا وقد علمنا مما تقدم ان الاولياء أشد محافظة على الشرع فمن مرغوباتهم زيادة الوحدة

الحب على قلبه ثم أشار الى وجود هذا المقام وحضوره ولذا لم تقدم عامه ماقبله اذلا وجود الا من غيبته فقال رضى الله عنه

﴿وان وجودى ان أرى فيك فانيا * ولا حظ لى من دون ذلك فى أمر﴾

هذا البيت أيضا على لسان صاحب هذا المقام وفى كلامه الالتفات فانه كان يتكلم باساليب الغيبة وفى هذا البيت بالخطاب والالتفات من أحسن شئ فى الكلام لان الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر ايقاظا للاصغاء اليه ومن اجرائه على أسلوب واحد لان النفس مجبولة على الملل واستلذاذ الجديد وقد تختص مواقعه بفوائد وقد اختص هنا بنكتة لطيفة وهى الاشارة الى ان من رفض نفسه وهواه وسارع فى مرضاة مولاه وتلقى بالرضا كل مافيه رضاه يجد من نفسه ببركة ذلك محركا للاقبال عليه وقربا من الحضور بين يديه وكلما دام على ذلك قوى ذلك المحرك واشتد ذلك القرب حتى يكاد يقبل عليه اذ ذاك ويخاطبه مخاطبة الجليس لجليسه وهذا فيه اشلاء بلطف واغراء برفق لهمة السالك اللبيب على الطلب ورفض العلائق والعوائق ليصل الى هذه الحضرة سيما ان كان رقيق الطبع فيه فضل نزوع للمنازعات والمنازلات وأنواع المحاورات مع الحبيب وهذا النوع من انظام الكلام انما يحكمه فى السير عارف بالجسرى الذى يخفف الوفد ويقرب البعيد ويدرك به من أصيب بالدار من فاته بالادلاج والسرى وهكذا كله على نسخة ان أرى فيك بالخطاب وأما على نسخة فيه بالغيبة فصدر البيت من أساليب ماقبله ويكون الالتفات المذكور فى عجزه والنرجع لاعراب البيت وجودى اسم ان فهو منصوب بفتحة مقدرة لمكان الاضافة للياء وان أرى الخ خبرها وهو مجهول وفيك متعلق بفانيا وفانيا مفعول أرى الثانى وحظ أى نصب اسم لا مبنى معها ولى خبرها وفى أمر متعلق بالاستقرار العامل فى الخبر ومن دون أمرك كان فى الاصل نعتا لقوله فى أمر فلما قدم عليه نصب على الحال ومنه عجز البيت عطف بيان على صدره لانه بيان لمعناه ودون تقدم الكلام عليها فى قوله ولا ترين فى الارض البيت والا فى الموضعين واحد الامور

﴿يقول﴾ والله أعلم وان وجودى وحياتى وحضورى يامولاى ان أوجد وابقى فانيا فيك لاشعور لى بغير مايرضيك باذلا جهدى فى محابك واجتناب مايسخطك متقربا اليك بكلى من نفسى ومالى ولا حظ لى فى أمر من الامور من العادات والمألوفات والشهوات والمستحسنات دون أمرك ومايرضيك منى لفناء ارادتى ومحبوباتى فى مراداتك ومحبوباتك قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه فمن علامة محبة المولى تعالى تقديم أمور الآخرة وكل مايقرب الى الحبيب على أمور الدنيا من كل ماتهوى النفس والمبادرة باوامر المحبوب ونوادبه ونواهيه قبل عاجل حظوظ النفس ثم ايثار محبته على هواك واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ونهى عنه ثم قال أبو محمد سهل رحمه الله الايثار يشهد للحب فعلامة حبه ايثاره على نفسه وقال ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا ولا كل من اجتنب النهى صار حبيبا وهذا كما قال لان المحبة تستبين بترك المخالفة ولا تستبين بكثرة الاعمال كما تعمل أعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصى لا يتركها الا صديق ولكن المحبة مقترنة بالولاية والولاية مقترنة بالنصرة فاذا تولاه نصره على أعدائه وأعدى عدو له نفسه فاذا نصره عليها أخرج الشهوة منها فامتحن قلبه للتقوى ومحص نفسه فخلصها من الهوى كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا فذلك كله من النصر وهو علم

الولايه

والاخلاص بين عموم المسلمين والله يهدى للتى هى أقوم وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب حرره العبد الفقير محمد بيرم لطف الله به (ومنه ما أجاب به) العالم العلامة والحبر الفهامة الشيخ رحمة الله ابن الشيخ خليل الرحمن الهندى رحمه الله تعالى ونص عبارته الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فانى طالعت هذه الرسالة وما كتبه العلماء الاعلام فى جواز الذكر الجهرى والبيعة والباس الخرقة وتلقين الذكر فجوابى فى الامور المذكورة ماأجاب به الشيخ العلامة جمال المكى طاب ثراه والعلامة الشيخ محمد بيرم دام فضله بان الذكر الجهرى اذا كان مشوشا على المصلى أو القارئ أو النائم فغير جائز وان كان خاليا عن ذلك التشويش ففيه اختلاف بين العلماء والمختار انه جائز سواء كان الذكر منفردا أو فى جماعة الذاكرين وسواء كان ذلك الذكر فى المسجد أو غيره وسواء كان الذاكر قائما أو غير قائم وان الوجد عند السماع من القارئ أو المنشد فممدوح وان البيعة وتلقين الذكر من المشايخ الكبار الصالحين فسنتان وان الباس الخرقة للتلامذة من الامور المباحة ولما وضح العلامتان المزبوران هذه الامور حق التوضيح تركت التوضيح والله أعلم وعلمه أتم كتبه بيده الراجى مغفرة ربه المنان رحمة الله ابن خليل الرحمن غفر الله لهما وألحق الشيخ محمد فتح الله أيضا مانصه الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المشرعين والمتطرقين أما بعد فان طرق القوم صحيحة مشهورة ومؤيدة بالادلة الشرعية ومنصورة ومعارضها معاند مجحود وعن رحمة الله مطرود وعن بابه مبعود ثم انه ورد علينا جماعة من أهل الطريقة المدنية بالبلاد المغربية وفى أيديهم سؤال عن أوضاع الطريق هل هى صحيحة وهل لها من تحقيق حملهم على ذلك انكار المنكرين ومعارضة الجائرين الملحدين فاجابهم أعيان

الولاية أما سمعت قوله كيف ضم النصرة الى التولية فقال والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ثم قال ومن علامة المحبة ان لا يطلب بخدمته سواه وان يجتمع مع محبته همه وهواه فلا يهوى الا ما فيه رضا المولى ولا يقضي عليه مولاه الا بما يهوى وأصل البيت قوله في العوارف ومنها يعني من الأحوال الفناء والبقاء فقد قيل الفناء ان تفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شئ حظ يعني عن الاشياء كلها اشتغالا بمن فني فيه وقد قال عامر بن عبد الله لا أبالي امرأة رأيت أو حائطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا من جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو ان يفنى عما له ويبقى بما لله وقيل الباقي ان تصير الاشياء كلها شيأ واحدا فتكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات وعندي ان هذا الذي ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح ليس من الفناء والبقاء بشئ ولما ذكر الوجود والبقاء والحضور أشار الى ما ينشأ عن دوام ذلك من القرب والانس فقال رضي الله عنه

﴿فطاعته قربي وأنسي عبادتي • فلا أنس الا في العبادة للحر﴾

أشار بهذا البيت لبيان قرب صاحب مقام علم اليقين وأنسه وهو كما قبله على سبيل الترجمانية على لسان السائر وأخره عما قبله لان التقريب والقرب فرع الوجود والحضور وقدمه على ما بعده لانه أي ما بعده نوع من تجليات الحق وظهور الشئ فرع القرب منه فأبياته رضي الله عنه بعضها آخذ بحجزة البعض وكلامه في غاية التناسب فهذه القصيدة أشبه شئ بعقد كاللئ في محاسن السلك وواسطة ملك هذا العقد وقوله في التوب والزهد البيت وقد أشرنا له في محله ولنرجع لبيان ألفاظ البيت واعرابه الطاعة الامتثال للامر والانقياد والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وهي هنا على اصطلاح القوم من وظيفة الجوارح الظاهرة ﴿قال﴾ الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه سمعت الاستاذ أبا علي يقول العبودية أتم من العبادة فأولا عبادة ثم عبودية فالعبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخواص الخواص وسمعته يقول العبادة لأصحاب المجاهدات والعبودية لارباب المكابدات والعبودة صفة أرباب المشاهدة انتهى وأما لغة فالعبادة والعبودية والعبودة وكذلك الطاعة كلها والحر لغة الخالص من الرق وخيار كل شئ وعند كل شئ وعند القوم هو ما ذكره الشيخ أبو عبد الله محمد ابن عباد رضي الله عنه فقال لا يسمى حرا الا المتمحض في التجريد المتحقق في الجمع والتوحيد القريب الهمة فيما بين العبيد فلا مقام له ولا حال ولا صحة ولا اعتلال ولا حل ولا ارتحال فهذا هو حاز مقام الحرية اذ لم تبق عليه منه بقية ولم يسترقه شئ من الآثار الكونية الظلمانية ولا النورانية وتفصيل ما ذكره انظره في باب الحرية من الرسالة القشيرية وأطلق الناظم الحر هنا على المعتق من رق الشهوة والغفلة كما ذكره في العوارف عن أبي الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزاهد في وقته أنه قال القلب اذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة وقد يقال أطلقه هنا على الحر الطبيعة وقوله طاعته مبتدأ والفاء الداخلة عليه يشبه أن تكون تفريعية عن عجز البيت الذي قبله وقربي خبر المبتدأ وأنسي عبادتي مبتدأ وخبر والجملة معطوفة على التي قبلها وأنسي اسم لا مبني معها والايجاب للنفي وللحر متعلق بأنس وهو مقدم في المعنى على الاستثناء وفي العبادة متعلق أيضا بأنس وهو المحصور فيه ونسبة عجز البيت من صدره انه التفات فان الالتفات أيضا يطلق على تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملائمة لما قبلها في المعنى على جهة المثل كقوله تعالى

العلماء بالجامع الأزهر ومحفل الدين الشريف المنيف الأنور بما تقر به العين ويزول عن القلب به في ذلك الشأن الغشاء والرين (فمنهم) العمدة الفاضل والرحلة الكامل شريف النسب وعزيز الحسب مفتي السادة الحنفيه وسيد أهل الطريقة الخلوتيه السيد محمد حسين الكتبي فقد أجاد وأفاد ونفعه الله

في جوابه للسداد فجزى الله الجميع خيرا انه على ما يشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اه بحروفه ورأيت سؤالا رفع للعالم العلامة الحبر الفهامة المدقق المحقق الجامع بين الحقيقة والشريعة أبو محمد سيدي الشيخ عبد الصادق بن أحمد الفيتوري نسبا المالكي مذهبا عن اشباع الهاء في لااله من قولنا لا اله الا الله مانصه الحمد لله الذي وسع بالعلم مسالك العباد وجعل اختلاف ألسنتهم وألوانهم آية دالة على انفراده بالمراد وأنزل القرآن على سبعة أحرف لطفا منه ورحمة ووداد وجعلها كلها عربية فمن خالفها فقد زاغ وحاد ومن تمسك بها فقد نجا وهدى الى سبيل الرشاد والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعباد المخاطب كل قوم بلغتهم بلاغة منه وحرصا على الهدى والارشاد أفصح من تكلم العربية ومن نطق بالضاد سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء السادة الافراد ومن تبعهم باحسان ومحبة وجميل اعتقاد وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الجزاء والمعاد ﴿أما بعد﴾ فانه لما كثر السؤال من بعض الاخوان الذاكرين الله في السر والاعلان عن اشباع الهاء في لااله من قولنا لا اله الا الله وسبب ذلك اعتراض بعض المدعين للعلم الافخاخ الذين لا ذوق لهم ولا ذهم على أولياء الله تعالى هل له مخرج ومساغ في العربية أو هو لحن يلزم نبذه وطرحه بالكلية فظهر الجواب والله الموفق بمنه وفضله الى الصواب ان له وجها صحيحا

ومساغا مرعيا بتبيين بعد تقديم كلام وهو ان لا اله الا الله اما ان يكون الناطق بها تاليا للكتاب العزيز كقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله أو غير ذلك من تهليل القرآن العظيم أو قاصدا مجرد الذكر فقط فان كان تاليا فالمتعين قصرها لان القراءة سنة متبعة وان كان ذاكرا وقصرها فهو المطلوب

وان مدها فهو واسع لان لفظة لا آلها من قولنا لا اله الا الله اختلف في اعرابه وبنائه لان العامل فيه لا النافية للجنس فعلى بنائه فلا اشكال وعلى اعرابه فلا تعمل عمل ان والهاء فيها منصوب منون لانه نكرة واذا كان كذلك جاز اشباع الهاء وصلا على حركة واحدة وازالة تنوينه اعطاء للوصل حكم الوقف وان كان قليلا في النثر بالنسبة للنظم وأما هو في نفسه فكثير في النثر أيضا كقراءة قراءة سبعية قوله تعالى وجئتك من سبأ بنبأ يقين باسكان همزة سبأ مع الوصل ولقول ابن مالك في الفيته وربما أعطى لفظ الوصل ما للوقف نثرا وفشا منتظما انظر شراح الالفية وممن أعرب اسم لا النافية للجنس المفردة الزجاج كما نص عليه الشيخ السنوسي وأفاد صاحب التصريح انه معرب على خلاف فيه غير انه لم يسم من أعربه من النحاة ويتخرج اشباع هائه أيضا على وجه آخر وهو الحاق ألف الاطلاق كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وكقوله تعالى فاضلونا السبيلا وكقوله تعالى وأطعنا الرسولا لان هذه الثلاثة مفاعيل وألفاتها ليست للتثنية بل هي منصوبة بحركات ظاهرة وألحقتها ألفات ما تقولون فيها ويتخرج اشباعها على وجه آخر أيضا من كلام العرب كقولهم

اذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق اه

وكقولهم

ألم يأتيك والانباء تنمي * بما لاقت لبون بني زياد

اذا علمت هذا عرفت ان الذاكر على هذا الوجه مصيب غير مخطئ والاعتراض عليه لانهم قالوا ان حروف العلة الاول حذفت للجازم وهذه الاحرف الموجودة تولدت من اشباع الحركات أفاده

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وهذا البيت كالآية وفي بعض النسخ فلا أمن من الأمان بدل فلا أنس من الانس وهي بعيدة في هذا المقام جدا لأن الكلام في بيان ما ولته شربة المحبة لصاحب هذا المقام وما جلبه فعلها فيه لا فيما نشأ من الخوف وذكر الأمن في باب المحبة وتوابعها زعيق وقد يحاول في ردها المعنى ما شرحنا عليه ﴿يقول﴾ والله أعلم قربي من مولاي ومحبوبي هو الاستغراق في طاعته والدؤب على خدمته قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس ما تقرب الي عبدي بمثل ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الحديث وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وأنسي بسيدي هو ما أجده من قوة اليقين في عبادته فانه لا انس للعبد الحر الطبيعة الا في عبادة سيده ومحبوبه ولا رغبة له في مرضاته ومرغوبه قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ومن المحبة المسارعة الى ما ندب اليه من أنواع البر بوجود الحلاوة وشرح الصدر كما جاء في الاثر ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ثم الرضا بقضائه لانه مستحسن لافعاله ثم اللهج بذكره ومحبة من يذكره ومجالسة من يذكر به ودوام تشكي الحنين اليه وخلو القلب من الخلق وسبق النظر الى الخالق في كل شئ وسرعة الرجوع اليه بكل شئ ووجد الانس به عند كل شئ وكثرة الذكر له والتذكر بكل شئ وقال الامام أبو حامد رضي الله عنه ومن علامة المحبة أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالايثار فقال تعالى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه ثم قال ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحب شيأ أكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به ثم قال ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت له وانقطاع العلائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله تعالى كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الأنس بالله تعالى قال وقال قتادة في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله قال دهشت اليه واستأنست به ثم قال ومنها أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة وتمتعت به عشرين سنة وقال الجنيد رحمه الله علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوده يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتفى محب الله تعالى من طاعته ولو حل بعظيم المسائل وأصل البيت قوله في العوارف بعد كلام في حقيقة الأنس عند القوم مستقلة ان شاء الله في غير هذا المحل وقد يكون من الأنس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات وهذا القدر من الأنس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ولكن ليس هو حال الانس الذي يكون للمحبين اه وأما ما ذكره من القرب فنحوه قول الاستاذ أبي القاسم القشيري رضي الله عنه أول رتبة في القرب القرب من طاعته والاتصاف في دوام الاوقات بعبادته سبحانه

اه واعلم ان حقيقة القرب هو كما قال الشيخ أبو سعيد الخراز رضي الله عنه فقد حس الأشياء من القلب وهدوّ الضمير الى الله تعالى ثم ان سبب ذلك وملاكه التقرب اليه بطاعته ودوام عبادته فاذا تحققت بالقرب بعدت مطلوبا كنت تطلبه أوّلا من لزوم طاعته ودوام خاصته فمبذرة القرب والانس لزوم الطاعة فانبتت ثمرة القرب وبلغت أوان الاثمار اثمرت من جنس بذرها وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه الانس بالله هو أن تسكن اليه بقلبك وتطمئن له بسرك ولا يجرى شئ قبله على فكرك في سائر امورك وتعود اليه في سرك وجهرك فتكون به غنيا وله وليا ومن غيره بريا وعلامة ذلك ثلاثة أشياء أحدها لزوم طاعته وتقواه قدر استطاعتك بلا كلفة ولا توقف الثاني ايقاف أمرك عليه فلا اعتراض ولا التفات الثالث دوام الحضور بين يديه تارة بالذكر وتارة بالضراعة وتارة بالمناجاة لان من عرف الله كل لسانه اجلالا ومن أنس انطلق لسانه ادلالا ولما ذكر القرب والحضور أشار الى حظ صاحب مقام علم اليقين من التجليات وهى التجلي بطريق الافعال والتوحيد الفعلي الذى يرتقى منه الى توحيد الصفات والتجلي بطريقها ضرورة ان الآثار تكون عن صفة المؤثر فقال رضي الله عنه

﴿ارى بطريق الفعل فى كل لحظة • وجود يقين من وجودك فى سرى﴾
﴿وأنى صدور الفعل عن كل ممكن • وأبقى على حكم المشيئة فى أمرى﴾

بين فى هذين البيتين تجلى الفعل على لسان الترجمانية عن السائر فى الاخبار عما حصل له من ذلك وتجلى الفعل هو أول رتبة فى التجلى حسبما بانى وهو نصيب صاحب علم اليقين وبعده تجلى الوصف وهو حظ صاحب عين اليقين ثم تجلى الذات وهو حظ صاحب حق اليقين والتجلى مقابل الستر والستر رحمة للخاصة نقمة للعامة والتجلى خير بكل حال وان طاش وهام به كثير من الرجال وليس فى هذا ما ينكر فقد حكى الاستاذ أبو القاسم القشيرى عن منصور المقرى رضي الله عنهما انه قال واتى بعض الفقراء حيا من أحياء العرب فأصابه شاب فبينما الشاب فى خدمة هذا الفقير اذ غشى عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا له ابنة عم وقد عشقها فمشت فى خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشى عليه فمضى الفقير الى باب الخيمة وقال ان للغريب فيكم حرمة وذماما وقد جئت مستشفعا اليك فى أمر هذا الشاب فتعطفى عليه فيما به من هواك فقالت المرأة أنت سليم القلب انه لا يطيق شهود غبار ذيلى كيف يطيق صحبتى والحكايات فى هذا المعنى كثيرة وانما خصصنا هذه الحكاية بالذكر هنا لمناسبة التجلى الفعلى واذا كان هذا فى الجمال الذى هو ليس لا جلد ولحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك حامل للعذرة والمدرك له عين خسيسة تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فما ظنك بتجلى الجمال الازلى الابدى الذى لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التى لا يعترى بها الغلط ولنرجع لبيان ألفاظ البيت أرى قلبية وجدانية وبطريق الفعل أى لا بطريق الوصف وهو متعلق بارى وفى كل لحظة كذلك ووجود يقين أى فضل يقين مفعوله وفى سرى متعلق بوجود ومن وجودك علة لقوله وجود يقين فى سرى أى من أجل وجودك فى ذلك الملحوظ وفاء فانى للنتيجة واعراب ما بعدها الى آخر البيت واضح غايته والممكن كل ما سوى الله تعالى وحده عند أهل علم الكلام ما لا يقتضى وجودا ولا عدما لذاته والمراد

فى التصريح والذاكر مهما وافق قياس لغة العرب فى شئ منها عدذاكرا وما جوروا الان اللغة واسعة ولا يعترض عليه وهذا أيضا بقطع النظر عن الحال وأما أهل المحبة والشوق والأحوال رضي الله تعالى عنهم فلا يوزن ولا يقاس عليهم لان أمورهم وراء العقول ولا ينظر فى أمورهم للحن ولا لفصاحة ولو لحنوا عمدا كما وقع ذلك فى الاستاذ الشيخ عبد السلام الاسمر وأمثاله كالششترى مع فصاحتهم وبلاغتهم رضي الله تعالى عنهم ولا يعترض على هذه الطائفة الا محروم والعياذ بالله تعالى والسلام ﴿سؤال وجواب﴾ وجد فى ذيل هذا الجواب وهو اذا قيل لك اسم لا معرب عند الزجاج مسلم ولكن الحركة حركة اعراب ولا ينون فالجواب ان تقول له ما المانع له من التنوين فان كان غير منصرف فلا ينون ولا تنوب فيه الفتحة عن الكسرة ويسمى متمكنا فى الاسمية غير أمكن وليس هذا كذلك وان كان مبنيا لشبهه بالحروف فيعرب محلا وليس هو كذلك بل هو أمكن متمكن فى الاسمية فعلى القول باعرابه يتعين تنوينه والا لزم اجتماع الضدين كونه معربا مبنيا وأما كونه وقفا على حركة واحدة ووصلا اعطاء للوصل ما للوقف وهو جائز نص عليه غير واحد والسلام وهذا ما تحصل عندنا من فتاوى العلماء الاعلام أهل الشريعة والحقيقة والأئمة فى القضايا والفتوى والاحكام ومن هم القدوة فى العلوم الشرعية للخاص والعام مصابيح الدجى هداة الانام حملة الشريعة المحمدية وأمناء الملة الاسلامية المحافظين على الشرع الشريف والسالكين على النهج المستقيم المنيف الناصرين لأهل الله والمشتغلين بذكر الله والفانين أعمارهم فى مرضاة الله والمتبحرين فى العلمين الظاهر والباطن المجاهدين نفوسهم لتطهير القلوب والبواطن المعطين كل ذى حق حقه والموفين كل ذى قسط قسطه فتمسك أيها الأخ بهم وتعلم من علمهم تهتد بهديهم لتنجو يوم الفزع الاكبر من هوله وشدته بجبهم واياك وهذيان المنكرين على أهل

هنا من يتوهم فيه الفعل والمشيئة من الارادة عند الجمهور وهو المراد هنا وقيل فيها غير ذلك وفى أمرى أى فى شأنى وفيه أيضا الالتفات من الغيبة للحضور والخطاب اشارة لنحو ما تقدم فى قوله وان وجودى البيت ﴿يقول﴾ والله أعلم أرى وأجد يا مولاى بطريق تجلى فعلك وظهور أثرك فى كل لحظة وطرفة وجود يقين وزيادة اطمئنان فى سرى من أجل وجودك فى ذلك الملحوظ بعموم التصرف ابتداء ودواما وفى تلك الطرفة فانى بسبب ترادف ذلك اليقين على قلبى ان يصدر فعل من الافعال فى العالم عن كون من الاكوان هل من خالق غير الله وأبقى فى شأنه كله على حكم الارادة الالهية والمشيئة السابقة الازلية مقطوع الاعتماد والاستناد لغيرك لا وقوف لى الا ببابك ولا لواذ الا بجنابك غير متطلع لغيرك ناظرا لفضلك منتظر الامرك راضيا بقضائك سا كنا تحت مجارى أقدارك مستسلما لحكمك قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه شهود الحق فى الكون النظر لوجود تصريف الحق له بوجه لا ينفك وتجرى الافعال على حكمه بل لا يبقى للعبد على غيره اعتماد ولا لمن سواه استناد بل يبقى شاخص القلب بما يرد منه فى كل دقيقة وحقيقة رجوعا لقوله تعالى الله خالق كل شئ وعملا بخالص التوحيد فى بساط التفريد فافهم وعدم ذلك بالرجوع الى الاسباب والعمل على النيل والدفع بالاكتساب وقال أيضا رؤية الحق تعالى فى الاكوان هو ان الاكوان ظرف لمعرفته ولا وجد منها شئ فى وجوده ولا حكمه وهو ينادى بوجود الحق وعظمته على وجه لا يمكن انفكاكه فى حال من أحوال وجود الكون كله ومن وصلت الى قلبه هذه المعرفة افنته عن كل شئ سواه بحيث لا يبقى لشئ وجود فى نظره فينتفى انطباع الاكوان من مرآته ويقف فى كل مقام على الجزم فى الوقائع استنادا لاتساع قدرة الحق وعلمه فيقول ما رأيت شيأ الا رأيت الله فيه أى باعتبار التعريف لا باعتبار التكليف فيبقى فى نظره من لم يكن ويبقى فى نظره من لم يزل ليس له عن سوى الحق اخبار ولا مع غير الله قرار اذ رأى الكل بالله فأفنى الكل فى جلال عظمة الله ونحو هذا ما ذكره الامام أبو حامد رضى الله عنه بعد كلام فقال وأما من قويت بصيرته ولا تضعف منيته فانه فى حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس فى الوجود الا الله وافعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذى وجد الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر فى شئ من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر فى شعر انسان أو خطه أو تصنيفه فرأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا فى الله بل لا يرى نفسه لانه لا ينظر الى نفسه بل من حيث انه عبد الله تعالى فهذا هو الذى يقال فيه انه فنى فى التوحيد وانه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا فنينا عنا فبقينا بلا نحن وما أشرنا اليه مما ينشأ عن تجلى الفعل عن الاستسلام لما يحكم به الواحد القهار وترك التدبير معه والاختيار وهو أساس الطريق جماعته وكافته سيما الطائفة الشاذلية فانه مبنى أمرهم وأساس طريقتهم وعكسه وهو وجود التدبير ومنازعة المقادير أهم ما ينبغى الخروج عنه والتطهر منه قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه تشعب الاصل قاض بالتشعب فى الفروع وكل طريق للقوم لم يرجعوا بها الاصل واحد

الله الذاكرين السالكين الطريق المبين أهل العقول السخيفة والافكار المظلمة الضعيفة لانهم اذا سمعوا ما لا تدركه افهامهم ولا تتصوره أحلامهم رموه بسهام الانكار ونظروا اليه بعين الاحتقار وصدوا عنه وأبدوا نفورا وقالوا منكرا من القول وزورا ولو ردوه الى الله تعالى ورسوله وأولى العلم لرأوه حقا من الله تعالى ونورا كيف لا وهى طريق الابرار والمتقين الأخيار موروثة عن السلف الصالح والتابعين وهم عن الصحابة الاكابر رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ولله در القائل

فاسلك طريق القوم تلق بها
اذا الكتاب قيده والسنا

نجى يارب امراحياها
وزكه يوما متى زكاها

آمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين

﴿الباب السادس﴾

فى فضل الذكر والذاكرين وما يحصل لهم من ثواب رب العالمين ونتيجة الذكر وما يحصل للمداوم عليه من الترقى الى مقام الجمع والتمكين وكيفية الحضرة وآدابها القبلية والبعدية والحالية مما هو واجب على من سلك طريق العارفين (اعلم) يا أخى علمنى الله تعالى واياك من علمه اللدنى وجعلنى واياك من أهل القرب والتدنى ان هذا الباب هو سلطان الأبواب التى هى فى هذه الرسالة من بين سائر الأبواب اذ المقصود الأعظم الاستقامة على ذكر الله عز وجل على كل حال وتأييد الذاكرين ونصرتهم على المنكرين والمعترضين الذين هم لم يذوقوا حلاوة ذكر ذى الجلال وينكرون الحب والوجد والذوق والعشق والشوق وسائر الأحوال ويغفلون عن التجليات الالهية الجلالية والجمالية بل ويجحدون خوارق العادات وكرامات الاولياء أهل الكمال ولذا قال الامام القشيرى رضى الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شئ وجميع الخصال المحمودة راجعة

بل لاصول الغير الشاذلية فانهم بنوا على أصل واحد وهو اسقاط التدبير مع الحق فيما دبره من القهريات والامريات ففروعهم راجعة للكتاب والسنة وشهود المنة والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة وهذه نكتة القوم وحولها يحومون لكنهم لم يصرحوا بوجودها فى هذه الطائفة ومن ثم قال ابن عباد رضى الله عنه فى التنوير ما فى كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الالفاظ قال والمسلك الذى سلك فيه مسلك توحيدى لا يسع أحدا انكاره ولا الطعن فيه ولا يدع المتصف به صفة حميدة الا كسبه اياها ولا صفة ذميمة الا أزالها عنه وطهره منها اهـ وانه كما قال رضى الله عنه ورحمه انتهى ثم قال رضى الله عنه

﴿وهذا مقام فى الوصول وفوقه • مقامات أقوام علا قدرهم قدرى﴾

هذا البيت ليس نصا فى انه على طريق الترجمانية بل هو محتمل لذلك احتمالا ظاهرا راجحا وقد يحتمل ان يكون الناظم رضى الله عنه لما فرغ من بيان فصل شربة صاحب علم اليقين فيه وبيان ما استتبعه ذلك الفصل أخبر بهذا من عند نفسه اعلاما باقتضائه مقتضيات هذا المقام وتواضعا وعلى كل من الاحتمالين فى كلامه تنبيه للسائر بحفظ الحرم كى لا يجهل قدر من فوقه من الأمم اذ الناس ثلاثة فوقك وتحتك ومثلك ولكل حق فحق الاكابر الخدمة وتعظيم الحرمة وحق الاصاغر الشفقة والرحمة وحق المساوين الانصاف لهم وترك طلبه منهم ولنرجع لبيان ألفاظ البيت معنى واعرابا هذا مبتدأ وهذا اشارة لمقتضى البيتين قبله وهو الموافق للعوارف وقد يحتمل الاشارة لمجموع مقتضيات هذا المقام ومقام خبر المبتدأ وفى الوصول متعلق به والوصول الى الله الوصول الى العلم الحقيقى به على اختلاف مقاماته وتفاوت درجاته ومقامات أقوام مبتدأ ومضاف اليه ما قبله وجمع المقامات وليس فوقه الا مقامان اما نظرا لمن يقول أقل الجمع اثنان أو ذهابا بالمقامات الى معنى المراتب وفوقه ظرف مخبر به عن ذلك المبتدأ وقدرهم فاعل بعلا وقدرى مفعوله وهو مضاف لياء المتكلم والجملة صفة لاقوام ﴿يقول﴾ والله أعلم وهذا التوحيد الفعلى والتجلى بطريقه الذى أفدناه بقولنا أرى بطريق الفعل الخ مقام ومرتبة فى الوصول الى العلم بالله على سبيل الذوق والوجدان وفوق ذلك من المقامات مقامات أقوام قدرهم عند الله أعلى من قدرى وبضاعتهم فى المعرفة بالله أوفر من بضاعتى وحظهم من العلم بالله أكثر من حظى وهم أهل توحيد الصفات والتجلى بطريقها أرباب عين اليقين وأهل توحيد الذات والتجلى بطريقها أرباب حق اليقين على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم وكذلك هو حاله فى معرفة تلك المقامات مختلف فهو فى مقام عين اليقين صاحب علم بحال أعلى مما فيه فيكون فى حاله الاول صاحب ذوق وفى الحال الذى كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب ايمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون فى حال الذوق صاحب قدم وفى حال العلم صاحب نظر وفى حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون ووصف الابرار ووصف شرابهم (ثم قال) سبحانه وتعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فكان شراب الابرار مزاجا من شراب المقربين وشراب المقربين من ذلك صرف وأما الوصول المذكور فاعلم ان الوصول أصله البلاغ الى الآماد والوصول الى الله الوصول الى العلم الحقيقى به تعالى بعد تحمل أعباء الاثقال وأما الوصول المفهوم بين الاجسام والذوات فهو سبحانه متعال عنه ومتقدس قال الجنيد رضى الله عنه متى يتصل من لا شبيه ونظير له بما له شبيه ونظير هيهات هذا عجب الا بما لطف

الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى كما سننبه ان شاء الله تعالى ثم انى جعلت هذا الباب منطويا على عدة فصول وصحيح المنقول من الكتاب والسنة والمأثور عن كمال الفحول فاما ما فى الكتاب المجيد فى الحث على الاكثار من ذكر الله تعالى وتبارك فقوله عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى واذكروه كما هداكم وقال تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى فاذكرونى أذكركم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ومدح فى كتابه الذاكرين الله والذاكرات وبين ما أعد لهم من منحه بفضله حيث قال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وأما ما جاء فى السنة السنية فى فضله ففى فصول

﴿الفصل الأول﴾

فى فضل ذكر لا اله الا الله أحيانا الله تعالى عليها وأماتنا عليها وفتح علينا من بركاتها وأسرارها آمين قال القطب الامام الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى كتابه كشف الغمة ما نصه كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه أو نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ما قال عبد قط لا اله الا الله مخلصا الا فتحت له أبواب السماء حتى تفضى الى العرش ما اجتنبت الكبائر وفى رواية قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله عليه وكان صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا اله الا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر وكان صلى الله عليه وسلم يقول قال موسى عليه السلام يا رب علمنى شيئا أذكرك به وأدعوك به قال قل لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقولون لا اله الا الله قال قل لا اله الا الله قال يا رب انما أريد شيئا تخصنى به قال يا موسى لو ان السموات السبع والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهم

لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وكان عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب يعني من أهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا اله الا الله فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال الا ابشروا فان الله قد غفر لكم وكان صلى الله عليه وسلم يقول جددوا ايمانكم فقال له رجل يا رسول الله كيف نجدد ايماننا قال أكثروا من قول لا اله الا الله وكان صلى الله عليه وسلم يقول أكثروا من قول لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد قال لا اله الا الله في ساعة من ليل أو نهار الا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن الى مثلها من الحسنات قال كعب الاحبار رضي الله عنه اذا كان الذي يكفر بالله تعالى طول عمره اذا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عمره يكفر عنه جميع سيئاته فكيف بالعبد المسلم الذي يقولها طول عمره والحاصل ان فضلها كبير وسرها واضح شهير ولو لم يكن من فضلها الا العتق من النار لكان في ذلك مقنع لذوي الابصار ولذا قال القطب الشعراني في البحر المورود أخذ علينا العهود ان نسعى في فكاك رقبتنا من النار سواء كان دخولنا النار من جهة حق الله تعالى أو من جهة حق العباد فان الحديث مطلق وهو قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة حرم الله عليه النار وهو حديث متفق على صحته بين أهل الكشف وان طعن بعض ... غط الناس في صحته فلا يقدح لانه اعتضد بالكشف الصحيح فافهم ورأيت في الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه ما نصه كان في جارتنا صبي من أهل الكشف فرأى أمه في النار فبكى عليها ولم يدر أحد من الحاضرين بسبب بكائه غيري فقلت في نفسي

اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطة لاشارة اليقين وتحقيق الايمان وقال أيضا رضي الله عنه الواصلون في ثلاثة أحرف همهم الله وشغلهم في الله ورجوعهم الى الله وللقوم عن الوصول عبارات ومن أحسن الناس كلاما فيه الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه مع ضميمة ما نقل من العوارف وذلك حيث قال الوصول من اصطلاح القوم المسلم لهم ومعناه تحقق المعرفة بجلال الله سبحانه على وجه يؤنس الفؤاد ويؤكد الوداد وييسر المراد وينطبع في الحقيقة انطباع البياض والسواد فتنصبغ به الروح انصباغا لا يمكنها الخروج عنه وله مراتب جلية وتفصيلية ومراتب وحدانية فالمراتب الجلية مرجعها الى ثلاثة أوجه أولها الوصول بطريق الافعال وذلك محل الجمع واسقاط التدبير الثاني الوصول بطريق الصفات وذلك موضع الفناء المقتضي للخروج عما منك والبلوغ بمن أنت منه واما الثالث الوصول بتجلي عظمة الذات وهو المقتضي للبقاء في عين الفناء الذي ينتقل به عن البيان الى أماكن المشاهدة والعيان وتحقيق ذلك فيما ذكر الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي رحمه الله في كتابه عوارف المعارف حيث قال وكل من وصل الى صفو اليقين الذوق والوجدان فهو في رتبة من الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فينفي فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه به من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى رتب الوصول واذا تحققت الحقيقة يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه بعد في أول المنزل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنيوي اه قال ومن أعظم ما يسمع في الباب وأحراه بالحق والصواب وما ذكر صاحب العوارف في تجلي الافعال هو أصل هذا البيت والذين قبله وقال أيضا بعده هذا الفناء المطلق هو ما استولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على كون العبد وهو ينقسم الى فناء ظاهر وفناء باطن فأما الفناء الظاهر هو ان يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الافعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى لنفسه ولغيره فعلا الا بالحق ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت ان بعض من أقيم في هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقيض الله تعالى له من يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب وهذا عندي فناء لانه فني عن نفسه وعن الغير نظرا الى فعل الله بفناء فعل غير الله اه ولما ذكر ان فوق مقامه مقامات أقوام قدرهم أعلى من قدره وكان الشوق هو الحامل له الى الاعلى والاولى مما هو فيه أشار لذلك فقال رضي الله عنه

﴿وان اشتياقي نحوها لطربي * لاقربها مني بأجنحة النشر﴾

هذا البيت باعتبار احتمال الترجمانية وعلى كل حال فهو نهي بغير صيغة على الوقوف في مقام من المقامات أو حالة من الحالات أو تبرج ظواهر كائنات وامر بغير صيغة أيضا بالتسبب ما أمكن في الارتقاء وطلب المزيد والعبد لا يزال سائرا أبدا الى أخص حضرات الوصول أوفيها وهذا

اشترى أم هذا الصبي من النار بما كنت جعلته لنفسي من السبعين ألفا لا إله إلا الله وقلت اللهم اجعلها في صحيفة أم هذا الصبي فضحك الصبي في الحال وقال خرجت أمي الآن من النار فعلم من هذه الحكاية صحة الحديث الشريف وصحة كشف الصبي انتهى

﴿فصل﴾ في الاكثار من ذكر الله سرا وجهرا رأيت في كشف الغمة للشعراني رضي الله تعالى عنه

نمط من الأمر والنهي وهو أقرب للامتثال والقبول وادعى لحصول المأمول وهذا شأنه رضي الله عنه في هذه القصيدة لا يكاد يأتي بثلاثة أبيات فأكثر على صفة واحدة بل ينوع الاسباب ويخالف بين صفات التراكيب وسبل الكلام فهو على أنواع فهي كروضة متعددة الازاهير متنوعة النواوير تجذب داخلها اقهرا ويحول جميعها وهذا المعنى من المقال هو المسمى بالسحر الحلال واني بي مثلي يوصف هذا العجب العجاب فلنمسك العنان ولنشرع في بيان معنى ألفاظ البيت والاعراب قال الشيخ جمال الدين القاشاني رحمه الله الاشتياق نوع المحب حالة الوصل الى دوام وصوله ونيل رتبته في الوصول فوق ما ناله والثاني هو المراد هنا واشتياقي اسم ان بقوة مقدرة فيما قبل الياء ويطير مضارع طار واللام الداخلة عليه لام ان وبي متعلق به أيضا وفي بعض النسخ يصيرني مضارع صار وياء المتكلم مفعوله والنون الفاصلة بينهما نون الوقاية ونحوها ظرف منصوب به ولأقربها متعلق به أيضا ولامه للانتهاء وضمير للمقامات وبأجنحة النسر متعلق به أيضا والنشر الحياة الثانية وفي بعض النسخ النسر بالسين وفي بعضها الشكر وقد تقدم الكلام على ما يلحق بها على قوله ومن خير ما تعطى البيت ﴿يقول﴾ والله أعلم وان اشتياقي لتلك المقامات العلية والأحوال السنية ليطير بي بأجنحة النشر الحياة الثانية حياة العلم والولادة المعنوية الى أقرب تلك المقامات الزكية والأحوال السنية يعني التي أدركتها علما وهو مقام عين اليقين وتجلي الصفات حياة العلم اذا وصل الى القلب حيي وانفتح بصره فأبصر الحق وظهرت له المراتب التي فوقه فاشتاق اليها وطلبها وعمل في أسبابها ويحتمل أن يكون المراد هنا بالنشر الهمة وذلك لان السالك لما كان لا يرتقي لأعلى من مرتبته حسب سنة الله الا ان خلقت له همة أعلى من همته واذا من الله على عبده وخلق له هذه الهمة فأول ما ينشأ عنها الاشتياق الى المرتبة التي تنال بها ثم حلول تلك المرتبة والحصول فيها فاذا بان لك هذا فنقول أصل النشر الحياة كما قدمنا والمراد هنا الهمة التي خلقت لذلك السائر الموفق بواسطة خروجه من بطن العادة وحياته بنور العلم فجعل الاشتياق الناشئ عنها بمثابة طائر وجعل الهمة بمثابة جناحيه لأنها هي الحاملة له في الحقيقة والمثيرة لاشتياقه أيضا كما ان جناحي الطائر هما الحاملان له ولما طار به قال الشيخ أبو عبد الله المقري رحمه الله قال شيخنا أبو وادي يوما لأصحابه بم يرتقي العبد من مقامه الى مقام أعلى فقالوا بفضل الله ورحمته قال انما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الأمر فقالوا من عند الشيخ فقال يخلق الله له همة أعلى من همته فيرتقي بها الى رتبة أسنى من رتبته والهمة قال شيخ الاسلام الهروي رضي الله عنه هي ما ملك الانبعاث للمقصود صرفا لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها واصل البيت ما ذكره صاحب العوارف في الشوق من أنه يكون الى ما لم يدركه العبد ذوقا ومنازلة من الأحوال والمقامات ولكنا نذكر كلامه بجملته لما فيه من الفوائد ثم نتبعه لذلك بكلام الامام أبي حامد قال صاحب العوارف فمن الأحوال السنية في المحبة الشوق ولا يكون المحب الا مشتاقا أبدا الا ان أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال يلقاها المحب الا يعلم ان وراء ذلك أوفى منها وأتم وأنشدوا

حزني لحسنك لا لذا أمد ● ينهى المعول لذا أمد

ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وانما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين قال أحمد ابن أبي الحواري دخلت على أبي سليمان الداراني فرأيته يبكي فقلت ما يبكيك يرحمك الله قال

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة وأنا مع عبدي اذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه وكان جابر رضي الله تعالى عنه يقول رفع رجل صوته بالذكر فقال رجل لو ان هذا خفض من صوته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فانه أواه قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وكان الناس على عهد عمر رضي الله عنه يرفعون أصواتهم بالذكر عند غروب الشمس فمر بهم ذاكر واسرا فيرسل اليهم عمر أن ارفعوا أصواتكم بالذكر فان الشمس قد دنت للغروب وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول كان آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلت له أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل شيء صقالة وصقالة القلوب ذكر الله وما من شيء أنجى من عذاب القبر من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان يضرب بسيفه حتى ينقطع وفي رواية ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع وفي رواية الا أخبركم بخير

ويحك يا أحمد اذا جن هذا الليل افترش أهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وأشرف الجليل جل جلاله عليهم فقال يعني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي وانى مطلع عليهم في خلواتهم اسمع أنينهم وأرى بكاءهم يا جبريل نادفيهم ماهذا البكاء الذي أراه فيكم هل خبركم مخبر ان حبيبا يعذب أحباءه بالنار بل كيف يجمل بي ان أعذب قوما اذا جنهم الليل تعلقوا بي حلفت اذا وردوا القيامة على ان اسفرلهم عن وجهي وأبيحهم رياض قدسي وهذه أحوال قوم من المحبين أقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد واذا استقرت المحبة ظهر الشوق قال الواسطي في قوله وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا واستحياء عن وراءه فقال هم أولاء على أثري من شوقه الى مكالمة الله ورمى الالواح لما فاته وقته قال أبو عثمان الشوق ثمرة المحبة من أحب شيأ اشتاق الى لقائه وقال أيضا قوله تعالى ان أجل الله لآت تعزية للمشتاقين معناه انى أعلم ان شوقكم الى غالب وانا أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون اليه وقال ذو النون الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات فاذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقا الى ربه ورجاء للقائه والنظر اليه وعندي ان الشوق كائن في المحبين الى رتبة يتوقعونها في الدنيا غير الشوق الذي يكون يتوقع ما بعد الموت والله تعالى يكاشف أهل وده بعطايا يجدونها علما ويعلمونها ذوقا فلذلك يكون شوقهم يصير العلم ذوقا وليس من ضرورة مقام الشوق استبطاء الموت وربما كان الأصحاء من المحبين يستلذون الحياة لله تعالى كما قال الجليل جل جلاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين فمن كانت حياته لله منحه الكريم لذة المناجاة والمحبة فيملأ عينه من النقد ثم يكاشفه من المنح والعطايا في الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من غير الشوق الى ما بعد الموت وأنكر بعضهم مقام الشوق وقال انما يكون الشوق الى الغائب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق ولهذا لما سئل الانطاكي يعني أحمد بن عاصم عن الشوق فقال انما يشتاق الى الغائب وما غبت عنه مذ وجدته وانكار الشوق على الاطلاق لا أرى له وجها لان رتبة العطايا والمنح من أنصبة القرب اذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى مالم يوجد من أنصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والأمر كذا ﴿وجه آخر﴾ ان الانسان لا بد له من أمور يردها حكم الحال موضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور مثير لنار الشوق ولا نعني بالشوق الا مطالبة تنبعث من الباطن الى الاولى والاعلى من انصبة القرب وهذه المطالبة كائنة في المحبين فالشوق اذا كائن لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبوبة ويكون في حال الغيبوبة مشتاقا الى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوائد ومجازاة من الحبيب وافضاله وهذا هو الذي أراه واختاره وقال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا تحركت اشتياقا أضاء النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الى أشهدكم انى اليهم أشوق وقال أبو يزيد لو ان الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار سئل ابن عطاء عن الشوق فقال احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد القرب وسئل بعضهم الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان

أعمالكم وازكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وكان صلى الله عليه وسلم يقول من عجز منكم عن الليل ان يكابده وبخل بالمال ان ينفقه وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله فان العبد لا ينجو من الشيطان الا بذكر الله وكان صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث لا يرد الله تعالى دعاءهم الذاكر الله كثيرا والمظلوم والامام العادل وكان صلى الله عليه وسلم يقول اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وكان صلى الله عليه وسلم يقول اذكروا الله ذكرا حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ بأصحابه في الذكر فاذا ملوا أخذ بهم في غيره وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يقول لو ان قلوبنا طهرت لم تمل من ذكر الله عز وجل وكان صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا سبق المفردون فقال له رجل وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا وفي رواية المفردون هم المهتزون بذكر الله تعالى يضع الذكر عنهم اثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا قال العلماء رضي الله تعالى عنهم والمهتزون هم المولعون بذكر الله تعالى المداومون لا يبالون ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم وفي رواية فقالوا يا رسول الله ما المفردون قال الذين يهتزون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أوزارهم وخطاياهم فيأتون يوم القيامة خفافا وكان صلى الله عليه وسلم يقول الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه والخطم هو الفم وكان صلى الله عليه وسلم يقول علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما من يوم وليلة الا ولله عز وجل فيه صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبد بافضل من ان يلهمه ذكره وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما يقول ذكر

الشوق فرع وقال النصراباذي للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل في مقام الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار وأما الامام أبو حامد رضي الله عنه فقال بعد كلام وكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته فان الحال الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى نيل أمر والموجود لا يطلب وبيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شئ أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فأما مالم يدرك أصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما أدرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق اليه ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فهو من وجهين ولا ينكشف ذلك الا بمثال من المشاهدات فنقول من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو نحي عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور أن يشتاق اليه في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوف نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة من صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الكشف في صورته فاشراق الضوء عليه والثاني أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر أعضائه فيشتاق الى رؤيتها ولم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له أعضاء جليلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية يشتاق الى أن ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك تنضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه سبحانه منتهى العارفين فاذا هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني أن الأمور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب من علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوفا مشتاقا الى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدنيا والآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا ثم قال وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال مالم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجاته درجات كثيرة الا أنه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو لذلك لذة لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة يتزايدان ابد الآباد وتكون لذة ما يتجدد من لطف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى مالم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلا فان كان غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام ثم أخذ في سرد الشواهد على ما تقدر فانظر ذلك فيه ﴿ولما﴾ فرغ رضي الله عنه من مقتضيات

الله تعالى بالغداة والعشي أعظم من حطم السيوف في سبيل الله وكان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول اكثروا من ذكر الله ولا تصاحبوا الامن يعينكم على ذكر الله وكان صلى الله عليه وسلم يقول أعظم المجاهدين أجرا أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول اذا سئل عن الصلاة والزكاة والحج والصدقة فقال أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما يوما يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا أبا بكر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل وكانت أم سليم رضي الله تعالى عنها تقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثري من ذكر الله تعالى فانك لا تأتين الله بشئ أحب اليه من كثرة ذكره انتهى كشف الغمة ﴿فصل﴾ في الحث على حضور مجالس الذكر والاجتماع عليها من كشف الغمة قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا اخبركم بمن يدخل الجنة وهو يضحك قالوا بلى يا رسول الله قال الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء ويقول الحق تبارك وتعالى أشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة يارب فيهم فلان الخطاء وانما مر بمجلس معهم قال فيقول الله تبارك وتعالى هم القوم لا يشقى بهم جليسهم

وقال معاوية رضي الله تعالى عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا قال آلله ما أجلسكم الا ذلك قالوا آلله ما أجلسنا الا ذلك قال أما اني لم أستحلفكم تهمة لكم

علم اليقين أخذ في بيان عين اليقين الذي طار به اليه شوقه بجناحي همته فقال رضي الله عنه

﴿وذو العين لاستيلاء سلطان حاله * عليه له سكر يزيد على السكر﴾

وذو العين مبتدأ وله سكر مبتدأ وخبر والجملة خبر عن الأول ويزيد على السكر صفة لسكر وأل في السكر عهدية والمعهود ما قدمه في قوله ولي منه بشرى البيت وقوله لاستيلاء سلطان حاله عليه علة لقوله يزيد على السكر ﴿يقول﴾ والله أعلم وأما صاحب عين اليقين فله سكر عما فاجاه وسطع من نور جمال محبوبه يزيد على سكر صاحب علم اليقين زيادة ظاهرة لاستيلاء سلطان حاله عليه حتى غاب عن المحسوس والمعقول ولا يدري ما يقال ولا ما يقول وتحرير هذا البيت يحتاج الى بيان وذلك ان منشأ محبة العبد لمولاه عند جمهور القوم شيآن الأول نظر العبد لاحسان الله اليه وضروب امتنانه عليه وجبلت القلوب على حب من أحسن اليها وهذا هو المسمى بحب الهوى أي الميل وهو مكتسب لأن الانسان مغمور باحسانات الله اليه ومتمكن من النظر فيها فكلما طالع منة من منن الله التي لا تقبل الحصر ولا العد كان ذلك كحبة زرعت في أرض قلبه الطيب الزكي فلا يزال يطالع منة بعد منة وكل منة أعظم من التي قبلها الا انه كلما طالع المنن تنور قلبه وازداد ايمانه وكشف عن دقائق المنن ما لم يكن يكشف له قبل وظهر له خفايا المنن وعظم محبته الثاني كشف الحجب وازالة الموانع عن ناظر القلب حتى يرى جمال الحق وكماله والجمال محبوب بالطبع وهذان هما اللذان قصدت رابعة رضي الله عنها بقولها

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وانما خصصت الحب الناشئ من شهود الجمال بالاهلية دون الأول وانما كان أهلا لجميع لأن هذا منة اليه لا كسب للعبد فيه والآخر فيه كسب وعمل العبد وقولها فشغلي بذكرك عمن سواك من باب التعبير بالمسبب والأصل فثمرته شغلي بذكرك عمن سواك وقولها فكشفك للحجب حتى أراك من باب التعبير بالسبب عن المسبب عكس ما قبله والأصل فسببه ومنشؤه كشفك للحجب حتى رأيتك بعيني قلبي وقولها فلا الحمد الخ اخبار منها بان الحبين معا منه واليه وبه في الحقيقة لا كسب لها في واحد منهما باعتبار الحقيقة ونفس الامر فهو المحمود فيهما كما وصفها بهما وادراك التفاوت بينهما ما تؤثره شربة من كاس المحبة الناشئة عن نظر الاحسان والجمال وما تؤثره شربة من كاس المحبة الناشئة عن نظر الجمال ونعوت الكمال وان أثر الثانية أقوى من أثر الاولى بل لا نسبة بينهما ضروري عند كل ذائق وحقيقة السكر غيبة بوارد قوي حالي وقد يستوفي صاحبه وقد لا قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه والسكر لا يكون الا لاصحاب المواجيد فاذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطرب الروح وهام القلب وقال قبله والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ومقتضيات الخوف والرجاء انتهى اذا بان لك ما ذكرنا علمت ان شرب صاحب مقام علم اليقين هو من كاس المحبة الاولى قبل هذا الحال فبان لك قول الناظم له سكر يزيد على السكر وعلمت أيضا ان الحاصل لصاحب علم اليقين غيبة لا سكر لانه ليس يعد من أهل المواجيد فتعبير الناظم من ذلك بالسكر في قوله

ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة وكان صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله عز وجل يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم فقيل ومن أهل الكرم يارسول الله قال أهل مجالس الذكر وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم

قد بدلت سيآتكم حسنات وكان صلى الله عليه وسلم يقول ان لله تبارك وتعالى سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا أتوا عليهم حفوا بهم وكان صلى الله عليه وسلم يقول غنيمة مجالس الذكر الجنة وكان صلى الله عليه وسلم يقول ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الارض فارتعوا في رياض الجنة قالوا أين رياض الجنة قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه أنفسكم من كان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد من حيث أنزله من نفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بانبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل قيل يارسول الله من هم قال هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله تعالى فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر اطايبه ومعنى جماع أخلاط من مواضع شتى والنوازع الغرباء يعني أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة وانما اجتمعوا لذكر الله لا غير وكان صلى الله عليه وسلم يقول رياض الجنة حلق الذكر فاذا مررتم بها فارتعوا يعني اجلسوا معهم فيها واخرج مسلم والحاكم واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر في الارض فان أتوا على مجالس حف بعضهم بعضا باجنحتهم الى السماء فيقول الله عز وجل من أين جئتم فيقولون جئنا

يزيد

يزيد على السكر من باب المشاكلة وهو من بديع الكلام أو انه توسع في السكر أولم يراع الاصطلاح وقد اتضح معنى البيت والله ولي التوفيق وهذا البيت منتزع من قوله في العوارف ومنها يعني الكلمات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية السحر والصحو فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود الى ترتيب الافعال وتهذيب الاقوال ﴿وقال﴾ الشيخ جمال الدين القاشاني رحمه الله السكر دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة لان روحانية الانسان التي هي جوهرة العقل لما انجذبت الى جمال المحبوب بعد شعاع العقل عن النفس وذهل الحس عن المحسوس وألم بالباطن فرح ونشاط وهزة وانبساط لتبعده عن عالم التفرقة والتمييز وأصاب السر دهش وذلة وهيمان وولة لتحير نظره في شهود الجمال وتسمى هذه الحالة سكرا لمشاركتها السكر الظاهر في الاوصاف المذكورة الا ان السبب لاستتار العقل في السكر المعنوي غلبة نور الشهود وفي السكر الظاهر غشيان ظلمة الطبيعة لان النور كما يستتر بالظلمة يستتر بالنور الغالب كاستتار نور الكواكب بغلبة نور الشمس وقلنا فجأة لان نور الجمال في النظرة الاولى أكثر وفي النظرات بعدها تقل على التدريج لحصول الانس بوصول الجنس حتى اذا استتر نازل حال المشاهدة ورجع جزء من أجزاء الوجود الى أصله عاد شعاع العقل الى عالم النفس والحس وظهر التمييز بين المتفرقات من المعقولات والمحسوسات وتسمى هذه الحالة صحوا ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به

﴿أدار عليه الحب كاس مدامه * فلا سكر الا دون ذلك من خمر﴾

هذا البيت بيان لمنشا ذلك الاستيلاء فان قوله ادار يفهم التكرر وقد قدمنا من كلام القطب الكبير الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ما يشفي في تدريج ذلك وادار فعل ماض فاعله الحب ويجوز في حائه الضم والكسر وعلى الضم فالاسناد من المجاز العقلي على حد قول الشاعر

أشاب الصغير وأفنى الكبير * كر الغداة ومر العشي

وعليه متعلق بادار وكاس مدامه مفعول به ومضاف اليه ما قبله وضميره للحب والمدام الخمر وفي بعض النسخ مدامة بتاء التأنيث بدل هاء الغيبة ونسخة ضمير الغيبة انسب بالمقام بيانه ان الاضافة اذ ذاك تكون للاختصاص فيكون فيه ايماء الى ان شربه من كاس المحبة التي لا نسبة للعبد فيها وهي الناشئة عن تجلي نعوت الجمال وظهور أوصاف الكمال ﴿يقول﴾ والله أعلم والسبب الذي من أجله سطا حال صاحب عين اليقين والمتولي عليه دون كون محوه به ادار عليه من كاس مدام حبه الذي هو أهل له وكرر عليه ذلك حتى تمكن منه السكر ولا سكر حاصل من شرب الخمر المعهودة وان بلغ بصاحبه ما بلغ الا دون السكر الحاصل لمن شرب كاس المحبة الناشئة عن شهود الجمال ونعوت الكمال اللهم اني أسألك واضرع اليك ان يكون لي منها نوال وهذا واضح وصحيح فمن القول شتان ما بين سكر القرود وبنت العنقود واذا كان أثر السمو والبديهة أشد من أثر الخمر وجاء الحمام فيد معارفا بالك بمشاهدة الجمال المطلق الحقيقي وكثيرا ما يجري في عبارات القوم ذكر الخمر والمدام ونحو ذلك في هذا المقام كقول الناظم كاس مدامه قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه وانما سمي المشروب من الحقيقة خمر الوجوه ثلاثة أحدها لوجود رقته في ذاته حتى لا يمكن فهمه الا بالطف الاشياء في ذاته الثاني ان سريانه في كلية العبد بالتذاذه به كالتذاذ صاحب الخمر به الثالث لان صاحبه مصروف عن اختياره متصرف بحكم

من عند عبادك يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك ويستجيرونك فيقول ما يسألوني وهو أعلم بهم فيقولون يسألونك الجنة فيقول هل رأوها فيقولون لا يارب فيقول كيف لو رأوها فيقولوم يستجيروني وهو أعلم بهم فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول وكيف لو رأوها ثم يقول اشهدوا أني قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوني وأجرتهم مما استجاروني فيقولون ربنا ان فيهم عبدا خطاء جلس اليهم فيقول قد غفرت له أيضا لانه من القوم لا يشقى بهم جليسهم اه ويفهم من هذا الحديث الشريف انه قد يحضر بعض الفساق في حلق الصوفية الذين يذكرون الله فيدخلون معهم في المغفرة ويشاركونهم في الأجر وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وأخرج الامام أحمد في الزهد عن ثابت قال كان سلمان في عصابة يذكرون الله تعالى فمر النبي صلى الله عليه وسلم فكفوا فقال اني رأيت الرحمة تنزل عليكم فاحببت أن أشارككم فيها ثم قال الحمد لله الذي جعل من أمتي زمرة أن أصبر نفسي معهم وأخرج الاصفهاني في الترغيب عن أبي رزين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على ملاك الامر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة قال بلى قال عليك بمجالس الذكر واذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله عز وجل وروى البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لان أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر الى طلوع الشمس أحب الي من الدنيا وما فيها ولان أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة العصر الى أن تغيب الشمس أحب الي من الدنيا وما فيها وروى أبو داود عنه أي عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب الي من أن أعتق أربعة

حالته كصاحب الخمر ومرجع ذلك المعنى من التوحيد يخالط وجود العبد فيحظى به روحه وقلبه وعقله ونفسه حتى قالبه اه وهذا الكلام مما يزيدك بيانا فى صحة قوله فلا سكر الادون ذلك من خمر اذ لا يحصل السكر الحاصل عن الخمر المعهودة الا ان تستوى عنده عوالم العبد لطيفها وكثيفها بخلاف هذا والله ولى التوفيق * ولما فرغ من بيان حظ صاحب عين اليقين من السكر وكان القبض والبسط مما يعرض له فى أول حاله أشار لذلك مكتفيا بذكر البسط عن القبض لانهما متلازمان فى الذهن فحضور أحدهما يستلزم حضور الآخر غالبا ومعلوم جواز الاكتفاء بأحد المتلازمين عن الآخر فقال رضى الله عنه

﴿ولا بسط الا فى أوائل حاله * فلا صدر فى قبض ولا قبض فى صدر﴾

الصدر أعلى مقدم كل شئ والمراد هنا قلب هذا السائر ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا بسط يعترى صاحب عين اليقين الا فى أوائل حاله فى المحبة الخاصة لا فى نهايتها المتخلصة حينئذ من الوجود الواقع عليه القبض والبسط ولا قبلهما لانه حينئذ صاحب خوف ورجاء يخاف فوات المحبوب أو هجوم محذور فى المستقبل أو يرجو تحصيل محبوب فى المستقبل أو يتطلع الى زوال المحذور وكفاية مكروه فى المستأنف قد علق قلبه فى حالتيه بأجله وصاحب هذه المرتبة أخذ وقته بوارد غالب عليه فى عاجله من القبض والبسط فلا صدر منه فى حال كونه مبسوطا فى وثاق قبض ولا قبض والحالة هذه فى صدره وهذا لا ينافى كون القبض أيضا كذلك انما يكون فى أوائل حاله لانه انما قصر البسط على أوائل حاله والمقصور عليه يوجد مع المقصور وغيره وهو كذلك لا قبض أيضا الا فى أوائل حاله والبسط المراد هنا هو وارد من الحق ينزل بالعبد فيما زجه ويصبغ به انصباغا بحيث لا يمكنه التخلف عن موجبه والقبض كذلك قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه بعد كلام نحو ما قدمنا ثم تتفاوت نعوتهم فى القبض والبسط حسب تفاوتهم فى أحوالهم فمن وارد يوجب قبضا ولكن فى صاحبه مساغ للاشياء الأخر لانه غير مستوف ومن مقبوض لا مساغ لغير وارده فيه لانه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم أنا ودم أى لا مساغ فى وكذلك المبسوط قد يكون بسط ايسع للخلق ولا يستوحش من أكثر الاشياء وقد يكون مبسوطا لا يؤثر فيه شئ بحال من الاحوال ثم قال ومن أدنى موجبات القبض ان يرد على قلبه وارد موجب اشارة الى عتاب أو رمز باستحقاق تأديب فيحصل فى القلب لا محالة قبض وقد يكون موجب بعض الواردات اشارة الى تقريب أو اقبال بنوع لطف وترحيب فيحصل للقلب بسط وفى الجملة قبض كل واحد على حسب بسطه وبسطه على حسب قبضه وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد فى قلبه قبضا لا يدرى ما موجبه وما سببه وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضى ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان فى هذا الوقت له خطرا عظيما فليحذر صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح على باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى ولهذا قالوا قف على البساط واياك والانبساط وقد عد أهل التحقيق حالتى القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لانهما بالاضافة الى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه

من ولد اسماعيل ولان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر الى ان تغيب الشمس أحب الى من أن أعتق أربعة من ولد اسمعيل وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة وفى رواية انقلبت باجر حجة وعمرة وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة وفى رواية ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفى رواية من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه الا كانت عليهم من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه الا كان عليه من الله ترة وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه الا كان عليه من الله ترة والترة النقص والتبعة والله سبحانه وتعالى أعلم وفى صحيح ابن حبان قال صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وأخرج الطبرانى عن أبى الدرداء باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثن الله يوم القيامة أقواما فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء هم المتحابون من بلاد شتى من قبائل شتى يجتمعون على ذكر الله ويذكرونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا صابرا وزوجة لا تبغيه خونا فى نفسه وماله وكان صلى الله عليه وسلم يقول ليذكرن الله أقوام فى الدنيا على الفرش الممهدة ويدخلهم الله الدرجات العلى وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت وكان صلى الله عليه وسلم يقول اذكروا الله ذكرا حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وروى أبو داود باسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ما اجتمع قوم فى بيت من

في الحقيقة فتروضر وأصل البيت بعض ماذكره في العوارف في القبض والبسط ونحن نذكره بأجمعه لما اشتمل عليه من التحقيق ولأنه تعرض فيه الى كشف حقيقتهما واشبع الكلام فيهما قال بعد كلام واعلم ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ووقتهما وموسمهما في أوائل المحبة الخاصة لا في نهايتها ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وانما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزاز نفساني ونشاط طبيعي يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها ومادامت صفة الامارية منها باقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم وهو هجوم شاخور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة الى أوائل حال المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة ويتناوب القبض والبسط عنده ذلك لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى قال الواسطي يقبضك عما لك ويبسطك فيما له وقال النوري يقبضك باياه ويبسطك لاياه واعلم ان وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبته والنفس مادامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة والقبض والبسط باعتبار ذلك منها وصاحب القلب تحت حجاب نوراني بوجود قلبه كما ان صاحب النفس تحت حجاب ظلماني لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط مادام متخلصا من الوجود النوراني الذي هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد الى الوجود من البقاء والفناء يعود الى الوجود النوراني الذي هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك ومهما تخلص الى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال الفارسي أولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقع في الوجود فأما مع الفناء والبقاء فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة الافراط في البسط وذلك ان الوارد من الله تعالى يرد على القلب فيمتلئ القلب منه روحا وفرحا واستبشارا فتسترق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فاذا وصل أثر الوارد الى النفس طغت بطبعها وأفرطت في البسط حتى تشاكل البسط نشاطا فتقابل بالقبض عقوبة وكل القبض اذا فتش لا يكون الا من حركة النفس وعدلت ولم تتقيد بالطغيان تارة وبالعصيان أخرى ما وجد صاحب القلب القبض ودام روحه وانسه ورعاية الاعتدال الذي يسد باب القبض متعلق من قوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فوارد الفرح مادام موقوفا على الروح والقلب لا يكتنفي ولا يستوجب صاحبه القبض فمالا لطف الفرح بالوارد بالايواء الى الله تعالى واذا لم تلتجئ بالايواء الى الله تعالى تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما أوتي المنوع منه فمن ذلك القبض في بعض الاحايين وهذا من ألطف الذنوب الموجبة للقبض وفي النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للبسط ثم الخوف والرجاء لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الانس والهيبة لانهما من ضرورة الايمان فلا ينعدمان وأما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الايمان انتقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على الباطن قبض

بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وروى أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتحف بهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله وروى أحمد ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وفي الرسالة القشيرية عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله وفيها أيضا عن أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله والآيات والاحاديث الواردة في بيان فضيلة الذكر والاكثار منه كثيرة وما أعده الله للذاكرين بكرمه من الحسنات وتكفير السيئات ورفع الدرجات وحصول النتيجة والترقيات الى العلم بمعاني الاسماء والصفات ومشاهدة الذات واما ما جاء في الآثار عن المشايخ العارفين بالله تعالى الكبار فقد قال العارف بالله تعالى سيدي الشيخ ثابت ابن اسد البناني رضي الله تعالى عنه ان أهل الذكر يجلسون للذكر وعليهم من الذنوب أمثال الجبال فيقومون وليس عليهم ذنب واحد وقال سيدنا محمد الباقر رضي الله تعالى عنه ان الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكر لله تعالى وشكا رجل الى الامام الحسن البصري قساوة قلبه فقال له ادن من مجالس الذكر وقال الشيخ حيوة بن قيس الحراني رضي الله تعالى عنه تعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر واستجلب نور القلب بدوام الجد وقال الامام القشيري الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة في هذه الطريق ولا يصل أحد الى حضرة الله تعالى الا بدوام الذكر والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب فذكر اللسان يصل العبد به الى استدامة ذكر القلب والتأثير

وبسط ولا يعلم سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط الا على قليل الحظ من العلم الذى لم يحكم علم الحال وعلم المقام ومن أحكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما كما يشتبه عليه سبب القبض والبسط يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وانما ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة لا ينقدح من جوهرها نار توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط وربما صار لمثل هذا القبض والبسط فى نفسه لا من نفسه المطمئنة بطبع القلب فيجرى القبض والبسط فى نفسه المطمئنة وما لقلبه قبض ولا بسط لان القلب مختص بشعاع نور الروح مستغرق فى دعة القرب فلا قبض ولا بسط واعلم ان العبد اذا وصل لمقام العين وشرب من كأس صرف المحبة وجد الحق بنعت البيان بلا مين كان معه بلا اين واقتطع عن الكون وحلى بصفات ونعت بنعوت من التقريب على بساط القرب فتارة يهجم عليه وارد من نعت جمال فيسمى ذلك بسطا وتارة يصادمه طارق من وصفها جلالى يسمى ذلك قبضا وتارة يستوفيه الاشتياق فيقال صاحب غلبة وأيضا اذا نظرته من حيث ما يظهر عليه من التخلى عن المعلولات والتحلى بالمجودات قلت صاحب فناء وبقاء ومحو واثبات أو من حيث خروجه عن طبعه وبعده عن دواعى حظه قلت صاحب قرب أو من حيث ما ترى فيه من الفناء فى التوحيد وعدم الشعور باحوال العبيد قلت صاحب التجريد والتفريد وصاحب حضور وغيبة وصاحب عين الجمع وهذه ألفاظ تجرى على ألسنة القوم والناظم قصد الاشارة اليها افادة لشئ من اصطلاحات القوم فى ألفاظهم واستعاراتهم والا فجلها أو كلها ناشئة عما ذكرنا ونسبتها الى ذلك نسبة واحدة لا يتعقل بينهما الترتيب كل التعقل والله سبحانه أعلم ثم قال رضى الله تعالى عنه

﴿وفى غلبات الوجد مكنون سره * مذاع فلا سدل بستر على سر﴾

الغلبة قال الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله عنه هى قوة الهجوم والوجد قال فى العوارف الوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويغيره عن هيئته وهو فرجة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله تعالى والمكنون الخفى والمستور المغطى المحفوظ والسر هنا ما يكتم والمذاع بالذال المعجمة المفشى المكشوف والسدل هنا الارخاء والتغطية والستر بكسر السين ما يستر به الشئ ومكنون سر مبتدأ ومضاف اليه ما قبله ومذاع خبره وفى غلبات الوجد متعلق بمذاع وقوله فلا سدل الخ أى فلا تغطية بستر من الاستار على سر هذا المغلوب وعجز البيت تصريح بنتيجة صدره ﴿يقول﴾ والله أعلم ومكنون أسرار المحبة والتوحيد الخاصين المودعة عند هذا العبد السكران لاستيلاء سلطان حاله عليه الوالها بوجده المفهوم من قوله له سكر يزيد على السكر مفسرة للخلق ومذاعة بينهم فى حالة غلباته بتلاحق وجوده فلا سدل له ولا تغطية بستر من التلبيس والتعريض والتلويح والايماء والاشارة ونحو ذلك الذى هو شأن الصحاة أرباب التمكين على سر من أسرار الحق التى منحه اياها واختصه بها فهو لكونه مغلوبا بسكره مقهورا باسره مأسورا بوجوده ليس له بالظاهر أكثر مبالاة أطلق فى ميدان البسط عنانه وفى افشاء السر لسانه وهو فى هذه الحالة معذور فى هتك ما هو عنده مخفى مستور لسقوط التكليف عنه حينئذ لان العقل الذى هو شرط فى التكليف قد استتر نوره بنور الشهود حسبما قدمنا وقد قال أبو طالب رضى الله عنه بعد ان فتح حال من يدعى المحبة أو يعرض بها أو يفوه بذكرها الا ان يغلب فيعذر أو يقهر فلا

يكون الذكر القلب فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه واجمع الاشياخ على ان من لم يجاهد نفسه فى السهر للذكر طول ليله لم يظفر منه بحال وذلك لخلو الليل من الموانع بخلاف النهار فانه للمعاش فيجب على المريد الاكثار منه حتى يحصل له منه حال قوى ومن هنا قالوا الذكر بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم وبه يدفعون الآفات التى تقصدهم فان البلاء اذا نزل على غافل ففزع بقلبه الى ذكر الله تعالى حاد عنه البلاء وكان ذو النون المصرى رضى الله تعالى عنه يقول من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شئ وحفظ الله عليه كل شئ وكان له عوضا عن كل شئ قال بعضهم رأيت بعض المريدين الصادقين مقيما فى جبل وعنده سبع فكلما داخل ذلك المريد غفلة عنه ذلك السبع فقلت له أما ترحل من هذا المكان فقال هذا رحمة من الله على كلما داخلنى فترة عن ذكره ذكرنى به هذا السبع بالالتجاء اليه وقيل ان الشبلى كان فى ابتدا أمره ينزل كل يوم سربا ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان فكان اذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه فربما كانت الحزمة تفنى قبل ان يمسى فكان يضرب يديه ورجليه على الحائط وكان أيضا يقول أليس الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرنى ما الذى استفدتم من مجالسة الحق سبحانه وكان أيضا ينشد فى مجلسه

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة * وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكنت بلا وجد اموت من الهوى * وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد انك حاضرى * شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم * ولاحظت معلوما بغير عيان

وأما خصائص الذكر فكثيرة منها انه غير مؤقت بل ما من وقت من الاوقات الا والعبد مأمور بذكر الله تعالى اما فرضا واما ندبا

يلام

والصلاة وان كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الاوقات والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ومنها انه يكسب المستديم عليه الحياة الحقيقية لان الذكر دليل على حياة قلب الذاكر ولهذا قال الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في الوصية آخر الفتوحات المكية ما نصه والذاكر ربه حياته متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وان مات بحياة هي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله الا ان يكون المقتول في سبيل الله من الذاكرين فله حياة الشهيد وحياة الذاكر فالذاكر حي وان مات والذي لا يذكر الله ميت وان كان في الدنيا من الاحياء فانه حي بالحياة الحيوانية وجميع العالم حي بحياة الذكر فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت كذا مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما ادعيته في وصيتي لك بالذكر ان الذاكر أفضل من الشهيد الذي لا يذكر الله فلما سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ألا أنبئكم أو كما قال بخير لكم من ان تلقوا عدوكم فيضربوا رقابكم وتضربوا رقابهم ذكر الله فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة فذكر العبد ربه أفضل من قتل الشهيد اذا لم يكن ذاكرا به عز وجل والذاكر حي فخرج من ذلك ان حياة الذاكر خير من حياة الشهيد اذا لم يكن ذاكرا ربه عز وجل انتهى وأشار الى هذه الحياة العارف بالله تعالى المحقق الشيخ سيدي عبد الكريم الجيلي في الانسان الكامل في الباب الثاني في الاسم المفرد وكثرة الذكر به والاستغراق فيه حتى يغيب عن الذكر بالمذكور وبذاته فاطلبه ولا تكن عنه لاه وأنشد رضي الله تعالى عنه

الله أكبر هذا البحر قد زخرا ✱ وهيج الريح موجا يقذف الدررا

فاخلع ثيابك واغرق فيه عنك ودع ✱ عنك السباحة ليس السبح مفتخرا ومت فيت بحر الله في رغد ✱ حياته بحياة الله قد عمرا

بلام لان الحب لوعة تلدع القلب وسكرة تغمر العقل وفيض يفيض فيه القلب فلا يمكن كتمه وزفرة تغلب الوجد لا يستطاع دفعها ونار تقدح في اللب تسطو بو فهو اذ ذاك حينئذ معذور لانه هنالك مقهور وهو مجبور اذا صار في وثاق الحبيب مأسور وقال الامام أبو حامد رضي الله عنه بعد ان قدر نحو ذلك قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله ويظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير محاولة واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما أنا صانع ✱ بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري

والعاجز عنه
فمالي منه غير ذكر بخاطر ✱ يهيج نار الحب والشوق في صدري

يقول
يخفي فيبدي الدمع أسراره ✱ ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا
ومن قلبه مع غيره كيف حاله ✱ ومن سره في جفنه كيف يكتم

وأصل البيت قوله في العوارف ومما يدنى من الكلمات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية الغلبة والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتراتره بغيب عن التمييز فالوجد ينطفي سريعا والغلبة تبقى للاسرار مذيعا اهـ ولما ذكر حال المغلوب وان سره مذاع لكونه لا يطيق الكتمان لقوة ما فاجأه من الحق حذر الذي له قدرة على الكتمان من اظهار السر وافشائه لغير فقال رضي الله عنه

﴿ومظهر هذا الحب يوشك ان يرى ✱ قتيلا لمحبوب يغار على السر﴾

مظهر اسم فاعل من أظهر الشيء أفشاه وهو مشعر بالقصد لان فعل يستلزم القصد وفيه اشعار بان المغلوب معذور وهو كذلك كما قدمنا وهو مبتدأ ويقع في بعض النسخ بدل قوله هذا الحب سر الحب وبها تفسير النسخة الاخرى ويوشك مضارع أوشك ان يفعل كذا أي قاربه وأشرف عليه وهو خبر المبتدأ ويرى مبني للمجهول وهي بصرية ولا يبعد ان تكون وجدانية والغيرة في حقه تعالى وردت في صحيح الاخبار في غير ما حديث منها ما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا أحد اغير من الله الحديث ومعناها في حقه تعالى ما قاله الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه انه سبحانه لا يرضى بمشاركة غيره فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية وذكر نحو هذا الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وباقي الالفاظ بين واضح ﴿يقول﴾ والله أعلم ومظهر هذا الحب الخاص وثمراته من الفناء في التوحيد وغير ذلك من أسرار الحق تعالى التي يودعها في قلب أوليائه وأصفيائه يوشك ويقرب ان يرى بالعين أو يوجد قتيلا معنى بابعاده وسلبه أو وحشا لمحبوبه هو الحق سبحانه يغار ويغضب على اظهار سره وافشائه لغيره وبذله لمن ليس من أهله وذلك ان المحل محل مناجاة ومناغاة وملاطفات وموضع زلات وشطحات ومظهر ذلك أقرب شيء لا يؤتمن على سر بعد وان يعامل عوض ما كان فيه من القرب والانس ونحوه باضداد ذلك من الابعاد والطرد والسلب والنعت

من سادروه فأفشى السر معتمدا ✱ لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا
وجانبوه فلم يحظى بقربهم ✱ وأبدلوه مكان الانس ايحاشا
لا يصطفون مذيعا لودادهم ✱ حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

وهذا هو المراد بقتله بل القتل أهون عليه من ذلك وقد يتفق له الاثنان فيخسر الدنيا والآخرة

والعياذ بالله وقد قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه ومن المحبة كتمان المحبة اجلالا للحبيب وهيبة له وتعززا وتعظيما وحياء منه وهذا وصف المخصوصين من عقلاء المحبين وهو من الوفاء عند أهل الصفاء ومن الأدب عند أهل الوفاء فاذا كانت المحبة سر المحبوب فى غائبة القلوب فاظهارها وابتداؤها من الخلقة فيها وليس من الأدب ولا من الحياء التسمية اليها ولا الاشارة بها لأن فى ذلك استشهارا فتدخل عليه دقائق الدعوى ولطائف الاستكبار ولأجل الخوف من التقصير فى حقها وقلة الوفاء للمحبوب بها كما لا يطلق الايمان على الكمال بغير استثناء فكذلك لا يطلق الدعوى للمحبة اذ وجودها بكمالها لأنها بعد اليقين والايمان كامل الآية وجلالة المحبوب وعلو كبريائه وعز عزه وعظيم شأنه اذا كان هو المخوف الجبار فكان مهيبا القهر وصار المحب خائفا ذليلا لصغره كما قال بعض محبي الأمثال فكيف عن لا كقوله ولا مثال

أصبحت صبا ولا أقول بمن * خوفا لمن لا يخاف من أحد

اذا تفكرت فى هواى له * لمست رأسى هل طار عن جسدى

فهذا محب لبعض الملوك وهو عبد لمولانا مملوك فما ظنك بمن أحب ملك الملوك كيف يسوغ له التعريض بمحبته دون التصريح أو يفوه بذكر المحبة دون أن يصف نفسه بها ثم قال بعد أن ذكر ما نقلنا أولا فى المغلوب وقد قال بعض العارفين أبعد الناس من الله تعالى أكثرهم اشارة اليه كأنه يكثر التعريض به فى كل شئ ويظهر التزين والتصنع بذكره عند كل أحد هذا ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء يجل عن الوصف فقال لا يحبه من وجد ألم ضربه فقال الرجل لكنى أقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون لكنى أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر الله تعالى وأتوب اليه وهذا كما قال ذو النون رضى الله عنه ورحمه وهو من علامة الاخلاص فى المحبة اذا كانت من أعمال القلوب فوجود الاشفاق والحذر من اظهارها ما خشيه السلب والاستبدال وخوف المكر والاستدراج علامة التحقق بها ورفعها عن النفس وسترها عن أبناء الجنس وترك التظاهر بها علامة الظفر بها لان المحبوب غيور وغيرته على نفسه وعلى ظهور محبته أشد من غيرتهم على اظهارها لغير أبناء جنسهم وأشد من غيرة جميعهم عليه وقال الامام أبو حامد رضى الله عنه من علامة المحبة كتم الحب واجتناب الدعوى والتوقى من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل فى الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه ويكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى العقبى وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا انتهى ولعزة المحبوب وعظيم شأنه وجلالة مكانه كان المغلوب المقهور الذى هو فى وثاق الحبيب مأسور أخذ بقسط من هذا التحذير ولو لم يكن الا القتل الحسى كما وقع ذلك للحسين بن منصور الحلاج وأمثاله رحمة الله عليهم ورضوانه لديهم فانه لما سكر وفنى فى محبوبه نطق من وادى المحق وقال أنا الحق فأبيح دمه لافشاء السر وظهوره للغير وقد قال الشيخ أبو عبد الله محمد المقرى رحمه الله قيل للغزالى ما تقول فى الحلاج فقال وما عسى أن أقول فى رجل شرب بكاس الصفا على بساط الوفا فسكر فعربد فاستوجب من الله الحد فكان حده شهادته (وقال الشيخ) أبو محمد عبد السلام بن أحمد المقدسى رضى الله عنه ان الحلاج لما علم شيأ من هذا العلم وتفوه به فأبيح دمه وكان خطؤه من

ثم قال واعلم ان هذا الاسم خماسى لان الالف التى قبل الهاء ثابتة فى اللفظ ولا يعتد بسقوطها فى الخط لان اللفظ حاكم على الخط اهـ اذا الاكثار من ذكر هذا الاسم الاعظم دهليز الفناء فى المذكور ودوامه دهليز البقاء بالمذكور وهو الحياة المشار اليها ورأيت فى شرح المباحث للعارف بالله تعالى سيدى الشيخ أحمد بن عجيبة الحسنى رضى الله تعالى عنه قال قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه ولقد أردت فى بداية أمرى سلوك هذه الطريقة بكثرة الاوراد والصوم والصلاة فلما علم الله صدق نيتى قيض لى وليا من أوليائه قال لى يابنى اقطع من قلبك كل علاقة الا الله وحده وأخل بنفسك واجمع همتك وقل الله الله ولا تزد على ما فرض الله عليك شيأ الا الرواتب وقل هذا الاسم بلسانك وقلبك وسرك واحضر قلبك واجمع خاطرك ومهما قالت نفسك ما معنى هذا فقل لها لست مطالبا بمعناه وانما قال الله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال سيدنا وامامنا الشيخ سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه اقرع باب الذكر بالالتجاء والافتقار الى الله بملازمة الصمت عن الامثال والاشباه والاجناس ومراعاة السر عن محادثة النفس فى جميع الانفاس ان أردت الغنى عن الناس والتطهير من جميع الادناس والحماية من الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس والوقاية من الالتباس والحفظ فى جميع الحواس وقال أيضا رضى الله تعالى عنه عليك بثلاث ان تفرغ لسانك للذكر وقلبك للفكر وبدنك لمتابعة الامر فان داومت فانت اذا من الصالحين وقال أيضا رضى الله تعالى عنه اذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو من مقالك وانبسطت الجوارح فى شهواتك وانسد باب الفكرة فى مصالحك فاعلم ان ذلك لعظيم أوزارك أو لكون النفاق فى قلبك فليس لك طريق الى الفلاح الا بالتوبة والصلاح والاعتصام

حيث

حيث اظهار ما يكتم واعلانه ما يستر فكان حكم من اباح ان دمه مباح وانشدوا فى ذلك

فمن شهد الحقيقة فليصنها * والاسوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة اذ تبدت * له شمس الحقيقة بالتدانى

﴿ولبعضهم﴾

بالسران باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء البائحين تباح

وقال الشيخ أبو بكر محمد بن خالدون رحمه الله قتل الحلاج بفتوى أهل الشريعة وأهل الحقيقة ثم قال انه باح بالسر فوجبت عقوبته ونحوه قول الشيخ أبى العباس بن البناء رضى الله عنه اتفقوا على قتل الحلاج الجميع بعدان اختلفوا فيه اهـ وممن اختلف فيه الجنيد والشبلى والجريرى فان الجريرى افتى بضربه واطالة سجنه وافتى الجنيد والشبلى بقتله بل هو قال فى نفسه ما على المسلمين أهم من قتلى وذلك فيما ذكر الشيخ أبو محمد عبد السلام المقدسى رضى الله عنه فقال دخل يوما الى جامع المنصور ببغداد وقال يا أيها الناس اجتمعوا واسمعوا منى حديثا فاجتمع عليه خلق عظيم فمنهم محب ومنهم منكر وقال اعلموا ان الله قد أباح لكم دمى فاقتلونى فبكى القوم فتقدم اليه عبد الله الودود الزاهد وقال ياشيخ كيف نقتل رجلا يصلى الخمس ويصوم ويقرأ القرآن قال ياشيخ المعنى الذى يبيح الدماء خارج عن الصلاة والصيام وقراءة القرآن فاقتلونى تؤجروا واستريح فتكونوا أنتم مجاهدين وانا شهيد ثم ذهب فتبعته الى داره وقلت ياشيخ ما معنى هذا فقال ياقى ماعلى المسلمين شغل أهم من قتلى فاعلم ان قتلهم اياى قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة وان من تجاوز الحدود أقيمت عليه الحدود وفى معنى ذلك قلت

اباحت دمى اذ باح قلبى بحبها * وحل لها فى شرعها ما استحلت
وما كنت ممن يظهر السرانما * عروس هواها فى ضميرى تجلت
فشاهدتها فاستغرقتنى بفكرة * ففنيت بها عن كل شئ وجلتى
وحلت محل الكل منى بكلها * فاباى اباها اذا ماتبدت
وغت على سرى فكانت هى التى * عليها بها بين البرية نمت
اذا سألت من أنت قلت انا الذى * بقائى اذا أفنيت فيك هويتى
اذا الحق فى عشق كما ان سيدى * هو الحق فى حسن بغير معيتى
فان الك فى سكر شطحت فاننى * حكمت بتمزيق الفؤاد المفتت
ولا غروان أوطئت نار تحرق * ونار الهوى للعاشقين أعدت
ومن عجب ان الذين أحبهم * وقد اغلقوا أيدى الهوى بأعنتى
سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

وقد روى عنه انه قال حال القتل والصلب اللهم انك أنت المتجلى من كل وجهة المتخلى عن كل جهة بحق قيامك بحقى وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى لان قيامى بحقك ناسوتية وقيامك بحقى لاهوتية وكما ان ناسوتيتى مستهلكة فى لاهوتيتك غير ممازج لها فلاهوتيتك مستولية على

بالله والاخلاص فى دين الله ألم تسمع الى قوله تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا ان كنت فقيها ترشد انتهى ومن خصائص الذكر انه جعل فى مقابلته الذكر قال تعالى فاذكرونى أذكركم وفى خبر ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول اعطيت أمتك مالم اعط أمة من الامم فقال وماذاك ياجبريل فقال قوله تعالى فاذكرونى أذكركم ولم يقل هذا لاحد غير هذه الامة وقيل ان الملك يستأمر الذاكر فى قبض روحه وفى بعض الكتب ان موسى عليه السلام قال يارب أين تسكن فاوحى الله تعالى اليه فى قلب عبدى المؤمن ومعناه سكون الذكر فى القلب فان الحق سبحانه وتعالى منزه عن كل سكون وحلول وانما هو اثبات ذكر وتحصيل وقال سهل بن عبد الله مامن يوم الا والجليل سبحانه ينادى عبدى ما أنصفتنى اذكرك وتنسانى وادعوك لى وتذهب الى غيرى واذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا اذا جئتنى وقال السرى مكتوب فى بعض الكتب التى أنزل الله تعالى اذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقته وباسناده انه أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام بى فافرحوا وبذكرى فتنعموا وقال النووى لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر وفى الانجيل اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتى لك فان نصرتى لك خير لك من نصرتك لنفسك قيل لراهب أنت صائم فقال صائم بذكره فاذا ذكرت غيره أفطرت وقال سهل ما اعرف معصية

أقبح من نسيان هذا الرب قال الجريرى كان بين أصحابنا رجل يكثر ان يقول الله الله فوقع يوما على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط الدم فاكتتب على الارض الله الله من شدة ممازجة ذكر الله لدمه انتهى من الرسالة القشيرية ﴿قلت﴾ وهذه الحكاية التى ذكرها الجريرى رضى الله تعالى عنه هى المطلوبة للمريدين الصادقين فى طلب معرفة رب العالمين ولهذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اكثروا من ذكر الله ولا تصاحبوا الا من يعينكم على ذكر الله لان الاكثار من ذكر الله يحصل به طهارة القلوب ومشاهدة علام الغيوب كما أشار الى هذا المعنى العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد الحراق الحسنى الشاذلى رضى

الله تعالى عنه حيث قال في بعض رسائله مانصه الحمد لله اعلم يفتح الله من الذاكر الابالكثير لان القلوب المركوزة في قوالب الحدوث لا تطابق عالم القدم حتى تلاقيه الا بكثرة ايرادها عليه اوان تشرب منه حتى يغلب طبعها على تتن ماهو منه مما لم ينظر الله اليه لانها مادامت ملاحظة عالم السوى فالحق سبحانه لا ينظر اليها الا انه سبحانه محال الانفراد وانما أثبت السوى لحكمة ارادها فهو بطريق المجاز لا بطريق الحقيقة والمنغمس في عالم الحس المثبت للسوى من طريق الحقيقة لا ينظر الله اليه ولا الى ما اشتبه في نفسه حتى يتجرد منه ولا سبيل الى ذلك من حيث انه عالمه الذي هو فيه الا باعانة له على دوام ذكره الماحق لما سوى المذكور سطوة الهية وقاهرية ربانية والا فكيف يتجرد من عالم هو مفطور عليه وهو مخلوق فيه ولكن الله على كل شئ قدير ولا يلائق النور الا بتجرده عن عالم التكوين جملة بعناصره التى كون منها وهى الماء والنار والتراب والهواء وأطواره التى هى المنى والعلقة والمضغة وعالم التكوين كله مجموع فيه من حيث هذه العناصر فهو جامع سر التكوين الذى هو سر الربوبية التى ظهر به كمال قدرتها فالانسان المشتمل على هذه الامور جامع سر الالوهية باسره فيه التكوين جمعا ونور المكون فمن حيث التكوين مع حمله للشريعة ومن حيث النور مع نظره للحقيقة فهو الكمال بعينه طريقة وحقيقة بجمعه الامرين فهو شئ عجيب لمن رآه بنور البصيرة ولذلك قال عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه ولذلك عظمت حسناته وسيآته لكونه اذا أطاع الله أطاع بالعوالم كلها واذا عصى فكذلك والله سبحانه يفعل ما يشاء ويؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم اهـ ورأيت في آخر شرح الحكم العطائية للعارف بالله تعالى المحقق المدقق ونعوتها الشيخ سيدى أحمد بن محمد القشاشي المدنى الانصارى رضى الله تعالى عنه نبذة صالحة للمريد بن الصادقين المجدين السير الى حضرة رب العالمين تتعلق بالذكر وما يحصل به الترقى فيه الى مقام الفناء والبقاء أحببت اثباتها هنا تتميما للفائدة قال رضى الله تعالى عنه مانصه وهذه نبذة ملحقة بما سبق لتعلقها به وتعلقه بها في شئ من الذكر والرياضة والعزلة ثم العكفة لمن له شوق الى مولاه قال تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا

ناسوتيتى غير مخامرلها وبحق قدمك على حدثى تحت ملابس قدمك ان ترزقنى شكر ما انعمت على حيث غيبت أغيارى عما كشفت لى عن مطالعة وجهك وحرمت على غيرى ما ابحت من النظر في مكنونات سرك وهؤلاء عبادك اجتمعوا القتلى تقربا اليك وتعصبا لدينك فاغفر لهم فانهم لو كشفت لهم ما كشفت لى مافعلوا ولو سترت عنى ما سترت منهم لما ابتليت به فلك الحمد دائما ثم انشد

اقتلونى ياثقاتى * ان فى قتلى حياتى وحياتى فى مماتى * ومماتى فى حياتى
ان عندى محو ذاتى * من أجل المكرمات وبقائى بصفاتى * من قبيح السيآت
سئمت نفسى حياتى * فى الرسوم الفانيات فاقتلونى واحرقونى * بعظامى الباليات
ثم مروا برفاتى * فى القبور الدارسات تجدوا سر حبيبى * فى الطوايا الباقيات

ثم فعل به مافعل وقد وجه الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه فتواه بقتله بان ذلك كان نصحا للدين من دعوى الزندقة لا اقرارا على نفسه واعانة على قتله بما علم براءته من حقيقته وقال الشيخ أبو عثمان سعيد الفرغانى رحمه الله فى قول ابى يزيد رضى الله عنه فى بعض غلباته سبحانى ما أعظم شانى واخبار بعض السامعين اياه بعد رجوعه الى نفسه وحسبه بما قال وعتابه اياهم على انهم لم يقتلوه وقال لو قتلتمونى فى تلك الحالة لكنتم غزاة مثابين على قتلى وكنت نائلا درجة الشهادة انه رأى مباينة بين حكم الظاهر وبين حكم الباطن والحقيقة يعنى رأى ان ظاهر الشرع يوجب قتله بما تلفظ به وان كان معذورا من جهة الباطن وبنحو هذا اجاب عن فتوى الحلاج فى نفسه ثم قال رضى الله عنه

﴿وان وجودى فى فنائى فانه * فناء صفات النفس عن محكم البشر﴾

الوجود هنا انتعاش صفات القلب والروح وقوامها والفناء هنا ذهاب معلولات النفس ومحكم بفتح الميم والكاف اسم مصدر بمعنى حكم والبشر محرك الانسان وسكنه للوزن والمعنى فناء صفات النفس عن ان تكون حاكمة عليه فالمصدر مضاف للفعول وفانه فناء الخ علة لكون وجوده عين فنائه وفى بعض النسخ وان وجودى فى فنائه فنائه فناء صفات النفس الخ وهو بين ايضا فان ضمير فنائه راجع لقوله وجودى واذا فنى أى ذهب فناء وجوده حصل وجوده وثبت وقوله فناء صفات النفس الخ عطف بيان على مجموع المضاف والمضاف اليه من قوله فى فناء فنائه ﴿يقول﴾ والله اعلم وان وجودى وبقائى وانتعاش قوى قلبى وروحى ثابت فى عين فنائى فانه أعنى فناء صفات نفسى وضعفها عن ان تكون حاكمة على وقاهرة لى وأعنى باوصاف النفس المذمومة منها الناقضة للعبودية اذ لا يضاف اليها اصطلاحا الا ما كان معلولا من أوصاف العبد وأفعاله واخلاقه التى تسم صاحبها بسمة النفاق والفسق والكبر والعجب والرياء والسمعة والغش والغل والحقد والحسد وسائر الصفات المذمومة وهى لا يمكن فى التحقيق حصرها وفناء هذه الاوصاف انما كان بنور الروح الواصل الى النفس لان روحه فى محل القرب منجذبة الى الحضرة الالهية فاذا اكتحلت بصيرتها بمشاهدة الأوصاف الأزلية والنعوت القدسية فنورها يسرى فى النفس بوصول نور الروح الى النفس تطمئن ويذهب عنها المذموم وتتبدل اخلاقها

وسفراقاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة فلا تكن كمن بعدت عليه الشقة وكن مشتاقا الى مولاك كما اشتاقت الجنة الى علي وعمار وسلمان وتأمل قوله تعالى وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وأمره لك بذلك ولم يأمرك بالجهاد بأحدهما دون الآخر لتعلم ان مالك مجاهد معك في سبيل الله فاستصحبه وتكرم به ولا تبخل فان من يبخل فانما يبخل على نفسه والطالب كريم مقبل أبدا لحال المقبل الشارد من الخلق الى الحق أولا صدق الطلب وتحقيق المطلب وبذل الجهد والتخلي عن الدنيا وتجريد العزم بلا فترة سرا وعلنا وان لا يلتفت بعين بصره ولا ببصيرته الى ما أعرض عنه من الكون أو الكونين أبدا وان يكون همه واحدا لواحد فيكون خليل السير الى حضرة سيده دائم الطيران في ذكر معبوده ومقعده وقبلته ما وجه اليه كيف توجه به اليه لا يجد غير ذلك ولا يعرف الا ذلك وعلى ذلك رمى قواعد بيته الكريم وشاد بنيانه بالاخلاص والتسليم لله العلي العظيم وطاف به مترددا بين مناجاته مستغفرا حاسرا رأس عزمه مضطبعا في أشواط رمله مسرعا في حصول أمله مستوفيا أشواطه متوفيا أشراطه مصليا بالمقام الابراهيمي في مناجاة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومصافاة ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا مكتنفا بنعوت ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا متوجها من ذلك لمسعى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فهو في مضمار فمن تطوع خيرا ذو سباق وساق لا يكل جواده ولا يقف الى حد في المعبود به عزمه ومراده منادا على معرفته بنداء لم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فدا بس من النظر الى سوى ذلك ولم يكن حياته وعلمه وسمعه وبصره وكلامه وقدرته وارادته الا في ذلك فظاهره خلق مكلف وباطنه حق مكاف ففاعله ومفعوله حاضر وبيته الحرم على الاستمرار والدوام نحلاقه القرآن في متابعة رسوله الاكرم صلى الله عليه وسلم لانه منه فوجبت عليه العزلة عند ذلك بأمر مرشده المسلم اليه قياده الناظر اليه بعين الحرمة والادب والتعظيم الغير المنازع له منه ظاهر وباطن في أمر ما تحت تسليم فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا وتحكيم فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما

ونعوتها وتخلقها التخلق بالاخلاق الالهية قال الشيخ تاج الدين رضي الله عنه في حكمه لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه الوصف المذكور أولا هو النفساني الذميم والوصف المذكور ثانيا هو الرباني الكريم فلا خروج عن الأول الا بشهود الثاني فمن شهد كبرياء الحق لم يبق له كبر ومن شهد غناه لم ير لنفسه غنى ومن شهد قدرته لم تبق له قدرة فيبقى بربه لا بنفسه ولربه لا لنفسه اه وقال في العوارف واعلم ان العبد لم يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها واصل البيت قوله في العوارف ومن الاشارة الى الفناء ما روي ان عبد الله بن عمر سلم عليه انسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى بعض أصحابه فقال كنا نتراءى الله في ذلك المكان وقيل الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما فنى موسى حين تجلى ربه للجبل وقال الخراز الفناء هو التلاشي بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق وقال الجنيد الفناء استجماع الكل عن أوصافك واستغلال الكل منك بكليته وقال ابراهيم بن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الروحانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة وسئل الخراز ما علامة الفاني قال علامته من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة الا من الله تعالى وقال أبو سعيد الخراز أهل الفناء في الفناء محتهم أن يصحبهم علم الفناء وأهل البقاء محنتهم أن يصحبهم علم البقاء واعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء والبقاء كثيرة فبعضها اشارة الى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير الى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها اشارة الى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الاوصاف المحمودة وهذا تقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة الى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه اشارات فيها معنى الفناء من وجه اه والمراد هنا في البيت فناء الاوصاف المذمومة وبقاء المحمودة كما قدمنا ثم قال رضي الله عنه

﴿وفيه لنا محو واثباتنا الذي • طلوع كؤوس الحب كالأنجم الزهر﴾

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمة وضمير فيه يحتمل أن يعود لمقام عين اليقين وتكون في على بابها من الظرفية ويحتمل أن يعود للمحبوب على أن في للسببية ومحو مبتدأ واثباتنا عطف عليه وخبر المبتدأ في المجرور قبله وهو وقوله لنا وفيه متعلق بالاستقرار العامل في المجرور المخبر به ولدى بمعنى عند وهو معطوف للاثبات فقط على ما يأتي من كلام العوارف والظاهر من البيت انه متنازع فيه يطلبه كل من المحو والاثبات وطلوع مضاف اليه ما قبله وكؤوس كذلك وهو جمع كأس وقد تقدم الكلام عليه مستوعبا على قوله وللكل من كأس المحبة البيت والحب مضاف اليه ما قبله وتقدم أيضا في ذلك البيت الكلام عليه وقد تتابعت الاضافات هنا والصحيح أن ذلك لا يخل بالفصاحة ما لم يحدث ثقلا في الكلام ولم يحدثه هنا وهو مما يدل على بلاغة الناظم رضي الله عنه فان الجمع بين كثرة الاضافات وعذوبة النظم لا يقدر عليه الا البليغ المرتاض بفن البلاغة وقوله كالأنجم الزهر نعت لمصدر محذوف أي طلوعا كائنا كذا والمراد هنا بطلوعها

اشراقها على أفواه القلوب والزهر جمع أزهر وهو المضيء المشرق ففي الكلام ايماء الى أن المفيد للمحو والاثبات على ماذكر في الاحتمال الثاني هو الشرب من خالص حب الله غير المشوب بشيء من البقايا ولصفائها واضاءتها معنى شبهها بالانجم الزهر المضيئة بناء على أنا قدمنا ان الكاس تارة صورة وتارة معنوية وتارة علمية فاضاءتها على حسب ذلك والمحو لغة ازالة الأثر واذهابه وعند القوم عبارة عن ازالة معلولات النفس ورفع أوصافها على مراتب أهلها فهو بمعنى التخلية بالمعجمة والاثبات كناية عن الاتيان بدل ذلك بالصفات الحميدة فهو بمعنى التحلية بالمهملة فهي على هذا اسمان يشار بهما الى الفناء والبقاء وقد تقدم ذكرهما في البيت قبله ﴿يقول﴾ والله أعلم على الاحتمال الثاني في قوله لدى طلوع كؤس الحب وانه مطلوب للمحو والاثبات ولنا في مقام عين اليقين أولنا بسبب المحبوب وشهود أوصافه مذ طلوع كؤس حبه واشراقها على أفواه قلوبنا كالأنجم اضاءة واشراقا محو المعلولات أنفسنا وآفات بشريتنا واثبات لهو قلوبنا ور وحانيتنا لذوبان صفات نفوسنا بنور الشهود وهو على هذا اقرب من معنى البيت الذي قبله وأما على الاحتمال الثاني فنقول والله أعلم ولنا معشر المحبين في مقام عين اليقين محو بازالة الأوصاف البشرية واذهاب الرعونات النفسية واثبات لقوى قلوبنا وأرواحنا عند طلوع كؤس خمر الحب كالأنجم صفاء واضاءة واشراقا فيحدث بذلك للروح حياة وقوى ويحصل لها سرور وارتياح وتنطلق من وثاق ظلمة النفس وتبتهج بذلك وتتأله للحق وتصير عاكفة في حضرة القرب ويسكن في القلب النور الناشئ عن تجلي الحق بنعوت الالطاف فالاثبات ناشئ عن المحو ومرتب عليه لان الحق تعالى وتقدس جعل ما أنسك اليه بساط ما منه اليك والأنوار الربانية الواردة من الحضرة الالهية مطهرة مقدسة لا تسكن الا الى ما يجانسها وهو ما كان مطهرا من الاغيار فاذا وردت تلك الانوار فوجدت القلب مملوأ بالاغيار رحلت من حيث نزلت لانها لا تجد محلا للنزول وقد صار ما فيه من الاغيار بمنزلة الساكن اذا حصل في شيء منع من دخول غيره عليه قال الشيخ تاج الدين رضي الله عنه في حكمه فرغ قلبك من الأغيار تملأه من المعاني والاسرار قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه واغا تمتلئ القلب بما ذكر اذا فرغ مما ذكر لثلاثة أوجه أحدها ان القلب ليس له الا وجهة واحدة فاذا فرغ من شيء عمر بمقابله الثاني أن شروق الأنوار على حسب صفاء الاسرار وصفاء الاسرار على قدر بعدها عن الأغيار الثالث ان ورود الأمداد بحسب الاستعداد وكرامة الله العبد على قدر فراره من غيره و بعده عنه على قدر تعلقه بسواه وبرى الله من قال

وما رمت الدخول عليه حتى * حللت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها * وصنت النفس عن قال وقيل

﴿قال الله تعالى﴾ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فافهم وتأمل وتدبر تجد الامر فيك ومنك واليك بحسب سنة الله الجارية عليك لا لحقيقة منك و بحسب هذا فارجع عن نفسك في طلب الحق لا لغير وأصل البيت قوله في العوارف ومنها يعني من الكلمات المشيرة

فجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما بميزان الاعتدال في كل حال وقيام شوكة القسط والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ووسطية اللسان ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله على ذلك ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك بلا فتور ملء الزمان والدهور وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب منك ولك لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون فاحفظ الوصية ولا تعبأ بالمخالفين منك ومن العالم واهجرهم هجرا جميلا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ووجب عليه سياسة لباسه وطعامه وشرابه مع أنفاسه وسد ذرائع العوائق بالتي هي أحسن ليعود عليه النفع الحسن والاحسن ووجب عليه دوام الطهارة وقطع الشواغل وعدم الفترة من الذكر اللساني اما بالله الله واما بالله هو واما هو الله واما بذكر الاسم لا اله الا الله اذ عليها مبنى جميع الاذكار ومنها انتشاؤها كما يأمر به الشيخ أو قوله أو ما ناب منابه عنده فاذا اختار الله له العزلة يكون بيت عزلته ضيقا هذا هو الأولى فيكون قدر قيامه للصلاة وركوعه وسجوده طولا وعرضا وقدمد قامته اذا نام مستغنيا للقيام وان يكون بابه ضيقا قدر دخوله وان لا يكون فيه كوة للخارج وان يكون ما يحتاج اليه في عزلته عنده من مائه وطعامه وشرابه ولباسه ومحل قضاء حاجته لا يحتاج الى الخروج من محل الى محل بل كله في محوى مكانه وان تميزت كل عزلة بحالها ويحذر من الهوى فانه يفرق الحال ويشغل البال عند خروجه لابريقه أو وضوئه أو قضاء حاجته وان يكون عنده ما يحتاج اليه من خادم أمين خبير كاتم الى لأسراره وينام عند باب خلوته تسكينا لقلبه وعونا له ومن فحم وشمع وكبريت وزناد لقدح النار عند الحاجة الى ذلك كل هذا مما يحتاج اليه صاحب العزلة لانه جامع بالذات اللهم الا ان يكون كامل التجرد ذوقوة وملكة في التوحيد فبحسب حاله فقد رأينا من أصحابنا بفضل الله من يسهر الليل والنهار لا ينام ليلا ولا نهارا أولا يعرف الليل ولم يتشوش في ذلك مزاجه ولم يختل عن أداء فرائضه ولم يدر الناس بما هو عليه ولم يكترث لذلك أبدا ولم يتعوق بالطعام والشراب من كمال منة الله عليه وكان الليل له كالنهار مشرقا بالنور

الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية المحو والاثبات فالمحو بازالة أوصاف النفوس والاثبات
بما أدير عليهم من آثار المحب كؤس (وقال) الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه المحو رفع
أوصاف العادة والاثبات اقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة وأتى بعدها
بالأفعال والأحوال الحميدة فهو صاحب محو واثبات ثم قال وينقسم المحو الى محو الزلة عن الظواهر
ومحو الغفلة عن الضمائر ومحو العلة عن السرائر ففي محو الزلة اثبات المعاملات وفي محو الغفلة
اثبات المنازلات وفي محو العلة اثبات المواصلات هذا المحو واثبات بشرط العبودية وأما حقيقة
المحو والاثبات فصادران عن القدرة فالمحو ما ستره الحق ونفاه والاثبات ما أظهره الحق وأبداه
والمحو والاثبات مقصوران على المشيئة يمحو الله ما يشاء ويثبت قيل يمحو من قلوب العارفين
ذكر غير الله ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله ومحو الحق لكل واحد واثباته على ما يليق
بحاله ومن محاه الحق سبحانه عن شاهده أثبته بحق حقه ومن محاه عن اثباته به رده الى شهود
الاغيار واثبته في أودية التفرقة اهـ فالاقسام الثلاثة التي ذكر في المحو والاثبات أولها وظيف
مقام علم اليقين والثالث وظيف مقام حق اليقين ثم أشار الى ما استفاد بالمحو والاثبات من التجرد
عن السوى والبقاء مع المولى فقال رضي الله عنه

(تجردت عن كلي وعن كل خاطر * يلم سوى المحبوب بالقلب والفكر)

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمانية والتجرد التعري عن الشيء والخروج عنه وعن كلي
عن دائرة حسي وحكمي وجودي والخاطر تقدم الكلام عليه عند قوله ويلزم عنه ان يراعي سره
البيت وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في اصطلاحه الخاطر ما يرد على القلب
والضمير من الخطاب ربانيا كان أو ملكيا أو نفسيا أو شيطانيا من غير اقامة وهذا هو المراد هنا
وأحرى ما يقيم فان دوام الشيء فرع عدم التجرد عن حضوره والمراد بالتجرد عن الخواطر الملمة
بالقلب عدم الماماتها به لان الخروج عنها بعد نزولها فافهم ويلم مضارع ألم أي نزل وبالقلب
متعلق به والفكر معطوف على القلب وسوى المحبوب استثناء من عموم المحكوم بالتجرد عنه
والقلب والفكر هنا مترادفان فيكون الفكر من باب تسمية الحال باسم المحل اذ معنى الفكر كما
قال الامام أبو حامد رضي الله تعالى عنه احضار معرفتين في القلب ليستمد منهما معرفة ثالثة
وللاصوليين فيه حدود ويظهر من حل البيت انه اشتمل على شيئين أحدهما قوله تجردت عن
كلي وعن كل خاطر يلم بالقلب والفكر وهو معنى المحو والثاني قوله سوى المحبوب وهو معنى
الاثبات (يقول) والله أعلم تجردت وخرجت عن كلي وفنيت عن دائرة حسي بشهود
أوصاف محبوبي ومعروفي ومعبودي لانه اذا قورن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي
القديم فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته وكذا تجردت عن
كل ما يهجس في القلب وينزل به من الخواطر لكونها تستدعي وعاء ووجودا وقد بنت عن
كلي ولم تبق مني بقية تكون محلا لنزولها ولا تكون خواطري أيضا قد ذابت بنور الحق
وامحقت ولم يبق في قلبي الا المحبوب تعالى وتقدس وحده الذي هو مقصودي وغاية مرغوبي

مل بمنزلة فمطلع النهار ولم يميز بين الليل والنهار والاهلال تسلم عليه وهو في حال كونه في مدينته ملازما لاهلها وأورأيتا منهم من قصد الحج
بلا ماء ولا زاد ولا راحلة ولم يختلج لذلك خاطره ولم ينزعج ولم يتكل في خروجه على الناس بأنه اذا ضعفت قواه أوى اليهم هذا لم يخطر
بباله وذكرت له ذلك فلم يلتفت اليه خاطره فضلا عن جملته وذهب الى الحج وجاءنا على أحسن حال كانه ذهب الى عزلته وجاءنا
منها والحمد لله المتفضل على عباده بما يشاء من امداده فهذه كلها أدوات ١٦٥ المنقطعين الى حضرة رب العالمين وقد
علم الله المتقدمين والمتأخرين
وما كان عطاء ربك محظورا
هذا اجمال الامر ومن أراد
تفصيله وحده في محل توصله
ويكون دائما في محل عزلته أو
عكفته على طهارة مستقبل
القبلة ذاكرا مأمر من الذكر
ملازما ذكر اللسان حتى
يتصل بذكر القلب وينقطع
لسانه في قلبه ويسمع ذكر قلبه
كما يسمع ذكر لسانه حتى يحسب
ان الناس يسمعونه ولا يسمعه
الا هو ثم يكون في ذلك بقدر
ما يفتحه الله عليه وبقبله
استعداده واقد وقع لنا من
فضل الله شيء من بعض ذلك
حتى كنت أسمعه بضرب
كالطبل عندي وأنا في الذكر
واحسب ان من حولي يسمعه
فلا يسمعه ولا يدري فالاعراب
عن ذلك لا يكيف ولا ينحصر
ومن أحسن ما رأيته في ذلك
من الرسائل المقوية للسائرين
الآخذة بضبع الطاهرين
الى حضرة رب العالمين ما ذكره
الشيخ الامام الحجة الاول المقدم
المقدام العالم بالله الدال في
سبيل الله تخلقا أبا القاسم بن
هوازن القشيري تغمده الله
برحمته ورضوانه في رسالته
المخصوصة بالذكر فاحببت
سوقها ههنا بلاغا للعابدين
وذكرى للذاكرين ينتظم شمل الآخرين بالاولين وان آخرهم عين أولهم كالنبيين والمرسلين جملة والصديقين والشهداء والصالحين
جملة وان كانوا متقدمين ومتأخرين ومختصرين فحسب ما أراده من لا يخفى عليه انباءهم كما انشأهم من الارض واستعمرهم فيها
لما يريد بهم أجمعين فتدبر ما يتلى عليك واحمد الله على ما أرسله من فضله اليك أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالعامل من
الآخرين على ما استطاع من سنن الاولين مع الاولين السابقين وان تأخر قال صلى الله عليه وسلم لكل قرن من أمتي سابقون وقال
صلى الله عليه وسلم لكل قرن سابق وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي تركة وان تركتي وضيعتي الانصار فاحفظوني فيهم فكن من

ومطلوبي كما يليق به وينبغي لجلاله قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع يعني باللين السهل القريب والوادع الساكن المطمئن وقوله لم تسعني أي لم تطقني كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها أي طاقتها وقلب هذا السائر قد أطاق أمره بتقوية الحق له حتى تجلى لقلبه بعظمته وصار قلبه محلا لتجلي محبوبه ليس له عن سوى الحق اخبار ولا مع غير الله قرار قال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه ولا يزال العبد مع الهام الملك في مقام الايمان فاذا رفع الى مقامات اليقين تولاه الله عز وجل بواسطة أنوار الروح فكان الروح مكان القاء الحق يرد عليه من الله عز وجل من السرائر ما لا يطلع عليها الملك ولا يكون ذلك حتى تفنى خواطر النفس والهوى فلا تبقى منها باقية وتطوى النفس فتندرج في الروح فلا تظهر دواعيها ثم يتولاه الله عز وجل بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب بكاشفة الجبروت يشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجد كينونة المحبوب وما لا يصلح بعد ذلك كشفه الا لأهله ولمن سأل عنه وهذا يكون في مقام التوحيد وهو أنصبة المقربين وأصل البيت قوله في العوارف بعد كلام في الخواطر واذا كان شأن العبد تميز خواطر النفس في مقام تخلصه من لمات الشيطان يكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر الأربعة في حقه ثلاثا ويسقط خاطر الشيطان الا نادرا الضيق مكانه من النفس لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والاخلاد الى الأرض ومن ضايق النفس بين التمييز بين الحق والخلق ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان الا نادرا لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين لمقام المقربين من اذا صار قلبه مزينا بزينة كواكب الذكر يصير قلبه سماويا فيرقى ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات فكلما رقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يتجاوز السموات بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقالبه فاذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر النفس لتستره بأنوار القلب وبعد النفس عنه وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضا لأن الخاطر رسول والرسالة الى من بعد وهذا قريب وهذا الذي وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه الى منازل مطالبات النفس وخواطرها فتعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك ان الخواطر تستدعي وجودا وما أشرنا اليه حال الفناء فلا خاطر فيه وخاطر الحق انتفى لمكان القرب وخاطر النفس بعد لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل في ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لو دنوت أنملة لاحترقت * قال محمد بن علي الترمذي المحدث والمكلم اذا تحققا في درجتهما لم يخافا من حديث النفس فكما ان النبوة محفوظة من القاء النفس وفتنتها ومحروس بالحق والسكينة لأن السكينة تحاب المكلم والمحدث مع نفسه اه ثم صرح بما تضمنت هذه الحالة من القرب فقال رضي الله عنه

﴿تعرفت منه القرب وهو مؤيد * به فوجوه اللطف ظاهرة البشر﴾

الانصار تمكن من ضيعته وتركته وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين فمكن معدن التقوى بالمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح السموات قول لا اله الا الله فافتح سمواتك بذكر لا اله الا الله تستفتح سمواتك وأرضك وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء فعليك بمسكنتك وفقرك وعليك بحبهما فحبهما منك وقبلك مفتاح الجنة منك فتوح لنور الله بنور الله شرح الله صدرك بنوره في كل قطرك آمين

وهذا ما سبق الوعد به من املاء رسالة الشيخ رحمه الله فتمسك بها ففيها البلاغ للبالغين قال الشيخ نفع الله به في رسالته ترتيب السلوك في طريق الله تعالى يجب ان يكون العبد مجردا عن الدنيا لا يملك شيئا يعوقه ويكون عالما بما يلزمه من فرائض الله توحيدا وشريعة ثم يكون أبدا على طهارة في نفسه وأثوابه ثم يتلمذ من بين الناس لمن سلك طريق الله تعالى ويتجرد لله ولا يكون مشتغلا بشيء سوى الله تعالى حتى ينفعه تعليمه اياه فان تلمذ لمن سلك طريق الله كان أسرع وأقوى سلوكا وان تلمذ لمن لم يثق بعلمه في طريق الله تعالى فقد يحجب ويصل مرة ولكن بعد حين لا يكون بتلك السرعة لأنه لا تعينه همة أستاذه فيكون كالولد عن نحل سوء والأول كالولد عن نحل نجيب ويشترط الاستاذ على المريد ان يختار الفقر على الغنى والذل على العز والله على غيره ويشترط عليه لا يأكل وان أكل الفقراء ولا يقول ما لا يعني وان قال الفقراء ولا يؤثر الواجبات وان آثر أولئك الذين معه في الرباط ثم بعد ان قبل هذه الشرائط يقول له الاستاذ قبلتك لأوصلك الى طريق الله تعالى بقدر ما تعرف الله الى لا أبخل عليك بقدر ما عرفته ثم يعرفه ويوصيه ان لا يسمع من هذا الاستاذ ويرى جميع أحواله من الله ويرى التوفيق منه ويقول له قل الله الله ثم يوصيه ان يواظب على قول هذا الذكر فلا يشهد غيره ولا يفكر في غيره وان أشغله عن هذا الذكر أمر من الامور يطرح ذلك الامر وان كان موت والديه ولا يفعل شيئا من الطاعة الا الفرائض والسنن وركعتي الضحى وبعد كل وضوء ركعتين فاما ما سواه من النوافل وقراءة القرآن فلا ويشتغل بهذا الذكر الى أن يغيب بالذكر عن جميع الاشياء بتوفيق الله تعالى لقوة ارادته ثم يغيب بالذكر عن نفسه ثم يغيب بالذكر عن الذكر ثم يردده مدة

طويلة بين غيبة عن الذكر بالذكر وبين حضور الذكر فمرة يغيب عن الذكر ومرة يحضر الذكر ثم لا يزال يرتقي في كل غيبة وحضور الى رتبة أخرى ثم يرد وارد آخر عليه أعلى من هذا فيفنى العبد عن الذكر وعن هذه الاحوال فاذا ارد العبد الى حال البقاء بعد هذه الغيبة يسلب عنه لسانه وسمعه وبصره الا شهادة القلب ولا يمكنه ان يقول باللسان ويقول بالقلب نطقا الا علما ومشاهدة بل كما كان ينطق بلسانه وقلبه يذكر بقلبه حتى يرد وارد آخر عليه بعد مدة ما شاء الله تعالى أعلى من ذلك من حيث الهيبة ورودا يظن العبد انه قريب من الحق فيفنى العبد فيه ثم يتردد بين الفناء والبقاء وكل مرة يرد الى البقاء تزداد عبارات قلبه حتى ينتهي الى أذكار يجدها من قلبه بألسنة مختلفة وعبارات لم يسمعها ولم تخطر ببالة قبله يجد ذلك كله في قلبه حتى يتوهم ان جملة الكون يذكر الله سبحانه بعبارات مختلفة أحيانا ويسير بحيث لا يميز بين ذكره الذي يبدو من قلبه وذكر الكون من غلبات الذكر عليه فيسمع جميع هذه الاذكار ثم بعده يرد وارد آخر بحيث لو ذاق الورود من سلك هذه الطريقة على سبيل الوهلة لمات من هيبة الله تعالى حتى يفنى هذا العبد ولا يبقى منه شئ ثم يرد الى حالة البقاء فتسلب عنه أحوال القلب من الشهوات وغيرها فيبدو السر سر الغيب فلم يبق للعبد شئ وليس الا الله فهو كالبحر يبدو فتسير الانهار بحكمه فلا يكون لغير الله تعالى حكم ولا يكون للعبد بعد هذا حركة فقبل هذا كان يتحرك بوارد يرد عليه فالآن ان تحرك الذي بداله تحرك العبد وان سكن سكن العبد فانما يسمع ويبصر ويشهد عما بداله وليس بعد هذه الحالة للبشرية سلطان ولا للاذكار وانما السلطان لهذا البادي وهو الله تعالى في خلال هذه الاحوال قبل وصوله الى هذا المقام الذي دونهاية كانه لا يرى جملة الكون نورا وكان له حتى لم يخف عليه من الكون شئ وكانه يرى جميع الكون من السماء والارض رؤية عيان ولكن بقلبه وكانه لا يرى في هذا الوقت بين رأسه شيئا أو لكن لم تكن هذه رؤية علم بل لو تحرك في الكون ذرة وغلة رآه (فصل) اذا تحقق الذاكر في ذكر اللسان وقع ذكر لسانه الى ذكر القلب فاذا ذكر القلب ترد عليه في الذكر أحوال يجدها من نفسه بل يسمع من قلبه لله تعالى أسماء وأذكارا لم يسمعها قط ولا قرأها في كتاب بعبارات مختلفة

هذا البيت على سبيل الترجمانية والقرب في هذا المقام هو قرب المكانة لا قرب المكان تعالى الحق عن ذلك علوا كبيرا والمراد به تنحية دواعي العبد من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والمحو للصفات النفسانية المناقضة للعبودية والتخلق بالأخلاق الالهية وينقسم القرب مطلقا في هذا المقام الى قسمين قرب من ناحية العبد وهو قرب أولا بالايمان والتصديق ثانيا بالاحسان والتحقيق وقرب من ناحية الحق وهو عبارة عما يختص به عبده في هذه الدار من العرفان وفي الآخرة با كرامه اياه بالشهود والعيان وفيما بين ذلك بأوجه الرعاية والكلاءة والالطاف والامتنان اذا تبين لك هذا فالقرب المشار اليه في البيت وهو القرب من ناحية المولى بتقريب عبده وتقريبه بما ذكرنا والضمير فيه للمحبوب وهو متعلق بعرفت والقرب مفعوله وهو مؤيد مبتدأ وخبر والواو للحال وبه متعلق بمؤيد وباؤه يحتمل أن تكون على بابها لان ما يتحف الحق به عبده مما ذكرنا يتقوى به العبد ويعلم بسببه انه بعد عن الجادة أو انه لمعرفته بقرب مولاه وشهوده يؤيد ذلك لتعظيمه وبصيرمؤيد اله حتى لا يراه حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره ويحتمل أن تكون الباء للظرفية فهي بمعنى في أى مؤيد اله في ذلك القرب وحام وناصر من مهواته ومخوفاته فضميره على الوجهين عائد للقرب وقوله فوجوه اللطف الخ تصريح بضمير ما قبله وهو مبتدأ وخبر واللطف التفضل بايصال المرافق والمنافع من أبواب ضيقة بعيدة عن العقول والأوهام وهو كذلك هنا وفي بعض النسخ بآية بدل طاهرة وهو بمعنى والبشر بالكسر طلاقة الوجه وفي الكلام استعارة عجيبة وذلك ان المراد بوجوه اللطف هنا أنواعه المختلفة الصفات الصورية ثم انه شبهها بوجوه أشخاص وأضمر التشبيه في نفسه ولم يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه وأضاف اليه أشياء من لوازم المشبه وهو البشر الذي هو طلاقة الوجه الانساني فالتشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية واللازم المضاف اليه وهو البشر استعارة تخييلية ﴿يقول﴾ والله أعلم تعرفت شهودا وعيانا وذوقا ووجدانا قرب محبوبي مني على ما يليق به باحاطته وتصرفه في وبوجوه انعامه وافضاله وضروب امتنانه وتقريبه واكرامه والحالة انه مؤيد لي بذلك القرب وناصر لي به فيتولاني ولا يقف بهمتي على سواه حتى لا يراني حيث نهاني ولا يفقدني حيث أمرني شريعة وطريقة وحقيقة وعلى الاحتمال الثاني يكون معناه والحالة انه مؤيد لي وناصر وحام في هذا القرب وحائل بيني وبين مخاوفي ومهاوي من الاخلال بالأحكام الدينية والرسوم الشرعية فنعطي كل ذي حق حقه ونوفي كل ذي قسط قسطه نعطي الشريعة حقها في ظاهري ونوفي الحقيقة قسطها في باطني بعكوف روحي في الحضرة ودوام نفسي على الخدمة حال كوني غائبا في هذا القرب عن رؤيتي لقربه بشهود المقرب القريب بانواع الالطاف وضروب الاحسان ووجوه الامتنان بادية ظاهرة الاقبال ومترادفة من الغني المفضال قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه قرب العبد أولا قرب بتصديقه وايمانه ثم قرب باحسانه والحقيقة وقرب الحق سبحانه من العبد ما يخصه اليوم به من العرفان وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان ولا يكون

وألسنة متباينة لم يسمعها ملك ولا آدمي فان لازم همته ولم يلتفت ولم يلاحظ هذه الواردات نال المراد والزيادة الى أن ينتهي الى ذكر السر
وان التفت الى ما يجري عليه من هذه الاحوال ولاحظ هذه المسميات وهذه الاذكار ونظر اليها واشتغل بها فقد ساء أدبه فيعاقب
في الوقت وعقوبته انقطاع المزيد عنه ثم يعاقب ثانيا ان صبر عليه بان يرد الى حال العلم بهذه الاحوال وترد عليه علوم حتى يظن أنه قد
فتح عليه علوم الاولين والآخرين فان لاحظ ما يرد عليه من العلوم فهو سوء أدب فيستحق العقوبة فعقوبته في هذه
الحالة ان يرد الى حال الفهم
والفرق بين حال العلم وحال
الفهم أن العلم وجود يرد على
قلبه من حيث العلم والفهم
نظر الى ذلك العلم كان الفهم
علم بانه كان له علم بتلك المسائل
فان نظر الى الفهم فقد ساء
أدبه وعقوبته أن يرد الى حال
الغفلة

﴿فصل﴾ اذا ذكر العبد
بلسانه تقوى همته في الذكر
حتى يذكره باللسان مواظبا
عليه حريصا عليه وراغبا فيه
حتى لا يبقى منه جزء والا كان
راغبا في ذكر اللسان فاذا ذكر
بلسانه ونظر بقلبه الى الله
تعالى يرد عليه أحوال يتوهم
العبد انه يزيد ويربو ويعظم
حتى كانه أكبر من كل شئ ثم
يرد عليه من الحق قهر من
الخوف يذهبه به فيمتنع العبد
من أن يذهب ويعظم فيصطلمه
ثم يعيده فاذا أعاده عاد العبد
الى حالة أقوى من الاولى ثم
يرد عليه قهر أعظم من الاول
ولا يزال مترددا بين هذه
الاحوال في الزيادة يرتقي في كل
نفس وكل ساعة حتى يرد عليه
قهر عظيم بعد أن أتى عليه
سنون كثيرة في ذكر اللسان
نفسه فاذا أعاده بعد هذا الفناء
وينقطع عنه ذكر اللسان
يشير
فلا يجد العبد من نفسه شيأ الا من السمع ولا من البصر الا شيأ ضعيفا ثم يصير الذكر الى القلب
فيسمع من قلبه ذكر القلب حتى يتمنى أن يكون في مفازة لان عنده ان الناس يسمعون باذانهم ذكره الذي في قلبه ولا يعلم أن أحدا
غيره ليس يسمع ذلك الذكر ﴿فصل﴾ وابتداء الذكر في الجوارح أن يجد حركة في جوارحه حتى لا يبقى عليه منه جزء من لحمه
وعظمه الا ويجد فيه حركة واختلاجا ثم تقوى تلك الحركات وتلك الاختلاجات حتى تصير أصواتا وكلاما حتى يسمع العبد من جميع
جوارحه وأجزائه أصواتا الا من لسانه فان اللسان لا ينطق في هذه الاحوال والعبد ملازم لهمته لانه يتيقن انه لولاحظ وطلب علم هذه

قرب العبد من الحق الا بعده عن الخلق وهذا من صفة القلوب دون أحكام الظواهر والكون
وقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم بخصائص
التأنيس مختص بالأولياء قال الله تعالى ونحن أقرب اليه منكم وقال ونحن أقرب اليه من
حبل الوريد (وقال) تعالى وهو معكم أين ما كنتم (وقال تعالى) ما يكون من نجوى ثلاثة الا
هو رابعهم ومن تحقق بقرب الحق فادونه دوام مراقبته اياه لان عليه رقيب التقوى ثم عليه رقيب
الحفاظ والوفاء ثم رقيب الحياء ثم قال ورؤية القرب حجاب عن القرب فمن شهد لنفسه محلا
نفسا فهو ممكور به ولهذا قالوا أوحشك الله من قربه أي من شهودك لقربه فان الاستئناس
بقربه من سمات القربة به اذ الحق سبحانه وراء كل انس وان موضع الحقيقة يوجب الدهش
والمحو وقال أيضا ومن المقاطع المشكلة السكون الى استحلاء ما يلاقيك به من فنون تقريبك
وكانه في خلال ما يناجيك يناغيك فانه بكل لطيفة يصافيك ويطربك وتحتها خدع خافية ومن
أدركته السعادة كاشفته بشهود جلاله وجماله لا باثباته في لطيفة أحواله وما يخصه به من
افضاله واقباله انتهى ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حقيقة القرب
ان تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا
منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه قال الشيخ أبو العباس
زروق رضي الله عنه وهذا غاية شهود قرب الحق من عبده ومعنى قرب العبد من مولاه وقال
أيضا القرب على ثلاثة أوجه أحدها قرب الكرامة وذلك يعني توجه عناية الحق للعبد
الذي بساطه مشاهدة احاطة الحق به في جميع أحواله المقتضي لوجود تعظيمه حتى لا يراك
حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك الثاني قرب الاحاطة وذلك من الحق لك بالعلم والقدرة
وكالارادة التي لا تنفك عن آثارها في حال من أحوالك ولا يصح ارتفاعها عن وجودك في كل
شئ منك واليك الثالث قرب المسافة والمراقاة وهذه محالة على الحق سبحانه حسا ومعنى
لأنهما من صفات الحوادث التي تجوز عليها الاعراض وتتقارب في الأوصاف تعالى ربنا عن
ذلك علوا كبيرا اه وقال الشيخ ابو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأوسي ثم
القرطبي الشهير بالقصري رضي الله عنه كلاما في القرب فيه تحقيق قال بعد كلام فاذا أخذ العبد
في ذلك يعني يخلي باطنه من الصفات المهلكات ويحليه بالمنجيات حتى يكون كالمرآة المجلوة
وفرغ قلبه لمولاه فقد قرب مولاه جل جلاله منه لان الخبر قد صح انه قال من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا الخ يعني قرب كرامة لا قرب مسافة فتبين له قرب الله تعالى فيحصل في مقام
أهل العلم بالله تعالى بلا تعلم من خلق بل بتعليم الله وتحليه لقلبه فحينئذ يسمع ما لم يسمع قبل ذلك
ويفهم ما لم يفهم ويحس بقرب الله تعالى منه لانه أقرب الى الروح من حياته والى البصر من
بصره والى كل شئ من نفس ذلك الشئ بقرب لا يليق الا به لا يشبه قرب المخلوقين فحينئذ
لا يقدر العبد ان يشير الى الله تعالى بخاطر ولا فكر ولا أن ينظر اليه بحركة سره الى جهة من
الجهات لانه ليس في جهة ولا مكان وانما هو متجل يراه اليقين بغير حلول ولان الاشارة هو

الاذكار بقي فيها فهو لا ينظر اليها حتى يرقى عنها الى غيرها وهذا بعد أن وقع الذكر الى القلب وأما في حال ذكر اللسان فتكون هذه الحركات والاختلاجات للجوارح ولكن لا بهذه القوة ﴿فصل﴾ في أحوال ذكر القلب يظهر على العبد شئ يجد الحلاوة في فيه وحلقه حتى يقوم له ذلك مقام طعامه وشرابه ويجد العبد منبع ذلك الشراب من أصول أسنانه وهو أحلى من العسل وتبقى أسنانه بعضها على بعض حتى ليشق عليه أن يفتح فاه فيجد هذا الشراب في فيه على هذا الوصف وفي حال هذا

الشراب يقرب العبد من الموت حتى يذوب ويكاد يموت ولا يخاف في هذه الحالة الا من الموت حتى انه اذا بلغ العبد الى هذه الرتبة يهرب ألف رجل من هذه اللذة ولا يهرب واحد من الألف فان هذه اللذة لم تسقط عنه الى حال حتى يهرب من الخلوة لانه اذا خلى ساعة تستولي عليه هذه اللذة حتى يقرب به من الموت فكما ان المبتدي يهرب من الخلق ويؤثر الخلوة فاذا بلغ العبد الى هذا المقام يهرب من هذه اللذة وصاحب هذه الاحوال يقول أنا أهرب من الخلق لهذا الشأن وفي حال هذه اللذة تقوى معرفته ويحتد بصره وبصيرته حتى كانه يسمع وقع أقدام النمل في البداية يتمنى أن لا ينام وفي هذه المسئلة أكثرهم أن يجد المنام ويستريح وعلامة صحة هذه اللذة أن العبد لا يأخذه النوم مادام في هذه المسئلة ولو بقي سنين حتى تضعف هذه المسئلة فحينئذ يجد المنام

﴿فصل﴾ لأهل النهايات مسئلة وهي أنهم يرد على أسرارهم مرة خطاب لا يشكون انه من الحق فيكون مخاطبة باللطف والمناجاة فيجيبه السر

والعبد يسمع من السر الجواب ومن الحق الخطاب ومرة يكون بالهيبة فيسكت السر ثم يجد مرة كلاما ذلك الكلام في نفسه خطاب وهو جواب وليس للعبد فيه شئ يعلم العبد بمعرفته كانه يرى نفسه في النوم انه ليس هو الحق ولا شك ان ذلك كلام الحق فان غاب عن العبد هذه المعرفة اللطيفة وارتفع التمييز فهو جمع الجمع ولذا قال قائلهم أنا الحق وقال أبو يزيد سبحاني ما قال ذلك الا الحق لمحو الاشخاص ﴿فصل﴾ العبد يعرف الخواطر ويميز بينها بان يعرضها على العلم والامر والنهي فان صح على حد العلم فهو صحيح وان لم يصح فهو باطل ثم ألطف من هذه المسئلة وهو انه ربما يكون العبد على حالة شريفة

يشير بها سبحانه وهو أقرب الى الاشارة من الاشارة فيكتفي السر بنظر الله تعالى اليه ويتبرأ هو من نظره وتأمله ويرجع بصر السر من العبد نفسه في نفسه حتى ينسى نفسه بنظر الله تعالى فهو الناظر وحده سبحانه ومن ههنا دخل العارفون الى مقامات من القرب وأسرار من المعرفة لا يحتمل العموم ذكرها البلادة فهمهم وقلة فهمهم وقد تكلم فيها فأنكرت على المتكلمين فيها غير ان الحاصل في هذا المقام بالعلم يعلم ان الأشياء كلها أقرب الى الله تعالى منها كقرب العالم من معلومه فالمعلوم متصور في مرآة العالم بغير حلول ولا ذو ظرف لها فيجب سره للعالم به القائم بمعلومه المحيط به فان تحرك اللسان مثلا بالذكر أو خطر خاطر بالقلب علم ان الله تعالى هو الذاكر وهو المذكور بالحقيقة لانه مجرى الذكر بقدرته وكلامه وهو أقرب الى الذاكر من الذكر وأصل البيت قوله في العوارف ومنها يعني من الأحوال قال الله تعالى واسجد واقترب وقد ورد أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده فالساجد اذا أذيق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب قال بعضهم اني لأجد الحضور فأقول يا الله يارب فأجد ذلك اثقل علي من الجبل قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وانما هي اشارات وملاحظات ومناغاة وملاطفات وهذا الذي وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غاب عن نفسه في نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وأفاق يتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد الى محله ومقامه فيقول يا الله يارب بلسان النفس المطمئنة العائدة الى مقام مناجاتها ومحل عبوديتها والروح يستقل بفتوحه وبكمال الحال عن الأقوال وهذا أتم وأقرب من الأول لانه وفى حق القرب باستقلال الروح بالفتوح وأقام رسم العبودية بعود النفس الى محل الافتقار لا يزال يتوفر العروج باقامة رسم العبودية من النفس وقال الجنيد ان الله يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك وقال أبو يعقوب السوسي مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب فاذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم

قد تحققتك في السر فناجاك لساني •
فاجتمعنا لمعان • وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني
فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دان

(قال ذو النون) ما ازداد أحد من الله قربة الا ازداد هيبة وقال سهل أدنى مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصراباذي باتباع السنة تنال المعرفة وبأداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة اه ثم أشار الى التجريد والتفريد المرتبين على القرب حسبما يظهر ذلك من بيان معناها فقال رضي الله عنه

﴿ولي منه تجريد وتفريد غائب * عن الكسب لا يدري بشفع ولا وتر﴾

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمانية والتجريد والتفريد والتوحيد من الكلمات التي يعبر بها القوم عن مواجيدهم ثم هم مختلفون في ذلك فبعضهم يجعلها مختلفة المعاني كألفاظها وهم الأكثر فقال شيخ الإسلام الهروي رضي الله عنه التجريد الانخلاع عن شهود الشواهد والتفريد اسم لتخليص الاشارة الى الحق ثم بالحق ثم عن الحق والتوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث وقال الشيخ محيي الدين وتبعه الشيخ أبو الحسن الششتري رضي الله عنهما التجريد اماطة الهوى والمكون عن القلب زاد الششتري وهو خلع النعلين والتفريد وقوفك بالحق معك زاد الششتري وهو تفريد الشهود اتصالا وأما صاحب العوارف فسيأتي كلامه ان شاء الله تعالى والضمير في قوله منه للمحبوب أي خصصت من محبوبي بهاتين وقوله تجريد مبتدأ وتفريد معطوف عليه وخبر المبتدأ في المجرور قبله وهو قوله لي ومنه متعلق بالاستقرار العامل في المجرور المخبر به عنه وقوله غائب الخ تفسير للتفريد وأما التجريد فيحتمل ان يقرأ قوله ولي منه تجريد بالتنوين فيكون مغايرا للتفريد وهو الموافق للعوارف ويحتمل ان يقرأ بغير تنوين على أنه مضاف لمثل ما أضيف اليه التفريد أي ولي منه تجريد غائب عن الكسب الخ والأول هو المتبادر من كلامه وجملة لا يدري الخ صفة لغائب والكسب ما يجري على العبد من الأفعال الاختيارية وهي التي يخلقها الله عند صرف العبد قدرته وارادته الى الفعل وأطلقه هنا على كل ما يجري على العبد لقوله لا يدري بشفع ولا وتر والشفع والوتر كنى بهما عن كل ما يجري بالعالم لاستغراق الروح والسر لذلك ﴿يقول﴾ والله أعلم وحظيت من محبوبي بمرتبتين من التوحيد أحدهما تجريد ما يصدر مني من الأفعال عن جميع الأغراض والأعراض والحظوظ واللحوظ بحيث لا أتي بها الا قياما بأوصاف محبوبي ومعروفي حبا لجماله ونعتا لجلاله وقياما بحق كماله وصدقا في العبودية وقياما بحق الربوبية هذا وما اقتضاه وجدي وذوقي في قيامي بحق ربي ولي فيه مستند شرعي فقد أوحى الله الى داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان أود الأوداء الي من عبدني لغير نوال ولكن ليعطي الربوبية حقها وأوحى الله اليه أيضا ومن أظلم ممن عبدني خوفا من ناري أو طمعا في جنتي لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا ان أطاع وقد قدمنا على قوله ولم يبق الا ان تداوم البيت حكاية الطوائف الثلاث الذين مر بهم عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فوجد الأولى تعبد الله خوفا من النار والثانية تعبده رجاء في الجنة والثالثة تعبده لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له وتعظيما لجلاله فقال لهذه أنتم أولياء الله عز وجل حقا معكم أمرت ان أقيم فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر أنه قال للأولين مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال لهؤلاء أنتم المقربون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط الأجرة لم يعمل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروي مرفوعا نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه انه لا يخاف ولا يعصي فالحامل له على ترك المعصية غير الخوف من رجاء وحياء أو هيبة أو خشية أو حب الى

يريد الشيطان ان يرده الى حالة أدنى من تلك الحالة فيخطر بباله تلك الحالة فاذا عرض ذلك الخاطر على العلم والأمر والنهي فقبله فيكون صحيحا ولكن يكون من الشيطان فكيف يعرفه العبد وقل من يعرفه من الناس والجواب عنه انما يعرف العبد ذلك الخاطر بتوحش يعود الى العبد منه وحشة فاذا ورد على القلب ضربه فارجعه كالطعام الذي لا يكون فيه ملح فيعلم بالوحشة والسماجة التي به انه ليس من الحق وانه من الشيطان وان كان عاد الى ما هو طاعة مثل ان يأمر بالحج أو ببر الوالدين وانما قصد ان يروج على العبد برده من الحالة الاعلى الى الحالة الادنى زيادة ودة يتم ويرفع مرا . بهذا المقدار وهذا الخاطر الذي من الشيطان ان يكون ضد الماهو به وربما يصور الشيطان للعبد ان تلك الحالة أعلى من حال العبد ولكن يكون ضد الما به العبد من حيث الاستخلاء والوحشة وان كان الخاطر من الحق وجد السكينة مع ما عليه العبد فيتفقان كشخصين التقيا متفقين في الصفة والهمة فيلتقيان ويتوافقان فان كانا ضدين في الحرفة تراجما كذا العبد اذا كان على خاطر من الحق لما معه من البضاعة ورأس المال اذا ورد عليه خاطر الشيطان ميز بينهما فيجد في نفسه ضدية الوارد عليه والسكينة تميز الضدين بين الوارد من الشيطان وبين جامعه من الحق فتلك الضدية تحكم انها من الشيطان وليست من الحق وهذه الخواطر والأحوال التي ترد على العبد يسمع العبد أصواتا أحلى ما يكون وأحسن ما يكون فانها كانها ألذ وأطرب وأشهى من أصوات الأوتار والمزامير والبربط وكل شئ من صوت حلو حسن ثم هذا الخاطر من الشيطان يكون غير بهذه الحلاوة وربما يكون أتم حلاوة من الذي من الحق في الصورة وهذا الذي من الشيطان يلوح فلا يعود الى العبد منه شئ فاذا لم يكن للعبد من الحق هذه الأحوال وأورد عليه الشيطان لا يشك انها من الله تعالى وانما يعلم أنها من الشيطان للضدية التي يجد بينها وبين ما عنده من الحق ولما يعود عليه من الوحشة فلو لم يكن له شئ من الحق لم يعلم ان هذا من الشيطان أم من الحق ولكن اذا قوي في الذكر فترتب بالتدريج الى سماع هذه الأصوات المؤنسة حينئذ اذا ورد من الشيطان خاطر يجد الضدية بينه وبين

ماعنده من الحق ﴿فصل﴾ مثال المبتدي مع الأحوال كالطير الوحشي اذا جاء فان كان في الانسان حركة وقوة واثر الحياة والحس
نفر منه واستوحش ولا يقع عليه وان سكن الانسان حتى يتوهم الطير انه ميت لا حراك فيه استأنس به ووقع عليه فلا ينفر كذلك
المبتدي في الأحوال يجب ان يسكن حواسه ولا يحرك أنفاسه ولا يحك بدنه ولا يحرك جزأ منه ولا يرد طرفه في الأشياء ويكون
مراعيا لهمته ولا يحرك البتة جزأ من نفسه ولا بدنه ولا من باطنه حتى تبدوله الأحوال مع طول المراعاة ثم يجب

ان لا ينظر اليها ولا الى ما يبدوله البتة لئلا يحجب عنها ولا يزال في المزيد منها ان شاء الله تعالى وهذه الطريق التي هي طريق الله تعالى لابد فيها من خصوص المجاهدة ومقاساة مالا يحتمله الأسماع والقلوب من الشدائد لم يحك لها لانه يؤثر العبد هذه المجاهدات ولكن اذا سلك سبيل الله تعالى تدخل عليه هذه المجاهدات شاء أم أبى ولو كان ذلك بتكلفه لم يصبر عليه العبد الا القليل لكني احيانا في بدء المجاهدة واحوال الذكر لو رمي بي من السماء لكان أيسر واهون من ان أقوم للأكل أو أتحرك للوضوء والفرض لانه كان يغيب عني الذكر فكان يشق علي التقصي عما كنت فيه اوقات الذكر فتدخل علي تلك المجاهدات شئت أم أبيت لئلا ارده الى ما عليه الناس من أحوالهم وكان يجري علي أشياء في أحوال الذكر هي عند قوم كرامات لكنها كانت عندي في ذلك الوقت أشد من الزنا ولو ابتليت بالزنا لكان أهون علي من تلك الأشياء لاني كنت أريد أن لا أنام البتة لئلا غيب عن الذكر لحظة
فكنت أقعد على حجر ناء من جدار عال والحجر قدر ما أضع عليه قدمي وتحتي وادوفي شاهق حتى لا يأخذني النوم فكنت اذا
تنبهت وجدت نفسي نائما مستقلة على ذلك الحجر الصغير على الهواء من غير ان كان تحتي شئ وربما كنت في المسجد أريد ان أدخل
الكوخة فلا أدخل لاجل النظر وأقعد في المسجد واجهد أن لا يأخذني النوم فيأخذني النوم فاذا انتبهت وجدت نفسي في الكوخة
وكنت أرى هذه الأحوال ولكني كنت أعدها غفلات لاني كنت أقول هو هذا يقطعني بالنوم عن الذكر ولا يجعل لي سبيلا الى
النشاط ﴿فصل﴾ المبتدي في ابتداء أمره مجتهد فيتباعد عنه مقصوده من الأحوال كذا أجرى الله سنته حتى اذا عجز العبد وظن وتوهم

غير ذلك لكن قد يعين انه غير الحب ما روي عنه رضي الله عنه انه كان يقول انه يستخرج مني
حبي لربي عز وجل شيأ لا يستخرجه غيره قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه يعني من معاني
الصفات المخوفة والأحوال المرجية على ان هذا الأثر أو الخبر قد قال الشيخ بهاء الدين السبكي
وغيره من المحدثين انه لم يره في كتب الحديث لا مرفوعا ولا موقوفا على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على عمر مع شدة الفحص اه ولكن قد ورد نحوه في سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما
ففي الحلية للحافظ أبي نعيم رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو كان لم يخف الله ما عصاه قال
الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه وممن روي عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من
التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من ربي عز وجل ان أعبده خوفا من العقاب
فأكون مثل العبد السوء ان لم يخف لم يعمل وأستحي ان أعبده لاجل الثواب فأكون كالأجير
السوء ان لم يعط أجره لم يعمل ولكن أعبده محبة له ثم قال وقال الثوري يوما لرابعة لكل عبد
شريطة ولكل عبد حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله عز وجل خوفا من النار
فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فأكون كالأجير السوء ان أعطي عمل ولكني
عبدته حباله وشوقا اليه اه ثم هذا كله لا يقتضي نفي الطلب من الحق سبحانه ما عنده بل
يؤكد لان في عدم الطلب منه اظهار الاستغناء عنه وفي عدم التشوف لما عظمه تحقيرا لما كبره
وقد قال الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذي رضي الله تعالى عنه اذا بدا لك شئ من بوادي
الحق فلا تلتفت معها الى جنة ولا الى نار فاذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظمه الله تعالى وقد
قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله تعالى عنه وتعظيم ما عظمه الله متعين واحتقار ذلك ربما
كان كفرا فلا يصح فهم قولهم ما عبدناه خوفا من ناره ولا طمعا في جنته على الاطلاق لانه اما
احتقار لهما وقد عظمهما الله تعالى فلا يصح احتقارهما من مسلم واما استغناء عنهما ولا غنى
لمؤمن عن بركة مولاه نعم لم يقصدوهما بالعبادة بل عملوا لله لا لشئ وطلبوا منه النجاة من النار
لا بشئ وشاهد ذلك في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله الآية اذ جعلوا علة العمل ارادة وجه
الله تعالى ثم ذكروا خوفهم ورجاءهم مجردا عن ذلك بعد المرتبة الثانية وهي أعلاها وهي
تفريد الحق سبحانه فيما يبدو على قلوبهم من الأفعال ولا تنسب شيأ منها الى النفس مع ما قدمنا
في التجريد على حال من الأحوال ولا تراها مني ولا لي ولا تفريد غائب عن جميع ما يبدو
منه من أفعال وأقوال بشهود مجريها ومنشيها لا يدري بوقوع شئ من الأشياء في العالم ولا
بكيفه رؤيته بوجه ولا يحال الفناء من لم يكن وبقاء من لم يزل ليس له عن سوى الحق اخبار
ولا مع غير الله قرار وأصل البيت قوله في العوارف ومنها يعني من الكلمات المشيرة الى بعض
الأحوال من اصطلاح الصوفية التجريد والتفريد اشارة منهم في التجريد والتفريد الى ان
العبد يتجرد عن الاعراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا الى الاعراض في الدنيا والآخرة
بل كوشف بما من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد ان لا يرى نفسه

ان لايجيء في الطريق منه شيء حينئذ يتداركه الله بفضله فيظهر له الكشف بعد يأسه ولكن في الابتداء كلما ازداد جهدا ازداد الشيء المقصود منه بعدا هكذا كانت سنة الله تعالى معي وفي الابتداء في أحوال الذكر بلغت الى موضع كنت أرى جميع المخلوقات من نقود الأبصار ثم في الانتهاء لما ظهر الحق و بلغ الذكر السر عاد البصر الى مثل أحوال الناس ومن خصوص الأحوال بيني و بين أبي الفوارس اني كنت ليلة من الليالي معه فأخذه النوم وكانت ليلة العيد وأبو الحسن عندي فخطر ببالي لو كان لنا سمن اضفنا اليوم كذا وكذا فقال أبو الحسن في النوم ألق هذا السمن من بدنك أي شيء هذا فكرره ثلاث مرات فأيقظته من النوم وقلت أي شيء تقول فقال لا شيء الا اني كنت أرى في النوم كأنا بموضع رفيع نزه وكأن الحق سبحانه يريد ان يظهر والهيبة وقعت على الناس وأنت معنا ببدنك سمن لا تلقيه وكنت أقول لك ألق السمن من بدنك قال فلما اشتد بي ذكر القلب قال لي أبو الحسن اذهب الى بعض الرساتيق معي ثم مال بي في الطريق وأقعدني على حجر فقال لطبق بين شفتيك وقل خداي فقال قلت واجتهدت حتى لا أفتح الفم فامتلأ في وعاد الذكر الى السر فمن ذلك أجد في سري ان أقول خداي فبعد ما جاوز الخاء ولا يجاوز صار ذكرا ممتدا في الوقت أخذت عني فغبت فلما عدت كان بعد الصلاة فحملني تلك الليلة الى تلك القرية ثم في تلك الليلة ردني الى البلدة وأخذت في النحول حتى صرت عظاما لا لحم على البتة الا جلدة في يوم واحد وليلة ثم سكن عني ذلك ولي سنة ولم أعد الى حالي من قوة النفس ولم يرد علي شيء يزيد في حال أو ينقص منه والله سبحانه وتعالى أعلم هذا آخر الرسالة فانظر وفقك الله لنفسك بنور الله واقتد بمن هدى الله تكن باذن الله في حزب الله ألا ان حزب الله هم الغالبون ولم يترك الشيخ شيأ يحتاج اليه السائرون الى الله الا وقد ذكره صريحا أو ضمنا فلو قلنا لك بمثل هذا ربما توهمته منا انه الاوليس ذلك وانما هو الطريق فقد فهذا حال الشيخ كما تلقاها من قبله ألقاها الى من بعده ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فعليك بالعمل بموجب ذلك والاتيان منه بما استطعت مستعينا بالله على توجهك اليه في طاعتك والله معك وقد أجزتك أيها المصان بذلك جعل الله لك

فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنفي الأغيار والتفريد بنفي نفسه لاستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه ثم صرح بما تضمنت هذه الحالة من الغيبة فقال رضي الله تعالى عنه

﴿وها أنا منه حاضر غير غائب ✽ ولي غيبة بالحق عن كل ما يجري﴾

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمانية والغيبة عدم الاشعار بالخلق والحضور حضور الحق بالقلب هذا معناها بتقريب وها حرف تنبيه وايقاظ للمخاطب وانا مبتدأ وحاضر خبره ومن في قوله منه بمعنى الباء أي حاضر به مشاهد له وغير غائب ولا غافل عنه ولي غيبة بالحق الخ مبتدأ وخبر ويقع في بعض النسخ وفي غيبة بمعنى بدل لي وعليه فهو خبر ثالث عن المبتدا معطوف على ما قبله من الاخبار والحق من أسمائه تعالى وتقدس وقد تقدم وقوله عن كل ما يجري اي عن كل ما يجري من أحوال الخلق ﴿يقول﴾ والله أعلم وها أنا حاضر بمحبوبي ومشاهد له غير غائب عنه ولا محجوب ولا ساه ولا غافل ولي غيبة بالحق تعالى وتقدس واستغراق في شهوده واستهلاك بالكلية فيه عن كل ما يجري علي وعلى الخلق من الافعال والاقوال فلا علم لي ولا عقل ولا فهم ولا حس قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه فالغيبة غيبة القلب على علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر في ثواب أو تفكر في عقاب كما روي ان الربيع بن خثيم رضي الله عنه كان يذهب الى ابن مسعود رضي الله عنه فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة بالكير فغشي عليه ولم يفق الى الغد فلما أفاق سئل عن ذلك فقال تذكرت أهل النار في النار فهذه غيبة زادت على حدها حتى صارت غشية وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنه انه كان في سجوده فوقع حريق في داره فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال ألهتني النار الكبرى عن هذه وربما تكون الغيبة عن احساسه بمعنى يكاشف به من الحق سبحانه ثم انهم مختلفون في ذلك على حسب أحوالهم ومن المشهور ان ابتداء حال أبي حفص النيسابوري الحداد رحمه الله في ترك الحرفة انه كان على حانوته فقرأ قارئ آية من القرآن فورد على أبي حفص وارد تغافل به عن احساسه فأدخل يده في النار فأخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذه ذلك فقال يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص الى ما ظهر عليه فترك الحرفة وقام من حانوته وكان الجنيد قاعدا وعنده امرأته فدخل الشبلي فأرادت امرأته أن تستتر فقال لها الجنيد لا خبر للشبلي عنك فلم يزل يكلمه الجنيد حتى بكى الشبلي فلما أخذ في البكاء قال الجنيد لامرأته استتري فقد أفاق الشبلي من غيبته وقال قبل هذا سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يذكر باسناده ان أبا عقال المقري رحمه الله أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب الى ان مات ودخل بعض الفقراء على أبي عقال المقري فقال له سلام عليكم فقال أبو عقال وعليكم السلام فقال الرجل أنا فلان فقال أبو عقال أنت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب عن حالته قال هذا الرجل فقلت سلام عليكم فقال عليكم السلام كأنه لم يرني قط فقلت أنا فلان فقال أنت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب كأنه لم يرني فقلت مثل هذا غير مرة فعلمت ان الرجل غائب فتركته وخرجت ثم قال وأما الحضور

فقـد يكون حاضرا بالحق لانه اذا غاب عن الخلق حضر بالحق عـلى معـنى ان يكون كانه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه وهو حاضر بقلبه بين يدى ربه تعالى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب بالـكلية يكون الحضور عـلى حسب الغيبة فاذا قيل فلان حاضر فمعناه انه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا فى حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه بها وقد يقال لرجوع العبد الى احساسه باحوال نفسه وأحوال الخلق انه حضر أى رجع من غيبته فهـذا يكون حاضرا بالخلق والاول حضور بحق وقد تختلف أحوالهـم فى الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته ومنهم من تدوم غيبته فقول الناظم بالحق اشارة الى القسم الثالث من أقسام الغيبة الذى ذكر الاستاذ أبو القاسم وأن غيبته ليست لموجب رغبة أو رهبـة ومقتضيات الخوف والرجاء كما قدمنا فى غيبة صاحب مقام علم اليقين وانما كانت لما فاجأه من أمر الحق وكاشفه به من التجلى وأصل البيت قوله فى العوارف ومنها يعنى من الـكلمات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية الغيبة والشهود فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهـدة فما دام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر فاذا انعـدم حال المشاهـدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبـة عن الاشـياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا الى مقام الفناء اهـ ثم أشار الى ما تضمنت هذه الدائرة من الجمع فقال رضى الله عنه

﴿ وانى به فى عين جمع فان أقف ۞ لديه بلا فرق فانى فى خسر ﴾

هذا البيت أيضا على طريق الترجمانيـة وقوله انى به أى معه فباؤه للمصاحبة والضمير للمحبوب وفى عين الجمع متعلق بمحذوف واجب الحذف على انه حال من اسم ان والتقدير وانى مع محبوبى حالة كونى كائنا فى عـين الجمع ويحتمـل أيضا ان تكون الباء سببية والضمير لهـذه الاحوال المتقدمة برعايته ما ذكر أى وانى بسبب ما ذكر فى عـين الجمع وعين الجمع شـهود حق بلا خلق ولمـا كان خوض بحر عين الجمع من بديع الرتب وكان الوقوف فيـه دون الخروج الى ساحـل جمع الجمع عين العطب أشار فى صدر البيت بعرفه ببسانة الـكلام مساق الفرح بحلوله وحذر فى عجزه من ورطة من لم يخرج منه بعـد دخوله فقـد جمع فى بيت واحـد معنين لا يقدر على الجمع بينهـما فيه الا مهاسرة الفصحاء كالجمع بين التهنئـة والتعزية والبشارة والنذارة وما أشـبه ذلك ﴿ يقول ﴾ والله أعلم وانى مع محبوبى حالة كونى كائنا فى مقام عين الجمع قد أخذنى الحق وجذبنى اليه ولم يبق فى متسع لغيره وصرت مستغرق الشهود وانحل بذلك الشهود الجمع فى نظرى ارتباط المسببات بالاسباب فان أقف عند هذا الشهود الجمعى بلا فرق وهو أى الفرق شهود الخلق ورؤية النسبة لهم فى الاحوال وترتيب المسببات على الاسباب والرجوع الى الحكمة والاكتساب حتى يكون الجمع فى باطنى مشـهودا والفرق على ظاهرى موجودا وانى فى خسر وضلال لان ذلك يؤل بى الى الزندقة والخروج من ربقة العبودية والعياذ بالله قال الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الرزاق القاشانى رحمـه الله الجمع ازالة الشعث والتفرقة بين الحـدث لانه لمـا انجذبت بصـيرة الروح الى

من هملك فرجا ومن ضيقك مخرجا والحمد لله أولا وآخرا ظاهرا وباطنا حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده بجميع محامده ما علمت منها ومالم أعلم على نعمـه كلها ما علمت منها ومالم أعلم اللهم ما أصبح بنا وأمسى ودام واستمر من نعمة أو بأحد من خلقـك متقدما أو متأخرا علويا كان أو سفليا ملكيا أو انسيا أو جنيا أو روحانيا فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد على ذلك كله ولك الشكر عنا أجمعين فتقبل منا انك أنت السميع العليم وتب علينا انك أنت التواب الرحيم وانفعنا بما علمتنا واجعله حجة لنا عندك ولا تجعله حجة علينا واخواننا أجمعين والمسلمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اهـ ما نقلناه من كلام سـيدى الشيخ أحمد القشاشى رضى الله تعالى عنـه وهو فى غاية النفاسـة فى هـذا الباب لمن أراد الوصول الى حضرة الملك الوهاب ثم اعلم أيها الأخ المصان ان القـوم رضى الله تعالى عنهم لما كان جـل قصدهم ذكر الله والعكوف عليه فى سائر أوقاتهم وساعاتهم ولحظاتهم وأنفاسهم أوجب لهـم ذلك اشـتعال أنواره فى بواطنهم وأجسادهم فجعـلوا حلقـة الذكر والجهر به دواء لدائهـم وسببا لنشاطهـم واسترواحا لقلوبهـم وزيادة على السير الى مقصودهـم ولسريان المدد بينهـم وجمع همهم على محبوبهـم وطردا لداء الكسل والفتور والنوم وسدا لباب الغفلة الموجبـة للمعاصى والمباينة لما عليـه القوم جعلوا لحلقـة الذكر الجهرى كيفية وشروطا وآدابا فاما كيفيـة الذكر الجهـرى هو ان يتحلق الاخوان حلقة محكمة لا يكون فى خـلالهـا فرج بحيث ان لا يتباعـد الاخ عن أخيه مقدار ما يسع رجـلا آخر لئـلا يدخل الشيطان بينهم وليكون المدد جاريا فى جدول الحلقة المتصلة بعضها فى بعض وليحصل الايقاظ لبعضهم بعضا فان من شأن الفقراء المتوجهين بقلوبهم الى الله تعالى سهر غالب الليل فى ذكر الله عز وجـل فربما أخذ بعضهم النوم عنـد اجتماعهم لقراءة الوظيفة والصلوات الناوتيـة فيفوته بركتها أو من شدة غلبة النوم يخربط فى ألفاظها أو يلحن بل ينبغى للفقير اذا حصل له شعور بان أخاه الذى بجنبه ظهر عليـه أثر النعاس أو لم يسمع له صوت القراءة الذى كان يعتاده من أخيـه ينبهـه برفق دون ازعاج فاذا تمت قراءة

الوظيفة والصلاة الياقوتية التى ألفها أستاذنا رضى الله تعالى عنه يقرأ الشيخ ان كان حاضرا أو المقدم من طرفه الفاتحة لحضرة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم واخوانه من الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين الأكرمين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وذريته المباركين والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين والأربعة الأئمة المجتهدين ومقلديهم أجمعين ثم فاتحة ثانية الى حضرة امام الطريقة العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ أبى الحسن الشاذلى قدس سره والى أصوله وفروعه وأهل سلسلته والشيخ الذى تلقى عنه الطريقة وكافة أولياء الله تعالى سيما الغوث الفرد الجامع صاحب الوقت والامامين والسبعة الأقطاب وأهل الديوان وأهل النوبة والعلماء العاملين والفقهاء والمحدثين وكافة المشايخ والوالدين والاخوان والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ثم يستأذن بقلبه فى الشروع بالذكر قائلا لا اله الا الله بكيفية مخصوصة معهودة لديهم بلا عدد وبلا خلال مغير للاسم الشريف مع تنقل من هيئة الى أخرى على حسب قاعدتهم المعروفة لديهم ثم بعد الاستغراق فى التهليل ينقلهم الى الاسم المفرد مع مراعاته من خلل يدخل فيه ويلزم المقدم ان يرد باله الى أهل الحلقة لئلا يغيروا شيأ من حروف الاسم الشريف حتى يأتوا به على وجه الكمال وينقلهم فيه على حسب القاعدة المصطلحة عندهم حتى يستغرقوا فيه ويتمكن امنه ويتمكن منهم ثم ينقلهم الى اسم الصدر وهو ان تذكر الله بصدرك ويكون نطقك بالألف والهاء وصورته هكذا آه وتحضر الحق سبحانه بقلبك فاذا مثله تمكن هذا الذكر من صاحبه صمت اللسان وذكرت جميع الجوارح من حيث صدره فانه يكر بصدره مثل كر الأسد ورأيت فى رسالة لشيخ مشايخنا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ زروق رضى الله تعالى عنه فى ذكر اسم الصدر ما نصه قال الشيخ الامام العالم العلامة القطب سيدى محمد المغربى قال كنت سائرا فى البرية والآفاق فوجدت الشيخ أبا العباس المرسى رضى الله تعالى عنه هو وأصحابه يذكرون الله تعالى بصدورهم دون ألسنتهم يكرون مثل السباع فقلت لهم ما هذا الذكر فقالوا هذا ذكر أهل

مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الاشياء فى غلبة نور الذات القديمة وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجىء الحق وتسمى هذه الجذبة جمعا ثم اذا انسدل حجاب العزة على وجه الذات وعلا الروح الى عالم الخلق ظهر نور العقل لبعد الروح عن الذات وعاد التمييز بين القدم والحدوث وتسمى هذه الحالة تفرقة ثم قال والجمع الصرف يورث الزندقة والالحاد ويحكم برفع أحكام الظاهر كما ان التفرقة المحضة تقتضى تعطيل الفاعل المطلق والجمع مع التفرقة يفيد حقيقة التوحيد والتمييز بين أحكام الربوبية والعبودية ولهذا قالت الصوفية الجمع بلا تفرقة زندقة والتفرقة بلا جمع تعطيل والجمع مع التفرقة توحيد وأصل البيت قوله فى العوارف فى باب شرح كلمات مشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية قولهم الجمع والتفرقة قيل أصل الجمع التفرقة قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولو العلم وقوله تعالى آمنا بالله جمع ثم فرق بقوله وما أنزل الينا والجمع أصل التفرقة ﴿فرع﴾ فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته فى البشرية تفرقة وقيل جمعهم فى المعرفة وفرقهم فى الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم فى ذلك كثيرة والمقصود انهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة ويقولون فلان فى عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فان ما عاد الى شىء من أعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع حاصله الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله ولا بد منهما جميعا قال المزين الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم وادعوا انهم فى عين الجمع وأشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب وما دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة وقال الواسطى اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت الى ربك جمعت واذا كنت قائما بغيرك فانت فان بلا جمع ولا تفرقة وقيل جمعهم بذاته وفرقهم فى صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة انه اذا أثبت لنفسه كسبا ونظر الى أعماله فهو فى التفرقة واذا أثبت الاشياء بالحق فهو فى الجمع ومجموع الاشارات تنبه ان المكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق فالتفرقة عبودى والجمع توحيدى فاذا ثبتت طاعته نظر الى كسبه فرق واذا انتهى بالله جمع واذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن ان يقال رؤية الافعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع اه واعلم ان مقام عين الجمع كما تقدم محل خطر عظيم ان لم يكن تأييد من الفضل العميم لانه شهود حق بلا خلق والشرب فيه غاية المحو ومحل السكر والشراب هو مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال حسبما قاله الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه كما قدمنا ذلك عند قوله وللكل من كاس المحبة البيت وهذا الاتحاد يخرج عن حد الاعتدال الى الانحراف ويميل الى نهاية الاعتساف فان صحب

الحقيقة ثم هب على نسيمهم حتى سكرت منه وأنا فى ذلك السكر أتانى النبى صلى الله عليه وسلم والسيد الخضر عليه السلام فقالا لى يا محمد هذا ذكر ملائكة الرحمن أتاهم الهام من ربهم وهو ذكر أهل الفراسة الصحيحة أذكر به لا تنكر على أهله فانهم على حد من حدود ربهم ومن أنكر عليهم فقد أنكر الحق وأهله ثم أخذت ذلك الذكر منهم وذكرت به وقلت للناس به وكانوا يجتمعون على هذا الذكر حلقا حلقا ووجدنا به خيرا كثيرا وفتحا عظيما أشق الاشياء الذين يذكرون على هذا الذكر وقال الشيخ داود رحمه الله تعالى لأخيه الشيخ أبى عمران رضى الله تعالى عنه ما هذا الذكر فقال هذا الذكر ذكر أهل المحبة الصادقة فى المحبوب فانه لا تغفل الجوارح منه وان غفلت فلا يتركه الصدر لانه مسكنه وأخذ هذا الذكر من الصوفية وأهل الفتح وهو سبب الفتح وحياة القلب وروى عن الشيخ أن جميع الجوارح تذكر الله تعالى وان غفل اللسان فلا يتركه الصدر فانه تمكن من القلب وعم الجوارح وروى عن الشيخ أبى عمران أنه قال وجدت شيخا من الصوفية بحلقة عظيمة قائم وسط الحلقة وجميع من فى الحلقة يذكرون بصدورهم دون ألسنتهم يكرون مثل السباع صدورهم لها أصوات عالية فلما قربت منهم سمعت مناديا ينادى غفرت ذنوبكم ولو كانت مثل زبد البحر من كان منكم لا يشقى أبدا فقال الشيخ أبو عمران الحمد لله الذى هدانا على هؤلاء القوم انتهى من الرسالة الزروقية وينبغى للمقدم فى الحضرة ان يراعى أحوال الاخوان وحركاتهم وميزانهم وانشادهم وينبغى للنشدان يأتى بالانشاد الذى يناسب حال الحضرة من الخفة والثقل وما يناسب الحال والوقت من التشويق الى المذكور حتى يغيبهم عن أنفسهم بالمذكور اذ هو المقصود لان بذلك يطيب لهم الوقت ويصفو لهم الحال كما أشار الى ذلك سيدى الشيخ أبو مدين الغوث رضى الله تعالى عنه بقوله

فانا اذا طبنا وطابت نفوسنا • وخامرنا خمر الحبيب تهتكنا
فلا تلم السكران فى حال سكره • فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

وبعد تمام الحضرة يقرأ أحسنهم صوتا وتجويدا عشرا من القرآن المجيد تبركا بكتاب الله تعالى وترويحا للقلوب ثم بعد ذلك يأتى المنشدون بسماع يتروحون به وتتسع به أحوالهم وتتقوى به محبتهم

مثله وخروجه عن حد الاعتقاد كان جبرا محضا وان اخى الاحوال كان جماعة وان اقترن بالاعمال كان ٧ وجحت حقيقته وصار أو مازج الاقوال فهو عين الاتحاد قاله مولاى لولد رضى الله عنه وحله بلفظه وذلك فى كلامه على ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الشيخ لمن لم يجده وعلى عدم صحة تشييخ الميت لمن وجد الحى فلهذا نبه على الاعتقاد عقب هذا البيت فقال رضى الله تعالى عنه

﴿وان اعتقاد الاتحاد جهالة • فسل عنه من يدريه ان كنت لا تدرى﴾

الاعتقاد تقدم والاتحاد لغة صيرورة الذاتين أو الذوات ذاتا واحدة وهو المراد هنا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعتقاده ايمان والاتحاد مضاف اليه ما قبله وجهالة خبران وقوله فسل عنه من يدريه الخ الظاهر ان ضمير عنه ويدريه عائد لاقرب مذكور وهو الاتحاد وقد يحتمل ان يكون المراد منه فسل عن جانب الربوبية ولازم الالوهية من يدريه ان كان معك جهل به فيتضح لك فساد تجويز الاتحاد عليه وقد يحتمل أيضا أن يكون معناه فسل عن معنى عين الجمع وما المراد به فى اطلاق القوم حتى تعلم ان من ظن أن معناه عندهم يرجع لشئ من معانى الاتحاد فذلك فيه جهالة وغرة عظيمة وقد يحتمل أيضا ان يعود لهما معا أو لمجموع الثالث بتأويل ما ذكر وهو أعم فائدة ولا شك ان الجمع واد ينصب الى بحر التوحيد وهو مزلة أقدام الرجال وموضع اغترار الجهال بجهلهم الكلمات الواقعة من الاكابر المحققين بالفناء فى التوحيد على ظاهرها فيعتقدون الاتحاد والحلول وفى بعض النسخ فسل عنه من يدريه اذا كنت لا تدرى وهو بمعنى الأخرى ﴿يقول﴾ والله أعلم وان اعتقاد الاتحاد على المعنى اللغوى المذكور والاغترار فى ذلك بظاهر ما وقع لمن يحسن بهم الظن كما هو مسطور جهالة من معتقده وخلاف للحق عقلا ونقلا فانه يؤدى لنفى الالوهية رأسا كما نبينه ان شاء الله فسل عن الاتحاد من يدريه ان كنت جاهلا لبينه لك فيتبين لك جهالة اعتقاده فى جانب الالوهية وذلك لان الاتحاد بالمعنى المذكور محال مطلقا فى حق المولى تعالى وتقدس وفى حق غيره لانه لو اتحد ذاتان بهذا الاعتبار فاما ان يكونا موجودين أو معدومين أو احدهما موجود والآخر معدوم والتالى باطل بجميع أقسامه فالمقدم مثله أما الملازمة فضرورة الحصر وأما بطلان التالى فلانه ان كانا موجودين فاما بوجود واحد وهوية واحدة أو بوجودين وهويتين فان كان الثانى فلا اتحاد ضرورة افراد كل واحد منهما فتعينه وهويته وان كان الاول لزم حصول الشئ الواحد بالتشخص فى وجودين ان كان الوجود زائدا أو تعدد الواحد من حيث هو واحد ان كان الوجود ليس بزائد وان كانا معدومين فلا اتحاد ضرورة قطعا على ذلك التقدير وحصول ثالث لانعدامهما أو لانعدامهما وكذلك ان كان أحدهما موجودا لانه اعدام لاحدهما وابقاء للآخر ثم أشار الى دليل امتناع الاتحاد بالحق تعالى خصوصا فقال رضى الله عنه

﴿اذا كان من لا تقبل الضد ذاته • محال محال ان يرى قابل الضير﴾

اذا هنا للتحقيق والكثير كونها للاستقبال وقد تكون للمضى بمعنى اذ كقوله تعالى واذا رأوا

وتتلون به وارداتهم وتصفو به أوقاتهم كما قال بعضهم واصفا حالهم حين ماهبت عليه نسمات عطريات أحوالهم

اذا ذكر الحبيب ونحن جمع * ترى كلا له حال عراه
فمنا من تمايل باهتزاز * ومنا من تساقط من علاه
ومنا من يذوب كمثل شمع * لان جمر المحبة قد سلاه
ومنا من ينادي عل عزمه * باالهي ياهو ياهو

ثم بعد تمام السماع يذكر بهم المقدم التهليل المعتاد عندهم بالكيفية المخصوصة لديهم ثم يتذاكرون فيما بينهم في أسرار الطريق وآدابها وأسباب الشوق الموصل الى مقام الذوق وتكون المذاكرة بينهم بالموافقة والمناوبة ولا يسدوا أحدا منهم كلاما حتى يتم أخوه وارده وآداب المذاكرة موجودة في المباحث الاصلية وقد نبهنا عليها بقوله

وانصتوا عند المذاكرات
واحترموا الماضي معا والآتي
وسألوا الشيوخ عما جهلوا
ووقفوا من دون مالم يصلوا
وعملوا بكل ماقد علموا
وآثروا واغتفروا واحتشموا
واحتكموا بالعدل والانصاف
فوردوا كل معين صاف

وقد قال شيخ شيوخنا سيدي الشيخ مولاي على الجمل رضى الله تعالى عنه تعلم المذاكرة كتعلم الرماية فلابد ان يرمى الشاره فتارة امامها وتارة قدامها حتى يصادفها أو كلام هذا معناه ثم بعد صفاء المذاكرة بينهم يذكر بهم المقدم التهليل ثم يقومون للمصافحة وأما شروطها أى حلقة الذكر وآدابها الحالية أى التى حال ذكر الحلقة القبلية والبعدية أى التى قبل الشروع فيها والتى بعدها فاما التى قبلها فاعظمها الطهارة الكاملة باطنا وظاهرا بقدر الاستطاعة وطهارة المكان والثياب والحلق بحيث ان لان الفقير يلصق جنبه بجنب أخيه لحكمة ماقدمناه وان يكون مغمضا عيناه ويلقي باله لانتقال الشيخ أو نقيبه من هيئة الى هيئة أخرى لأجل وزن الحضرة وآكدها موافقة الاخوان على كل حال وأما الحالية فان من آدابها شرطا محتما مؤكدا اذ هو عمدتها وروحها ان لا يدخلها الا واحد ولا يتعدد فقط بحيث يدخل هذا ويخرج هذا اذ في ذلك تفترها وتحريم لقاعدتها وشرط الواحد الداخل فيها ان تكون له قوة المعرفة لا قوة الحال فان تقوت أنوارها حتى يكاد يقع المحق لأهلها فترها بسياسته وسطوة همته وان

تجارة أو لهوا انفضوا اليها وكقوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك وهى هنا كذلك واسم كان ضمير عائد الى ما يفهم من السياق وهو الحق سبحانه وما موصولة وهى خبر مبتدا مضمر لدلالة المعنى عليه والند مفعول تقبل واطلاقه هنا بالمعنى اللغوى وهو المنافى مطلقا وذاته فاعل تقبل وبحال متعلق به ومحال الخ جواب اذا حذف منه الفاء لضرورة الوزن وان يرى مجهول ومفعوله الثانى قابل الضير وفى بعض النسخ الضر والمعنى واحد وقوله أن يرى الخ فى تأويل المبتدا ومحال خبره مقدم عليه وال فى الضير أو الضر معاقبة للضمير العائد للاتحاد ﴿يقول﴾ والله أعلم واذا ثبت وتيقن بالنقول العقلية والدلائل السمعية ان الحق سبحانه وتعالى منزه مقدس عن ان تقبل ذاته العلية شيأ مما ينافى ثبوت الالهية له فرؤيته قابلا لضرورة الاتحاد محال غير متصور فى العقل أصلا لانه مما ينافى ويضاد كونه الها بل هو غير متعقل ثبوته أصلا حسبما قدمنا فى البيت قبله وقد قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال الشيخ أبو عبد الله البكى رضى الله عنه محال ان يتحد بغيره والا خرج العبد من طوره وذهب تعينه الذاتى وارتفع افتقاره النفسانى بل كيف يكون الاتحاد بالغير والغير معدوم من ذاته لولا تجلى الحق عليه من حيث صفاته بالجملة فمحال محال ان يتحدا الموجود مع المعدوم والحادث مع من له وجوب القدم بل محال ان يتحد النور بالظلمة وكيف لا والنور يذهب بالظلمة ووجود الواجب نور ووجود الكون ظلمة قال تعالى كل شئ هالك الا وجهه ومحال ان يتحد الحق بالباطل اذ الحق ثابت والباطل ذاهب قال عليه السلام ألا كل شئ ما خلا الله باطل اه ولما ذكر ان اعتقاد الاتحاد جهل ومن وجه استحالته على الحق سبحانه ووجه كونه جهالة بقوله اذا كان الخ ذكر نتيجة ذلك فقال رضى الله عنه

﴿فليس يجيز الاتحاد بربه * سوى فاقد العقل أو جاهل غمر﴾

الفاء نتيجة عما قبلها لكنه كما قدمنا فى المقدمة من انه لما ذكر ان اعتقاد الاتحاد جهالة وبرهن على استحالته ذلك ذكر نتيجة ذلك فى هذا البيت قائلا انه لا يجوز الاتحاد بربه الا من كان فاقدا للعقل رأسا أو جاهلا متورطا فى الجهل غاية لم يفارق البهائم وسائر الحيوان الا فى الصوت المنقطع من اللسان واعلم ان العقل عقلان غريزى وهبى وتجريبى كسبى فالوهبى هو الذى تفضل به الحق سبحانه بلا تعمل من العبد ولا تسبب وهو كالاساس للكسبى وهو الذى قال فيه الحارث ابن أسد المحاسبى رضى الله عنه هو غريزة يتهيأ بها درك العلوم والكسبى هو الذى للعبد فيه تسبب بمطالعة الاشياء وتجريب الامور ومن كلام العامة كل محنة تزيد عقلا فأشار الناظم بقوله فاقد العقل الى فقد العقل الوهبى المستلزم لفقد الكسبى ضرورة نفى الفرع اذا نفى أصله كما أشار الى ذلك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه بقوله

العقل عقلان * مطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع ضوء الشمس * وضوء العين ممنوع

وأشار بقوله أو جاهل غمر الى ان من عنده نبذة من الوهبى لا شئ معه من الكسبى التجريبى

ضعفت أنوارها حتى يكاد يقع الملل والكسل لاهلها اقواها ونشطها بعناية ربانية ومنها ان لا يكون المنشدون خلف صفها بل يكونون في صفها أو في وسطها كما رأيت أستاذي رضي الله تعالى عنه يفعل ذلك بنفسه ويأمر بذلك وان أنشد المنشدون خلفها فلا بأس أو كان ذلك يؤدي الى قوتها في بعض الاحيان اذا المنشدون روحها أو مددها أو قوتها ومنها ان لا يطولوا اذا كان هناك عذر لاسيما في ليالي الصيف لخوف فوات فريضة الصبح مع الجماعة أو أيام المواسم بالنظر لاحوال المتسببين ومنها أيضا ان يستحضر بروحون بالانشاد ماشاء الله فان كان لهم نشاط ورغبة في الذكر يجددهم حضرة مالم يخرجهم عن وقت فريضة ولا يسرعوا بتجديد الذكر وقت السماع مالم يكن مغلوبا عليهم فاذا غلب الحال لا بأس حينئذ بالاسراع وأما التي بعدها أي الآداب التي بعد الحضرة فمنها انه اذا ختم الشيخ بهم ان لا يسارعوا بالجلوس قبله الا اذا أذن أو جلس فحينئذ يجلسون مع الادب والتعظيم ومنها ان يرموا انفاسهم أي يحبسوها على قدر الطاقة لاجل واردا لغيبا بأي عقب الذكر يختطفهم منهم ويسلبهم عنهم ويغيبهم بربهم لان تلك الساعة المكان مهيأ للوارد الالهي بسبب نورانية الذكر الحاصلة من الحلقة ومنها ان يغمضوا على تغميض أعينهم لان ذلك أقوى لجمع قلوبهم وهمتهم ماداموا سالكين لحضرة المشاهدة والعيان ومنها ان يتركوا شرب الماء لئلا يطفي حرارة الذكر ونورانيته وخوفا من ضرره في الجسم بعد تلك الحرارة والنورانية ومنها عدم التكلم بما لا فائدة فيه خصوصا كلام الدنيا المغاير لحالة الذاكرين فان الفقير الصادق يكثر حرصه على حياة قلبه ويخاف من دخول الظلام عليه بسبب تعاطيه مالا يعنيه بل الواجب عليه ان يكثر من الصمت والحياء وينظر ماذا اكتسبه من مجالسة الحق سبحانه وتعالى ومنها ان لا يرفعوا أصواتهم وقت المصافحة فان ذلك يخل بالادب ويشعر بعدم الحضور فان من كان في حضرة الله تبارك وتعالى وخرج منها لا يخرج الا وعليه من آثارها وجلالها وبركاتها وأنوارها وأسرارها ما تعجز عن وصفه أهل العقول السليمة فالحمد لله على ما أولانا وأولانا سبحانه وتعالى وتفضل علينا كرما منه ورحمة من الالفة في الله والجمع دائما على الله تعالى وتكرار مجالسته سبحانه وتعالى بالذكر والمذاكرة التي هي من أوصاف أهل الله تعالى جعلنا الله تعالى على آثارهم الى لقائه بمحض فضله ورحمته آمين

﴿الباب السابع﴾ في أدب الفقير في نفسه وبيان صدقه وكذبه ليدخل على شيخه على أساس قوي قال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في النفحات القدسية اعلم رحمك الله تعالى ان حكم المريد في ابتداء أمره حكم النواة الكامن فيها النخلة من حيث الصدق والكذب فان كان صادقا في ارادته تفرعت تلك الشجرة التي

لان الغمر وزان قبل هو الذي لم يجرب الامور ولا خبر شيأ منها ويحتمل هذا البيت والذي قبله وجها آخر غير ماقدمناه فيهما وهو ان تكون اذا من قوله اذا كان من لا تقبل الضد ذاته على بابها الاغلب فيها من الاستقبال واسم كان جملة من لا تقبل الضد ذاته محال وخبره جملة رؤيته قابل الضد محال وقوله فليس يجيز الاتحاد الخ جواب اذا ويكون في الكلام التضمين وهو عند أهل العروض ان يتوقف البيت على ما بعده في افادة المعنى الذي قصد به بان لا يتم الا بما بعده وتقدير الكلام على هذا المحل اذا كان الشيء الذي لا تقبل ذاته الضد محالا من الاحوال رؤيته قابلا لوجه من وجوه الضر فليس يجيز الاتحاد به الا فاقد العقل رأسا أو جاهل متورط في الجهالة غايته لان من الضروري ان ذاته تعالى لا تقبل شيأ مما يضاد ألوهيته وينافيها ومن الضروري أيضا ان الاتحاد من وجوه الضر اذ على تقدير تصوره يردفه اخراج الشيء عن هيئته بخلطه مع غيره وجعلهما شيأ واحدا واعلم انه وقع من الكلمات المشيرة بظاهرها الى الاتحاد على لسان الشيوخ كأنا الحق كما وقع للحلاج وسبحاني ما أعظم شاني وأنا هو كما وقع لابي يزيد رضي الله عنه ونحو ذلك فليس ذلك على معنى ما قدمناه من معنى الاتحاد الذي لا يصح في حق المخلوقين فكيف برب العالمين اذ ذاك غير مظنون بعاقل فضلا عن المتميزين بخصائص المكاشفات وانما تلك الكلمات صدرت منهم في حال كونهم مأخوذين عن نفوسهم معزولين عن مقتضيات رسومهم مجذوبين عن حسهم قد اضمحل رسمهم ولم يبق الا اسمهم فاخذهم وسلبهم وجذبهم المفني لهم عنهم حتى لم يكن لهم خبر عنهم هو المجري لالسانهم كما صرح بذلك أبو يزيد رضي الله عنه لما انكر عليه قوله سبحاني ما أعظم شاني فيما ذكر عنه الشيخ أبو محمد عبد السلام المقدسي رضي الله عنه فقال أبو يزيد الحق سبح نفسه على لسان عبده فان الحق اذا أحب عبدا أبدى عليه بادية منه فغيبه به عنه ويكون البادي هو الناطق على لسانه اهـ وقد قال الامام أبو حامد رضي الله عنه العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا فلم يكن عندهم الا الله فسكروا سكرا رفع به سلطان عقولهم فقال بعضهم أنا الحق وقال الآخر سبحاني ما أعظم شاني وقال آخر ما في الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الارض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل

كانت كامنة وأثمرت حتى تشرف على جميع بلده أواقليمه ولوان صاحبها أراد كتمان صدقه وصلاحه لايقدر بل يشهدله بالصلاح كل مؤمن من خاص وعام وان كان كاذبافى ارادته للطريق تفرعت شجرة كذبه وغشه حتى أشرفت على جميع بلده أواقليمه وافتضح ولوانه أراد ستر كذبه وعدم صدقه لايقدر بل يصير جميع الناس يشهدون بكذبه وعدم صدقه من خاص وعام فالصادق فى ابتدائه لاتعده خبرة الصدق الاصدقا والكاذب لاتعده خبرة كذبه الا كذبا حتى ترفضه الطريق وتلفظه بفسقة العوام حتى لايبقى فيه من آداب الطريق رائحة بل يكذبه على الله تعالى وهذا الامر قد كثر فى هذا الزمان فلا حول ولاقوة الابالله العلى العظيم ثم قال واعلم ياأخى ان استقصاء جميع آداب المريد يعسر ضبطه فى عبارة ولكن نذكر لك منها طرفا صالحا ان شاءالله تعالى ملتقطا من كلام أهل الطريق رضى الله تعالى عنهم اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق من شأنه ان لايدخل فى عهد أهل الطريق الا بعد حصول التوبة النصوح فان المصرعلى ارتكاب المخالفات وعلى أكل الشهوات وعلى الركون الى الراحات لاينتج على يدى شيخ ولو كان أكمل أهل زمانه وضابط التوبة الرجوع عما كان مذموما فى الشرع الى ماهو محمود فى الشرع ويتفاوت الناس فى ذلك فربما يكون أمر محمودا فى مقام مذموما فى آخر وذلك لان دخول طريق الله تعالى كدخول الجنة فكما لايصح لاحد ان يدخل الجنة وعليه حق لآدمى كما ورد فى الحديث كذلك لايصح لاحد دخول الطريق وعليه حق لآدمى بالنظر لما فوقه من المقامات من باب حسنات الابرار سيآت المقربين ولا يقبل فى ذلك الاشهادة الشيخ له بالصدق فان المريد ربما ادعى فى نفسه صدق التوبة وهو كاذب وللصوفية فى صفات التوبة عبارات فكان سهل بن عبدالله التسترى يقول التوبة هى ترك التسويف وكان الحارث المحاسبى يقول اللهم انى أسألك نظرتها شهوة التوبة لاالتوبة أى لان الاقدار الجارية على العبد كموج البحر فاذا أعطى العبد شهوة التوبة لم يقع منه اصرار قط على مذموم بخلاف التوبة فقد تحصل فى ذنب ولا تحصل من آخر فتأمل وكان سهل يقول كثيرا التوبة ان لاتنسى ذنبك وكان ذوالنون المصرى رحمه الله تعالى يقول توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من الغفلة عن الله تعالى وكان النورى رحمه الله تعالى يقول التوبة ان تتوب من كل شئ سوى الله تعالى أى تتوب عن الميل الى سواه الابامره وكان التميمى يقول التوبة هى ان يتوب العبد من رؤية حسناته وكان ذوالنون يقول الاستغفار باللسان من غير اقلاع توبة الكذابين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها ومن شأنه مجاهدة نفسه فى مرضاة الله تعالى فقد قال أبوعلى الدقاق رحمه

قول القائل فى حال فرط عشقه • أنا من أهوى ومن أهوى أنا • فلا يبعد أن يفاجئ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط فيظن أن الصورة التى فى المرآة متحدة بها ويرى الخمر فى الزجاج فيظن الخمر لون الزجاج واذا صار ذلك عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغرقه وقال

رق الزجاج ورقت الخمر • فتشابها فتشاكل الامر

فكأنما خمر ولاقدح • وكأنما قدح ولاخمر

وفرق بين أن تقول الخمر قدح وبين أن تقول كأنه القدح وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالنسبة الى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لانه فناء عن نفسه وفناء عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه فى تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق بها بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا ووراء هذه الحقائق اسرار يطول الخوض فيها ونظم هذا الشيخ أبوعبدالله محمد بن محمد بن يوسف البناء التجيبى ثم السرقسطى رضى الله عنه فى مباحثه فقال رضى الله عنه

ثم فنى عن رؤية العوالم • فلا يرى فى الكون غير العالم

ثم انتهى لفلك الحقيقة • فقال هذا غاية الطريقة

ثم امحى فى غيبة الشهود • فأطلق القول أنا معبودى

حتى اذا ردعليه منه • ادرك فرقا حيث لم يكنه

وكلام الأئمة فى هذا المعنى كثير وسيأتى مزيد بيان لهذا فى الكلام على الحلول ان شاءالله واذا علمت معنى الاتحاد عند القوم وانه الفناء فى التوحيد فقط لاغير ذلك مما توهم فاعلم انهم فيه على مراتب ومقامات ذكرها الشيخ جمال الاسلام أبومحمد عبدالرزاق القاشانى رحمه الله فقال مراتب الاتحاد ثلاثة الأولى نتيجة فناء عن التفرقة وبقاء أثرها وصاحب هذه المرتبة يقول أنا المحبوب ومنه أنا الحق والثانية فناء التفرقة عينا وأثرا وصاحبها يقول أنا أنا وهذه غاية الاتحاد ونهاية العروج لصرافة الجمع والثالثة نتيجة فناء وجود المحب بمحبوبه ورجوعه عن صرف الجمع الى مقام التفرقة مع الجمع وصاحب هذه المرتبة يقول أنا عبده وهذه المرتبة فوق الثانية من حيث انها لاتتحقق الابعد العبور على الثانية فان الرجوع لايكون الابعد العروج ثم أشار الى حظ صاحب المقام من التجلى فقال رضى الله عنه

﴿اذا طالع القلب الكريم صفاته • فلى أنس ذى أمن وهيبة ذى ذعر﴾

هذا البيت أيضا على سبيل الترجانية وطالع أى انظر من قولهم طالعت الكتاب والمسئلة أى

الله تعالى من زين ظاهره بالمجاهدة زين الله سريرته بالمشاهدة وقال الامام القشيري رضي الله تعالى عنه من لم يكن له في بدايته مجاهدة لم يشم من هذه الطريق شمة وكان الحسن القزاز رحمه الله تعالى يقول بني هذا الامر على ثلاثة أشياء ان لا تأكل الا عند الفاقة ولا تنام الا عند الغلبة ولا تتكلم الا عند الضرورة ومن شأنه الصمت في وقته والنطق في موضعه كما قال الامام القشيري رضي الله تعالى عنه اعلم ان السكوت في وقته من صفة الرجال كما ان النطق في موضعه من أشرف الخصال والصمت من أدب الحضرة الالهية قال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وكان بشر بن الحارث يقول اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم وقال شيخ مشايخنا مولانا العربي الدرقاوي الشاذلي رضي الله تعالى عنه في بعض رسائله اجعلوا الصمت من مؤكدات أورادكم لان بالصمت يستعين الفقير على الذكر ويتجوهر قلبه ومن شأنه الجوع لان أركان بيت الولاية أربعة الصمت والجوع والسهر والعزلة وكان الشيخ الاكبر قدس الله تعالى سره الانور يقول لما خلق الله النفس قال لها من أنا فقالت له من أنا فاسكنها في بحر الجوع أربعة آلاف سنة فقالت له أنت ربي ذكره في شرح ترجمان الاشواق ومن شأنه معانقة الادب ظاهرا وباطنا كما أشار الى ذلك صاحب المباحث حيث قال

ولالطريق ظاهر و باطن
تعرف منه صحة البواطن
ظاهره الآداب والاخلاق
مع كل خلق ماله خلاق
باطنه منازل الاحوال
مع المقامات لذي الجلال
والادب الظاهر للعيان
دليل الادب الباطن في الانسان
وهو أتينه للفقير سند
وللغني زينة وسودد

ومن شأنه الصدق كما قال الاستاذ القشيري رضي الله تعالى عنه في رسالته فأول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي ان يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فقد قالوا يعني أهل الطريق رضي الله تعالى عنهم ما حرم المريدون الوصول الا بتضييعهم الاصول فيجب على المريد البداءة بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلالة والبدع صادر عن البراهين والحجج كما أشرنا اليه في العقيدة أوائل هذه الرسالة ويقبح بالمريد ان ينتسب الى مذهب ليس هو من مذاهب أهل السنة والجماعة بل الواجب عليه تقليده كلام مشايخ أهل الطريق لانهم أحكموا العقائد علما وذوقا ولو انتسب مريد الى غيرهم وقرأ عليه شيأ من العلوم الا لجهله بطريق القوم فان حجج الصوفية في مسائلهم أظهر من حجج كل واحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب لان الناس اما ان يكونوا من أصحاب النقل والاثر واما ان يكونوا من أصحاب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذي للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال وغيرهم أهل الاستدلال ومن شأنه الخروج عن الجاه ما أمكنه

نظرتها والقلب فاعل طالع والكريم نعت له ومعناه الرفيع القدر ذو الشرف والسودد وفيه اشارة للحديث لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفيه ايماء الى حضرة قلب هذا القلب عند مولاه وانه له ذلك وما زال من كلام القرب كريمة بني فلان لحضرة البنت عندهم ومنه قول الشيخ تاج الدين رضي الله عنه وانه لابد لهذا الوجود ان تنهدم دعائمه وتسلب كرائمه والصفات جمع صفة وهو المعنى القائم بالذات ومعنى القيام هنا الاختصاص الناعت أي بحيث يكون الذات منعوتا بما يجري عليه من المعاني والمراد بالصفات صفات الجلال وهي كل صفة تقتضي العز والكبرياء والعظمة والقهر والاستغناء ونحو ذلك وعنها تنشأ الهيبة وصفة الجمال وهي كل صفة تقتضي اللطف والرحمة والعطف والرأفة والكرم والحلم وغير ذلك وعنها ينشأ الانس وقوله صفات مفعول طالع ولي أنس ذي امن مبتدا وخبر والفاء جواب الشرط وهيبة ذي ذعر مبتدأ وخبر والجملة عطف على التي قبلها والذعر بضم الذال المعجمة الخوف وبالفتح التخويف وبالتحريك الدهش والاول أقرب هنا لمقابلته بالامن وليس باطلا حمله على الثاني والثالث وفي كلامه من أنواع البديع المقابلة لانه ذكر أولا الانس ثم قابله بالهيبة والذعر فالهيبة تقابل الانس والذعر يقابل الامن ﴿ يقول ﴾ والله أعلم اذا طالع قلبي الكريم على مولاه الحظي عنده بما به أولاه الصفات الجمالية والاخلاق المرضية من الكرم والحلم والرفق والاحسان والرحمة واللطف والعطف والفضل والامتنان فلي انس صاحب امن واطمئنان واذا طالع الصفات الجلالية والنعوت المخوفة من البطش والسطوة والعزة والنقمة فلي هيبة ذي خوف فاذا بدا متلون بينهما فلا تشهد وصفا من الاوصاف الجمالية وخلقا من الاخلاق المرضية يروحني الا طالعت وراءه وصفا من الصفات الجلالية المخوفة يكربني وبالعكس فلا يطرأ في قلبي طارئ من الخوف عن مشاهدة نعت من النعوت الجلالية المخوفة يفزعني الا شاهدت في خلاله خلقا من الاخلاق الجمالية المرضية يؤنسني قال الامام أبو حامد رضي الله عنه بعد كلام على أصل الشوق واذا غلب على الحب الفرح القرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء بها وعدم المبالاة وحضره امكان الزوال والبعد فتألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه أحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها والانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد من

فان ملاحظة حب الجاه عند الخلق مقطعة عظيمة ومالم يستو عند المريد قبول الخلق له وردهم له لايجيء منه شئ بل أضر الاشياء عليه ملاحظة الناس اياه بعين الاثبات والتبرك به لافلاس الناس عن معرفة طريق القوم وربما يكون هو بعد لم يصح الارادة فكيف يصح ان يتبرك به فحب الجاه سم قاتل والسلام ومن شأنه ان يبعد عن مخالطة الصور الجميلة فلا يصاحب قط حدثا ولا يساكن حبه بقلبه قال الامام القشيري رضي الله تعالى عنه من ابتلاه الله بشئ من ذلك فباجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وخذله بل عن مصالح نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله لم يكن الا انه شغل قلبه بمخلوق نصبه الشيطان فخا يصطاد به من يريد اهلاكه قال وأقبح من ذلك تهوين ذلك على القلب وهذا الواسطي يقول اذا أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الانتان والجيف يريد به الشباب المرد الذين تميل اليهم النفوس الغوية ومن شأنه دوام المجاهدات في ترك الشهوات فان من وافق شهوته عدم صفوته وقد تقدم ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر قومك أكل الشهوات فان أصحاب أكل الشهوات قلوبهم عني محجوبة انتهى القشيري من رسالته ومن شأنه مخالفة نفسه وذكر عيوبها لمن يداويه وقد أجمع الاشياخ على ان مخالفة المريد لنفسه رأس عباداته وكان أبو حفص يقول من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الشهوات ولم يجرها الى مكروهها في سائر الاوقات كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وجاء رجل الى الجنيد فقال ياأبا القاسم متى يصير داء النفس دواءها فقال الجنيد اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فاقبل الرجل على نفسه وكان ذلك الاقبال لها قد أجبتك هذا الجواب سبع مرات فأبيت ان لاتسمعه الا من الجنيد فقد سمعت قال الجنيد فانصرف ولم أعرفه وسئل ابن عطاء ما أقرب شئ يجر الى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأحوالها وأشد من ذلك طلب العوض على طاعتها وكان شيبان يقول مكثت أشتهي أكل عدس أربعين سنة لم يتفق لي أكلها ثم اني أكلتها فلقيني أعوان السلطان فاخذوني وقالوا هذا كسر جرار الخمر بالامس فضربوني مائتي خشبة ثم مر علي أستاذي أبو عثمان المغربي فقال ماذا صنعت حتى وقع لك هذا فقلت أكلت شهوة فقال اطلقوه فاطلقوني وقال لي نجوت ان شاء الله تعالى مجانا وكان السري يقول لي أكثر من أربعين سنة ونفسي تطالبني ان أغمس جزرة في دبس فلم أطعمها وكان يقول آفة العبد رضاه عن نفسه ومن صدق في ترك شهوة كفاه الله مؤنتها وكان ابراهيم الخواص يقول من ترك شهوة ولم يجد بعدها لذة في قلبه فهو كاذب في تركها والله أعلم والحاصل ان أدب الفقير في نفسه لايحصى وشؤنه التي ينبغي له ان يتحلى بها لاتستقصى وقد نظمها

ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر عظم نعيمه ولذته وقال في العوارف وقد سئل الجنيد عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وسئل ذو النون عن الانس فقال انبساط المحب الى المحبوب قيل معناه قول الخليل أرني كيف تحيي الموتى وقال موسى ارني أنظر اليك وانشدوا وهم

شغلت قلبي عما لديك فلا * تنفك طول الحياة من فكري
آنستني منك بالوداد فقد * أوحشتني من جميع ذا البشر
ذكرك لي مؤنس يعارضني * يعدني عنك منك بالظفر
وحيثما كنت يا مدى هممي * فأنت مني بموضع النظر

وروى ان مطرف بن الشخير كتب الى عمر بن عبد العزيز ليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا في وحدتهم أشد استئناسا من الناس في كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون قال الواسطي لا يصل الى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها وقال أبو الحسن الوراق لايكون الانس بالله الا ومعه التعظيم لان كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك لن تزداد انسا الا ازددت منه هيبة وتعظيما قالت رابعة كل مطيع مستأنس وأنشدت

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي * وابحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره قيل لبعضهم من معك في الدار قال الله ولا يستوحش من أنس بربه وقال الخراز الانس محادثة الأرواح مع المحبوب في مجالس القرب ثم قال والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكناسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندي كنس الوجود بثقل لائح العظمة وانتشار الروح في ميادين الفتوح وله استثقال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه عن الهمة وفي الهيبة اجتماع الروح ووثوبه الى محل النفس وهذا الذي وصفناه انس الذات وهيبة الذات تكون في مقام البقاء بعد العبور عن ممر الفناء وهو غير الانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود الفناء لان الهيبة والانس قبل الفناء تظهر من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين وما ذكرناه بعد مقام الفناء في مقام التمكين والبقاء من مطالعة الذات من الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع

العارف بالله تعالى سيدى الشيخ مصطفى البكرى رضى الله عنه فى منظومته لغة المريد وهذه منها

وان ترد آدابه فى نفسه * لكى بها تنال فضل قدسه الذل والفاقة ثم المسكنه * وأخذه من كل شئ أحسنه
وترك حظه وما لوفاته * وليجهد فى ذا الى وفاته ثم الى الجلاس والجلاس * عنى مغيرا كما الانفاس
مخالفا لنفسه الاماره * وزاهدا فى طلب الاماره والزهد فى الدنيا فذاك واجب * وحبها له أخى حاجب *
والقنع والكفاف والمواده * والكد والجد كذا المجاهده فمن يجاهد فى المنى يشاهد * سنا الحبيب والذين جاهدوا
وكل من ليس له بدايه * محرقة لم تشرق النهايه ولا يكن مستبطئ الوصول * فانه يقطع من جهول
فالوصل للحدود جل الله * عن القيود ليس هو الا هو ولا يسامح نفسه

فى غفلة * ولا يدع أعماله اقله
ولا ينام الثلث الاخيرا
يعطى بذا ندى أخى كثيرا
وصحبة الاحداث فاتركنها
كذا مؤاخاة النساء فل عنها
الا بشرطها الذى الاخيار
تعودوا فى سائر الادوار
وذا على المريد أمر يلزم
ان كان رأيه بذاك يجزم
وان يكن ذا عزبة لم يدخل
الا اذا فاز بنهج الكمل
وان يكن ذا زوجة لم يفرغ
حتى يصير مثل ما قد ينبغى
و بعد ذا يكون فى حكم القضا
ما يرتضى الحق تلق وارتضى
ليس له يا صاح يخطو خطوة
الا باذن من جليل الحظوة
استاذه ولا لوالد ولا
لامه عن الاوالى نقلا
فان من يقصد وجه الحق
تسقط عنده حقوق الخلق
وان تكن حقان قد تعارضا
فالحق للحق فدع من عارضا
وانه يحفظ للانفاس
مصاحبا لحلية الاكياس
وان يكن اسنا لوقته فالـ
ـصوفى الاذا دع عنك الكسل
و يحفظ القشر لصون اللب
بل و يسعى فى صلاح القلب

ويدفن الوجود فى الخمول * ليرتقى منازل الوصول ولا يقل بالكد أو بالجد * أنال ذا ولا أبى وجدى
أوراده لا يتركنها أبدا * لعل ان يجد بذاك رشدا فكل من ليس له ورد فلا * وارد يأتيه ولا يرقى العلا
ومن يك يترك يوما ورده * لم يأت امدادا لحبيب عنده ويحفظ الآداب فى الاوراد * كما يحوز حلية الرشاد
وان يكن للذكر يبتديه * لا يختمن حتى يغيب فيه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم ونسأله بحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخلقنا بأخلاق أوليائه ويؤدبنا بآداب أصفيائه ويسوق لنا ذلك الى لقائه آمين ﴿الباب الثامن﴾ فى بيان أدب المريد مع شيخه وعمله على عدم تغير قلب شيخه عليه قال القطب العارف بالله تعالى سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى النفحات القدسية ما نصه اعلم رحمك الله تعالى ان أحدا لم يبلغ قط الى حالة شريفة الا على اقات المشايخ ومعانقة الادب معهم وملازمة خدمتهم وذلك لان طريق القوم طريق غيب غير محسوسة فلا يسلك فيها الا بالقلوب وانقياد المريد بها وتذكر الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه

والخضوع والخشوع يتقاربان و يفترقان بفرق لطيف يدرك بايماء الروح انتهى وما ذكر من الهيبة والانس اللذين يكونان من مطالعة الصفات هو المراد فى البيت ثم قال رضى الله عنه

﴿وهذا مقام فى الوصول وفوقه * مقام محب دونه رتبة النسر﴾

هذا البيت يحتمل ان يكون على سبيل الترجمانية أو يكون الناظم رضى الله عنه قاله من عند نفسه مخبرا بانقضاء مقتضيات مقام عين اليقين ومخبرا ان فوقه مقاما أعلى منه طالبا من المخاطب بلطف الاشتياق اليه والمحاولة فى أسباب توصل اليه وأكد ذلك التلويح بقوله دونه رتبة النسر لان النسر أشد الطيور علوا فى الجو ومحذرا له من الوقوف مع ما لديه فكلامه فى غاية اللطافة على عادته ولنرجع للاعراب هذا هذا مبتدأ وهو واشارة لحظ صاحب عين اليقين من التجلى ومقام خبره وفى الوصول متعلق بمقام وقد تقدم الكلام على الوصول فى تجلى الافعال ومقام محب مبتدأ ومضاف اليه ما قبله وخبره فى الظرف قبله وهو قوله فوقه ودونه رتبة النسر مبتدأ وخبر والجملة صفة لمحب ﴿يقول﴾ والله أعلم وهذا التجلى الصفاتى الذى افدناه بقولنا اذا طالع القلب الخ مقام ومرتبة فى الوصول الى العلم بالله على سبيل الذوق والوجدان وفوق ذلك مقام محبة الله عز وجل الذى هو حق اليقين وهو المقصد الاقصى والمطلب الأعلى وليس وراءه عبادة أوقربة اذ ليس فوقه مقام الا الزيادة منه والعروج فى مراتبه وكل مقام علىّ أو حال أنسى أو مرتبة شريفة فهى دونه وتحته ولذلك قال الناظم دونه رتبة النسر الذى هو أشد الطيور علوا فى الجو تنبيها على علو هذا المقام وسنو رتبته وأصل هذا البيت والذى قبله ما نقلناه من العوارف فى تجلى الفعل وهو قوله ومنهم من يوقف فى مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلى بطريق الصفات وهو رتبة فى الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين الخ وهذا الكلام الأخير منه وما بعده هو الذى عنى بقوله وفوقه مقام محب دونه رتبة النسر ولما فرغ من مقتضيات مقام عين اليقين أخذ فى بيان مقتضيات حق اليقين الذى شوقه اليه بقوله وفوقه الخ فقال رضى الله عنه

﴿وذو الحق لمطالع الذات صاحيا * بروح سماوى من العالم الأمر﴾
﴿سقته براحات المحبة راحها * فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر﴾

وذو الحق أى صاحب مقام حق اليقين واعرابه مبتدأ وخبره وقوله لمطالع الخ وطالع الذات أى

فى باب أسرار القوم من الفتوحات المكية ان المريد اذا صدق مع شيخه كان كل منهما تلميذا لصاحبه من وجه وشيخا من وجه لان ما فتح به على الشيخ انما كان ببركة صدق المريد وكلما جاء للعبد بواسطة فتلك الواسطة فى مرتبة الشياخة قال الشيخ الأكبر قدس سره الانور وللشيخ اذا مات المريد دون وصوله الى المقام الذى كان عليه ان ينزل الى مرتبة المريد ويعمل عليه حتى يصل فاذا وصل خلع ذلك على المريد فى قبره فيكمله بذلك ويبعث كاملا انتهى ثم قال الشعرانى ومن صحب الأكابر على غير طريق الاحترام حرم فوائدهم وبركات نظرهم ثم لا يظهر عليه قط من آثارهم شئ ولو تكلف هو ذلك فان أفعاله تكذبه وفى كلام سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه انه مالم يكن المريد يعتقد فى شيخه كل الاعتقاد لا ينتفع به وكان الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول من حرم احترام الشيوخ ابتلاه الله تعالى بالمقت بين العباد وفى رواية كل مريد جلس مع شيخه على غير الادب نزع الله تعالى منه نور الايمان وكان أبو تراب النخشبى رضى الله تعالى عنه يقول اذا ألف القلب الاعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى وكان الامام أبو القاسم القشيرى يقول لو لم يكن للمريد من معرفة مقام الادب مع الشيخ الا قول موسى عليه السلام للخضر هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا لكان فى ذلك كفاية فان موسى لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الادب فاستأذن أولا فى الصحبة ثم شرط عليه الخضر ان لا يعارضه فى شئ ولا يعترض عليه فى حكمه ثم لما خالفه موسى تجاوز عنه المرة الاولى والثانية فلما صار الى الثالثة التى هى آخر حد القلة وأول حد الكثرة سيمه فقال هذا فراق بينى وبينك وكان أبو على الدقاق يقول من خالف شيخه فى شئ خرج عن طريقه وانقطعت الوصلة بينه وبينه ولو جمعتهما البقعة وكان يقول من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة على ان الشيوخ قالوا عقوق الاستاذين لا توبة عنه أى تكاد ان لا تقبل لشدة قبحه وكان أبو سهل الصعلوك يقول من قال لاستاذه لم لم يفلح وكان بعض الاشياخ له مجلس فى القرآن فابدله بمجلس قوال ودام على ذلك فقال مريد بقلبه كيف ترك تفسير القرآن وأبدله بكلام البشر فناداه الشيخ يافلان من قال لشيخه لم لم يفلح فقال المريد التوبة قلت ويجاب عن أبى سهل بانه عدل عن القرآن لعدم وجود الداعية الى سماعه فى ذلك الوقت ولذلك تنزل الى سماع كلام الخلق اجلالا لكلام الحق تبارك وتعالى والله أعلم وكان أبو جعفر الخلدى يقول من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه الكلاب التى تؤذيه وزار أبا يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه مرة سيدى شقيق البلخى وأبو تراب النخشبى رضى الله تعالى عنهما فقدم اليهما السفرة فقال لخادمه كل معنا يافتى فقال أنا صائم فقال له سيدى أبو تراب كل ولك

نظرها وشاهدها وجوابه لما سبقه الخ والذات قال الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى المعروف بابن البناء رضى الله عنه هى كلمة غير عربية تدل على نفس الشئ وحقيقته والذات موضوعة الصفات اه والسكر غيبة بوارد قوى والصحو الرجوع الى الاحساس بعد الغيبة بوارد قوى وقيل السكر تحير الباطن فى مشاهدة الجمال لاستيلاء سلطان الجمال والصحو تبصرة لتمييز الأحوال وترتيب الافعال وتهذيب الاقوال وقد قدمنا فيها غير ذلك فانظره عند قوله وللكل من كأس المحبة وعند قوله وذو امين وصاحيا حال من فاعل طالع أى طالعها حال كونه صاحيا من سكر غلبات الصفات الواقع له فى مقام عين اليقين كما تشعر بذلك الحالة التى قبلها بتمام حق اليقين وهى التى ضمنها قوله اذا طالع الخ وبروح معمول طالع أى طالعها بروحه بذاتها أو بصرها لان آلة الادراك فى طور الولاية هو الروح والسر والقلب بذاتها أو سمعها أو بصرها المخصوص بها فى عالمها وأما العقل فقاصر وعاجز هنا سواء كان بآلة أو بذاته وأما البصر الظاهر فللائمة اجماع على عدم الوقوع مع اختلافهم فى تجويزه واختلافهم فى وقوعها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام والدليل قال الشيخ أبو بكر الكلاباذى رضى الله عنه فى كتابه التعرف اجمعوا على انه تعالى لا يرى فى الدنيا بالابصار قال ولا نعلم أحدا من المشايخ ادعاها ولا ورد ذلك فى الحكايات الصحيحة عن أحد منهم الا طائفة غلاة لم يعرفوا باعيانهم ثم نقل ان المشايخ اطبقوا على تغليط مدعيها وتكذيبه وصنفوا فى ذلك كتبا ورسائل وزعموا ان من ادعى ذلك لم يعرف الله تعالى قال الشيخ علاء الدين القونوى رضى الله عنه فى شرحه ان صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك فيمكن تأويله وذلك ان غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال السر بشئ واستحضاره يصير كالحاضر بين يديه وهذا معلوم لكل أحد اه وقال الشيخ أبو عبد الله المقرى رحمه الله حدثت عن أبى ابراهيم الورياغلى عن أبى عثمان الورياجلى أنه قال رأيت الله فشنع عليه أهل فاس وقالوا خالفت أهل السنة فقال غاب بصرى فى بصيرتى فصار كلى بصرا فرأيت من ليس كمثله شئ ومن هذا المعنى الحكاية المشهورة ان شابا ادعى أنه رأى الله ببصره فاراد أهل بغداد أن يقعوا به فقال لهم الشيخ أبو محمد عبد القادر رضى الله عنه وكان ذلك فى وقته ما معناه انما نظر الله ببصيرته ولكن لما فاض نوره غاب بصره فى بصيرته فظهر له أنه رآه ببصره فتركوه لاجل ما أجاب به الشيخ رضى الله عنه والروح تذكر وتؤنث وسماوى نعت لروح ومن العالم الامرى أى لا الخلقى وهو نعت ثان لروح وهما نعتان لازمان لان كون الروح من السماويات لا من الارضيات ومن العالم الامرى لا الخلقى أمر لازم للروح وعالم الامر عالم الارواح يقال له باعتبار

عدم

أجرشهر فأبى فقال له سيدى شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال سيدى أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله تعالى فسرق ذلك الشاب بعد سنة فقطعت يده وسمعت الشيخ الصالح تقى الدين الاشموى يقول كل مريد لا يرى خطأ شيخه أحسن من صوابه هو لم ينتفع به وكان سيدى سهل يقول كان رجل مشهورا بالولاية بالبصرة وكان حدادا فمضى اليه شخص من أصحابى فسافر اليه فوجده مستقيما خوفا من شرار النار فقال فى نفسه لو كان هذا وليا لله تعالى ما أحرقه شرار النار فقال له الشيخ يا ولدى ان استصغرتنى وما قمت تنتفع بكلامى ولا كنت أفيدك فوائد فرجع الى سهل فذكر له القصة فقال ما استصغر أحد فقيرا الا حرم فوائده ارجع اليه بالحرمة فرجع اليه فانتفع بزيارته وكان الاشياخ كلهم يقولون جميع ما حل بالحلاج انما كان من دعوة عمرو بن عثمان المكى عليه وكان أبو على الدقاق يقول لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم الصدق فى أحوالهم فلم يخرج من بلخ بعده صادق مع انها كانت أكثر بلاد الله تعالى صوفية وكان أحمد بن يحيى الابيوردى يقول تغير خاطر الشيخ على المريد يلحقه عقوبة ولو بعد موت الشيخ وكان الشيخ داود بن باخلا شيخ سيدى محمد وفا يقول لا يصح من مريدان يجازى أستاذه أبدا الان ما استفاده منه لا يقابل بالاعواض وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول اياكم والاعتراض على الاشياخ واصبروا تحت جفائهم لكم وما قال شيخ للمريد قط حاء يطلب الطريق قف ساعة الا لما رآه من قلة أدب المريد ولو رأى عنده أدبا لبادر لاخذ العهد عليه فان المريد لو أتى الشيخ بهمة وهى متوقدة لم يجز له ان يقول له قف ساعة لانه يطفئ نار عزمه وكان سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول للمريد يا ولدى الق حبالك واسبابك وكل ما اعتمدت عليه من معمولاتك ومعلوماتك بين يدى شيخك حتى يلقمها حكمه وحكمته فلا يبقى لك عمدة الا على حقه ولا تتوصل الى خير الا بصدقه ليسرى بك الى حضرة ربك فى حالة محو نفسك ليلا ويخرجك من مواطن تحكم العدو الى مقامات حكم المولى وهنالك لا تزلزلك الزلازل وان اشتدت وكان يقول ملازمة الاستاذ أفضل من سفر المريد الى مكة لان الاستاذ انما وضع لترقية المريد الى معرفة رب البيت قبل البيت وكيف للمريد الاشتغال عن بيت وضعه الحق لنفسه ببيت وضع للناس فان قلب الاستاذ هو حضرة الحق التى احتوت على جملة أرواح أئمة الهدى فان الشيخ وارث علوم الانبياء وكان يقول اياك ان تقيس حال أستاذك على حالك فتهلك لان الشيخ فى أمان الله عز وجل وانما يبكى ويتضرع لاجل اتباعه اما يعلمهم كيف يعملون واما انها شفاعة غيبية فيهم وكان يقول من وجد من شيخه حرجا ومشقة توجب تلبه الرضا فان لم يقدر فالصبر ويسأل الله كشف الحجب عنه حتى يطلعه الله على مراد شيخه له فانه اذا اطلع عليه ذهب الضيق والحرج وبادره والى ذلك الامر وكان يقول ما دام معك بولد

عدم الواسطة والسبب فى خروج الاشياء من الوجود العلمى الى الوجود العينى ان ما بين أمر كن وائتمار فيكون الشئ وجودى أصلا وقد قال تعالى قل الروح من أمر ربى ويحتمل أن يكون احترز بقوله بروح سماوى من العالم الامرى من الروح الحيوانى البشرى الذى هو من عالم الخلق قال فى العوارف الروح الانسانى العلوى السماوى من عالم الامر والروح الحيوانى البشرى من عالم الخلق والروح الحيوانى البشرى محل الروح العلوى ومورده والروح الحيوانى جسمانى لطيف حامل لقوة الحس والحركة ينبعث من القلب أعنى بالقلب ههنا المضغة اللحمية الصنوبرى الشكل المودعة فى الجانب الايسر من الجسد وتنتشر فى تجاويف العروق الضوارب وهذا الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذى قوامه باجراء سنة الله بالغذاء غالبا ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط ولورود الروح الانسانى العمرى على هذا الروح تجنس الروح الحيوانى وباين أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والالهام قال الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها فتسويتها بورود الروح الانسانى عليها واقتطاعها عن جنس أرواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله من الروح العلوى فى عالم الامر كتكون حواء من آدم فى عالم الخلق وصار بينهما من التآلف والتعاشق كما بين آدم وحواء وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فسكن آدم الى حواء وسكن الروح الانسانى العلوى الى الروح الحيوانى وصيره نفسا وتكون من سكون الروح الى النفس القلب اللطيفة التى محلها المضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الامر وكان تكون القلب من الروح والنفس فى عالم الامر كتكون الذرية من آدم وحواء فى عالم الخلق ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين أحدهما النفس ما تكون القلب ثم بعد ان ذكر كلاما فى القلب وان منه ما هو متطلع الى الاب الذى هو الروح العلوى مائل اليه ومنه ما هو منكوس مائل الى الام التى هى النفس الامارة بالسوء قال فالروح العلوى يهم بالارتقاء الى مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الاكوان الى آخر كلامه فطالعه فيه ولا يبعد مع هذا كله ان يكون الناظم درج هنا على ما اختاره شيخه صاحب العوارف فى السر الذى جعلوه فوق الروح وانه ليس ثم أمر زائد على الروح وانما هى روح سمت الى أوطان القرب وعرجت اليه كما قدمنا ذلك على قوله يشاهد السر الذى قبله فأشار اليه مع ذلك بقوله سماوى على انهم اختلفوا فى الروح ما هى وهل هى النفس والقلب واللب والعقل أو مغايرة لها وقد قدمنا كلام صاحب العوارف وان مذهبه التغاير لان اللب لم يقع له ذكر عنده وقال الشيخ

عندك المعلومات بالتعليم فهو أولى فاذا تحققت روحك بنوره وصار عمله يتجلى فيك بمعلومات بديهية فهو سيدك وأغا لو حي اليك حينئذ ربك في حجاب قلب شيخك فاعرف تغنم وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول عليك أيها المريد بالعكوف على أعتاب شيخك فانك لو علمت ما انطوت عليه الاشياخ ما برحت عن أبوابهم ولاتيتهم سعيا على الوجه وقال سيدي أبو العباس المرسي ولقد كنت ساكنا في مصر وكنت أحضر مجلس الشيخ أبي الحسن في اسكندرية كل يوم وأرجع الى مصر وكانوا يقرؤن عليه كتاب ختم الاولياء للحكيم الترمذي رحمه الله تعالى وقال أيضا لا تطلبوا الشيخ بان تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم ان يكون الشيخ في خاطركم ولذلك قال بعضهم في آداب المريد مع شيخه

اخلص ودادك صدقا في محبته * والزم ثرى بابه واعكف بناديه

واستغرق العمر في آداب صحبته * وحصل الدر والياقوت من فيه

وابذل نوالك وبادر في أوامره * الى الوفاق وبالغ في مراضيه

واحذر بجهدك ان تأتي ولو خطا * مالا يحب وباعد من نواهيه

وكن محب محبيهم وناصرهم * والزم عداوة من أضحى يعاديه

واعلم يقينا فان الله ناصره * ان لم تكن كافيا فالله يكفيه

وأنزل الشيخ في أعلى منازله * واجعل له قبلة تعظيم وتنزيه

ولست تفعل هذا ان ظننت به * نقصا ولا خللا فيما يعانيه

واترك مرادك واستسلم له أبدا * وكن كميت مخلى في أياديه

اعدم وجودك لا تشهد له أثرا * ودعه يهدمه طورا ويبنيه

متى رأيتك شيأ كنت محتجبا * رؤية الشيء عما أنت ناويه

ولا ترى أبدا عنه غنى فمتى * رأيت عنه غنى يخشى تناسيه

ان اعتقادك ان لم تأت غايته * فيه فيوشك ان تخفى مباديه

وغاية الامر فيه ان تراه على * نهج الكمال وان الله هاديه

ومن أمارة هذا ان تؤول ما * عليك أشكل اظهارا لخافيه

والمرء ان يعتقد شيأ وليس كما * يظنه لم يخب والله يعطيه

أبو عبد الله محمد البكري رضي الله تعالى عنه بعد كلام وبالجملة فهذه عبارات على ما هو باطن الانسان وهو الروح والنفس والعقل واللب وقد تردد نظر العلماء في ذلك هل هي مترادفة ترجع الى معنى واحد أو هي مختلفة والحاصل ان حقيقة الروح قد اختلف العقلاء فيه وكثرت أقوالهم في ذلك حتى قيل ان فيها ثلاثمائة قول ويتحصل من ذلك لاهل السنة والجماعة أقوال ثلاثة القول الاول الروح جسم نوراني لطيف سار في البدن كسريان النار في الفحم والماء في الورد أجرى الله في العادة حياة البدن باتصاله به وهذا قول المحققين منهم كامام الحرمين ونقل عن الشيخ يعني الاشعري الثاني انه جسم كجسم الانسان وعلى هيكله ذو يدين وعينين وبالجملة فهو على هيكل الانسان نحو بنحو وهذا نقل عن ابن حبيب الثالث انه مجرد ليس بجسم ولا جسماني وهذا قول حجة الاسلام أبي حامد والراغب هو وأبو القاسم والحليمي هو وأبو عبد الله وأبو زيد الدبوسي وجماعة الصوفية خصوصا المتأخرين وبالجملة فهو جوهر زائد على الهيكل المشهود وهل هو سار فيه أو باطن فيه أو هو لا متصل به ولا منفصل عنه ولا داخل ولا خارج أقوال ثم قال على انه قد اختلف العلماء في جواز الكلام على مسئلة الروح أعني على البحث عن حقيقتها فمنهم من رأى الامساك وهو اختيار أكثر الفقهاء كابن رشد توقف مع قوله جل وعلا ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ففهم ان الآية فيها اضراب عن بيان حقيقته ورد الامر فيها الى أمر الرب فيها وهذا فيه بحث بل الصواب عند المحققين يعني كالشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان الروح مفهوم حقيقته وليس في الآية ما ينهى عن ذلك بل فيها الاشارة الى حقيقته وانه من عالم الامر الذي هو أصل الخلق كما قال جل وعلا يتنزل الامر بينهن بل في معرفة حقيقة الكمال الانساني اذ في معرفته معرفة النفس وفي معرفة النفس معرفة الرب الكمال ولم يحصل بالتحقيق على معرفة النفس الا الصوفي المحقق بما زاده الله من الالهام والذوق والكشف والشهود فانجلت له عند ذلك الحقائق ولم تنجل له الحقائق حتى انجلت له نفسه وروحه والا فمن كان بنفسه جاهلا فهو بغيره أجهل ثم النظر في ان الروح من قبيل المجرد أو من قبيل المتحيز ان كان بحسب النظر الفكري والطريق الصناعي فالحق ان الادلة في ذلك متعارضة متقاربة فالحق الوقف وان كان بحسب الدليل السمعي فالمفهوم منه اشارة التجريد وصريحا التحيز فلم يكن باعتباره ما يترجح عند العقل تعيينه وهذا هو اللائق بطريق النظر والسمع من حيث الاشعري والمحدث وأما الصوفي فعمدة في ذلك على ما وجده كشفا أو ذاقه وجدا وقد نبه الشيخ أبو حامد الغزالي على ذلك ونبه على ان الكمال كله في ادراك ذلك اه وقوله سقته

قال القطب العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه اى

قال والدي عبد الرحمن يقول المريد الصادق اذا غاب عنه شخص شيخه تكاد تطلع منه روحه واذا تخلف في بيته عن الخروج يرى ذلك من شقاوته ثم لا يزال عاكفا على عتبة باب شيخه مترقبا خروجه والمريد الكاذب بالعكس يفرح لغيبة شيخه خوفا ان يلقاه فيأمره وينهاه عن مخالفة هواه فغذاء المريد الصادق رؤية شيخه وغذاء المريد الكاذب غيبة شيخه عنه فاعلم ذلك وكان يقول لا تقس حالك في أنواع العبادات الظاهرة على حال شيخك فان شيخك وان قلت أعماله الظاهرة فهو عمال باطنه وكل يوم من أيام الاستاذ عند ربك كالف سنة مما يعد المريدون عند ربهم وكان يقول اياك أيها المريد الصادق ان تقف مع ظاهر شيخك بل اخرق الى شهود قلبه وانظر ما هو فيه فمن نظر الى ظاهر جسم شيخه لم يبتهج به بل لم تزده تلك الرؤية الا غفلة واستغراقا في

سوء الظن به وبسائر الاشياخ وقلة الادب معه ومعهم وماذاك الا انه حجب برؤية الحجاب عن رؤية الاحباب وربما قال أى فرق بيني وبين شيخي فيتلف بالكلية وكان يقول جميع ما تراه من شيخك راجع اليك فان رأيته زنديقا فانت زنديق في الغيب الأزلي لأن الشيخ مرآة الوجود وان رأيته صديقا فأنت صديق في علم الله وأما حقيقة ذاتك الشيخ فلا يراه الا من هو في كماله أو من كان محيطا به وقد رأى مريد وجه الشيخ أبي يزيد البسطامي كوجه خنزير فقص على أبي يزيد فقال صدقت يا ولدي فاني مرآة الوجود فرأيت وجهك فحسبت اني أنت فطهر نفسك يا ولدي من صفات الخنزير ثم قال القطب الشعراني رضي الله تعالى عنه فاياك يا أخي والاعتراض على شيخك الا في نص صريح لا يحتمل التأويل فمن اعترض على شيخه كدر قلب شيخه وأوقف على نفسه الامداد الظاهرة والباطنة

ولا ينبئك مثل خبير والله أعلم وقد نبه على جملة من أدب المريد مع شيخه العالم العلامة المشارك المتفنن الزاهد الصوفي العارف بالله تعالى الكامل أبو العباس تاج الدين أحمد ابن محمد البكري المعروف بالشريشي رضي الله تعالى عنه في قصيدته المسماة بانوار السرائر وسرائر الأنوار وهذه الابيات منها في هذا المبحث الذي نحن فيه

ولا تعترض يوما عليه فانه • كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل • يرى النقص في عين الكمال ولا يدري
ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده • يظل من الانكار في لهب الجمر
فذو الحق لا يرضى سواه وان نأى • عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره • ولا تملأن عينا من النظر الشزر
ولا تنطقن يوما لديه فان دعا • اليه فلا تعدل عن الكلم النزر
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته • ولا تجهروا جهر الذي هو في قفر
ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده • فلا بجح الا دون ذلك فاستقر
ولا تقعدن قدامه متربعا • ولا بادبار جلا فبادر الى الستر
ولا باضطجاع بحضوره • فلا تقصد الا السعي للخادم البر

وأما الآداب التي ذكرها سيدي الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري رضي الله تعالى عنه في بلغة المريد ففيها الكفاية وهي هذه

وان ترد آدابه فانها • كثيرة يعقلها أولو النهى
على ثلاثة ضروب هااتت • عن سادة وفاؤهم لقد ثبت
مع المربي ثم الاخوان • أيضا وفي نفس المريد العاني
اما الذي مع المربي وحده • فاولا حباله وده
والصدق ثم الاعتقاد فيه • وعنه ما كان فلا تخفيه
وسلم الأمر له لا تعترض • ولو بعصيان أتى اذا فرض
واقبل عليه دائما بالكل • والذل والفقر كذا والكل
ولا تكن توليه ظهرا أبدا • والروح صيره بحبه فدا

أي سقت الذات الاقدس هذا المحب وبراحات المحبة متعلق بسقته وشبه المحبة بالساقي بجامع الاسكار بما يفعل كل منهما وأضاف اليها الراحات التي هي من لوازم المشبه به ففي الكلام استعارتان مكنية وتخييلية كما هو مقرر في فنه والمراد الخمر باعتبار تناولها بالراحات وهي الاكف وضمير راحها يحتمل عوده للذات ولعله المتبادر من التركيب أو المحبة والمعنى واحد فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر أي فلولا دوام شربه المفرع عن سقيها اياه لم يصح من سكره وفيه اشارة الى انه عند أول مطالعة طلعتها واحتساء أول كاس من خمرتها يحصل السكر والدهش وغلبته وهو كذلك كما يأتي والشرب تقدم الكلام عليه في أول المحبة ﴿يقول﴾ والله أعلم وصاحب حق اليقين لما شاهد الذات الاقدس حال كونه صاحيا من سكر غلبات الصفات اتمرته بها وانسه والفه اياها حتى تصابت روحه وصار يغلب وهو يطرق أنوارها بعد ان كان مغلوبا بها وكانت مشاهدته اياها بروح سماوي من عالم الامر سقته تلك الذات راحها وخمر جمالها الذاتي المطلق براحات المحبة بواسطتها أو سقته براحات المحبة خمرة المحبة وداومت على سقيه بذلك فلولا دوام شربه المفرع عن دوام سقيها اياه لم يصح ولم يفق من غلبات سكره الحاصل له قبل التدرب مع خمرها لانه في أول ما تفاجئه الذات وتجلى له يلحقه دهش وهيمان بل يتدكدك للحس يورث في النفس صعقة وخرورا وبرجحان السكر ويرفعان التمييز لعظيم أمر التجلي كما قال في العوارف فاما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور المشاهدة تكون في تجلي الذات انتهى ثم يتدرج أيضا الى الافاقة من صعقته والصحو من سكره شيأ فشيأ بقدر دوام شربه وفي معناه قيل

وكاس شربت على لذة • وأخرى تداويت منها بها

فاذا دام شربه بدوام شهوده حتى اذا ذهب ظلمة حدوثه ولوث وجوده الموجب السكر ولم يبق فيه بقية لسريان الحال فيه وتجوهر بشريته فلم يجد الامجانسة وأنس به لاعتياده يحصل له الصحو الثاني ويفيق من صعقته ويرجع الى حسه ويعطي كل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه قال الشيخ جمال الدين القاشاني رحمة الله عليه بعد كلام ذكرناه في الشكر على قوله وذو العين وقلنا فجاءة لان صدمة نور الجمال في النظرة الأولى أكثر وفي النظرات بعدها تقل على التدريج لحصول الانس بوصول الجنس حتى اذا استمر نازل حال المشاهدة ورجع جزء من أجزاء الوجود الى أصله عاد شعاع العقل الى عالم النفس والحس وظهر التمييز بين المتعلقات من المعقولات والمحسوسات وتسمى هذه الحالة صحوا ولهذا المعنى في الشاهد نظير محبوب دخل على محبه فجاة فأذهله عما هو فيه من الامر بحيث غاب متحيرا في مشاهدته عن العقل والتمييز فلما كرر النظر

وكلما ملكت ملكه له • وكن كمن بجيبه تولهوا وكن له به مثل ميت فانى • لدى مغسل لتسم دانى
امامه لاتمشى واقتف الاثر • الا بليل ثم كن على حذر وفى الصلاة لاتساويه سوى • فى الفرض واستعمل أخى ذا الدوا
ولاتزغ عن أمره ومانها • عنه اجتنبه ترتقى الى السها والحب والخدمة ذا شرطان • لطالب التقريب والامانى
ويتجان الصحبة السنية • وتمر الصحبة بالامنية وشرطها حفظك مايلقيه • فكن اذا حظيت بالنديه
وسره عن كل شخص صنه • واحفظ جميع ماأتاك عنه انفاسه اياك أن تضيعها • أفعاله كن سالكا رفيعها
من بعد أمره بذاك فاستمع • فالخير فى امتثال أمره جمع ولاتهبه مابه التداوى • واحلك له ماأنت سرا ناوى
وكل مالاباقتى برضيه • ١٨٦ دعه وحق حقه وفيه ولاتقل لم أن نهاك أوامر • من قالها ماذاق فى السر الثمر

الى محاسنه وجماله واستأنس بلقائه ووصاله والتبصر وزوال الدهش والتحير وهذا كما خرج يوسف عليه السلام بغتة على النسوة فقطعن أيديهن لما أصابهن من الحيرة فى جماله والغيبة عن أوصافهن

غابت صفات القاطعات أكفها • فى شاهد هو للبرية أبدع

ولاشك ان زليخا كانت أبلغ محبة منهن لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله بتمكن حال الشهود فى قلبها اه وأصل قوله فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر قوله فى العوارف قال الواسطى مقامات الواجدين أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع فى البحر صوتا ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الامواج فعلى هذا ومن بقى عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب اه ثم قال رضى الله عنه

﴿ولما سرت فى النفس زكت وطهرت • وطارت بروح البر فى منهج البر﴾
﴿فمدت اليه رحمة بدجاذب • فناهيك من بر وناهيك من بشر﴾
﴿هنالك للاوصاف أشرف خلعة • عليه وللاخلاق فخر على فخر﴾

سرت فى النفس دبت فيها دب النار فى الفحم والماء فى الاغصان وفاعله المحبة أو خمرها والنفس هنا تقابل الروح وهى الروح المتخلفة أوصافها تارة أمارة وتارة لوامة وتارة مطمئنة وتقدم شئ من الكلام عليها فى البيت قبله وزكت وطهرت بين التصور متقارب المعنى وهو جواب عن قوله لما سرت والكلام فى فاعله كالكلام فى فاعل سرت قبله وفاعل طارت المحبة أرواحها كما تقدم فيما قبله والبر الاول والثانى بالفتح أولهما بمعنى الكثير الخير والثانى من أسمائه تعالى وتقدس وفيه مناسبة للمقام لان معناه الذى بين عباده ويحسن اليهم وبين قوله البر والبر التجنيس التام كالعين والعين أى عين الشمس والعين الباصرة والمنهج الطريق الواضح وفدت مفرع عن طارت الخ وفاعله الذات الاقدس لا المحبة لان المحبة المتقدمة الذكر من وصف للعبد لان اعتبار كونها من وصفه هو السبب المباشر فى سقيه وان كان فى الحقيقة كل من الحق سبحانه لكن لنسب الاشياء اعتبار فى نسبتها وضمير اليه عائد الى صاحب هذه الحالة ورحمة أى لاغضب وهو مفعول لاجله هذا كله على ان رحمة منصوب وهو المناسب للعوارف وأما على رفعه فهو فاعل مدت والمعنى فدت اليه رحمة محبوبه وتعطفه عليه وبدجاذب مفعول مدت والجاذب أخذ الشئ وضامه اليه حسا أو معنى والمراد هنا الثانى والمراد بقوله فدت اليه رحمة بدجاذب التنبيه على غاية التقريب والاصطفاء وهو من باب التمثيل الذى هو ابراز المعانى

ولاتطا له على سجاده
ولاتنم له على وساده
ولاتكن بلابس أثوابه
واشكوله ماالقلب قد أصابه
واستأذن الخادم للدخول
ترقى الى منازل القبول
ولاتؤاكله على المائده
كىلا بذا تحرم للفائده
الا بعد الاذن منه فافهما
فى كل ماياصاح قد تقدما
وزوجه من بعده لاتنكحها
فمن يكن يفعله ما أفلحا
ولاتمل عنه برمح وقسى
ولاتكن ممن عهوده نسى
وان يكن يوما أخى زجرك
فدم على الحب له لوهجرك
كذا بزبر او بشتم لاتمل
عنه ومنه فوق هذا فاحتمل
ولاتكلم من يكن اصمقلك
بحضرة منه ولو ثقة قلك
الا على قدر الضرورى وما
زاد فدع تكن بهذا الاملا
ولاتجب لسائل فى حضرته
وللجدال دع ولو فى غيبته
ولتعتقده أكمل أهل العصر
ولتتركن لديه قول الهجر
وعصمة لاتعتقد هافيه

• بل حفظه عن كل مايرديه ولاتكن تعصيه امله • فمثل ذا ز يدفلك العله العقلية
وعنده لاتشطحن مع خاطر • يسقى الحشا من الشراب العاطر والضحك والخصام والمسابقه • لقوله دعهم وبالمسارقه
فانظر اليه واجلسن فى حضرته • مثل مصل جالس فى هيئته وهذه بعض الذى قد وجبا • على المريد للذى يدعى ابا
وان ذا نسبه حقا علا • على ابى الصلب أيا من جهلا فقم بها وفقت للمزيد • ونلت تقريبا من الحميد
وان فى قصة موسى والخضر • كفاية لكل صب معتبر قال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى النفحات القدسية فمن لم يتأدب مع شيخه كذلك لايشم من الادب مع الله تعالى رائحة لان الشيخ هو الذى يدخل من بابه المريد الى حضرة الله تبارك وتعالى ومن لم يكن له واسطة فى أبواب الملوك لايؤذن له بالدخول فافهم

ومن الادب أن لا يطلب من شيخه الجواب عن رؤيا رآها أو حادثة حدثت له بل يذكر حاجته و يسكت فان أجابه شيخه فذاك والا أعرض بقلبه عن طلب الجواب لئلا يصير شيخه محكوما عليه بالزامه الجواب له وهذه طريق تخالف طريق طلبة العلم الظاهري والفرق أن طريق الفقرا غالبا هي مواجيد يجدونها لا نقول يحكونها فاذا قال أنا ما فهمت هذا الكلام مثلا يقولون له اجل مرآة قلبك تفهمه فيملزم دائما على طالب الحلال لا غير وأما طريق طلبة العلم فانها نقول يحكونها عن أصحابها فلا يحتاجون الى توقف في فهم في الغالب وكذلك من أدب المريد أن لا يطيع في شيخه عدوا ولا يصاحبه فان الشيخ لا يكره مسلما الا بامر شرعي دعاه الى ذلك واذا كانت معاداة الشيخ غالبا هي بوجه شرعي فالمريد تقليد شيخه في ذلك كما يقلد الناس المجتهدون من غير مطالبتهم بدليل وكذلك لا يساعد لشيخه صديقا ولا يساعفه والحاصل أن أقاويل الأشياخ في ذلك كثيرة وانما المقصود التنبيه على احترام المشايخ ومعرفة ما هم عليه من العلم بالله تبارك وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم لترجع بركة ذلك على المريدين والمحبين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب التاسع﴾ في بيان أدب المريد مع اخوانه وبيان فضل الصحبة والاخوة في الله قال القطب الرباني سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في النفحات القدسية اعلم أن آداب الفقراء لا تحصى لانها مجموع ما في الكتب الالهية والاحاديث النبوية والآثار الصحابية والآداب السلفية ولكن يجمع آداب الفقير مع اخوانه أن لا يعاملهم الا بما يحب أن يعاملوه به و يرجو لهم من الخير ما يرجوه لنفسه و يحملهم في جميع مواطن التهم على ما يحب أن يحملوه عليه فيها لو وقع فيها ثم يرجو لهم قبول التوبة ولو فعلوا كبائر كما يرجو ذلك لنفسه اذا وقع فيما وقعوا فيه فمن فعل بتفاصيل ذلك فقد وفى اخوانه حقوقهم ثم لا يخفى عليك يا أخي أن المريد لا يقدر من التخلق الاعلى بعض الآداب لانه سائر لا التفات له الى شيء من الفضائل التي يحوز تركها ولكن اذا انتهى سيره وبلغ مبلغ الرجال فحينئذ يطالبنا بالتخلق باخلاق الكمل كلها وايضاح ذلك ان الاخلاق المحمدية لا تخلع على أحد الا ان دخل حضرة الله الخاصة وتلك الحضرة محرم دخولها على من بقي عليه بقية من رعونات نفسه بدليل عدم صحة الوضوء والصلاة لمن ترك لمعة من أعضائه لم يغسلها وكان سيدي أبو المواهب الشاذلي يقول حكم الملك القدوس ان لا يدخل حضرته أحد من أهل النفوس ثم اذا استقر في تلك الحضرة خلعت عليه الاخلاق المحمدية فيرجع متخلقا بها من غير كلفة عليه في ذلك وأعطى كل ذي حق حقه ولو أمرناه

العلية في الصور الحسية قصدا الى كمال السائر والافالمدد والمد والجذب الحسيات منتفية في هذا المقام وناهيك كلمة تستعمل في التفخيم والتعظيم ومعناها ان ما يدل لكماله في مقامه ينهاك عن تطلب غيره في ذلك المقام يقال هذا رجل ناهيك من رجل يعني غاية في كل ما تطلبه ينهاك بغناه عن تطلب غيره والبر بالكسر الخير واتساع الاحسان والبشر بالكسر طلاقة الوجه والمقصود هنا تفخيم ما لصاحب هذا الحال من النوال وتعظيم ما لمولاه عليه من الرحمة والاقبال وهنالك اشارة الى قوله فدت الخ وقرن الاشارة بالكاف الدالة على بعد المشار اليه واللام المؤكدة لذلك مع قربه لما أشير به اليه في اللطف اشارة الى البعد المعنوي وان هذه الحالة عديمة المثل فقيدة الشكل والاوصاف أي الاوصاف القدسية الكمالية والاخلاق أي الاخلاق الالهية الربانية وفي البيت تقديم وتأخير وحذف وبرد ألفاظه لمولاه والتصريح باللفظ المحذوف يتبين معناه أي هنالك يكون للاوصاف وللاخلاق أشرف خلعة عليه و يقال خلع فلان على فلان خلعا وخالعه اذا أعطاه ثوبا وخلع ثوبه اذا نزعه عن بدنه فاستفادة معنى العطاء من لفظ الخلع انما هو بوصل حرف على به لا بمجرد لفظه ثم ان أصل قولهم خلع عليه ونحو ذلك من خلق الملك ما دحه ملابس حولك منه مدحه وهذا قوله فأزال ما كان عليه وألقاه عليه وكذلك هذا العبد المحبوب لما جاذبه الذات الاقدس وتخلق باخلاقه وغطى وصفه بوصفه وحلى نعته بنعته عبر عنه بذلك تقريبا من باب التصوير والتمثيل ولما كان في كل من خلع الاوصاف والاخلاق سودد وشرف لا يسبح له تيار ولا يشق له غبار كان قوله بعد ذلك نخرا على نخر في غاية التمكن وهو خبر مبتدأ مقدر أي وذلك نخر على نخر ﴿يقول﴾ والله أعلم ولما سرت ودبت هذه المحبة أو خمرها في نفس هذا العبد المحبوب زكتها وطهرتها عن الرذائل ونورتها بالفضائل فنفت ظلمتها وأذهبت جمودها والاتها وأحرقت رغبتها وقطعت عروق منازعتها وطارت حينئذ لما تخلصت الروح من وثاق ظلمة النفس تلك المحبة أو خمرتها بروح هذا العبد البار الكثير الخير المتقرب الى مولاه بالنوافل الظاهرة والباطنة على حسب مقامه وما أهله الحق فيه حتى أحبه في طريق الله تعالى الذي هو المسلك في توحيده الذاتي الى ان استفادت جودها و بلغت غايتها ولقيته الذات الكريمة العلية عند ذلك الطيران و بلوغ روحه فيه غاية الامكان ومدت اليه يد جاذب رحمة منها به وتعطفا عليه أو فدت اليه رحمة محبوبه به وتعطفه عليه بجاذب فناهيك بما أسدت اليه من النوال وناهيك بما نال منها من البشاشة والاقبال ينهيانك بكمالهما وعظمهما واشتمالهما على جميع الخيرات ونهاية المسرات من التطلع الى غيرهما وتطلب ما سواهما وفي هذا الموطن

بالخلق في بدايته لانقطع عن السير وبتقدير أمر ناله بالتخلق بها فهي أشباح بلا أرواح لكثرة العلل والدسائس في عبادة المريد
اذا علمت ذلك فمن أدب المريد مع اخوانه ان لا ينظر لهم قط الى عورة ظهرت ولا الى عثرة سبقت فانه معرض للوقوع في مثلها كما
وقعوا وقد قال العارفون كل فقير كشف له عن شئ من عيوب الناس فهو صاحب كشف شيطاني لا يعبأ الله به ومن نظر الى عورات
الناس وحملهم على المحامل السيئة ذل نفعه وخرب سره وعدم الانتفاع بشيخه فالواجب عليه ان لا يتعدى النظر منه الى غيره لانه
ليس معه الاصلاح غيره انما هو في شأن اصلاح نفسه فقط حتى يخرج من رعوناتها وفي حديث الطبراني مرفوعا من تتبع
عورات الناس تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف رحله وكان الحسن البصري رضي الله تعالى عنه يقول والله
لقد أدركنا أقواما لا عيوب لهم فتتبعوا عورات الناس فاحدث الله لهم عيوبا انتهى فكل من لم يستر على
اخوانه ما رآه منهم من الهفوات فقد فتح على نفسه باب كشف عورته بقدر ما ظهر من هفواتهم وكان سيدي أحمد الزاهد يقول اذا رأيتم أحدا من اخوانكم على معصية فاستروه فان تجاهر لكم بها فوبخوه بينكم وبينه فان لم ينزجر فوبخوه بين الناس مصلحة له لعله يرعوي وينزجر ومادام يعصي في قعر داره ولو بحضرة اطفال داره فهو لم يتجاهر الا اذا كان الاطفال من أهل العبارة فانهم كالرجال وكان الحسن البصري يقول اذا بلغكم عن أحد زلة ولم تثبت عندكم فلا يجوز لكم رميه بها لاسيما ان كان هو ينكرها وينكر وقوعه فيها ويجب عليكم تكذيب من أشاعها لان عنده الأصل براءة الساحة حتى تقوم البينة الشرعية بذلك وكان سيدي محمد الغمري رضي الله تعالى عنه يقول لمن كان من المجاورين في الزاوية ويتتبع عورات الفقراء ويمشي بينهم بالافساد
فاخرجوه من الزاوية ولو بالحاكم وأقيموا عليه الموازين ولا تسامحوه في ذلك فتخرب الزاوية عن قريب
قال وينبغي للنقيب ان لا يمكن الشباب العزاب ينامون في خلوة أبدا لان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولو لم يكن عند
الشباب شر فان بعض الناس ربما لاث بهم فتشتغل قلوبهم وقلوب الفقراء ولا ينبغي للمجاورين ان يعترضوا على النقيب في منع
العزاب من ذلك فيرجع اللوث عليهم بسبب ذلك لان تفرقة الأطفال على الفقراء وتربيتهم من وظيفة الشيخ والنقيب لانه لسان
حال الشيخ فتجب طاعته وقد بسطنا الكلام على ذلك في أواخر كتاب العهود فراجعه والله أعلم ومنها ان ينفق على اخوانه وعلى نفسه
كلما فتح الله عليه به أولا فأولا ولو كانت فضلة أو خيارة ولا يعود نفسه الاختصاص بشئ عن اخوانه أبدا وما صار الناس رؤسا في
الطريق الا بالكرم والايثار وسلامة الصدور من الضغائن فقد كنت في بداية امري كلما دخل لي من الدراهم والدنانير فيه لقطها

تخلع عليه من أوصافها وتحليه بدلا من خلقه بخلقها وذلك فخر على فخر أي سودد على سودد
وشرف على شرف والى هذه الحالة أشار بعضهم بقوله

ليس من لوح بالاصل له * كالذي سير به حتى وصل
لا ولا الواصل عندي كالذي * طرق الباب وللدار دخل
لا ولا الداخل عندي مثل من * سار روه فهو للسر محل
لا ولا من سار روه كالذي * صار اياهم فدع عنك العلل
ذاك شئ خصص القلب به * لو تجلى منه للخلق قتل
كل فهراس تدانى نحوها * كل لاغ ماله فيها محل
كل عبد ماله عنه غنى * أنا عبد للحبيب ثمل
يا حبيبي واسمها أعرفه * ليس بالعين أرادها بل أجل

واعلم ان هذا المحل يجب قبض عنان القلم فيه حتى يعثر عليه السالكون لهذا الطريق المؤهلون
للتحقيق فلا تدرك حقيقته الا بالذوق والوجدان والشهود والعيان والعبارة لا تفصح عنه ولا توضحه
بل تزيده خفاء وصعوبة ولكن لما تحزب الناس فيه احزابا فمن مائل الى الظاهر مؤول
الاحاديث المشيرة لهذا المقام الكريم كقوله كنت سمعه فكنت حافظ سمعه عما لا يحل سمعه
وأمثال هذا ومن مائل الى الباطن غال مسرف يتجاوز الى الاتحاد والحلول رأينا ان نذكر بعض
كلام الائمة على سبيل الاشارة الى ما هم عليه فنقول قال الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله
رضي الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس فاذا أحببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ المعنى به وجود البقاء بعد الفناء فتمحى أوصافك
وتنطوي بظهور أوصاف المولى فيك وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول ان لله عبادا
محا أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره ما يعجز عامة الاولياء عن
سماعه وهم الذين غرقوا في بحر الذات وتيار الصفات فهو اذا فناآت ثلاثة ان يفنيك عن أفعالك
بأفعاله وعن أوصافك بأوصافه وعن ذاتك بذاته اهـ وقال الشيخ أبو محمد عبد السلام المقدسي
رضي الله عنه بعد كلام فاذا أفنيت ذاتك وذهبت صفاتك قام بصفاته عن صفاتك وبقائه عن
بقائك وخلع عليك خلعة في يسمع وبي يبصر فيكون هو متوليك ومواليك فان نطقت فبأذكاره
وان نظرت فبأنواره وان تحركت فبأقداره وان بطشت فباقتداره ثم قال اعلم ان المحبة لطيفة
روحانية تستولي بلطيف روحانيتها على كثيف ظلمانية المحب فيذهب اللطيف الكثيف

وتتلاشى

الناس وانا أنظرهو انابهامع كوني كنت محتاجا الى شئ منها مجاهدة لنفسي ورأيت مرة كأن القيامة قد قامت وقد نصب الصراط أدق من الشعرة واحد من السيف الى جهة العلو كالحبل المتدلى من سقف والناس يصعدون عليه و يزلقون فيقعون في النار فاردت الصعود فلم أقدر فقال لى ملك من الملائكة مالك لا تصعد فقلت لا أقدر فقال بى يكون معك شئ من الدنيا فقلت مامعي شئ فقال افتح كفك ففتحته فاخرج من بين أصابع يدي اليسرى شيأ قدرا لسفاية فقال هذه الدنيا التي تعوقك فرميتها فصعدت ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومنها ان ينبه اخوانه فى أوقات الخيرات والمواسم كالاسحار وليالى الجمع والاعياد وان يبادر والمبادرة للوضوء قبل دخول وقت الصلاة لئلا يدخل على الفقير الوقت وهو على اهبة ومن تهاون ربما فاتته السنة قبل الفريضة أو تكبيرة الاحرام أو بعض الركعات أو كل الصلاة كما هو مشاهد فى بعض الجوامع و يقولون الوقت متسع فقلت مرة لواحد منهم ولو كان الوقت متسعا فهل تقدر تجمع هذه الجماعة وقت ارادتك الصلاة بعد فوات هذه الجماعة فقال ذ فقلت له قم فتوضأ ولا تغش نفسك التي هي بيت الهم والتلبيس ثم لا ينبغي للفقير اذا انتبه قبل اخوانه وراى نفسه أكثر عبادة منهم ان لا يرى نفسه عليهم بل يرى نومهم أخلص من عبادته هو لان النائم لا يكتب عليه قلم ومن قام ربما لم يخلص فى عبادته فيكتب عليه القلم فلان قام رياء وسمعة وكان يجد حلاوة فى باطنه اذا اطلع عليه الناس فى ظلمات الليالى وهو ناصب أقدامه بين يدى الله عز وجل ثم لا يخفى أن كل من رأى حاله أحسن من حال اخوانه استحق اللعن كما وقع لابليس فى قوله انا خير منه فافهم وكان سيدى الشيخ عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى عنه يقول لا يكمل الفقير حتى يرى نفسه دون كل جليس من المسلمين وحينئذ يصير الوجود كله عده و يحد رمنه المدد عليه كما أوضحنا ذلك فى أول كتاب العهود ومن وصية سيدى الشيخ أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه فى مرض موته من تمشيخ عليكم فتلمذوا له فان مد لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله وكونوا آخر شعرة فى الذنب وكان يقول كثيرا لاصحابه من لم يكن له خديداس لا يصير له كف يباس وانظروا الى قوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله تعز واعلى هذا الكنز ومنها أى من آداب الفقير مع اخوانه ان لا يحتج على اخوانه اذا لاموه على عدم حضور مجالس علمهم واذ كارهم بالحجج الداحضة بل يبادر الى الاعتراف بالتقصير والاستغفار وقوله جزاكم الله تعالى خيرا فانكم اشفق على دينى من نفسى وفى كلام سيدى الشيخ أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه من انتصر لنفسه تعب ومن فوض الامر لمولاه نصره من غير أهل ولا عشيرة و ينبغى للفقير ان يحمل النفرة والكلمة الجافية من اخوانه و ينبغى للفقراء اذا ابدى المريد لهم عذرا فى تخلفه عن مجلس الذكر والمذاكرة وظهر لهم صدقه ان

وتتلاشى الجثمانية بالروحانية لقوة سلطان المحبة وذوب المحب تحت قهرها فان لنارها احتكاما ولسلطانها اصطلاما فاذا آذنت بحربها تدمر كل شئ بامر ربها فمحال ان يثبت مع المحبة سواها أو يثوى مثواها ومثال فناء المحب فى بقاء المحبوب الا مثل النار اذا استولت بلطافة روحانيتها على كثافة جثمانية الخشب والحطب فتفنى بشريته الخشب وتبقى روحانية اللهب فالذى تشاهده من الدخان الصاعد من الخشب فى بداية استيلاء النار عليه فاذا استحكمت النار ذهبت ذاتية الخشب وانقطع الدخان فكذلك ما يتصاعد من بخارات جهلك وخيالات نفسك فى بدايتك فاذا دام استيلاء نار المحبة ذهبت ذاتيته صفاتك وقامت بصفاتها عن صفاتك وبوجودها عن وجودك ومثال كون المحبة فى ذاتية المحب وسلب ذاتية المحب عن صفاتها ككون النار فى ذاتية الماء الحار فانت تظنه فى الصورة ماء يغرق وهو فى الحقيقة نار تحرق فلو دنيت منه شيأ لاحرقك فان قلت ان المحرق هو النار فاين الماء وان قلت المحرق هو الماء فاين النار ثم قال فان قلت كيف ينبغى للقديم ان يحل فى الحادث وكيف يجوز لمخلوق ان يتصف بصفة الخالق وما وجه قوله كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر فاقول ألا ترى ان النار كيف كست صفتها للماء بواسطة الحجاب حتى عاد الماء فى الصورة ماء وفى المعنى نارا يفعل فعل النار فى احراقها من غير ان تتحيز النار فى ذات الماء ولا اتصلت به ولا مازجته فهى متصلة بالصفات منفصلة بالذات وانما بواسطة قرب الماء من النار كسته صفاتها النارية فصار محرقا وكذلك الحق سبحانه وتعالى صفاته الباقية من غير تحيز ولا اتصال ولا انفصال ثم قال بعد كلام على فى يسمع ولم تسعنى أرضى ولا سمائى الحديثين فاذا سمعت و سعنى قلب عبدى المؤمن فاعلم ان القلب غيب والرب غيب فاطلع الغيب على الغيب قال واعلم ان لطيفة ذلك واشارته ان القلب خلق كامل الوصف فله وجهان ظاهر وباطن فظاهره ترابى أرضى طبيعى مظلم جثمانى وباطنه سماوى علوى نورانى روحانى فكثافة ظاهره ظلمته لمباشرة القوى الطبيعية البشرية ولطافة باطنه لوجاهة الملكوتيات العلوية الربانية الروحانية واستغراقه فعلى قدر مواجهته لها ومقابلته اياها انعكست عليه اشعة أنوارها وتجلت باسرارها فشاهدها بالانوار التى قد أفاضت عليه وأدركها بالاسرار التى أمدتها اليه فهو يشهد جمالية محبوبه فى مرآة قلبه من غير حصر ولا تحيز ولا حلول ولا انفصال وهو فى المثال كمرآة لها وجهان ظاهرها كثيف مظلم وباطنها لطيف مضىء فلو قابلها من الكائنات ما قابلها من صغير أو كبير رأيته متمثلا فيها مع صغر جرمها وكبر المرئى فيها ولو كان جبلا أو جملا رأيته بكل أجزائه فيها بغير حلول فيها ولا اتصال بها ولا تحيز فى شئ منها فكذلك الحق سبحانه وتعالى اذا

ان يقبلوا عـذره ومن علامة صـدقه الندم على فوات ذلك حتى تضيق عليـه الدنيـا ويترك الغذاء والشراب مثلا ولا يصبر له وجهة الى النـاس والا الى ضحك ولا لعب حتى يرضى عنه شيخه واخوانه فاذا رضى عنه شيخه واخوانه فذلك دليل على ان الحق سبحانه وتعالى قبل عذره في تركه لمجالس الذكر وقد جعـل الله تعالى الامدادات البادرة في مجالس الذكر واورادالمشايخ فمن لم يحضر مع شيخـه واخوانه في مجالس جمعهم واجتماعهم وبسطهم وقبضهم حرم بركة صحبتهم فان الفقير الصادق لا يتهنا ويصفي له الوقت الا بالحضور مع اخوانه في عهد شيخه ولهذا المعنى أشار الغوث سيدى الشيخ أبومدين رضى الله تعالى عنه في قصيدته بقوله
مالذة العيش الا صحبة الفقرا * هم السلاطين والسادات والامرا فاصحبهم وتادب في مجالسهم * وخل حظك مهما خلفوك ورا
واستغنم الوقت واحضر دائمـا معهم * واعلم بان الرضا يختص من حضرا ولازم الصمت الا ان سئلت فقل
* لا علم عندى وكن بالجهل مستترا
ولا ترى العيب الا فيك معتقدا
* عيبا بدا بينا لكنه استترا
وحط رأسك واستغفر بلا سبب
* وقم على قدم الانصاف معتذرا
وان بدا منك عيب فاعترف وأقم * وجه اعتذارك عما فيك منك جرى
وقل عبيدكم أولى بصفحكم * فسامحوا وخذوا بالرفق يافقرا
هم بالتفضل أولى وهو شيمتهم * فلا تخف منهم كمدا ولا ضررا
وبالتفتى على الاخوان جد ابدا * حسا ومعـنى وغض الطرف ان عثرا
وراقب الشيخ في أحواله فعسى * يرى عليك من استحسانه أثرا
وقدم الجد وانهض عند خدمته * عساه يرضى وحاذر ان تكن ضجرا
ففي رضاه رضا البارى وطاعته * وكن ٣ من تركها حـذرا
الى ان قال رضى الله تعالى عنه
متى أراهم وانى لى برؤيتهم * أو تسمع الاذن منى عنهم خبرا
من لى وانى لمثلى ان يزاحمهم * على موارد لم ألق بها كدرا
أحبهم وأداريهم وأوثرهم * بمهجتى وخصوصا منهم نفرا قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا * يبقى المكان على آثارهم عطرا
هم أهـل ودى واحبابى الذين هم * ممن يجر ذيول العز مفتخرا قلت هكذا ينبغى للفقير ان يرى اخوانه بالنظرة الكاملة ويعتقد فيهم العقيدة الصالحة ويحبهم المحبة الصادقة ويتأدب معهم الآداب اللازمة ليحظى بانوارهم ويتمتع باسرارهم ويروا من خمرة التوحيد ويدخل حضرة الجمع وجمع الجمع والتفريد ولهذا قال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ مصطفى البكرى رضى الله تعالى عنه فكن أخى محبهم جميعا * وفى المراضى كن لهم مطيعا وقدم حاجاتهم على الذى * تحتاجه تهدى الى الروض الشذى
وان خدمت فاشهد الفضل لهم * حيث لها ارتضوك تقضى مالهم واجلس مع الكبار والصغار * بادب تنجو من الصغار
وان ترى خدمتهـم هى الشرف * وبذلك الموجـود ليس بالسرف ولا تكن معـترضا عليهم * وفى الملمات افزعن اليهم

تجلى على قلب عبـده المؤمن يشاهده بعين يقينه ويجتليه بسر بصيرته من غير حلول ولا تحيز ولا انفصال ولا اتصال وأوضح من هذا المقال ما أشرحه في هذه الابيات

ولما تجـلى من أحب تكرما * وأشهدنى ذاك الجناب المعظما
تعرف لى حتى تيقنت انـنى * أراه بعيـنى جهـرة لا توهما
وفى كل حال أجتليـه ولم يزل * على طور قلبى حيث كنت مكلما
وما هو في وصـلى بمتصل ولا * بمنفصـل عنى وحاشاه منهما
وما قـدر مثلى ان يحيط بقدره * واين الثريا من طلاعة البدر انما
اشاهده في صفو سرى فاجتلى * جمالا تعالى عـزه ان يقسما
كما ان بدر التم ينظر وجهـه * بصفو غدير وهو في أفق السما

﴿وهـذا المقام في الوصول وحفظه * بباعث شوق من فؤاد على جمر﴾

هـذا اشارة الى ما تقدم من قوله وذو الحق الى آخر قوله هنالك البيت والمقام أصله المجلس والمراد هنا ما ذكر في الابيات المشار اليها رتبـة في الوصول وقد تقدم الكلام على الوصول وحفظه أى وحراسته وكلاءته وضميره للمقام وباعث شوق متعلق بحفظه وهو من اضافة الصفة الى الموصوف أى شوق باعث ويحتمل ان تكون الاضافة بيانية أى باعث الذى هو الشوق والشوق لغة نزوع النفس الى الشئ ومن فؤاد صـفة لشوق أى بشوق ناشئ من فؤاد على جمر صفة لفؤاد أى من فؤاد كائن على جمر من نار المحبـة ﴿يقول﴾ والله أعـلم وهذا التوحيد الذاتى والتجـلى بطريقها الذى أفدناه بقولنا وذو الحق الخ المقام ومرتبة في الوصول الى العلم بالله الحقيق الذى عـلى سبيل الذوق والوجـدان وحفظ هذا المقام وحراسته والثبوت فيه بين يدى الملك العلام بحيث لا يتسلى فيكون سبب وقوفه أو رجوعه القهقرى يكون بباعث شوق وطلب ناشئ من فؤاد على جمـر متلهب من نار المحبة الخاصة الذاتية فيكون دائم التسيار لا يقر له قرار ولا يفـتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جـديد أبدا طالب الزيادة الى غـير غاية ونهاية لعلمه ان الامور الالهية والكمالات القديمة الازلية ليس لها حد يوقف عنـده وأصل هذا البيت والثلاثة قبله قوله في العوارف وسئل الجنيد عن المحبـة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب قيل هذا علم معنى قوله فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا وذلك ان المحبـة اذا صفت وكانت لا تزال تجـذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة متأصلة متأكدة وكمال وصف المحبـة أزال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبـة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحـة

في

وان سئلت عنهم فانني كما * قد اعتقدت لاتكن متهما وذب عن اعراضهم ما أمكنا * وصافهم سرا كذا وعلنا

وعند أهل الفقر جاء اتخذوا * أبادما فما أحبائي خذوا وكل من تلقاه سل منه الدعا * وفيهم قول الوشاة لاتسمعا

وكل من آذاك فاصفح عنه * ولاتطالب مثل ذاك منه والنفس لاتنصر اذا عليهم * لولم يكن حق بدا لديهم

ولا تقل ثوبي ولا متاعي * تفزوكن نحو المراضي ساعي واستر عليهم ماترى من ذلة * ولاتعير واحدا بعلة

الا اذا كان بها مجاهرا * فكن له بين البرايا شاهرا لعله يؤب أو يتوب * بعد انقضاء ما هو المكتوب

وادع لهم في خلوة أو جلوه * واخلص لهم في الحب والموده وان نصحت فانصحن برفق * لهم ولاتحسد على الترافي

وكل من يقصد أذى اخوانه * فان ذا داع الى هوانه ودل ذا منه على بغض الى * أستاذه وبدر ذاق قد أفلا

فان من حب أبا حب الولد * ولا التفات لمن لهذا قد جحد ولا يعود نفسه التخصصا ١٩١ * الا اذا لم يلتق مخصصا

من دونهم فكل من تميزا
من بينهم شيطانه به هزا
ولو يشاطره أخ فيما ملك
فلينشرح ان كان ممن قد سلك
ولا يوافق من عليهم حطا
وان يكن في حطه ما أخطا
بل لو يكن واحدا من اخوته
فليزجره وليفرق من سكرته
بل يؤثرنهم بالذي هو المنى
وليشهد القبيح منهم حسنا
ولا يعامل للاخ الصغير
الا كما يفعل بالكبير
وان يغب أحدهم عليه أن
يسأل عن جهده ما أمكن
وان يكن قد علم احتياجه
أسعفه وفوّم اعوجاجه
وان يكن من دينه قد حبسا
سعى في الاطلاق محب أسسا
ثم يبش دائما في وجههم
و يقتدى أبنائهم في نهجهم
ومن يكن لهم بشئ يمتحن
آذاهم والمؤذي باءهر طحن
ومن له امامه قد قدما
حقا عليه ان لذاك يخدما
وان يكن في كل حال دونه
لاتفتحن في وجهه عيونه
ومن له باذن سيده ختما
فيا الى أحدهم ذا حتما

ووجب عليهم أن يقصدوا * كما على أستاذهم لم يبعدوا الا اذا غاب يجوز ذاكا * لواحد مقدم هناكا

ولا يوبخ مذنبا فيما مضى * من ذنبه حيث جرى حكم القضا وليعتقد في نفسه بانه * أقلهم عسى يفيض دنه

ولا يبح بماله أسره * أستاذهم فهذا ضره وهذه من بعض آداب الأخ * فاحفظ وكن بالروح للوصل سخي *

والحاصل أن أدب الاخوان مع بعضهم كثير فلنقتصر على هذا القدر اليسير اسأل الله تعالى أن يمن علينا بما من به على أوليائه وبحلينا بما حلى به أصفياءه من الأخلاق الكريمة والشمائل المحمدية العظيمة الفخيمة قال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضى الله تعالى عنه في النفحات القدسية وقد سمعت في ثلاث وخمسين وتسعمائة قائلا يقول وأنا طائف بالبيت الحرام يافلان قل اللهم أفرغ علىّ من الاخلاق المحمدية ما أتحمل به الاذى من جميع الأنام اللهم أفرغ علىّ من الاخلاق

في صدق المحب ونظره الى قصوره بعد استيفاء جهده فيعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته * واذا أبصرته فهو انا

وهذا الذي عبرهنا حقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله لانه نزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية ان يزكى نفوس احبابه بحسن توفيقه وتأييده وامنح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والاخلاق ويكون ذلك عنده رتبة في الوصول فتارة ينبعث الشوق من باطنه الى ما وراء ذلك لكون عظيم أمر الله غير متناه وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذي يسكن نيران شوقه وباعث الشوق تستغرا الصفات الموهبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق ورجع قهقرى وظهرت صفات نفسه المحيلة بين المرء وقلبه ومن ظن الوصول غير ماذكرناه أو تخايل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت واشارات الشيوخ في الاستغراق والفناء كلها عائدة الى تحقق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين وخاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال الاعوجاج البقايا واماطة اللوث الوجودى من بقايا صفات النفس ولما كان من جملة ما اتحف به صاحب هذا المقام خلع الاوصاف الربانية والاخلاق الالهية عليه وكان مقامه من المحبة كما قدمنا دخول أوصاف محبوبه على البدل من أوصافه وهذا مقام عظيم ولكن خطره جسيم ويخاف على من ظنه أو سمعه اذا لم تداركه العناية اعتقاد الحلول الذي أحالته النقال والعقول حذر من ذلك ونبه عليه مقتديا بشيخه كما قدمنا آنفا فقال رضي الله تعالى عنه

﴿وان اعتقادات الحلول ضلالة * اذا لم يكن كفرا فلا يخل من كفر﴾

الحلول يقال بمعنى القيام بالغير كحلول الاعراض بمحالها أى بالاجزاء وكحلول اللون بالجسم ويقال بمعنى الاستقرار كحلول الجوهر أو الجسم في الحيز وهو الفراغ المتوهم الذي يشغله شئ ممتد أو غير ممتد وقد يقال على الاتصاف كحلول الصفة بالموصوف وقد يقال على التقدم كحلول الصورة في المادة والجميع باطل ومحال على الحق سبحانه ولذلك جمع الناظم الاعتقاد والضلال الخروج والعزول عن الطريق والطريق هنا التوحيد الحق والتنزيه المحض والكفر بالضم وبفتح التغطية هو لغة وفي الشرع خلاف الايمان وقد تقدم الكلام عليه مستوفى على قوله ولا ترى ف

المحمدية ما أتلقى به جميع الأقدار الجارية على بالرضا والتسليم اللهم أفرغ على من الاخلاق المحمدية ما أصير به هاديا مهديا اللهم أفرغ على من الأخلاق المحمدية ما تصير به حركاتى وسكناتى كلها مرضية عندك اللهم أفرغ على من الاخلاق المحمدية ما أتجمل به بين يديك فى الدنيا والآخرة انتهى فكانت هى بعد ذلك غالب دعائى ولما فرغنا من الكلام على الادب بين الاخوان وحقوق الاخوة فى الله تعالى أحببنا أن نتكلم على فضيلة الصحبة والاخوة وفوائدها وشروطها والكلام على ذلك فى فصلين ﴿الفصل الاول فى فضيلة الالفة والاخوة﴾ اعلم يا أخى وفقنى الله تعالى واياك لما يعود النفع به علينا فى الدارين لاخفاء أن صحبة العارفين بالله تعالى والصالحين والعلماء العاملين واخوتهم عون كبير على سلوك طريق أهل الله تعالى والوصول الى كمال معرفته الذوقية قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا قال الأستاذ الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه لما أثبت سبحانه للصديق رضى الله تعالى عنه الصحبة بين أنه أظهر عليه الشفقة فقال تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فالحر شفيق على من يصحبه ثم قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم متى ألقى أحبابى فقال أصحابه بابينا أنت ومنا أولسنا أحبابك فقال أنتم أصحابى أحبابى قوم لم يرونى وآمنوا بى وأنا اليهم بالاشواق لا كثر وتامل تأثير الصحبة فى كل شئ هذه الطيور المفرسة بالصحبة رفعت على أيدى الملوك وهذا العود بصحبة النجار يعتق من النار وبصحبة القرآن تأكله النار ولله در القائل

علیك بارباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ساقط * فتنحط قدرا عن علاك وتحقرا

واعلم أن الالفة ثمرة حسن الخلق والفرقة ثمرة سوء الخلق فالخلق الحسن يزين فيوجب التحاب والتآلف والخلق السيئ يشين فيوجب التباغض والتحاسد والتدابر وحسن الخلق لا يخفى فضيلته قال عز من قائل فى مدح نبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فالخلق الحسن صفة الانبياء والصديقين وضده سموم قاتلة فاعرف العلة ثم شمر فى علاجها فالخلق قد يكتسب بالتعلم والصحبة قال السيد الهلالى رضى الله عنه كيف ينكر تغير الاخلاق والكلب يعلم والفرس والطير اذ هو رد صفة الى اعتدال وافراطها او تفريطها نقص قال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والعادمين كقوله تعالى ولا تسرفوا وقوله وكان بين ذلك قواما ويجعل الكمال يحمل نفسه على أفعال الجود ليصير طبعها صار جودا وكذا أفعال التواضع وكل خلق فان للعادة أثرا عظيما فلا يستهزئ الانسان بقليل ذنوبه أو كسله فيصير له دعادة

الارض البيت ولا فى قوله لا يخل من كفر ناهية ولذا جزم ما بعدها بحذف آخره وهو نهى عن ان يعتقد فيه انه لا يؤول لكفر الصراح ان سلم انه ليس منه ولا الناهية يجوز دخولها على فعل الغائب ﴿يقول﴾ والله أعلم وان اعتقادات الحلول فى الحق تعالى وتقدس بجميع أقسامه ووجوهه ضلالة وخروج عن التوحيد الحق والايمان المحض اذا لم يكن ذلك الاعتقاد كفرا صراحا نافيا للالوهية بالاولية فلا يخلو من كفر مكنى يؤول لذلك بالآخرية فلا تعتقد انه خال من الكفر بالكلية وبيانه ان الحال فى شئ محاط به محصور بما حل فيه وكل حاصر لشئ فهو له قاهر والمقهور لا يكون الها فقد آل القول بالحلول لنفى الالوهية بالآخرية وأيضا لما يلزم على كل وجه من الوجوه المذكورة فى الحلول من الافتقار ضرورة افتقار الحال لما حل فيه ولا شئ من المفتقر باله فكيف وهو الغنى على الاطلاق وكذا لو كان الغير يحل فيه لانه يكون مفتقرا اليه وانما حملت الكفر فى كلام الناظم على ذلك للبرهان القاطع على فساد اعتقاد الحلول وتأديته لنفى الالوهية المستلزم لكفر معتقده وقد نص الحافظ أبو نعيم الاصفهانى بالفاء بخط المؤلف رضى الله عنه والامام أبو حامد رضى الله عنهم وغيرهم على كفر القائلين بالحلول وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الارض واحتجب عن أهل العقول كما احتجب عن أهل الابصار وانه ما حل فى شئ ولا غاب عن شئ وان الملأ الاعلى يطلبون الله كما تطلبونه أنتم ثم ذكر برهانا على استحالة الحلول فقال رضى الله عنه

﴿وليس يحل الحادثات منزه * عن النقص والتغيير فاهجر ذوى الهجر﴾

المنزه المقدس والنقص عبارة عن كل ما يشين والتغيير تبديل الحال واهجر أى ارفض والهجر بضم الهاء وسكون الجيم القبيح وفى البيت تقديم وتأخير اضرورة الوزن والتقدير وليس منزه عن النقص والتغيير يحل الحادثات ووجه كونه برهانا ان كونه منزها عما ذكر أمر مفروغ منه ولا غبار فيه وعدم اجتماع ذلك مع حلول الحادثات مدرك بضرورة العقل لا يلتفت لمن يجحده بالقول فالحلول باطل وقوله فاهجر ذوى الهجر أمر على سبيل الاستئناف بهجران أصحاب الاعتقاد القبيح الذى هو الحلول واصل البيت قوله فى العوارف فى باب من انتمى الى الصوفية وليس منهم ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون ان الله تعالى يحل فيهم ويحل فى أجسام يصطفيها او يسبق الى فهومهم معنى من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم ويتخايل له ان من قال كلمات فى بعض غلباته كان مضمر الشئ مما زعموه مثل قول الحلاج انا الحق وما يحكى

بحرمه الخير والفوز بالمقصود وأما اكتسابه بالصحبة كما تقدم فان الطبع يسرق من الطبع لقوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل انتهى قيل للاحنف بن قيس رحمه الله تعالى ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقري قيل له وما بلغ من حلمه قال كان يوما قاعدا في مجلسه اذ جاءته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الخادمة فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى ولذا قيل من حسنت أخلاقه وجبت محبته ومالت القلوب اليه ومن ساءت أخلاقه تعينت بغضته ونفرت النفوس عنه وأنشدوا

اذا ساء خلق المرء لم يصف عيشه * وضاقت عليه في الامور مذاهبه
وذل وان كان العزيز ولم ينل * مراتب أهل المكرمات مراتبه
وجاهد من أخلاقه ما عليه * على مثلها أصحابه وأقاربه
وما جدا الناس امرؤ ساء خلقه * ولكن حسن الخلق يحمد صاحبه

قال الامام أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة فكيف وقد ورد الثناء على نفس الالفة سيما على الدين والتقوى قال عز من قائل لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال وأصبحتم بنعمته اخوانا أي بالالفة وقال عز من قائل في ذم الفرقة واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون وقال عليه الصلاة والسلام ان أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف صح من الاحياء وقال الشيخ سيدي محمد بن البناني مصاحبه رضي الله تعالى عنه

لا خير فيمن لم يكن الوفا * ولم يكن لغيره مألوفا
ومن يكن يصحب غير جنسه * فجاهل والله قدر نفسه
أفضل للمرء جلوس وحده * ولا يكن جليس سوء عنده
قد يرتجى الشفاء للسقيم * مهما يكن ملازم الحكيم
ومن ينازع فاطرحن نزاعه * فالدين مبني على الجماعه

وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظان وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ لا يوافقك على مسرتي فهو لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني وروى مثل الاخوين كاليدين تغسل احداهما الاخرى وروي ما اصطحب اثنان قط الا كان أحبهما الى الله ارفقهما بصاحبه قال الامام أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه وقال أبو ادريس الخولاني لمعاذ رضي الله تعالى عنهما اني أحبك في الله قال أبشر ثم أبشر فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش ومنابر من نور ترتقي عليها يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع

عن أبي يزيد سبحاني حاشا لله ان يعتقد في أبي يزيد انه يقول ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهذا ينبغي ان يعتقد في الحلاج قوله ولو علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرا للشئ من الحلول رددناه كما نردهم وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله منزه عن ان يحل به شئ أو يحل بشئ اه واعلم ان ما وقع من الاكابر مما يوهم بظاهره الحلول فانما هو على معنى ما تقدم في الاتحاد وقد رأيت ما أجاب به صاحب العوارف عن بعض ذلك وانه على سبيل الحكاية لا غير وللشيخ أبي عبد الله محمد المكي رضي الله عنه في هذا المعنى كلام طويل أجاد ما شاء قال اعلم ان المخالفين لهذا المعتقد يعني امتناع الاتحاد والحلول وتنزيه الله عنهما بالتحقيق هم النصارى لما ادعوه في عيسى عليه السلام وغلاة الشيعة لما ادعوه في علي كرم الله وجهه كما هو مسطور في كتب المقالات وقد أخرج النسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي ان فيك مثلا من عيسى بن مريم الذي قال فيه بنو اسرائيل من أجله ما قالوا ثم انه قد تبع هؤلاء الغلاة طائفة تنسب الى التصوف تسمى أوهم الاباحية اذا خاض السالك لجة الوصال فربما حل واتحد به وحينئذ يرتفع الأمر والنهي وهذا كله كفر صراح واعلم ان من الناس من ينسب القول بالاتحاد والحلول الى الصوفية بل الكمل منهم كما وقع للجنيد لما سئل عن التوحيد فانشد

رق الزجاج ورقت الخمر * ولون الماء لون انائه

وقول أبي يزيد المشهور عنه والشبلي وابن منصور الحلاج وسهل وغيرهم وهذا انما يتوهمه فيهم من ليس له اطلاع ولا استشراف على أحوالهم وتحقيق اصطلاحهم وذلك ان لسانهم لسان صدق وعن وجه حق فنطقهم تابع لوجدهم ووجدهم تابع لحالهم وحالهم العلم والمعرفة ومعلومهم الله تبارك وتعالى من حيث ذاته وصفاته وأفعاله اذ قلوبهم لم تسع علما الا ذلك قال الله سبحانه لم تسعني أرضي ولا سمائي وانما وسعني قلب عبدي المؤمن وهذا الحال العلمي يختلف بحسب تجلي الحق عليهم ولهم اذا الحال ثمرة التجلي وتجليات الحق تختلف بحسب شؤنه الذاتية والصفاتية والفعلية فلهم عند كل تجل حال وعند كل حال لسان ومنهم من يتحد عليه الحال الوارد فلا يكون له متسع لغيره فيكون ذلك الحال غالبا عليه ومنهم من تجمع فيه الأحوال فيقول بمقتضى كل منها فيعطي كل ذي حق حقه فان جمع بين علمي الأفعال والصفات فهو يقوم بمقتضى العبودية فرقا وبمقتضى الربوبية جمعا ومن جمع له العلم الذاتي والصفاتي والفعلي فهو يقوم بمقتضى العبودية فرقا وبمقتضى الربوبية جمعا وبمقتضى الالوهية جمع الجمع من حيث البداية أعني بداية الوصول

الناس ولا يفزعون يخاف الناس ولا يخافون هم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله قال هم المتحابون فى الله ويقال ان الاخوين فى الله اذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفعه الآخر معه الى مقامه وانه يلحق به كما يلحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت فى الله لم تكن دون عمل الولادة وقد قال تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه متعلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله وفى هذا المعنى أنشد بعض الادباء بيتين الأول منهما للاديب الفاضل أبى زيد عبد الرحمن البردعى أحد أدباء فاس والثانى للشيخ الامام أبى عبد الله محمد القورنى رحمهما الله تعالى وهما هذان البيتان

يظل الله تحت العرش قوما ... وهم سبع كما قال المصدق

امام شب فى حب وجمع ... وبكاء مدع وتصدق

فالبيت الثانى تضمن السبعة فتأمله ثم قال الغزالى رضى الله تعالى عنه قال الامام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة فى الدنيا والآخرة الا تسمع الى أهل النار فى النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون فى الله اذا التقوا فتبسم بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء اذا يبس وقال الفضيل رضى الله تعالى عنه نظر الرجل الى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة انتهى وقيل أعجز العجزة من الناس من فرط فى كسب الاخوان وأعجز منه من فرط فيما ظفر به منهم وقال بعض السادات لاسيما المفرط فى صحبة الفضلاء والصلحاء فبصحبتهم يستفاد خير الدنيا والآخرة قال الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضى الله تعالى عنه والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين للدين والعلم لانهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهم فيها أحد وسريان ذلك الى الصاحب من المحبوب هو غاية الامل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضره منها فمن جلس على دكان عطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما بالك فى الصحبة والمؤانسة ثم قال وبصحبة هؤلاء يحصل للمريدين من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا بذلك الى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم

واحدية الجمع من حيث النهاية وهؤلاء هم الذين يكون الفرق فى ظواهرهم موجود والجمع فى بواطنهم مشهودا وأما من انفردت له حالة من هذه فهو بحسبها ينطق ان كانت ذاتية وهى عين أحدية الجمع فلسانها الاخبار عن الله فقط اذ الاخبار عن غيره فرع العلم بغيره ولا علم بغيره وصاحب هذا المقام صاحب مقام احدية الجمع والتوحيد الذاتى وان كانت تلك الحالة اسمائية فهى جمع الجمع وهى شهود الخلق بالحق ولسانها الاخبار عن اسماء الله وصفاتها وتعلقاتها اذ الاخبار بعد عن غيرها فرع العلم بغيرها وصاحب هذا المقام صاحب مقام الواحدنية والتوحيد الصفاتى وان كانت حالة فعلية وهى الجمع وهى شهود الحق من حيث ابداع الخلق وايجاده وتصويره فلسانها الاخبار عن أفعال الله واحكامه فقط اذ الاخبار عن غيره فرع الشعور بغيره وغلبة هذه الاحوال عند انفرادها على قلب العبد تسمى اصطلاما وسكرا والدخول فى تلك الغلبة يسمى فناء ومحوا فاذا سمعت وليا من أولياء الله يقول سبحانى وانا الحق وانا هو أو غير ذلك فلا يتوهم انه يثبت محمول قضية لنفسه بل الانانية التى أخبر عنها انما هى انانية الحق جل وعلا واما انانية العبودية فلا شعور له بها لعدم صورتها من ذهنه وحسه فكيف يخبر عما لا شعور له به بل ذلك النطق الخبرى منع وفعل الذى أنطق كل شئ مخبرا عن ذاته جل وعلا كما قال تعالى منبها الناعلى هذا السر الالهى فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى انى انا الله رب العالمين وهذه الأحوال المنفردة التى توجب الاصطلام انما هى حال من تبعض له الكمال وأما من تم له الكمال كالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وورثتهم الذين تحققوا بالحقائق وسلكوا الطريق واستشرفوا على الحقائق فامتزجت السنة بأحوالهم وانبسطت الانوار من أفعالهم وأقوالهم فهم الهداة الذين يستهدى بهم كل قاصد ويسكن اليهم كل شارد ثم لكل منهم وارث ينفع قصده ويجد وجده وهم الأئمة المرضيون والعلماء الخاشعون وأولوا الالباب الذاكرون فهذا حال القوم فكيف يتوهم فيهم أو منهم حلول أو اتحاد وهم قد تبرؤا من ذلك كله بالدليل والحال والمقال وما ذكره الشيخ أبو حامد رضى الله عنه انما ذلك كان منه فيهم قبل ان يتحقق بعلومهم اذ هو انما تحقق بعلوم التصوف فى آخر عمره يشهد لذلك كتابه المنقذ من الضلال وهذا هو الظن به وان كان قد قال ذلك عنهم فى بعض كتبه الصوفية يريد بذلك ما هو المتبادر من الكلمتين وكانه أراد أن يفصح عن اشارتهم بالعبارة عن ذلك والعبارة تزيد ونق الاشارة ولهذا قال العبارة خفاء على انه لم يرد فى اصطلاح القوم شئ من ذلك الاطلاق الا ما ورد فى اصطلاح المتأخرين كالشيخ ابن الفارض رحمه الله بالاتحاد ما ذكره المتأخرون

في

عالم ولذا قال سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه ماذا نصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فتثمر رمانا للوقت فمن صحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وكانوا رضى الله تعالى عنهم يحبون من ينبههم على عيوبهم أقول سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم أصل كل معصية وغفلة وشهوة رضاك عن نفسك وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها وقال سيدى حمدون القصار رضى الله تعالى عنه اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع اشارة الى ان العجب بالعمل منتف فى صحبتهم وقال سيدى أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه شر الاصدقاء من أحوجك الى

المداراة وألجاك الى الاعتذار وقال مرة شر الاصدقاء من يتكلف له وأنشدوا للسيد يوسف بن الحسين الرازى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل مواتى
وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أحبه
ويحفظنى حيا وبعد مماتى
فمن لى بهذا ليت انى وجدته
فقاسمته مالى من الحسنات

ومن فضيلة الصحبة والاخوة فى الله تعالى حصول النشاط والقوة فان دوام الوحدة تبرد صاحبها ويقوى عليه الحس والكسل ان كان فى محل البدايات وقد تحصل له فترة أو وقفة فاذا اجتمع مع الاخوان قوى حاله وزال كسله ولذلك قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ورغب عليه الصلاة والسلام فى حضور مجالس الذكر كما تقدم قال بعض المتقدمين كنا اذا فترنا نظرنا الى محمد بن واسع فعملنا عليه اسبوعا أى بقى نشطنا فنعمل عليه اسبوعا فشاهدة الاخيار ترفع الهمة وتقوى العزيمة والمؤمن مرآة أخيه فيا فى المحاذى ينطبع فى المحاذى وقد قال أنس رضى الله عنه ما نفضنا أيدينا من التراب من دفنه عليه السلام حتى فقدنا قلوبنا ومنها استفادة العلم والمعرفة أما العلم فمن المذاكرة وأما المعرفة فمن المشاهدة قال بعض الحكماء فهم سطرين أفضل من حفظ وقرين ومذاكرة اثنين أفضل من هاتين أى أفضل من فهم سطرين وحفظ وقرين والنظر الى العلماء ومجالسة الحكماء عبادة كبيرة وبالله التوفيق

﴿الفصل الثانى﴾ فى فوائد الصحبة وشروطها اعلم يا أخى نور الله قلبى وقلبك بنور معرفته ووفقنى واياك لمعرفة أهل معرفته انه لا يصلح للصحبة كل انسان ولا كل من يصلح للصحبة فى الحضر يصلح للصحبة فى السفر فقد يصلح لصحبة الحضر من لا يصلح لصحبة السفر وكل من يصلح للصحبة فى السفر يصلح فى الحضر فلا بد للانسان ان يختار من يصلح للصحبة ولذا قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ولهذا المعنى قال الشيخ سيدى أحمد

فى الاصطلاح الذى الكل به موجود فيتحد به الكل من حيث كون كل شئ موجودا به معدوما بنفسه لا من حيث ان له وجودا خاصا اتحد به فانه محال وبالجملة فمعناه شهود اتحاد تعلق الموجودات كلها به جل وعلا اذ هى به موجودة لا بها اهـ هذا ومراد الغزالى من حيث كلامه فى التصوف وكل من له نسبة فى هذا الشأن وهو المسمى عندهم بالفناء فى التوحيد كما صرح به الشيخ أبو حامد الغزالى فى احيائه فى كتاب الصبر وغيره ولقد سمع سعد الدين رحمة الله عليه حيث قال فى شرح مقاصده ان السالك اذا انتهى فى سلوكه الى الله وفى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى فى الوجود الا الله وهو الذى يسمونه الفناء فى التوحيد واليه يشير الحديث الالهى من ان العبد لا يزال يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وحينئذ ربما صدرت عنه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال ونحن على ساحل التمنى نغترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعترف بان طريق الفناء فيه هو العيان دون البرهان والله الموفق للصواب اهـ وانما أطلنا فى هذا المقام حرصا على تحسين الظن بأولياء الله وتعميم الاعتقاد فى أهل الله جعلنا الله منهم ومن علمنا بما من عليهم انتهى وكأنه لنفيه ان الحلول لم يطالعه أحد خفظ اطلاق الشيخ أبى الحسن الششترى له مع ان كلهم ما سبعينى الطريقة وذلك قوله فى مقطعة له

حل من ذاتى بذاتو * وحياتى بحياتو وصفاتى بصفاتو * انا فيه وهو فيا

ثم قال

حل ربى بطورى * وظهر فى سطورى * واعتنانى بنورى * وتجلى لى

الى آخرها انتهى ما له الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه وذلك فيما رأيت بخطه وكتبه فى الهامش بخطه طوره قلبه ولفظ الحلول حسى والا فالمراد عن طريق العلم والمعرفة كما فى حديث وسعنى قلب عبدى المؤمن واليه اشار بقوله يعلم بيت قلبك مكان ولما كان الحياء والانس على مراتب لتعدد المشارب أشار الى ما يخص صاحبها بهذا المقام منها فقال رضى الله عنه

﴿وللروح اطراق لاجل جلاله * واجلاله ان الحياء لذو حصر﴾

الاطراق ارخاء العين نحو الارض من هيبة أو حياء يقال اطرق فلان أغضى كأنه صارت عينه طارقا للارض أى ضار بابها المطرقة والمراد هنا الاخبار عما يصيب الروح من شدة عظم المقام من شبه النكوص الى وراء ورجوع القهقرى أدبا وتعظيما ونوع دهش لا مللا أو هو عبارة عن اغضاء ناظر الروح دهشا من شعاع نور الذات وتعظيما لها كل ذلك يحتمل ولاجل جلاله

ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنه في الحكم لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله قال العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أحمد القشاشي المدني الانصاري رضي الله تعالى عنه في شرحه على جوهر هذه الحكمة النفيسة مانصه هذا ما عليه أجمع الشيوخ ونقل عليه قدم أهل الرسوخ لان السائر الناصح نفسه في ذات الله لا يعرج ولا يرغب ولا يواخي من لا ينهضه حاله ولا يدله على الله مقاله لان صحبة مثل ذلك مقعدة له عن سيره موجبة تأخره في طوره الى غيره وهذه كلها محرمات على السالك الى الله تعالى الموالي لله وان أبيحت لغيره وأنشدوا

لا تصحب أخا الجهل * واياك وإياه * فكم من جاهل أردى
حليما حين آخاه * يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه * قياس النعل بالنعل * اذا ما هو حاذاه
وللشيء من الشيء * مقاييس واشباه ولالقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وقال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه احذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين انتهى فمجانبة هؤلاء الناس اصلح للقلوب وأسلم للدين وفي صحبة أمثالهم فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه الصفات ليست من أوصاف الفقراء المتوجهين الى الله تعالى بل صحبة هؤلاء الاصناف من اشأم الناس على مريد الطريق وأضرهم عليه فهم اسوأ حالا منه وأكشف حجابا عنه ولذا قال الشيخ ابن عطاء الله ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو اسوأ حالا منك فلهذا قلنا انه لا يصلح للصحبة كل انسان ولقد سمعت الاستاذ رضي الله تعالى عنه يقول في المذاكرة لما كنا في حضرة أستاذنا رضي الله عنه كان يواخي بين الاخوان اخوة خاصة فكنا اذا رأينا من آخى بيننا وبينه الاستاذ ظهر عليه نوع كسل او فتور او دعاوى تركنا اخوته الخاصة في الحين واخينا غيره من أهل الهمة والحال والمقال حرصا على قلوبنا وخوفا من ان يسرق الطبع من الطبع فالصحبة لها تأثير عظيم وهي ركن من طريق أهل الله المستحسين المستقيم قال امامنا سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ولا من يؤثرك على نفسه فانه لا يدوم واصحب من اذا ذكر ذكر الله فالله ينوب عنه اذا فقد ويغني به اذا شهد ذكره نور القلوب وشهوده مفتاح الغيوب وليكن قصدك الله وحب الموت مع كل قوم ولا تطول أملك ولا تصحب من هو بغير هذا الوصف وان صحبته فلا تعول عليه وارفضه بأول قدم وعامله بالمعروف مدة الصحبة معك وقال أيضا رضي الله تعالى عنه الصحبة مع الله تعالى برفض الشهوات والمشيئات ولن يصل العبد الى الله تعالى ومعه شهوة من شهواته ولا مشيئة من مشيئاته انتهى قال بعضهم واعلم ان الصحبة تقع اتفاقية واختيارية فالاتفاقية

واجلاله دوعلة للاطراق والمراد بالجلال هنا العظمة وضمير هنا للذات الأقدس أيضا عليه يكون المصدر مضافا للمفعول أو هو عائد للروح أي تعظيم الروح اياه فيكون المصدر مضافا للفاعل وهو الموافق للعوارف والحصر هنا الحبس والقبض ﴿يقول﴾ والله اعلم ولروح هذا المحب المحبوب أو بصيرتها اطراق واغضاء لاجل عظمة الله التي شهدت وتعظيمه أي تعظيم الله أو تعظيم الروح اياه أن الحياء لصاحب حبس له عن المباسطة بالمشاهدة والمكالمة والاقدام الى التقبض والاحجام أولذو حبس لناظر الروح واطمأن أجفانه من التطلع الى أنوار تلك الطلعة قال في العوارف بعد كلام في الصبر وعندي في معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون في أخص مقامات المشاهدة أن يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالا وتنطبق بصيرته خجلا وذوبا وتغيب في مفازة استكانته وتخفيه لاحساسه بعظيم أمر التجلي وهذا من أشد الصبر لانه وداستدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تود ان تكتحل بصيرتها باستماع نور الجمال وكما ان للنفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فأشد الصبر عن الله تعالى لذلك اه وأنشد أبو اسماعيل عبد الله الانصاري ثم الهروي رضي الله عنه

اشتاقه فاذا بدا * أطرقت من اجلاله لا خيفة بل هيبة * وصيانة لجماله
الموت في ادباره * والعيش في اقباله واصد عنه اذا بدا * وأروم طيف خياله

وأصل البيت والذي بعده ماذكره في العوارف في حد الحياء والانس ونحن نذكر كلامه بأجمعه قال بعد ان ذكر الحياء العام الذي هو من المقامات وأما الحياء الخاص من الاحوال وهو ما نقل عن عثمان رضي الله عنه انه قال اغتسل في البيت المظلم فانطوى حياء من الله ثم ذكر بسنده عن السري انه قال احفظ عني ما أقول لك ان الحياء والانس يطوفان بالقلوب فاذا وجدا فيها الزهد والورع حطا والا رحلا والحياء اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية في المعنى والنهاية في العطاء قال بعض الحكماء من تكلم في الحياء ولا يستحي من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك الى ربك وقال ابن عطاء الله العلم الهيبة والحياء فاذا ذهب عنه الهيبة والحياء لا خير فيه وقال أبو سليمان ان العباد عملوا على أربع درجات على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء وأشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما أيقن ان الله تعالى يراه على كل حال استحياء من حسناته أكثر مما استحيا العاصون من سيئاتهم وقال بعضهم الغالب على قلوب

كالصحبة بالجوار وبسبب الاجتماع فى المكتب أوفى المدرسة أوفى السوق أوعلى باب ملك أوفى الأسفار أوفى شئ من المعاملات التى تقع بسبب الاضطرار فقد يضطر الانسان لصحبة العامة بل ولصحبة السفهاء وفى صحبة العامة قيل صحبناهم لما اضطررنا اليهم • كما اضطر صاد الى صحبة الكلب وهل أنا الا كالمصلى بقفرة • اذا لم يجد ماء تيمم بالترب وقد يضطر أيضا لصحبة السفهاء ليتقى بهم سفاهة من هو أشر منهم فقد قيل ضاع من لا سفيه له ولما أنشد النابغة رضى الله تعالى عنه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له • بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له • حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فض الله فاك فكان من أحسن الناس ثغرا اذا سقط له سن نبت له آخر مكانه وقال سيدنا مصعب بن الزبير ما ذل قوم الا ذلوا وفى هذا المعنى قال بعض الأدباء

من لم يكن ذا كلاب • عدت عليه الذئاب
من لم يواخ سفيها
كشط عنه الاهاب

وهذا كله مع الاضطرار ولابد من مراعاة حقوق الجميع وسيأتى ان شاء الله تعالى وأما الصحبة الاختيارية كمن أراد مصاحبة انسان أو مرافقته فى سفر أوفى عمل من الاعمال كشركة أوغيرها أو فى أمر دينى أوعلم أوغير ذلك من الفوائد المرادة فقد تستفاد من الصحبة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أوالجاه أو بالنفس والاعانة باليد أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وأما الدينية فتجتمع فيها أغراض مختلفة منها الاستفادة بالعلم والعمل ومنها الاستفادة بالجاه تحصنا به عمن يشوش القلب ويصد عن العبادة والاستفادة بالمال للاكتفاء عن تضييع الأوقات فى طلب القوة والاستعانة فى المهمات فيكون عدة فى المصائب وعمدة فى الأحوال والتبرك بمجرد الدعاء والشفاعة فى الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لهم شفاعة يوم القيامة ولكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك الى غير ذلك من الفوائد المرادة عند عقد الاخوة واعلم ان المحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمعاشرة وهذه لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه والمحبوب اما ان يحب لذاته أو لغرض والقصد اما أن يكون من أغراض الدنيا أو يكون متعلقا بالآخرة أو يكون متعلقا بالله تعالى فهى أربعة أقسام الأول ان يكون محبوبا بذاته تتلذذ برؤيته ومشاهدته لاتصافه بحسن الخلقة أو حسن الخلق وسائر الأوصاف المحمودة أو لمناسبة باطنية توجب الالفة والموافقة فان شبه الشئ ينجذب اليه وقد قيل

الوغد للوغد فى الاشياء مطبع • والخير و يحك فى الارذال ممتنع
أرسل الى الوغد وغدا ان بليت به • ان الطيور على أمثالها تقع

وقد جاء الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف قال الناظم

المستحيين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله اليهم انتهى ثم قال رضى الله عنه

﴿وان لديه فى كمال جماله • للذة أمنت طارق الذعر﴾

لدى بمعنى عند وضميره لصاحب هذا المقام وفى كمال جماله أى فى شهود كمال جمال مولاه فيكون ضمير جماله للحق والكلام على حذف مضاف ويحتمل ان يكون الضمير فى جماله للعبد ولا يكون فى الكلام حذف وأضاف الجمال اليه للملابسة والاضافة تقع بأدنى سبب ولذة أمن اسم ان وقرنه باللام للفصل بينهما بالخبر وأمنت الخ صفة للذة والطارق فى أصل اللغة السالك فى الطريق مطلقا ثم حصر فى التطرق بالآتى ليلا على غفلة والمراد هنا مجرد الاتيان والذعر بضم الذال المعجمة وسكون العين المهملة الخوف و بفتح الذال التخويف ومراده انما حصل له من الانس قد أمنه وجعله فى حصن حصين من طوارق الخوف فلا تجد اليه سبيلا ﴿يقول﴾ والله أعلم وان عند صاحب هذا المقام المتقدم الذكر فى حال شهود كمال الجمال المطلق الذاتى لذة أمن وسكون أمنته تلك اللذة من طوارق الخوف لانه قد ارتفع عن محله وحل فى منزل الانس بشهود جمال مولاه فلا يبرح عنه وكان الخوف شخص ينظر اليه على بعد فلا يقربه ولا يلم به وانما يعتريه مما قد يتوهمه من لا علم عنده خوفا وهيبة والفرق بين الخوف والهيبة ان صاحب الخوف اذا أمنته يأمن لان سبب خوفه توقع حصول العطف وهو يرتفع بالتأمين وصاحب الهيبة لا يرتفع عنه ما به وان أمن بل ربما كان التأمين تقوية لما به لان منشاه المحافظة على الأدب لمعرفته بجلال الله وعظمته وكبريائه وهذا ان لم يقوه التأمين لم ينقص منه شئ والحاصل ان الخائف يخاف الفعل وهو يزول بالتأمين والهائب انما يهاب الذات فهى لا تزول بالامن لانها مستحقة للرب بوصف التعظيم والاجلال وهذا واجب له على الدوام فكذلك الذى يهابه لا تنقضى هيبته قال صاحب محاسن المجالس ومن كان مستغرقا فى المشاهدة جاريا فى بساط الانس فلا يبقى للخوف بساحته المام لان المشاهدة توجب الانس والخوف يوجب القبض ثم قال بعد كلام فى هذا المعنى فالخوف اذا من منازل العوام فللخواص الهيبة وهى انهاد رجة يشار اليها فى غاية الخوف يزول بالامن ومنتهاه خوف الشخص على نفسه من العقاب فاذا أمن العقاب زال الخوف والهيبة لا تزول أبدا لانها مستحقة للرب بوصف التعظيم والاجلال وذلك الوصف مستحق له على الدوام وهذه الهيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة وتصون المشاهدة فى أحيان المشاهدة وتقصم المعاين بصدمة العز انتهى ولما فرغ من ذكر مقام حق اليقين وبعض مقتضياته أشار الى جمل مما كان ينازل هذا السائر الواصل فى اثناء طريقه فذلكة لما تقدم ومقدمة لما بعدها فقال رضى الله عنه

أماسمعت عن الأرواح ماذكروا * فيها وجاءت بها الآثار والحجج ان التناكر يكسوها مخالفة * وماتعارف منها فهو ممتزج

وهذا الحب لايدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما والا فهو مباح اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح الثانى ان يحبه لغرض دنيوى يتوصل به الى محبوب آخر كحب الذهب والفضة ليتوصل بهما لقضاء الحاجات والمآرب وكحب أهل الجاه لينتفع بجاههم فى الدنيا وأهل الصنائع والحرف والعلم ليقتبس منهم ما ينتفع به فى دينه وهذا ينقسم الى مذموم ومباح ان قصد به التوصل الى مقاصد مذمومة فهو حب مذموم والا فهو مباح والثالث ان يحبه لغرض أخروى كمن يحب أستاذه وشيخه لتحصيل العلم والعمل ان كان قصده الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله وكذلك من يحب تلميذه لينال بواسطته رتبة التعليم اذلايتم التعليم الا بمتعلم وكذلك من يحب خدمته ليتفرغ بذلك للعلم والعمل لله تعالى فهو محب وكذلك من يحب من يواسيه بماله ويقضى أغراضه بقصد الفراغ للعلم والتقرب الى الله تعالى بالذكر والانقطاع اليه سبحانه وتعالى فهو محب فى الله وكذلك من يحب زوجته لكونها تحصنه عن الوسواس ودان بها دينه وليولد له ولد صالح يدعو له فهو محب فى الله قال الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه وليس من شرط حب الله ان لايحب فى العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذى أمر فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه جمع بين الدنيا والآخرة قال فكل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب لله تعالى وكل زيادة فى الحب لولا الايمان بالله تعالى لم تكن تلك الزيادة من الحب فى الله الرابع ان يحب لله وفى الله لالغرض وهذا أعلى الدرجات ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله تعالى والمواساة بالمال هى على قدر المحبة فمنهم من يسمح بالشطر ومنهم باقل من ذلك فمقادير الأموال موازين المحبة والأجر والثواب فى المحبة فى الله والاذكار ولله بقدر قوة المحبة وأما شروط الصحبة والالفة فمنهم من عد خمس شروط تعتبر فى الصاحب وهى العقل والخلق والصلاح والزهد فى الدنيا والصدق فعلى هذه الخمسة اقتصر الامام أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه فى الاحياء وبداية الهداية ومنهم من أنهاها الى سبعة فعد فيها ان يكون سليم الصدر وان يكون ثابت العهد وان يقوم بحقوق الاخرة كما تقدم والله أعلم

﴿الباب العاشر﴾

فى فضل الطريقة الشاذلية بالخصوص وانها باقية الى آخر الزمان وان القطب لا يكون الا منهم على الدوام كما ذكره العارفون بالله تعالى الملك العلام (اعلم) يا أخى من الله تبارك وتعالى علىّ وعليك بالصدق فى محبة أوليائه العارفين وجعلنى واياك من أهل الفناء فيه سبحانه وتعالى والبقاء به جل وعلا والتمكين ان طريق القوم واحدة والمقصود فيها واحد وهو سبحانه وتعالى وما اختلفت

﴿وقد كان فى كشف الصفات فناؤه * يغيب به عن عالم الخلق والامر﴾
﴿وفى النور مهما شاهد النور سره * ولو انه بين المثقفة السمر﴾
﴿وهذا لاهل القرب فى الوصل رتبة * ولكنها من دون ذلك فى القدر﴾
﴿وكان وجود الهجر هجر اختياره * فناء فأفناه البقاء عن الهجر﴾

قوله وقد كان فى كشف الصفات البيت هو حكاية لما طرأ له فى مقام عين اليقين وقوله وفى النور البيت هو حكاية لما كان وقع فى أول مقام حق اليقين قبل ان يتدرب مع شربها و يتجوهر به المستفاد ذلك من قوله فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر وقوله وكان وجود الهجر البيت حكاية لما كان نزل به فى مقام علم اليقين عند تجلى الفعل وما هو عليه الآن من الوجود بالله والانسلاخ من وجوده بنفسه الذى يجب معه ترك الاختيار وهذه الابيات من القصيدة كالجامع ويقع فى بعض النسخ بدل وقد كان وما كان ولا فرق بينهما الا ان نسخة قد أهدى منها المراد وفى كون الجزاء حينئذ يكون مرفوعا وهو حسن وان كان الجزم أحسن وعالم الخلق ما تكون من القدرة الالهية بعضه من بعض بالتدريج وصحبه التغير كالاجسام ونحوها وعالم الامر تقدم وفى النور هو على حذف مضاف أى فى شهود النور وأراد بالنور وصفا مخصوصا للذات ولذلك افرده على الصفات قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه فى قول بعضهم كل المقامات من أنوار الافعال والصفات الا المحبة فانها من نور الذات الخ انما يريد وصفا مخصوصا من الذات هو وجهة المحبين وعند معرفة العارفين والا فالصفات كلها متصلة بالذات والمثقفة المقدمة والسمر بضم السين وسكون الميم جمع أسمر وهو من كان يقرب لونه الى السواد وصفت بذلك اصفائها وقوة زرقتها لانها اذا بلغت غايتها يقرب لونها الى السواد وهو أجود الرماح وأشدها ادهاشا لمن أحاطت به ولذلك عنى بها موصوفة بهذا الوصف وهذه اشارة لهذه الصفة المحكية فى البيتين ولكنها من دون ذلك اشارة الى ما قبل البيتين مما هو عليه فى حالته الراهنة صاحب حق اليقين من الصحو والبقاء والتمكين والرسوخ فى اليقين ودون تقدم الكلام عليها ﴿يقول﴾ والله أعلم وقد كان فناء صاحب هذا المقام قبل الآن فى كشف الصفات العلية الجلالية والجمالية وفى شهود نور عظمة الذات الاقدس حتى ما شاهد نوره سره يغيب بسبب ذلك الفناء لقوته وغلبته من عالم الخلق والامر الجامعين للوجود العلوى والسفلى غيبة صحيحة ليس له شعور معها بشئ منه ولو كان بين مثقفة سمر الرماح كما قال الشيخ أبو سعيد بن الاعرابى رضى الله عنه لما سئل عن الفناء هو ان تبدو العظمة والاجلال للعبد فتنسيه الدنيا والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات

المسالك الا لاختلاف المقاصد فقد قال أستاذنا العارف بالله تعالى والدال به عليه سيدي الشيخ محمد بن محمد الفاسي المغربي ثم المكي رضي الله تعالى عنه ان الطرائق الموصلة الى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق غير أنها تختلف باختلاف القاصدين والسائرين فكم من قاصد بقصد ولا سير له وهذا من مذموم قال ابن عطاء الله رضي الله عنه الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية وقال عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني وكم من سائر يسير ولا قصد له وهذا أيضا مذموم لانه سائر بزعمه فسير هذا النوع كسير أهل التيه يظنون بزعمهم انهم ظاعنون وليس لهم ظعن بل مقيمون مع أنفسهم كما قال بعضهم

رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم في الثرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

بل هذا النوع أكثف حجابا وأشد ذما من النوع الأول بأمور كثيرة منها انه راحل من كون الى كون وقد قال ابن عطاء الله لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا الذي ارتحل منه هو الذي ارتحل اليه ولكن ارحل من الأكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى ومنها انه سائر بنفسه لا بربه لانه واقف مع علمه وعمله قال ابن عطاء الله من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل لان الواقف مع عمله اذا نقص عمله شهد ذلك النقص زلة لانه يرى العمل من نفسه ولو تحقق بقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون لما شهد لنفسه فعلا كما لا يشهد له خلقا فمن ثم انقطع عن الله تعالى الزهاد والعباد وأكثر الخلق على هذه الحالة الا أهل الطريقة الشاذلية فانهم من أول وهلة يلقون المريد الصادق في تيار بحر الذات وغموض معاني الأسماء والصفات فيكانوا هنالك بلاهم ولهذا يلقنون المريدين في أول دخولهم الطريق اسم الذات بكيفية مخصوصة أنفع وأقرب لجمع القلب على الله تعالى لمن داوم عليها وجاهد نفسه فيها ففي أيام قلائل اذا صبر وثبت يحصل له مقام الفناء وتشرق على أرض قلبه شمس المعرفة الالهية الذوقية الشهودية بمقام البقاء ولذلك قال العارف بالله تعالى سيدي الشيخ داود بن باخلا في شرحه لحزب البحر فليتأمل المنصف من نفسه أحوال الشاذلية وسداد طريقهم بقوة يقينهم وكثرة أنوارهم وفتحهم وكشفهم مع تلبسهم بهم مع غرق كثير منهم في الأسباب وتلبسهم ظاهرا بأحوال العوام فتراهم أبدا محافظين في أحوالهم محافظين على أعمالهم قد انفتق في قلوبهم أسرار العلوم ولاح لهم حقائق الحكم والفهوم فترى أحدهم في صفة العامي وهو يلهج بالحقائق وينطق بالحكم والدقائق بما يعز وجوده على أرباب الانقطاع والخلوات وأهل التجلي والمشاهدات وهذا يدل على كثرة الأنوار وحصول العناية وانهم في صون

والاذكار تفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه لا يفرق في التعظيم وهو أحسن شئ قيل فيه وهذه الحالة وان كانت رتبة في الوصول والقرب من الحق تعالى وتقدس ولكنها من دون ما قدمنا في صفة صاحب حق اليقين من محوه بدوام شربه حتى تخلص من لوث وجوده الواقع عليه فناؤه وسكره وصار بالله لا بنفسه وار به لا لنفسه باقيا به وكان أيضا صاحب هذا المقام في مقام علم اليقين وتجلي الأفعال هاجرا اختياراته فانيا عن مراداته وأفناه البقاء بالله الحاصل له عند تمكنه في مقام حق اليقين بدوام شربه حتى تجوهر به وتخلص من وجوده بنفسه عن ذلك الهجر الذي تقدم له في ذلك المقام المتقدم لانه اضمحل وجوده وتلاشى وانسلخ منه عند لمعان نور شهوده وأنشاه الحق انشاء ثانيا ورد اليه اختياره باختيار الله وكان في الأشياء بالله لا بنفسه من أهل التعينة المحققين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر الحديث وأصل هذه الأبيات قوله في العوارف بعد كلام في الفناء الظاهر الذي قدمنا في تجلي الافعال والفناء الباطن أن يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولي على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء ان يغيب عن احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الاطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري وقلت له هل يكون بقاء المخلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفي وكان ذلك عندي من الشرك الخفي فقال لي هذا يكون في مقام الفناء ولم يذكر انه هل هو من الشرك الخفي أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار انه كان في الصلاة فوقعت اسطوانة في الجامع انزعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فرأوه في الصلاة ولم يحس بالاسطوانة ووقوعها فهذا هو الاستغراق والفناء باطنا ثم قد يتسع وعاؤه حتى لعله يكون متحققا بالفناء ومعناه ذوقا وحالا ولا يغيب عن كل ما يجري من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء ان يكون في كل فعل وقول مرجعه الى الله وينظر الاذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان صاحب الانتظار لاذن الحق في كليات أموره راجع الى الله بباطنه في جزئياته فان من ملكه الله اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا الا الفعل للاذن هو باق والباقي مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله

وحمايته فانظر رحمك الله تعالى بعين الأدب الى هذه الطائفة أرباب المقامات السنية والى ماخصهم الله تعالى من العلوم اللدنيه والمنازلات العرشية وعليك بحبهم فعسى تظفر بقربهم وتدخل حماهم وتصير من حزبهم كما قال ابن عطاء الله السكندرى رضى الله تعالى عنه

تمسك بحب الشاذلية تلق ما * تروم وحقق ذاك منهم وحصل

ولا تعدون عيناك عنهم فانهم * نجوم هدى فى أعين المتأمل

ولا تحجب عنهم بلبس لباسهم * فأنوارهم فى السر تعلو وتجلى

وجاهد تشاهد كى تراهم حقيقة * فافقدوا كلا ولكن بمعزل

على كل حال ليس يحوطر يقهم * مطيع لشيطان غوى وانذل

وما حجبوا الاعن اكمه قد غدا * عميا عن البدر المنير المكمل

تراهم اذا جليت مرآتك التى * تعاينها محجوبة بتغفل

هم أهل بيت للفضائل قد حووا * ٢٠٠ فياحبذا بيت حوى كل أفضل

وخذ عنهم وصف الكمال لعلى أن * تحوز مقاما للسماك الاعزل

فهم قادة لله جل جلاله * وهم مطر يسقى به كل أمحل

وهم رحمة منشورة وكرامة * وهم مرهم يشفى به كل معضل

قال أستاذنا رضى الله تعالى عنه ان الطريقة الشاذلية التربية فيها بثلاثة أشياء وهى الهمة والحال والقال فبالهمة يخفضون مريدهم تارة ويرفعونه أخرى وبالحال يربونه حتى يسير الى الله تعالى على أحسن الحالات بحيث يسير الى الله تعالى بطبعه فتجذب الى الشيخ قلوب المريدين انجذاب الحديد الى الحجر المغناطيس وبالمقال يسيرون من تبعهم واقتفى أثرهم وكان متعطشا متلهفا لما عندهم من العلوم اللدنية والمعارف الربانية والاسرار الغيبية والمسامرات العرشية وهذه حقيقة من كان كاملا فى الحكمة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن وقال سيدى الشيخ أحمد بن عطاء الله فى الحكم رضى الله تعالى عنه أنوار الحكماء تسبق أقوالهم لان الكلام اذا كان بغير نور لم يحصل له تأثير فى القلب كما قال ابن عطاء الله رضى الله تعالى عنه كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز وبهذا النور يربون المريدين بالنظرة قال سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه والله ما بينى وبين الرجل الا وانظر اليه نظرة وقد أغنيته وقال أستاذنا رضى الله تعالى عنه نحن كالسلحفاء تربى أولادها بالنظرة وقد قال الشيخ سيدى ابراهيم بن محمد بن ناصر الدين المويلحى قدس الله سره العزيز

ولو قيل لى من فى الرجال مكمل * لقلت الامام الشاذلى أبو الحسن

لقد كان بحرا فى الشرائع راسخا * ولاسيما علم الفرائض والسنن

ومن منهل التوحيد قد عب وارتوى * فلله كم روى قلوبا بها محن

وحاز علوما ليس تحصى لكاتب * وهل تحصر الكتاب ما حاز من فنن

فكن شاذلى الوقت تحظى بسره * وفى سائر الأوقات مستغنيا بعن

لا بالأحوال وخرج من القلب نظر بقلبه لا مع قلبه اه ولما كان حال صاحب هذا المقام من البقاء بالحق والوجود به كما وصفنا حتى انه ملك الاختيار وكان وجود الفناء فى العبد انما هو لبقاء ما فيه من وجود والا كان عزيزا ومطلوبا بالا لمزاحمة الوجود المذموم فاذا نزع المذموم من الموجود وتبدلت النعوت وصار العبد ربه لا بنفسه قد وهب له وجود آخر مطهر لم يكن للفناء عليه تسلط لعدم محله ولم يبق فيه عزة ولا حاجة وكان البقاء والوجود أتم لترتيب الافعال وتهذيب الاقوال أشار الى ذلك معللا لصحة دوامه فقال رضى الله عنه

﴿فلا عدم بعد الوجود فانه * بمودع سر العين فى باطن السر﴾

قوله فلا عدم توفرت شروط بنائه مع لا على الفتح وانما رفعه لضرورة الوزن وال فى الوجود للعهد والمعهود ما تقدم فى البيت قبله من ذكر البقاء وقوله فانه بيان نوع علة لما ذكر فى صدر البيت وضميره عائد للوجود وبمودع بأو سببية واسم مصدر التوديع وسر العين خالص الشهود وفى بعض النسخ سر الكشف أى خاصه وهو بين فى باطن السر متعلق بمودع وال فى السر معاقبة للضمير العائد للشخص المتكلم عليه ﴿يقول﴾ والله أعلم فلا عدم ولا فناء بطرأ بعد الوجود بالله والفناء بالحق لان ذلك الوجود نشأ بسبب توديع سر الذات الذى هو خالص شهودها فى باطن سرها الذى بلغ هذه المرتبة وصار مكانا له ومستقرا وثوى فيه وأقام به لا يبرح عنه وتمكن ودخل الى سويدائه وحبته المعينة بقوله باطن السر ومازجه وخالطه ولم يبق فيه بقية للغير وذهب عنه لذلك العلل والبقايا الموجبة للفناء والسكر واذا كان هذا التوديع دائما فانشاء عنه كذلك فكلما شرب هذا الواصل زاد صحوه وكلما غاب زاد حضوره وأصل البيت قوله فى العوارف ثم فى مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص الى البقاء والترقى من عين اليقين الى حق اليقين وحق اليقين نازل يخرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى قال سهل بن عبد الله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجويف الثانى ظاهر القلب وفيه العقل والقلب مثل النظر فى العين هو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذى فى سواد العين ومنه تنبعث الاشعة المحيطة بالمرآة فهكذا ينبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التى خرقت شغاف القلب ووصلت الى سويدائه وهو حق اليقين أسنى العطايا وأعز الأحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الأجزاء من التراب اذ يكون ترابا

ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة هي الأولى في الأصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع اه ثم أشار الى بعض مقتضيات الوجود بالحق تعالى فقال رضي الله تعالى عنه

﴿واني به في جمع جمع مؤيد * ومحو واثبات الى منتهى عمري﴾

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمانية وضميره يحتمل عوده لمضمون البيت قبله و باؤه سببية اذ الوجود المذكور في قوله طالع الذات صاحها الخ و باؤه للمصاحبة وفي جمع جمع حال من ياء المتكلم على الاحتمال الثاني في قوله به أي واني كائن في محبوبي حال كوني كائنا في كذا ومؤيد اى مقوى محفوظ منصور وهو خبر مبتدا مضمر أى وأنا مؤيد ومحو واثبات الظاهر جرهما بالعطف على جمع المجرور بمعنى و يجوز رفعهما على معنى ولي محو واثبات والمحو هنا رفع الأوصاف البشرية عينا وأثرا واذهاب العلة والاثبات اثباتها بالحق حسبما يأتي والى منتهى عمري مطلوب لكل من قوله في جمع جمع وقوله ومحو واثبات ﴿يقول﴾ والله أعلم واني مع محبوبي حال كوني حالا ونازلا في مقام جمع الجمع الذي هو شهود الحق والخلق واعطاء المراتب حقها واني بسبب الظفر بالوجود بالله والبقاء في جمع الجمع الى منتهى حياتي وحلولي في رمسي مؤيد ومنصور ومقوى لكوني لما استولى سلطان الحقيقة على حتى أفنت وجودي ومحيت رسومي وأذهب ظلمة حدوثي وتحققت لذلك بالفناء متجردا عن الاغيار منغمسا في الأنوار وثنيت بذلك الى مقام البقاء ورد الحق الى وجودي مطهرا عن لوث نفسي وصرت لا آنف الحقيقة وتمكني فيها بذهاب موجب استتارها وتلوني فيها نعطي فيها كل ذي حق حقه ونوفي كل ذي قسط قسطه نعطي الشريعة حقها في ظاهري و نوفي الحقيقة قسطها في باطني الجمع في باطني مشهود والفرق على ظاهري موجود لا يحجبني الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق لرؤيتي ان الكل منه وبه واليه وهذا من أعظم التأييد والتسديد وقال الشيخ جمال الاسلام القاشاني رحمه الله بعد كلام ذكرناه في عين الجمع ولعدم استقرار حال الجمع في البداية يتناوب في العبد الجمع والتفرقة فلا يزال يلوح له لائح الجمع و يغيب الى ان يستقر فيه بحيث لا يفارقه أبدا فلو نظر بعين التفرقة لا يسلب نظر الجمع ولو نظر بعين الجمع لا يفقد نظر التفرقة بل يجتمع له عينان ينظر باليمنى الى الحق نظر الجمع وباليسرى الى الخلق نظر التفرقة وتسمى هذه الحالة الصحو الثاني والفرق الثاني وصحو الجمع وجمع الجمع وهي أعلى رتبة من الجمع الصرف لاجتماع الضدين فيها ولان صاحب الجمع الصرف غير متخلص عن شرك الشرك والتفرقة

فاني له عبد وعبد لعبده * فياحبذا عبد لعبد أبي الحسن اذا لم أكن عبد الشيخي وقدوتي * امامي وذخري الشاذلي أكن لمن فيارب بالسر الذي قد وهبته * تمن علينا بالمواهب والفطن وما أحسن قول العارف بالله تعالى سيدي علي بن عمر القرشي تلميذ ابن المويلحي رضي الله تعالى عنه أنا الشاذلي ما حييت وان أمت * فشوري في الناس ان يتشذلوا وقال بعضهم تمسك بحب الشاذلي ولا ترد * سواه من الاشياخ ان كنت ذا لب فأصحابه كالشمس زاد ضياؤها * على النجم والبدر المنير من الحب وقال غيره تمسك بحب الشاذلي فانه * له طرق التسليك في السر والجهر أبو الحسن السامي على أهل عصره * كراماته جلت عن الحد والحصر ومن خصوصية هذه الطريقة الشاذلية رضي الله تعالى عن أهلها ما قاله الاستاذ الامام سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه قيل لي يا علي ما شئ من رآك بعين المحبة والتعظيم ولا من رأى من رآك ولو شئت لاطلقت ذلك الى يوم القيامة وقال رضي الله

تعالى عنه أعطيت سجلا مد البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي الى يوم القيامة هم عتقى من النار ومما يشهد لهذا الفضل العظيم الذي خص الله به هذا الامام الجليل رضي الله تعالى عنه انه في الليلة التي توفاه الله تعالى فيها قال قاضي القضاة عماد الدين بالاسكندرية كانت عندنا بالاسكندرية امرأة مسرفة على نفسها فرأيتها في المنام في حالة حسنة فقلت لها ما فعل الله بك قالت مات الليلة الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه ودفن في حميثرا فغفر لكل من مات من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها فكنت أنا ممن غفر الله لي بحرمة الشيخ اكراما له وذلك في حين سفره فلما قدمت الحجاج أخبروا بوفاته فوجدوا التاريخ صحيحا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن ذلك ما أودع الله فيه رضي الله تعالى عنه سر الاسم الاعظم حتى صار كل من توسل به الى الله تعالى استجاب الله تعالى دعاءه وأعطاه ما يتمنى قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي ابن عباد في المفاخر العلية والمآثر الشاذلية ما نصه كان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول اذا عرضت لك حاجة الى الله تعالى فاقسم عليه بي قال تلميذه وخليفته و وارث سره سيدي الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه فكنت والله لا أذكره في شدة الا انفرجت ولا أمر صعب الا هان وأنت يا أخي اذا كنت في شدة فاقسم على الله تعالى به وقد نصحتك والله يعلم ذلك والسلام وقال الشيخ أبو عبد الله الشاطبي كنت أترضى عن الشيخ أبي الحسن رضي الله تعالى عنه في كل ليلة كذا وكذا مرة وأسأل الله تعالى به في جميع حوائجي فاجد القبول في ذلك معجلا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له يا سيدي يا رسول الله اني أترضى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي في

كل ليلة بعد صلاة عليك وأسأل الله تعالى به في حوائجي أقضى على في ذلك شيأ اذا تعديتك فقال لي صلى الله عليه وسلم أبو الحسن ولدي حسا ومعنى والولد جزء من الوالد فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل واذا سألت الله تعالى بأبي الحسن فقد سألته بي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في هذا المعنى

تمسك بحب الشاذلي فتلق ما * تروم وحقق ذا المناط وحصلا
توسل به في كل حال تريده * فما خاب من يأتي به متوسلا

وقال القطب سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في كتابه السر المصون في قول النبي صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون ما نصه قال شيخنا أبو عثمان ان الناس يوم القيامة يزدحمون في المحشر على الانتساب للشاذلي رضي الله تعالى عنه فمن صح انتسابه للشاذلي شفع فيه اللهم انا نتوسل اليك به ان تجعلنا وأحبتنا من المحبين له والمحسوبين لديه وتحملنا على طريقه حسا ومعنى ظاهرا وباطنا آمين وأما من مدحه ومدح طريقته رضي الله تعالى عنه من الاولياء والعلماء في زمانه ومن بعده كما ذكره صاحب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية وأثنوا عليه الشيخ صفي الدين بن أبي منصور في رسالته أثنى عليه الثناء العظيم على حسب معرفته والشيخ عبد الله بن النعمان وشهد له بالقطبانية والشيخ قطب الدين القسطلاني في جملة من المشايخ والشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري في لطائف المنن والشيخ سراج الدين بن الملقن في طبقات الأولياء والشيخ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة والقطب سيدي عبد الوهاب الشعراني في طبقاته والمناوي في الكواكب الدرية وغير هؤلاء المشايخ كل واحد منهم يثني عليه بما عرف من قدره وما نازعه أحد من الاولياء في عصره وعلماء زمانه ومدحه أيضا الشيخ شرف الدين البوصيري صاحب البردة والهمزية في قصيدة مدح بها سيدي أبا العباس المرسي وشيخه سيدي أبا الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنهما فقال

ان الامام الشاذلي طريقه * في الفضل واضحة لعين المهتدي
فانقل ولو قدما على آثاره * فاذا فعلت فذاك أخذ باليد
واسلك طريق محمدي شريعة * وحقيقة ومحمدي المحتد
ما أفدي عليا بالوجود وكاننا * بوجوده من كل سوء نفتدي
قطب الزمان وغوثه وامامه * عين الوجود لسان سر الموجد
ساد الرجال فقصرت عن شأوه * هم المثوب للعلى والسؤدد
فلتق ما يلقي اليك فنطقه * نطق بروح القدس أي مؤيد
واذا مررت على مكان ضريحه * وشممت ريح الند من ترب ندي
ورأيت أرضا في الفلاة بحضرة * محضرة منها بقاع الفدفد
والوحش آمنة لديه كأنها * حشرت الى حرم بأول مسجد
ووجدت تعظيما بقلبك لو سرى * في جلمد سجد الورى للجلمد
فقل السلام عليك يا بحر الندا * الطامي وبحر العلم بل والمرشد

وأما من كان يحضر مجلسه من أكابر العلماء من أهل عصره الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم أخذ عنه الطريقة الشاذلية والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ عبد العظيم المنذري وابن الصلاح وابن الحاجب والشيخ جمال الدين بن عصفور والشيخ نبيه الدين

بالكلمة ألا ترى ان جمعه في مقابلة التفرقة وهذه مشتملة على الجمع والتفرقة فلا تقابل تفرقة ولهذه سميت جمع الجمع وصاحب هذه الحالة تستوي عنده الخلطة والوحدة ولا تقدح المخالطة مع الخلق في حاله ثم قال وصاحب الجمع الصرف فان حالته ترتفع بالمخالطة والنظر الى صور أجزاء الكون وصاحب جمع الجمع لو نظر الى عالم التفرقة لم ير صور الاكوان الا آلات يستعملها فاعل واحد الى آخر كلامه الذي نقلنا بعينه في عين الجمع وهو وقوله والجمع الصرف يورث الزندقة والاتحاد ويحكم بأحكام الظاهر الخ وقوله ومحو واثبات الى منتهى عمري يعني والله أعلم واني مع محبوبي حال كوني في محو واثبات أو اني بسبب الوجود والبقاء بالحق في حالة واحدة في محو لأوصاف البشرية لا معلولا في النفسية والروحية واثبات لي بانشاء الحق لي وجودا آخر الى منتهى حياتي وانقضاء أجلي وصرت بالحق في جميع شؤني وأموري لا بنفسي قد عدت الى نفسي بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة مجولة مطلوب بها صار عين الداء دواء وصور الاعلال شفاء لكوني بالله لا بنفسي وأصل هذا قوله في العوارف المحو محو رسوم الاعمال بنظر الفناء الى نفسه وما منه والاثبات اثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق اياه مستأنفا بعد ان محاه عن أوصافه قال ابن عطاء يمحو أوصافهم ويثبت أسرارهم اه وأما أصل قوله واني به في جمع جمع مؤيد فقد تقدم عند قوله واني به في عين جمع فراجعه هنالك ولما فرغ رضي الله عنه من مقتضيات حق اليقين على العموم أشار الى حالة منه هي أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله يكون منها لبعض خواص الخواص في الدنيا لحظ يسير فقال رضي الله عنه

﴿وللنور في كلمة العبد ساري * سرايته ماء الزهر في ورق الزهر﴾
﴿فيحظى بها روحا وقلبا وقالبا * ونفسا ألا أكرم بذلك من بر﴾
﴿وهذا لأهل القرب أشرف رتبة * ومن فوقها ما لم يمر على فكر﴾

وللنور مجرور باللام وفي كلمة العبد يفسرها قوله فيحظى الخ والمراد بالعبد المتقدم الذكر في قوله وذو الحق الخ الذي تخلص من البقايا ولم يبق عليه عبودية لشيء سوى محبوبه فأل فيه للعهد اذ هو المؤهل لهذه المنزلة والمستعد لرقي هذه الدرجة وساري نعت لمنعوت محذوف أي مدد ساري وأظهر ياءه في حالة الرفع لضرورة الوزن وسرايته ماء الزهر مفعول مطلق والزهر هنا النوار وفي ورق الزهر أصل وفي ورقه وضميره المزهر وانما أظهره لأجل الروي والوزن وماء الزهر يحتمل ان يراد به ما يخرج منه عند تقطيره فانه كان ساريا في ورقه ويحتمل ان يقصد به

ابن عوف وهؤلاء سلاطين علماء الدين شرقا وغربا فى عصرهم وأيضا الشيخ محيى الدين بن سراقة والعلم ياسين تلميذ ابن العربى رضى الله تعالى عنهم قال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ شمس الدين الحنفى رضى الله تعالى عنه خصت الطريقة الشاذلية بثلاثة أشياء لم تكن لأحد قبلهم ولا بعدهم الاولى انهم مختارون من اللوح المحفوظ الثانية ان مجذوبهم يرجع الى الصحو الثالثة ان القطب لا يكون الا منهم دائما وقال أستاذنا رضى الله تعالى عنه ومن خصائص الشاذلية انهم مأمونون من السلب وان شيخ التربية لا ينقطع من طريقهم الى يوم القيامة اه قول سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه سألت الله تعالى ان يكون القطب الغوث من بيتى يعنى من طريقته الى يوم القيامة فسمعت النداء يا على قد استجيب لك والى هذا المعنى أشار العارف بالله تعالى الشريف سيدى على وفا رضى الله تعالى عنه بقوله تلميذ الشاذلية أستاذ كل زمان وكان سيدى شمس الدين الحنفى يقول ان أدنى رسل الشاذلية لمن عاداهم العمى والكسح وخراب الديار وأنا منهم وسمعت أستاذنا رضى الله تعالى عنه يقول ان القطب الشريف سيدى عبد السلام ابن مشيش رضى الله تعالى عنه ضمن له النبى صلى الله عليه وسلم بان لا ينقطع طريقه منها شيخ التربية الى يوم القيامة ولذا قال سيدى محمد المغربى رضى الله تعالى عنه

الشاذلية قادريه وقتهم

قد خصوا بحقائق العرفان

بينهم ما قد علاهم منة

من نور معرفة وعلم بيان

صرح بذكرهم لهم تحظى بما

قد شاهدوا من فضله بعيان

ومما خصوا به الشاذلية الصحبة والمحبة والاخوة وهذه الثلاثة عندهم هى الركن الاعظم بالنسبة لاركان الطريق وهى المعول عليها عندهم على التحقيق مع الاقتداء والاهتداء والتصديق وهذا ظاهر مشاهد بالعيان من أهل طريقة ان خالطهم ومازجهم ووزن أعمالهم وما هم عليه بميزان أهل الطريق وما هم عليه أهل التحقيق وجدهم فى غاية الاستقامة من اتباع السنة المحمدية والاخلاق الكريمة من الحنانة والشفقة والرحمة والرأفة لبعضهم بعضا حتى ان الأخ يحمل أثقال المشاق من أهله وأولاده وجيرانه وأقاربه لأجل الاخوان والصحبة معهم ولا يؤثر من كلامهم وانكارهم فيه شئ لما خامر قلبه من محبتهم فى الله واخوتهم وصحبتهم لله كما قال بعضهم

تراهم تاركين لكل شغل * الى داعيهم متسابقين

اذا قال النقيب الله الله * تراهم حوله متساقطين

اذا اجتمعوا اجتمعوا على ذكره لا يشتغلون بعيوب الناس وانما يشتغلون بعيوب أنفسهم والبحث عنها وعن عيوبها ودسائسها وقبائحها وحيلها ومكرها والتفتيش على صلاحها ورجوعها الى الله تعالى على أحسن الحالات وأكمل الهيئات يحافظون على الصلوات ويتباحثون على السنن والمفروضات مجتنبين ما نهاهم الله تعالى عنه مسارعين الى ما أمرهم به لا يرون الفضل على

ما ينزل عليه من ماء المطر والنداء ويقف على ورقه فانه يسرى فيه حتى يصير غضا من سريانه فيه فيحظى الحظ والظفر بالشئ وضميره للنور لان لفظه مفرد وفى بعض النسخ بها وهو عائد اليه أيضا باعتبار معناه لان أل فيه جنسية وكذلك اختلف نسخ العوارف فى تذكير الضمير وتأنيثه وحيث كان مذكرا فهو عائد للنور والسريان وان كان مؤنثا فهو المشاهدة حسبما يأتى ولكن الذى عندى فى نسخة منها باحدى وثلاثين سنة عليها خطه وقرئت عليه مرارا وعلى تلامذته وتلامذة تلامذته تلامذته تذكير الضمير وروحا الى آخر المنصوبات الأربعة تمييزات والأحرف تنبيه وأكرم بذلك صيغة تعجب بمعنى ما أكرم ذلك والاشارة لقوله وللنور الخ ومن بريكسر الباء تمييز أى ما أعظم ذلك خيرا وهذا اشارة لهذه المنزلة المشاهدة وضمير قوله ومن فوقها الخ لهذه المشاهدة

(يقول) والله أعلم ولنور المشاهدة مدد سار فى كلية العبد الحر من رق الاغيار والانوار المتحققين الفؤاد للواحد القهار كسرايه ماء الزهر فى ورقه حتى تنغمر به جميع معانيه وعوالمه ولطائفه وكثائفه ولا يتميز جزء منها على الآخر ويرتفع حكم التقايد بينهما فيحظى المذكور بذلك النور روحا وقلبا ونفسا وقالبا لفيضان النور من روحه على قلبه ثم على نفسه كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالقالب مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح انظر واوتهم واما أعظم ذلك من خير لكونه غمر نور المشهود كله وبعضه ولم يختلف عنه منه ذرة وهذا الذى ذكرنا أشرف رتبة فيا لها أهل القرب من محبوبهم وفوق هذه المرتبة من المراتب ما لا يجرى على فكر ولم يخطر لى ببال لكون كمال الله وجماله وجلاله لا نهاية له ولا يحفظ عجائبه وغرائب أحواله وصف الواصفين وبحر المعرفة لا ساحل له فيدرك الواصل الى هذه المرتبة فى عين وصوله ويعلم أنه لا يدرك قطرة من بحره وان وراء ما ادركه بحارا تحار فيها فهوم الأولين والآخرين من الأكابر وأولى العزم من المرسلين صلى الله عليهم أجمعين قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه واذا كان حق الحق العز والوصول اليه فى التحقيق محال فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى يوصل اليه الاوفى مقدوره سبحانه ما فوقه يقدر أن يوصله اليه اه وقال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكن لهم نهايات يقفون تحتها وغايات يصدرون عنها تحمل أماكن لمزيدهم ويزدادون فى وسعها ويعدون بعلوم يطالبون ما يكاشفون عما وراءها أبد الآباد بلا آخر ولا أمد اه وأصل الابيات قوله فى العوارف آخر كلامه على الوصول ونحن نذكره بجمعه تكميلا للفائدة قال فيها واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليه الشيوخ وكل ما وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو فى رتبة من الوصول

ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو فى رتبة التجلى فينفى فعله وفعل غيره لوقوفه
مع فعل الله ويخرج فى هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة فى الوصول ومنهم من يوقف
فى مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات
وهو رتبة فى الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا
فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين وهذه رتبة فى الوصول وفوق
هذا حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى
يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى رتبة فى الوصول واذا تحققت الحقائق يعلم
العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه بعد فى أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول
لا تنقطع أبد الآباد فى عمر الآخرة الابدى فكيف فى العمر القصير الدنيوى اه وقد نجز والحمد لله
ما أردنا وبلغ الغرض فيما قصدنا ونحن نستغفر الله مما ارتكبناه من الامر العظيم واقتحمناه
من الخطر الجسيم من الكلام فيما لم تبلغه أقدامنا ولا خصت به أذواقنا مع قصور علمى وضعف
فهمى وتكلف ما ليس لى لكننى حوّلت فى الجميع بينما ذكرت من الامر الباعث عليه وبين
هذا الامر المحجم عنه أن أقتصر على ما أمكننى من حل الكلام وربطه فقط وغير ذلك مما لا بد منه
وذلك على حسب ما فهمته من كلامهم وانتهى الى علمى من مذاهبهم وأتيت فى الغالب بنصوص
الأئمة وعيون الامة مكتفيا بها من الكلام فى ذلك ورأيت ان ذلك من أقرب طريق الى الأدب
وأسلم من العطب ومع ذلك فنحن نستغفر الله من ذلك ونسأله سبحانه أن يسلك بنا أجل المسالك
انه ولى ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله
أولا وآخرا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين وصحبه المنتخبين الأكرمين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال مؤلفه العبد الفقير الى الله الكريم أحمد بن يوسف بن محمد
ابن يوسف الفاسى أصلح الله حاله وبلغه فيما لديه آماله فرغت من هذه النسخة بعد الزوال من
يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر شوّال عام واحد وألف سنة من الهجرة النبوية
عرفنا الله خيره وبركته عنه وكرمه وذلك بمدينة فاس حرسها الله
من كل باس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

بعضهم بعض لذل نفوسهم عندهم كبيرهم يقبل النصيحة من صغيرهم وكبيرهم لا يرى له الفضل على صغيرهم ويرون بعضهم بعضا
كل واحد منهم فى منزلة أستاذه فيتواضعون وينظرون الى بعضهم بعين الاجلال والتعظيم اذا أخطأ كبيرهم لا يترك كونه من النصيحة
مع عدم الازدراء به والتهاون بحقه لا يشتغلون بتزيين ظواهرهم ولا يغفلون عن جلاء بواطنهم قلوبهم متعلقة بالله لا يرون فى الدارين
غير الله ولا يشهدون الا اياه هممهم علية ونفوسهم زكية وعهودهم وفية وأقوالهم مرضية وبصائرهم مجلوة وأنوارهم فى
كل شئ سارية آخرهم يقتفى آثار أولهم وبأنوار سلفهم يتنور آخرهم امداداتهم سارية وأنهارهم جارية ليس لهم آبار
ولا دلاء يستقون من بحار الغيوب ويكرعون من لجة المحبوب أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون اذا ظهرت زلة على
أحد من اخوانهم ستروه وان خالف الشريعة والطريقة هجروه وان اقترف ذنبا واعترف به سامحوه وان رجع اليهم
المسىء فى حقهم قبلوه وان جهل عليهم من لا يعرفهم عذروه وكيف لا وأجسامهم فى الارض وقلوبهم فى السماء
وأرواحهم فى الملا الاعلى
ليس لهم عدو الا أنفسهم ولا
حبيب الا مولاهم ان خالطهم
أحد بانكسار ارتفعت عنهم
الحجب والاستار وان بارزهم
بالعداوة فقد أوذن بحرب
الجبار وكان سيد هذه الطائفة
الامام أبو الحسن الشاذلى
رضى الله عنه يأمر أصحابه
بالجمع على محبته لان مبنى
طريقه رضى الله تعالى عنه
عليها يعنى المحبة قال فى لطائف
المنن كان مبنى طريقة الشيخ
رضى الله تعالى عنه الوصول
الى الله تعالى والتوكل عليه
والتفويض له وعدم التفرقة
قال الشيخ ابن عباد رضى الله
تعالى عنه وكان سيدى أبو الحسن
الشاذلى لا يأمر أحدا من أتباعه
بترك حرفته أو تجارته وانقطاعه
اليه بالكلية بل يعرفه الطريق
الى الله تعالى وهو باق على
حالته فى حرفته أو تجارته وكان
لا يحب المريد الذى لا سبب له
ولا حرفة وان السادة الشاذلية
رضى الله تعالى عنهم هم أشد
المشايخ حثا للمريدين على عمل الحرفة والكسب حتى كان الاستاذ سيدى الشيخ أبو العباس (فصل
المرسى رضى الله تعالى عنه يقول لاتباعه عليكم بالسبب والكسب وعمل الصنائع والحرف وليجعل أحدكم مكوكه سبحته أو تحريك
أصابعه فى المياطة أو الظفر أو غيره سبحته لما ورد فى ذلك من الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ما يأكل العبد من
كسب يديه وقال عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان أحدكم يحتطب
حزمة حطب فيبيعها خير له من ان يسأل الناس أعطوا أو منعوا ومما يدل على فضيلة الشاذلية ما ذكره صاحب كتاب
الابريز ما نصه سأل بعض الفقهاء مولانا الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله تعالى عنه ونفعنا الله
تعالى به آمين عن طريق الشكر وطريق المجاهدة أيهما أولى بما نصه سيدى رضى الله تعالى عنكم وأرضا كم ما الفرق بين طريقة

الولى العارف الشاذلى واتباعه والغزالى رضى الله تعالى عنه واتباعه حتى ان الأولى مدارها كلها على الشكر والفرح بالمنعم من غير مشقة ولا كلفة والأخرى مدارها على الرياضة والتعب والمشقة والسهر والجوع وغيرهما فهل هما سيدى متوافقان على الرياضة وانما يأمر الشاذلى بالشكر بعد القرب للوصول أوعنده أو هو أمر بالشكر والفرح بالله من أول وهلة وحين البداية وهل الطريقان يمكن سلوكهما لرجل واحد أولا يمكن ان ينتفع باحداهما الا بالاعراض عن الأخرى جوابا شافيا فاجاب رضى الله تعالى عنه بان طريقة الشكر هى الأصلية وهى التى كانت عليها قلوب الانبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم وهى عبادته تعالى على خلوص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها وسكون ذلك فى القلب على ممر الساعات والازمان فلما علم منهم تبارك وتعالى الصدق فى ذلك أثابهم بما يقتضيه كرمه من الفتح فى معرفته ونيل اسرار الايمان به عزوجل فلما سمع أهل الرياضة بما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلوبهم ومرغوبهم فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام والسهر ودوام الخلوة حتى حصلوا على ماحصلوا فالهجرة فى طريقة الشكر كانت من أزل الأمر الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم لا الى الفتح ونيل الكشوفات والهجرة فى طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل المراتب والسير فى الاولى سير القلوب والثانية سير الابدان والفتح فى الأولى هجومى لم يحصل من العبد التشوف اليه فبينما العبد فى مقام طلب التوبة والاستغفار من الذنوب اذ جاءه الفتح المبين والطريقتان على صواب لكن طريقة الشكر اصوب واخلص والطريقتان متفقتان على الرياضة لكنها فى الأولى رياضة القلوب بتعلقها بالحق سبحانه وتعالى والزامها العكوف على بابه واللجأ الى الله تعالى فى الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلات المتخللة بين أوقات الحضور وبالجملة فالرياضة فيها تعليق القلب بالله عزوجل والدوام على ذلك وان كان الظاهر غير متلبس بكبير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تنافى رياضة الابدان قلت وهذا الذى ذكره سيدى الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله تعالى عنه وهو الذى تلقاه عن أشياخه السادة الشاذلية رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأيضا مما يؤيد فضيلة الطريقة الشاذلية ماذكره صاحب الوسيلة الى المطلوب فى مناقب المجذوب مانصه قال لما كنت فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم يامجذوب هؤلاء الاقطاب أهل الطرق قد اجتمعوا وكان قد اجتمع اذ ذاك منهم جماعة كسيدى أحمد البدوى والرفاعى والجيلى وغيرهم فاختر لك طريقة فقلت اختر لى أنت يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اخترت لك الطريقة الشاذلية ثم

٣(فصل) فى اختلاف المسالك والمقصود واحد وان مسالك القاصدين مختلفة لاختلاف أحوالهم أى القاصدين ومقامات السالكين (فمنهم) من سلك طريق العبادة ولازم الماء والمحراب واشتغل بكثرة الذكر والنوافل وواظب على الاوراد وهى أسلم الطرق أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب (ومنهم) من سلك طريق الرياضات والمكابدات وقهر النفس فى المخالفات وهى أصح الطرق أولئك ماعليهم من سبيل (ومنهم) من سلك طريق الخلوة والعزلة طالبا للسلامة من المخالطة وهى أفضل الطرق أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا (ومنهم) من سلك طريق السياحة والاسفار والاغتراب عن البلدان وخمول الذكر وهى أوضح الطرق أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة (ومنهم) من سلك طريق الخدمة وبذل الجهد للاخوان وادخال السرور عليهم وهى أعز الطرق أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه (ومنهم) من سلك طريق المجاهدات وركوب الأهوال ومباشرة الأحوال وهى أطرق الطرق أولئك يجزون الغرفة بما صبروا (ومنهم) من سلك طريق اسقاط الجاه عند جميع الخلق وقلة الالتفات اليهم وترك الاشتغال بشرهم وبخيرهم وهى أوفر الطرق أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (ومنهم) من سلك طريق العجز والانكسار قال الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم (ومنهم) من سلك طريق التعلم والمسئلة ومجالسة العلماء وحفظ العلوم وهى أظهر الطرق أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وكل طريق يحتاج فيه الى موقف يأخذ به ليسلم من الحيرة والفتنة قيل لبعضهم ان فلانا قد رجع فقال ما أراه رجع الا لوحشة الطريق من قلة سالكيها

﴿تمت الأقسام﴾

---

٣ وجد هذا الفصل بذيل هذا الشرح مع ذكر القصيدة المسماة بانوار السرائر وسائر الانوار بتمامها أعنى التى وضع هذا الشرح لها فالحقناها به تتميما للفائدة وحرصا على الاتيان بجميع ما كتبه الشارح اه مصححه

بسط يده لي فبايعني فيها فاخذتها من يده الكريمة وانا أحمد الله على ذلك وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الهداية لان المراد التنبيه على طريقة السادات الشاذلية وشرفها وقربها وسهولتها ولنذكر شيأ من كلام الاستاذ الكامل الهمام الفاضل العارف بالله تعالى الواصل الجلي سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وعنابه في الطريق المخصوصة به التي أسسها الاتباعه مما يستدل به على صحة طريقته فاقول وبالله التوفيق والهداية لاقوم طريق قال رضي الله تعالى عنه وعنابه اعلم أيدك الله تعالى انك اذا أردت الوصول الى الله تعالى والتقرب اليه فاستعن به وتوكل عليه واجلس على بساط الصدق مشاهدا ذاكرا له بالحق رابطا قلبك بالعبودية المحضة على سبيل المعرفة التامة ولازم الذكر والمراقبة والفكر والتوبة والاستغفار فانا أشرح لك هذه الجملة لئلا يقع الغلط فيها على سبيل الوصلة وهي ان تقول الله الله مثلا أو ما شاء الله من الذكر مراقبا لقولك بالتقوى في الدفع عن نفسك عن

﴿وهذه القصيدة المسماة بانوار السرائر وسائر الأنوار﴾

اذا ما بدا من باطن حالة الزجر * فما هو الا البر من منح البر
ومن حكم حال الانتباه اذا بدا * شهودك حال النفس في غاية الفقر
فتستغفر الرحمن من كل زلة * وتسأله عفوا ترى البشر في النشر
وان ذكرت دنيا اعتبرت وان جرى * لأخرى الذكر كنت منشرح الصدر
وان ذكر الجبار جل جلاله * نشرت على العلياء ألوية الفخر
ومن بعده الحال الذي هو يقظة * ورود برد الكسر في غاية الجبر
تشاهد انحاء النجاة فتنتحي * على ثقة ما ليس بالمسلك الوعر
فبعده مقام التوب وهو ممهد * فدونك فاقرع بابه قرع مضطر
ومن بعده الشيخ الذي هو قدوة * يلقي مراد الحق في السر والجهر
فقم واجتنب ما ذمه العلم واجتلب * لما خصه بالمدح فهو جني الدر
وان تسم نحو الفقر نفسك فاطرح * هواها وجانبه مجانبة الشر
وضعها بحجر الشيخ طفلا فالها * خروج بلا فطم عن الحجر والحجر
ومن لم يكن سلب الارادة وصفه * فلا يطمعن في شم رائحة الفقر
وهذا وان كان العزيز وجوده * ولكنه في العزم خال من العسر
وللشيخ آيات اذا لم تكن له * فما هو الا في اماني الهوى يسري
اذا لم يكن علم لديه بظاهر * ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وان كان الا انه غير جامع * لوصفيهما جمعا على أكمل الأمر
فاقرب أحوال العليل الى الردى * اذا لم يكن منها الطبيب على خبر
ومن لم يكن الا الوجود أقامه * وأظهره منشور ألوية النصر
* فأقبل أرباب الارادة نحوه * بصدق يخلي الهش في جلد الصخر
وآياته ان لا يميل الى الهوى * فدنياه في طي وأخراه في نشر

شئ والجلب لها بشئ وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله عز وجل وهما قوله تعالى أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور فهذه في الدفع عن النفس والثانية قوله عز من قائل أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه الآية فهذه في الجلب لها انتهى وأما وصف الذكر فهو ان تذكر ربك بلسانك وتراقبه بقلبك وما ورد عليك من خير من الله قبلته وما ورد عليك من ضده كرهته راجعا الى الله في الدفع عن نفسك أو تجلب لها شيأ الا بالله تعالى وان خامر سرك بشئ من ذنب أو عيب أو نظر الى عمل صالح أو فعل جميل فبادر في الحال الى التوبة والاستغفار من جميع ما خامر سرك اما من الذنب والعيب فواجب شرعا واما من النظر الى العمل الصالح والفعل الجميل فللعلة ولمكن لك اسوة واعتبار باستغفار سيد الابرار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كل يوم سبعين مرة بعد البشارة واليقين بغفره ما تقدم من ذنبه وان وما تأخر وكان هذا ممن لم يقترف ذنبا قط وقد عصمه الله من كل شئ فما ظنك بمن لا يخلو عن ذنب أو عيب في أي وقت من الأوقات وأما الجلوس على بساط الصدق فهو ان تحقق أوصافك من الفقر والضعف والعجز والمذلة واجلس عليها وأنت ناظر لاوصافه تعالى من الغناء والقوة والقدرة والعزة فما كان منك فهو أوصاف العبودية وهذه أوصاف الربوبية وأما الصدق فهو ملازمة أوصافك فلا تنتقل عنها الى ما ليس لك فتكون من الخائنين بقلب الحقائق وقل يا غني يا قوي يا قدير يا عزيز من للفقير غير الغني من للضعيف غير القوي من للعاجز غير القدير من للذليل غير العزيز فاجلسني على بساط الصدق والبسني لباس التقوى الذي هو خير وحققني بالحق واحجبني بعظمتك عن كل شئ هو لك واملأ قلبي بحبك حتى لا يكون فيه متسع لغيرك انك على كل شئ قدير وبعبادك

لطف خبير انتهى وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه لايكن حظك من دعائك الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه أوصانى أستاذى رضى الله تعالى عنه ان خف من الله خوفا تأمن به من كل شئ واحذر قلبك ان يأمن من الله فى شئ فلامعنى للخوف من شئ ولاللامن من الله فى شئ وحدد بصر الايمان تجد الله فى كل شئ وعند كل شئ ومع كل شئ وفوق كل شئ وتحت كل شئ وقريبا من كل شئ ومحيطا بكل شئ بقرب هو وصفه وباحاطة هى نعته وعدعن الظرفية والحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولاشئ معه وهو الآن على ما عليه كان وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه أوصانى حبيبى ان لاتنقل قدميك الاحيث ترجو ثواب الله ولاتجالس الاحيث تأمن غالبا من معصية الله ولاتصاحب الامن تستعين به على طاعة الله ولاتصطف لنفسك الامن تزداد به يقينا بالله وقليل ماهم وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه مما يحكى عن أستاذه الله الله والناس الناس نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التماثيل من قبلهم وعليك بحفظ الجوارح واداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عندك ولاتذكرهم الا بواجب حق الله عليك وقدتم ورعك وقل اللهم ارحنى من ذكرهم ومن العوارض من قبلهم ونجنى من شرهم واغننى بخيرك عن خيرهم وتولنى بالخصوصية من بينهم انك على كل شئ قدير وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه أوصانى أستاذى رضى الله تعالى عنه فقال لى اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فان شرهم يصيبك فى بدنك وخيرهم يصيبك فى قلبك ولأن تصاب فى بدنك خير لك من أن تصاب فى قلبك ولعدو ترجع به الى الله تعالى خير لك من حبيب يشغلك عن

وان كان ذا جمع لأكل طعامه * مريدف لاتصحبه يوما من الدهر

وأما بيان الشيخ عنه لنا * وتبيينه يغنى عن البحث والسبر

ولاتسأان عنه سوى ذى بصيرة * خلى من الأهواء ليس بمغتر

فمن صدئت مرآة ناظر فهمه * أرته بوجه الشمس من كلف البدر

ومن لم يكن يدرى العروض فربما * يرى القبض فى التطويل من أظهر الكسر

ولاتقدمن قبل اعتقادك انه * مرب ولاأولى بها منه فى العصر

فان رقيب الالتفات لغيره * يقول لمحجوب السراية لاتسر

ولاتعترض يوما عليه فانه * كفيل بتشتيت المريد على هجر

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل * يرى النقص فى عين الكمال ولايدرى

ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده * يظل من الانكار فى لهب الجمر

فذو العقل لايرضى سواه وان نأى * عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر

ولاتعرفن فى حضرة الشيخ غيره * ولاتملأن عينامن النظر الشزر

ولاتنطقن يوما لديه فان دعا * اليه فلا تعدل عن الكلم النزر

ولاترفعوا أصواتكم فوق صوته * ولاتجهروا جهر الذى هو فى قفر

ولاترفعن بالضحك صوتك عنده * فلا قبح الادون ذلك فاستقر

ولا تقعدن قدامه متربعا * ولا بادبار جلا فبادر الى الستر

ولاباسطا سجادة بحضوره * فلاقصد الا السعى للخادم البر

وسجادة الصوفى بيت سكونه * ولاوكرا الا أن يطير عن الوكر

* ومادمت لم تفطم فلافرجية * عليك ولا تلقى عليها بمسجر

ولاترين فى الأرض دونك مؤمنا * ولاكافرا حتى تغيب فى القبر

فان ختام الأمر عنك مغيب * ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

ولاتنظرن يوما الى الخلق انه * يخلى طريق الصفو فى كدر الاسر

وان نظم الحق الكرامات أسطرا * فلاتبدين حرفا الغيرك من سطر

سوى الشيخ لاتكتمه مرا فانه * بساحته كشف السر يجرى على بحر

الله وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه قل ماسلم من النفاق عبد يعمل على الوفاق وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه اقرع باب الذكر بالالتجاء والافتقار الى الله بلازمة الصمت عن الامثال والاشباه والاجناس ومراعاة السر عن محادثة النفس فى جميع الأنفاس ان أردت الغنى عن الناس والتطهير من جميع الأدناس والحماية من الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس والوقاية من الالتباس والحفظ فى جميع الحواس وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه عليك بثلاث ان تفرغ لسانك للذكر وقلبك للفكر وبدنك لمتابعة الأمر فاذا داومت فأنت اذا من الصالحين وقال رضى الله تعالى عنه وعنابه اذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو من مقالك وانبسطت الجوارح فى شهواتك وانسد باب الفكرة فى مصالحك فاعلم ان ذلك لعظيم أوزارك أولكمون النفاق فى قلبك فليس لك طريق الى الفلاح الا بالتوبة والصلاح والاعتصام بالله والاخلاص فى دين الله ألم تسمع الى قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا

بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا ان كنت فقيها ترشد وكان رضى الله تعالى عنه وعنا به يقول
اذا ورد على وارد من الحقيقة لا أقبله الا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة انتهى فقد تبين لك من جميع ما تقدم ان مبنى طريقته
على الكتاب والسنة وترك المعاصى وفعل الواجبات واتباع السنن المأثورة حتى قال بعضهم للحالف أن يحلف ولا يستثنى أن طريق
الشاذلى رضى الله عنه هى ما كان عليه بواطن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولذا قيل فى وصف الشيخ سيدى أبى الحسن الشاذلى
رضى الله تعالى عنه وعنا به انه سهل الطريقة على الخليقة لان طريقته أسهل الطرق وأقربها لانه بنى طريقته على رؤية الحق والفناء
فيه من أول قدم فهم يتنعمون من أول قدم وأيضا مبنى طريقته الجمع على الله وعدم التفرقة وكثير من كلام الشيخ ما يدل على ذلك اذا
تأملته وأيضا مبنى طريقه على طلب العلم وكثرة الذكر مع الحضور رايسلم استحضاره من التصورات الفاسدة وليعلم ما يجب لله سبحانه
وتعالى وما يجوز وما يستحيل وكانت بهذا الاستحضار الذى هو الجمع اسهل الطرق وأقربها وليس فيها كثير مجاهدة لأن
ما فى النفس من النور الاصلى
يتعاضد و يقوى بنور العلم
ونور الذكر حتى يندفع به
ما فيها من الرذائل فيزداد
اقبالها على حضرة القدس
وادبارها من الدناءة حتى
ينمحق عنها بالكلية و يحرق
الذكر من القلب ما سوى
المذكور ولاسيما ان صح مقصده
فى ابتداء أمره وهو أن يكون
قصده التقرب الى الله تعالى
والتعبد محبة له من غير التفات
الى غير ذلك وليكن مبتهلا الى
الله تعالى فى تحصيل مقصده
متوسلا اليه بنبيه وحبيبه
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وأهل بيته وأصحابه وأوليائه
مع الحب الكامل لهم وحسن
العقيدة فى الجميع فاذا عمل
على هذا الأسلوب فتح له فى
أقرب مدة ان شاء الله تعالى
وقد ذكر القطب سيدى الشيخ
عبد الوهاب الشعرانى رضى
الله تعالى عنه وعنا به عن شيخه
العارف بالله تعالى سيدى
على الخواص رضى الله تعالى
عنه وعنا به أن جميع الابواب
استدارت الى الغلق الا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من القرن التاسع فمن كانت له حاجة فليمنزلها وان
بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه باب الله الأعظم وما من ذرة خير من خيرات الدنيا والآخرة فى الباطن والظاهر والحسى والمعنى
الا وهى من بابه صلى الله تعالى عليه وسلم و بسببه عليه أفضل الصلاة والسلام كما قيل فى تصلية سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله
عنه ولا شئ الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط وقد قال بعض السادات الوفائية فى مدح الحضرة المحمدية

ما أرسل الرحمن او يرسل * من رحمة تصعد أو تنزل
فى ملكوت الله أو ملكه * من كل ما يختص أو يشمل
الا وطه المصطفى عبده * نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها * يعلم هذا كل من يعقل

وفى الكشف ان كوشفت راجحانه * لايضاح سر الكشف مبتسم الثغر
ولا تنفرد عنه بواقعة جرت * ففى عشا عينيك والسمع فى وقر
وفر اليه فى المهمات كلها * فانك تلقى النصر فى ذلك الفر
ولا تك ممن يحسن الفعل عنده * فيفسد الا أن تفر الى الكر
ومن حل من صدق الانابة منزلا * يرى العيب فى أفعاله وهو مستبر
وان مقام التوب فيه لحفظه * مجاهدة لا تنتحى بسوى الصبر
فصبر على المفروض وقت أدائه * وصبر مع الأزمان عن مورد الحظر
وصبر على المندوب فى كل حالة * وصبر على المكروه من غير ما قهر
وفيه بذاك الحفظ حفظ مقامه * محاسبة لا وزر تبقى مع الأجر
بحفظك للانفاس فى كل لحظة * ووصف الحواس الخمس بالضبط والحصر
وان تك للاوقات راع ومؤثرا * لكل مهم فى السماحة والقهر
وفى التوب حال الخوف والصبر والرضا * فأكرم به للحق من تائب بر
وفيه مقام الخوف والصبر والرضا * كذاك الرجاء المداولى من القصر
ويلزم عنه ان يراعى سره * فلا خاطر مزر عليه بذى أمر
ملاحظة للحق فى كل لحظة * وفى لفظة لو لم يفه بسوى عمرو
وهذا مقام لا يفوز بدركه * سوى ورع فى صفو باطنه يسر
ولا ورع حق ولا متورع * اذا لم يكن بالصبر معتضد الأزر
فصبر على النعماء منه اذا سمت * اليك سموا الطير فى البر والبحر
وصبر على الضراء يبلغ ان يرى * سواء اليه وارد النفع والضر
فما يغتذى الاعيان أصله * ولو لم يكن الا الليالى فى الشهر
فلا تك ممن لا يفارق خبزه * فديمة جود الحق دائمة القطر
وفى الناس من لا ينتمى لتورع * ويكفيه عند الجوع مص نوى التمر
وأى يقين فى ادخارك كسرة * لغد جئت شيأ عيب من أضعف الذر
وأقبح منه ان تقدم للقرى * سواها وتبدى الذكر فيما به تقر

فلـذبه فى كل ماترتجيـه * فهو شـفيع دائما يقبل   وعـذبه من كل ماتختشيه * فانه المأمن والمعـقل
وحط أحمال الرجاء عنده * فانه المرجـو والمؤمـل   ونادهان أزمـة أنشبت * أظفارها واستحكم المعضل
باأكرم الخلق على ربه * وخـير من فيهـم به يرسل   قـد مسنى الكرب فكم مرة * فرجت كربا بعضها يذهل
ولـن ترى أعجـز منى فما * اشـدة أقـوى ولا أحمل   فبالذى خصـك بين الورى * برتبـة عنها العـلى ينزل
عجل باذهاب الذى اشتكى * وان توقفت فمـن أسأل   وأنت باب الله أى امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل
فحيلتى ضاقت وصبرى انقضى * ولست أدرى ما الذى أفعل   صـلى عليك الله ماصافحت * زهر الروابى نسمة شمال
مسلما مافاح عطـر الهوى * وطاب منه الندو المندل   والآل والأصحاب ماغردت * ساجعة أملودها يخضل

فهو صلى الله عليه وسلم باب الله وحبيب الله ونبى الله ورسول الله والوسيلة العظمى لمن أراد الوصول الى الله وكيف لا وهو الحجاب الاعظم القائم له سبحانه وتعالى بين يديه فلا يصل واصل الا الى حضرته المانعة ولا يهتدى حائر الا بأنواره اللامعة صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم النور الذى استمدت منه الأنوار والسر الذى انشقت منه الأسرار وليس أحد يدرك الحقيقة المحمدية الا الله العزيز الغفار ولله در المحقق الكامل سيدى الشيخ عبد الكريم الجيلى رضى الله تعالى عنه وعنابه حيث قال فى الانسان الكامل من قصيدة طويلة فى مدح الحضرة المحمدية

عجبا لذاك الحى كيف بهمه * قحط السنين وأحمد نيسانه
أو كيف يظما أو فده ولديهم * بحر يموج بدره طفحانه

الى أن قال نفعنا الله به

هو نقطة التحقيق وهو محيطه * هو مركز التشريع وهو مكانه
هو در بحر الوهم وخضمها * هو سيف أرض عبودة ومعانه
هو داؤه هو واوه هو باؤه * هو سينه والعين بل انسانه
هو قافه هو نونه هو طاؤه * هو نوره هو ناره هو رانه
عقد اللواء بحمده وثنائه * فالدهر دهر والاوان أوانه
وله الوساطة وهو عين وسيلة * هو للفتى يجلى به رحمانه

وان كنت فى الاسفار كان مكانها * امامك دون الكل من سفر السفر
* وهذا وان لم يبد منك لظنة * فلا بخل منه جانب غير مزور
ولن يخلص الاخلاص يوما لتارك * طعاما لما ضاهاه كالارز والبر
وفى كل مطعوم وفى كل ملبس * تورع أصحاب التورع لو تدر
فلا تك ممن خص بالبعض حكمه * واهمله فيما سوى ذلك القدر
وفى البقل يجرى حكمه وهو ظاهر * وفى الملح والكمون والسعتر البر
وفى الخل والماء الذى هو لازم * ولا سيما ماء الصهاريج فى الثغر
ومن كان هذا عن يقين مقامه * فلا يشترى شيأ بنقد ولا يشر
وقد جاء وقت الزهد أهلا ومرحبا * مكانك بين السحر منى والنحر
خلوت عن الاملاك طرا فلا أرى * أميل الى ملك ولو كان ذا خطر
لك الصبر عن حمد الورى ولك الثنا * ولا خير فى عز يفارق فى الحشر
وان مقام الزهد ماحله سوى * برىء من التدبير والحول والجبر
يشاهد وعد الحق عين يقينه * فلا أمن فى وفر ولا خوف فى فقر
ففى التوب والزهد المقامات كلها * فروضهما من طيبه عبق النشر
* ولم يبق الا ان تداوم كل ما * تكون به عبدا الى آخر العمر
وتكمل أركان الولادة فاخترق * بها ملكوت السبع من غير ماحجر
ومن خير ما تعطى الدوام فلا تزل * تطير الى العليا بأجنحة الشكر
* فلا تك الا تاليا أو مصليا * ودائم ذكر القلب أبد من ذكر
وأفضل ذكر المرء حين لقلبه * حضور يغيب الذكر فيه عن الذكر
فان يك تلوين فذو العلم حبه * محاضرة من خلف منسدل الستر
وان يك ذا عين اليقين لحظه * مكاشفة جلت عن النظر الفكر
وان يك تمكين فذو الحق حقه * مشاهدة من غير حجب ولا ستر
يشاهد أنوار التجلى حقيقة * فلا خوف يوما من حجاب ولا ستر
يشاهدها سر الذى ذكر قلبه * عتيد وان كف اللسان عن الذكر

اذ هو الانسان الكامل بالاتفاق وليس لأحد من الكمل ماله من الخلق والاخلاق فمن أراد أن تطوى له الطريق وفى مدة يسيرة يحصل على مقامات أهل التحقيق فليسلك على نهج الشريعة المحمدية وليتمسك بالسنة المصطفوية كما عليه مشايخنا السادة النجباء الافراد الشاذلية ﴿تنبيه لطيف﴾ وايقاظ ظريف لمن أراد الانتساب لأحد من مشايخ الطريقة والحقيقة الاقطاب (اعلم) ان الانتساب الى الطريقة الشاذلية وغيرها على أربعة اقسام قال شيخ مشايخنا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أبو

المواهب التونسى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وعنا به (اعلم) ان الاخذ على أربعة أقسام أحدها أخذ المصافحة والتلقين للذكر ولبس الخرقة والعذبة للتبرك أو للنسبة فقط ثانيها أخذ رواية وهى قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها وهو قد يكون للتبرك أو للنسبة أيضا فقط ثالثها أخذ دراية وهو حل كتبهم لادراك معانيها كذلك فقط من غير عمل بها فهذه الأقسام الثلاثة لا وجود فى الغالب لغيرها وليس على الآخذ حرج فى تعدد الأشياخ فيها بالغا ما بلغوا رابعها أخذ تدريب وتهذيب وترقية فى الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء فى التوحيد والبقاء به فلا يتعدى المقتدى به الا باذنه أو بفقده وهو المراد العزيز وجوده قال سيدى الشيخ ابن عباد رضى الله تعالى عنه وعنا به وهو الذى عليه المعول فى هذا الطريق كما تقدم ان الشاذلية معولهم على الصحبة الصالحة مع الاهتداء والمحبة الصادقة مع الاقتداء وقال سيدى الشيخ ابن عباد فى المفاخر العليه والمآثر الشاذليه ويصح الانتساب أيضا بالمتابعة والمشاركة ولو فى شئ يسير مع المحبة لهم كتلاوة حزب من أحزابهم والدليل على ذلك قول الشيخ رضى الله تعالى عنه من قرأ حزبنا فله مالنا وعليه ما علينا قال الشيخ ابن عباد شارح الحكم العطائية رضى الله تعالى عنه فله مالنا من الحرمة وعليه ما علينا يعنى من الرحمة وقال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أحمد زروق رضى الله تعالى عنه والذى يظهر من قوة الكلام ان ذلك اثبات بانه فى حوزة الشيخ ودائرته بما هو أعم من الحرمة والرحمة وهذا جار فى كل أحزابه وجميع طريقته لانه اذا كان الايمان بطريقهم ولاية فكيف بالدخول فيها بادنى جزء نعم ولا يستعمل ذلك أحد الا بعد المحبة لهم ومن أحب قوما حشر معهم كما قال عليه الصلاة والسلام وقال أيضا عليه الصلاة والسلام للرجل الذى سأله عن المرء يحب القوم ولم يلحق بهم أنت مع من أحببت وفى الطراز المذهب لسيط المرصفى سؤال هل يجوز للشخص ان يعتقد بقلبه ميتا أو غائبا لم يره أو حاضرا ولم يكن بينه وبينه عهد ولا عقد ويقول فلان شيخى أم لا الجواب نعم له ذلك اذا اشتهر الشيخ المعتقد فيه بالمشيخة وعرفت سيرته وآدابه وأوراده وما يأخذ به نفسه وأصحابه ولا يتوقف على الحضور معه ونحن نرجو من الله تعالى الاقتداء بنبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه وأئمة المذاهب المجتهدين والعارفين بالله تعالى من السلف الصالحين وأولياء الله تعالى أجمعين كمال المحبة والمتابعة لهم والنفع بهم فى الدارين فمن أراد الله تعالى به الخير وجمعه على شيخ من مشايخ الطريقة والحقيقة ووفقه الله تعالى لمتابعته فى وظائفه وأوراده وأذكاره وعباداته فليعلم انه ممن سبقت له العناية ومدت يدها اليه لترفعه ومن بين أقرانه تميزه وتفضله لان البدايات مجلية

ولكل من كأس المحبة شربة * سرت فيه سرى الماء فى الغصن النضر
فذو العلم طوع الحب والحب عنده * موافقة المحبوب فى العسر واليسر
فلو قال طأ فى النار والنار جمرها * له لهب يرمى الشرارة كالقصر
لما كان لمح البرق أسرع ما يرى * بأسرع منى فى امتثالى للامر
ولى منه بشرى لو حللت بقعرها * أبت لى ان أدرى ببرد ولا حر
وان وجودى ان أرى فيك فانيا * ولا حظ لى من دون ذلك فى أمر
فطاعته قربى وأنسى عبادتى * ولا أنس الا فى العبادة للحر
ارى بطريق الفعل فى كل لحظة * وجودى تبين من وجودك فى سر
فأنفى صدور الفعل عن كل ممكن * وابقى على حكم المشيئة فى أمر
وهذا مقام فى الوصول وفوقه * مقامات أقوام علا قدرهم قدر
وان اشتياقى نحوها ليطير بى * لاقربها منى بأجنحة النسر
وذو العين لاستيلاء سلطان حاله * عليه له سكر يزيد على السكر
أدار عليه الحب كأس مدامه * فلا سكر الا دون ذلك من خمر
ولا بسط الا فى أوائل حاله * فلا صدر فى قبض ولا قبض فى صدر
وفى غلبات الوجد مكنون سره * مذاع فلا سدل بستر على سر
ومظهر هذا الحب يوشك ان يرى * قتيلا لمحبوب يغار على السر
وان وجودى فى فنائى فانه * فناء صفات النفس عن محكم البشر
وفيه انا محو واثباتنا الذى * طلوع كؤس الحب كالانجم الزهر
تجردت عن كلى وعن كل خاطر * يلم سوى المحبوب بالقلب والفكر
تعرفت منه القرب وهو مؤيد * به فوجوه اللطف ظاهرة البشر
ولى منه تجريد وتفريد غائب * عن الكسب لا يدرى بشفع ولا وتر
وها أنا منه حاضر غير غائب * ولى غيبة بالحق عن كل ما يجرى
وانى به فى عين جمع فان أقف * لديه بلا فرق فانى فى خسر
وان اعتقاد الاتحاد جهالة * فسل عنه من يدريه ان كنت لا تدرى

اذا

النهايات فلا يبالى بمن يلوم أو ينقد أو يتكلم بما لا يعنيه بل يكون لسان حاله ينشد و يقول
أنا مشغول بليلى * عن جميع الكون طرا ولله در سلطان العشاق سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه حيث يقول
دعنى وتعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف واعلم يا أخى ان حب القوم بلا اتباع ليس فيه فائدة ولا انتفاع
ولذلك قال شيخ مشايخنا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أحمد زروق رضى الله تعالى عنه من تشبه بقوم كان منهم ومن لم يعمل
باعمالهم كان بعيدا عنهم وقال سيدى الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه من صدق بهذا الامر فهو ولى ومن أدرك منه
مقاما أو نال منه حالا فهو بدل وقال سيدى أبو يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه اذا رأيت مؤمنا مصدقا بكلام أهل هذه الطريقة
فاسأله الدعاء فانه مجاب الدعاء وقال سيدنا وامامنا الشيخ الاكبر قدس الله تعالى سره الاطهر فى كتاب الوصية آخر الفتوحات
المكية ما نصه وصية واياك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله وان أخطؤا أو جاؤا بقراب
الأرض خطايا لا يشركون بالله شيأ القيهم الله بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته ومن حارب الله فقد
ذكر الله جزاءه فى الدنيا والآخرة وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله ٢١١ فلا تتخذه عدوا وأقل أحوالك اذا جهلته
ان تجهل أمره فاذا تحققت انه عدو لله وليس الا المشرك فتبرأ منه كما فعل ابراهيم الخليل عليه السلام فى حق ابيه آزر قال الله عز وجل فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه هذا ميزانك يقول الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم كما فعل ابراهيم الخليل أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ومتى لا تعلم ذلك فلا تعاد عباد الله بالامكان ولا بما ظهر على اللسان والذى ينبغى لك ان تكره فعله لا عينه والعدو لله انما تكره عينه ففرق بين من تكره عينه وهو عدو الله و بين
من تكره فعله وهو المؤمن أو من تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم فى الوقت واحذر قوله تعالى فى الصحيح عنه من عادى لى وليا فقد آذنته
بالحرب فانه اذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق الحق فى خلقه فانه ما يدرى علم الله فيه وما بينه الله له حتى يتبرأ منه و يتخذه عدوا واذا
علم حاله الظاهر وان كان عدو الله فى نفس الامر وأنت لا تعلم فواله لاقامة حق الله ولا تعاده فان الاسم الالهى الظاهر يخاصمك عند
الله فلا تجعل لله عليك حجة فتهلك فان لله الحجة البالغة فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة كما ان الله يرزقهم على كفرهم وشركهم مع
علمه بهم وما رزقهم الا لعلمه بان الذى هم فيه ما هم فيه بهم بل هم فيه به لما قد ذكرنا بلسان العموم الى ان قال قدس الله سره و بلسان
الخصوص ما ظهر حكم فى الوجود الا بما هو عليه فى حال العدم فى ثبوته الذى علمه الله منه فلله الحجة البالغة على كل أحد مهما
وقع نزاع ومحاجة فسلم الامر اليه فانزل الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمة موجودة فى وجوده ولا تنظر فيه من حيث ما يقام
فيه فى الوقت حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين فيتعين عليك عند ذلك ان تتخذهم أعداء لامر الله لك بذلك حيث نهاك
ان تتخذ عدوه وليا تلقى اليه بالمودة فان اضطرك ضعف يقين الى مداراتهم فدارهم من غير ان تلقى اليهم بالمودة ولكن مسالمة لدفع
الشر عنك ففوض الامر اليه واعتمد فى كل حال عليه الى ان تلقاه انتهى وكلامه قدس الله سره انما هو فى أهل ولاية الايمان بموجب
قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم الآية فكيف باهل ولاية الايقان والاحسان قال الله تعالى فى حقهم الا ان أولياء الله

اذا كان من لا تقبل التعدد ذاته * يحال محال ان يرى قابل الغير
فليس يجيز الاتحاد بربه * سوى فاقد للعقل أو جاهل غمر
اذا طالع القلب الكريم صفاته * فلى أنس ذى أمن وهيبة ذى ذعر
وهذا مقام فى الوصول وفوقه * مقام محب دونه رتبة النسر
وذو الحق لما طالع الذات صاحيا * بروح سماوى من العالم الامر
سقته براحات المحبة راحها * فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر
ولما سرت فى النفس زكت وطهرت * وطارت بروح البر فى منهج البر
فمدت اليه رحمة يد جاذب * فناديك من بر وناديك من بشر
هنالك للاوصاف أشرف خلعة * عنيه وللاخلاق فخر على فخر
وهذا مقام فى الوصول وحفظه * بباعث شوق من فؤاد على جمر
وان اعتقادات الحلول ضلالة * اذا لم يكن كفر فلا يخل من كفر
وليس يحل الحادثات منزه * عن النقص والتغيير فاهجر ذوى الهجر
وللروح اطراق لأجل جلاله * واجلاله ان الحياء لذو حصر
وان لديه فى كمال جماله * للذة امن أمنت طارق الذكر
وقد كان فى كشف الصفات فناؤه * يغيب به عن عالم الخلق والامر
وفى النور مهما شاهد النور سره * ولو أنه بين المثقفة السمر

لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون الآية الذين خرجوا عن تدبير أنفسهم الى تدبير الله تعالى وعن انتصارهم لانفسهم الى انتصار الله عز وجل وعن حولهم وقوتهم اصدق التوكل على الله قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين قال شيخ مشايخنا سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله تعالى عنه وكان ذلك لهم لانهم جعلوا الله مكان همومهم فرفع عنهم الاغيار وقام عنهم بوجود الانتصار وقد جاء فى الحديث من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فكيف ينتصر من الخلق من يرى الحق فعالا فيهم وكيف يدع أولياءه من نصرته سبحانه وتعالى وهم قد ألقوا أنفسهم بين يديه مسلما غيرانه لا يلزم ان يكون انتصار الحق لهم معجلا وقد كان رجل من بنى اسرائيل اقبل على الله ثم أعرض عنه فقال يارب كم أعصيك ولا تعاقبنى فاوحى الله الى نبى ذلك الزمان ان قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر ألم أسلبك حلاوة ذكرى ولذاذة مناجاتى انتهى ثم انه ما حملنى على جمع هذه الرسالة المباركة ان شاء الله تعالى الاحب القوم وابعاد العذل عليهم واللوم ولعلى أكون ان شاء الله تعالى من المحسوبين عليهم والمنسوبين اليهم فانهم أهل حضرة الله تعالى الخاصة وحضرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخاصة أين ما فيهم يرحم الله تعالى العباد والبلاد وبهم يدفع البلاء والوباء لانهم قائمون بالحجة سالكون المحجة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من ناواهم الى قيام الساعة وقد قال أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه مخاطبا لمحمد كميل بن زياد اللهم لاتخل الارض من قائم لك بحجتك أولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا قلوبهم معلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله فى عباده وبلاده واشوقاه الى رؤيتهم فكيف ٢١٢ بنا وما أظهر الشوق لهم الا لحبه فيهم لان المحبة من أجل مقامات اليقين وأكمل أحوال العارفين ويرحم الله الشيخ أبا عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم قال اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نتوصل الى حبهم فيك الا بحظنا منك فاتمم لنا ذلك حتى نلقاك ولله در الشيخ سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى الشاذلى رضى الله تعالى عنه حيث قال فى المعنى

وكنت قديما أطلب الوصل منهم * فلما أتانى العلم وارتفع الجهل * تيقنت ان العبد لامطلب له

فان قربوا فضل وان بعدوا عدل * وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم * وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو

وأرجو الله تعالى انى قد أتيت ان شاء الله تعالى على قطع أوهام المنكرين الجهر بذكر رب العالمين وخيالات المعترضين على المنسوبين العارفين وبصرتهم سبيل نجاتهم بواضح البينات فانى لم آل جهدا فى تنقيح هذه الرسالة وترتيبها على أكمل حالة وطرزت ذلك بنقول أهل المذاهب وبيان مذهب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان وزيف ما نسب اليه مما هو برىء منه واستوفيت ذلك حسب الامكان والطاقة مع انى والله قليل البضاعة ولست من أهل هذه الصناعة ولكن الله سبحانه وتعالى المسؤل ان يكون قد سدد والى الصواب أرشد ولقبول القلوب لها مهد فانه لا يخيب من دعاه ولا يرد من سأله ورجاه والله المسؤل ان ينفع به الاخوان ويعد به الاخدان ورفع الله سبحانه قدر من رأى خللا فاصلحه أو مبهما فاوضحه فان البشر لايخلو عن السهو والنسيان والخطا والمحب يصلح عيوب أخيه ولا يكشف الغطا ولا يزدريه ومع ذلك فانى لست ناقلا الا من كلام المحققين وما ظهر لى فى أثناء ذلك هو من نفحات ربى وفتوحات فاطر السموات والارضين وهو العزيز الحكيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكان الفراغ من جمع هذه الرسالة المباركة

فى يوم الاثنين المبارك ثانى يوم من شهر ربيع الاول سنة تسع وثلاثمائة بعد الالف من هجرة

من له العز ونهاية الشرف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وهذا لأهل القرب فى الوصل رتبة * ولكنها من دون ذلك فى القدر

وكان وجود الهجر هجر اختياره * فناء فأفناه البقاء عن الهجر

فلا عدم بعد الوجود فانه * بمودع سر العين فى باطن السر

وانى به فى جمع جمع مؤيد * ومحو واثبات الى منتهى عمر

وللنور فى كلية العبد سارى * سرايته ماء الزهر فى ورق الزهر

فيحظى بها روحا وقلبا وقالبا * ونفسا ألا أكرم بذلك من بر

وهذا لاهل القرب أشرف رتبة * ومن فوقها مالم يمر على فكر

﴿ تمت القصيدة المعروفة برائية الشريشى ﴾

الحمد لله الذي منّ على خلقه بإنارة السبيل إليه وجعل أفضل بريته الهادين لرضاه والدالين عليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف داع وأكرم هاد وعلى آله وأصحابه وكل مقتف لسبيله الى يوم التناد ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع شرح العلامة الفاضل والملاذ الكامل العارف بالله تعالى الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد الفاسي رحمه الله وأثابه من جزيل عطائه فوق متمناه على منظومة القدوة الشهير والعارف الكبير الشيخ أبي العباس تاج الدين أحمد بن محمد البكري المعروف بالشريشي في التصوف الآتي فيها من النصائح وشرح المقامات ما تنشرح به الصدور وللآذان يشنف وجاء الشرح فحل منها محل الحلي من الحسناء بل محل الروح الموصل لكل هناء فتم كتابا لم ينسج على منواله ولم تتمتع العينان بمثاله وأكمل الطبع محاسنه وسهل السبيل أن تقتني الناس معادنه خصوصا وقد حليت طرره ووشيت غرره برسالة النصرة النبويه لاهل الطريقة الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسيه للوذعي العلامة والفاضل الفهامة الاستاذ الشيخ مصطفى بن اسماعيل حبش المدني حفظه الله وأدام كماله وعلاه على ذمة ذي الهمة العاليه والمآثر الشريفة والمكانة الساميه ذو الجناب المنيع والمقام الرفيع المحترم الحاج محمد بن قاسم الحلو المعتمد السلطاني من لدن دولة المغرب الاقصى بالديار المصرية القاطن بمصر المحروسة لازال ملحوظا بعين العناية الربانيه محفوفا بتوالي النفحات والالطاف الالهيه بجاه سيدنا محمد خير البريه وآله ذوي النفوس الزكيه وصحبه ذوي الاخلاق المرضيه وحضرة سلالة المجد والشرف وخلاصة الاماجد من خلف وسلف الحسيب النسيب السيد محمد الدباغ القاطن بمكة المشرفة وحضرة عين الفضل ومعناه وسر المجد الرفيع ومغزاه السري الوجيه الفاضل الشيخ عبد العزيز جحجوم القاطن بجدة كان الله للجميع حافظا ومعينا وجعل هممهم على الدوام متوجهة لنشر ما يصير به الدين قويا وطيدا وذلك بالمطبعة العامرة الشرفيه الكائنة بشارع الخرنفش بمصر المحروسة المحميه سنة ١٣١٦ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه



فهرست النصرة النبويه لاهل الطريقة الشاذلية الفاسية الدرقاويه
المدنية الموضوعة بهامش شرح رائية الشريشى

صحيفة	
٣	خطبة الكتاب
١٥	المقدمة الاولى
١٨	المقدمة الثانية
٢١	مطلب نفيس فى العلم النافع
٢٢	مطلب فى معرفة مبادى علم التصوف
٣٢	الباب الاول فى اثبات نسبة شيخنا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد ابن محمد الفاسى رحمه الله الى طريقة القطب الغوث الشهير سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه
٣٢	مطلب نفيس فى تحقيق النسب الروحى وهو نسب التقوى
٣٥	مطلب شريف فيما يجب لاهل البيت النبوى من الحقوق وان فعلوا ما فعلوا كما نص على ذلك فى الباب الثانى والخمسمائة من الفتوحات المكية سيدنا الشيخ الاكبر قدس سره الانور
٣٨	مطلب ظريف فى بيان من يفتخر بالانساب يقال له عظامى ومن يفتخر بالاخلاق الكريمة يقال له عصامى
٤٠	مطلب فى بيان سند القوم وفى تلقينهم الاوراد والاذكار وانها من السنة المحمدية وأسماء رجال أهل السلسلة الشاذلية رضى الله تعالى عنهم أجمعين
٤٤	الباب الثانى فى نبذة من عقائد القوم
٥٠	عقيدة الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر العارف المحقق سيدى محيى الدين بن العربى قدس سره الأطهر
٥٦	الباب الثالث فى بيان ان السادة الصوفية أسسوا طريقهم على الكتاب والسنة السنيه
٦٢	تنبيه يدل على غزارة علم سيدى أبى الحسن الشاذلى
٧٠	الباب الرابع فى الرد على من أبدى العذل واللوم وأنكر شيأ مما اصطلح عليه القوم

صحيفه	
٧٢	مطلب ظريف فى حكمة رمز القوم كلامهم حتى لا يفهمه غيرهم
٧٧	مطلب فى سبب انتصار الحق سبحانه وتعالى لاوليائه
٨٣	نكتة ظريفة مستحسنة لطيفة
٨٤	مطلب فى بيان ان سبب الانكار من المنكرين لسبع أشياء
٨٧	مطلب نفيس فى كلام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله على الاثر الوارد من عرف نفسه عرف ربه
٩٦	الباب الخامس فى بيان فتاوى علماء الشريعة من المذاهب الاربعة وهذا الباب يحتوى على أربعة مقاصد
٩٦	المقصد الاول فى بيان ان الطريق الموصلة الى الله مبناها على اتباع السنة المحمدية
٩٧	المقصد الثانى فى بيان حقيقة البدعة الضالة
٩٨	المقصد الثالث فى بيان محل الانكار وهل يجوز الانكار فى المحل المجتهد فيه
١٠١	المقصد الرابع فيمن قال بجواز الجهر بالذكر من علماء مذهب الامام أبى حنيفة النعمان رحمه الله تعالى
١٠٤	جواب العلامة خاتمة المحققين شيخ الاسلام خير الدين الرملى عن سؤال رفع له
١٠٦	صورة ما أجاب به العلامة الشيخ عبد الحى الشرنبلالى الحنفى رحمه الله تعالى
١٠٧	جواب العارف بالله تعالى العلامة المحقق الكامل سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسى رحمه الله تعالى
١١٠	جواب العلامة المحقق العينى رحمه الله تعالى عن سؤال رفع له
١١٣	سؤال وجواب
١١٣	جواب الامام الكامل الزاهد العالم سيدى الشيخ عز الدين بن عبد السلام

صحيفه	
	رحمه الله تعالى
١١٤	سؤال من بعض مشايخ الصوفية فى سنة ١١٠٥ وجوابه من بعض علماء الجامع الازهر ومنهم الشيخ العالم الفاضل الكامل أبو الخير أحمد المرحومى الشافعى الازهرى
١١٧	جواب الامام العلامة أبو العز أحمد بن العجمى الشافعى الوفائى الأزهرى رحمه الله تعالى
١١٨	جواب خاتمة المحققين العلامة ابن حجر المكى نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى
١١٩	جوابات أربعة أحدها الشيخ الاسلام سراج الدين البلقينى والثانى للعلامة برهان الدين الانباسى والثالث لأئمة من الحنفية والمالكية والرابع للناقد المحقق جلال الدين السيوطى رضى الله تعالى عنهم أجمعين
١٢٠	جواب الفاضل الكورانى وجواب لابن حجر العسقلانى رحمهما الله تعالى
١٢٢	جواب الامام الشيخ سليمان الشبراخيتى المالكى رحمه الله تعالى
١٢٤	جواب الشيخ محمد فتح الله قدس الله سره ونور ضريحه
١٢٩	جواب العلامة الشيخ ابراهيم السقا رحمه الله تعالى
١٣٠	جواب العلامة الشيخ محمد حسين الكتبى مفتى السادة المالكية بمكة شرفها الله تعالى
١٣٤	جواب الشيخ ابراهيم الملوى رحمه الله تعالى وجواب العلامة الشيخ حسن العطار رحمه الله تعالى
١٣٤	جواب العلامة الشيخ محمد عليش والعلامة الشيخ أحمد السباعى والعلامة الشيخ جمال مفتى مكة المشرفة رحمهم الله تعالى أجمعين
١٣٨	جواب العلامة شيخ الاسلام بتونس الشيخ محمد بيرم الخامس التونسى رحمه الله تعالى

صحيفه	
١٤٤	جواب العلامة الفاضل الشيخ رحمة الله ابن خليل الهندى نزيل مكة المكرمة صاحب اظهار الحق رحمه الله تعالى
١٤٤	جواب ملحق من الفاضل الشيخ فتح الله المتقدم ذكره
١٤٥	جواب العارف بالله تعالى العلامة المحقق الجامع بين الشريعة والحقيقة أبى محمد سيدى الشيخ عبد الصادق بن أحمد الفيتورى عن اشباع الهاء فى لا اله من قولنا لا اله الا الله
١٤٨	الباب السادس فى فضل الذكر والذاكرين وفيه ثلاثة فصول
١٤٩	الفصل الاول فى فضل ذكر لا اله الا الله
١٥١	الفصل الثانى فى الاكثار من ذكر الله سرا وجهرا
١٥٣	الفصل الثالث فى الحث على حضور مجالس الذكر
١٥٧	مطلب فيما جاء عن المشايخ العارفين بالله تعالى فى الحث على ذكر الله تعالى
١٦٢	مطلب فى نبذة من كلام العارفين بالله تعالى المحقق المدقق سيدى الشيخ أحمد ابن محمد القشاشى المدنى الانصارى رضى الله تعالى عنه تتعلق بالذكر وما يحصل به الترقى فيه الى مقام الفناء والبقاء
١٦٥	مطلب فى قول سيدى أحمد القشاشى رضى الله تعالى عنه ومن أحسن ما رأيته فى ذلك من الرسائل المقوية للسائرين الآخذة بمنبع الطاهرين الى حضرة رب العالمين ما ذكره الشيخ الامام الحجة الاول المقدم المقدام أبو القاسم ابن هوازن القشيرى رضى الله تعالى عنه
١٧٣	مطلب فى كيفية الحضرة التى هى حلقة الذكر الجهرى مع الاخوان على طريقة مشايخنا السادة الشاذلية الفاسية وآدابها القبلية والحالية والبعدية
١٧٦	مطلب فى ذكر اسم الصدر
١٧٧	الباب السابع فى أدب الفقير فى نفسه

صحيفه		صحيفه	
	وبيان صدقه وكذبه	١٩٢	الفصل الاول فى فضيلة الالفة والاخوة
١٨١	مطلب فى نبذة فى أدب الفقير فى نفسه من بلغة المريد نظم العارف بالله تعالى سيدى الشيخ مصطفى البكرى الصديقى رضى الله تعالى عنه	١٩٥	الفصل الثانى فى فوائد الصحبة وشروطها
١٨١	الباب الثامن فى بيان أدب المريد مع شيخه وعمله على عدم تغير قلب شيخه عليه	١٩٨	الباب العاشر فى فضيلة الطريقة الشاذلية بالخصوص
١٨٥	مطلب فى نبذة فى أدب الفقير مع شيخه من بلغة المريد نظم العارف بالله تعالى سيدى الشيخ مصطفى البكرى الصديقى رضى الله تعالى عنه	٢٠٤	سئل سيدى العارف بالله تعالى عبد العزيز الدباغ عن طريقة الشكر وطريق المجاهدة أيهما أقرب فاجاب رضى الله تعالى عنه بجواب كاف
١٨٧	الباب التاسع فى بيان أدب المريد مع اخوانه وبيان فضل الصحبة والاخوة فى الله	٢٠٨	مطلب مهم فى بيان أن الابواب كلها استدارت الى الغلق الا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كانت له حاجة فلينزلها به صلى الله عليه وسلم وبعض قصائد فى الحضرة المحمدية
١٩٠	مطلب فى نبذة فى أدب الفقير مع اخوانه من بلغة المريد نظم العارف بالله تعالى سيدى الشيخ مصطفى البكرى الصديقى رضى الله تعالى عنه	٢٠٩	مطلب فى بيان أن الانتساب الى الطريقة وغيرها على أربعة أقسام
١٩٢	مطلب فى بيان فضيلة الصحبة والاخوة وفوائدها وشروطها والكلام على ذلك فى فصلين	٢١٠	سؤال هل يجوز للشخص أن يعتقد بقلبه ميتا أو غائبا لم يره أو حاضرا ولم يكن بينه وبينه عهد ولا عقد ويقول فلان شيخى أم لا

﴿تمت﴾